وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

ألفاظ المحبّة والكراهة
في
البيـان القرآنـي

أطروحة تقدم بها

عبد الكريم خالد عناية التـميـمي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة البصرة وهي جزء من
متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها

بإشراف
الأستاذ الدكتور

فاخر هاشم سعد الياسري

١٤٣٤هـ ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ
لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ
إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة الحجرات الآية (٧)

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

إقرار المشرف

أشهدُ أنَّ إعدادَ هذه الأطروحة الموسومة بـ(**ألفاظ المحبّة والكراهة في البيان القرآني**) التي قدمها الطالب (**عبد الكريم خالد عناية التميمي**) ، قد جرى تحت إشرافي في كليّة التربيّة للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة ، وهي جزءٌ من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها .

المشرف

أ.د. فاخر هاشم الياسري

/ / ٢٠١٣م

بناء على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

د. علي عبد رمضان

رئيس قسم اللغة العربية

/ / ٢٠١٣م

الإهداء

إلى روح والدي الذي طالما انتظر هذه اللحظة ، فليسامحني ، أسكنه الله فسيح جناته

إلى عائلتي الصابرة المجاهدة

والدتي الحنون . . .

زوجتي الحبيبة . . .

إخوتي وأخواتي الأعزّاء . . .

أولادي شهد وعلي ومحمد . . .فلذّات كبدي

وفاءً وعرفاناً

الباحث

شكر وعرفان

إذا كان الباحث يرغب في إزجاء الشكر لمن أسهم في إخراج الدراسة بهذا الشكل ، فالشكر موصول إلى أساتذة قسم اللغة العربية في كلية التربية جامعة البصرة ، لا أخصُّ أحداً منهم ، فكلّهم خاصّتي ، وإنّي لعاجزٌ عن الشكر ، والشكر لا يفيه حقّه أستاذي المفضال الدكتور فاخر هاشم سعد الياسري الذي ذلل الصعاب لي ، صبوراً على خطئِي وتقصيري ، جزاه الله عني أفضل الجزاء .

وإلى زملائي أعضاء هيأة التدريس في كلية القانون / جامعة البصرة الذين أكنّ لهم خالص المحبّة والاحترام ، ولا أنسى موظفي الكليّة فهم نبلاء حقّاً .

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى زملائي وأصدقائي ولاسيّما أخي وزميلي وأستاذي الأستاذ المساعد الدكتور سالم يعقوب يوسف ، والدكتور صبّار شبوط طلاّع ، والدكتور حامد مردان شروان ، والدكتور علي جاسب الخزاعي ، والأستاذ حسام أحمد هاشم ، والدكتور صباح عيدي ، والأستاذ قيس عزيز التميمي لما أبدوه لي من دعم وعون يتمثل في تيسير المصادر والمراجع من مكتباتهم الخاصة فضلاً عن الدعم المعنويّ والنصائح السديدة ، وإلى كلّ من مدّ لي يد العون لإتمام هذا البحث .

عبد الكريم

مسرد المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	(أ - د)
الباب الأول / ألفاظ المحبّة الصريحة وغير الصريحة وما تعلّق بها	**(٣ – ١٢٦)**
الفصل الأول / ألفاظ المحبّة الصريحة	(٣ – ٦١)
- حبّ	(٤)
- ودّ	(٣٣)
- شَغَفَ	(٤١)
- رَغَبَ	(٤٤)
- ألف	(٤٨)
- خلّ	(٥١)
- هوى	(٥٧)
- صبا	(٦١)
الفصل الثاني / ألفاظ المحبّة غير الصريحة	(٦٣ – ٩٧)
- آثر	(٦٣)
- أخو	(٦٤)
- أنس	(٦٥)
- تبع	(٦٦)
- حفي	(٦٧)
- حمم	(٦٧)
- حنن	(٧٠)
- خدن	(٧٢)
- خلط	(٧٣)
- ذكر	(٧٤)
- ذلّ	(٧٥)
- أراد	(٧٦)
- رأف - رحم	(٧٨)
- رضي	(٧٩)
- زين	(٨٠)
- زلف	(٨١)
- سكن	(٨٢)
- شهى	(٨٣)
- صحب	(٨٥)
- صدق	(٨٦)
- صفى	(٨٧)

- صنع	(٨٩)
- ضلّ	(٩٠)
- عجب	(٩١)
- عزّ	(٩٢)
- قرب	(٩٣)
- كبر	(٩٤)
- متع	(٩٤)
- مال	(٩٥)
- هام	(٩٦)
- ولي	(٩٦)
الفصل الثالث / ما تعلّق بالمحبّة من ألفاظ	(٩٩ – ١٢٦)
المبحث الأول / ألفاظ المحبوبين في القرآن	(٩٩ – ١١٢)
- المحسنون	(٩٩)
- التوّابون	(١٠٢)
- المتوكلون	(١٠٣)
- المتّقون	(١٠٥)
- المقسطون	(١٠٧)
- الصابرون	(١٠٩)
- المقاتلون	(١١٠)
- المتطهرون	(١١٠)
المبحث الثاني / الألفاظ الدالة على أصناف المحبّة	(١١٣ – ١٢٦)
- حب الله تعالى	(١١٣)
- حبّ التطهّر	(١١٤)
- حبّ المهاجرين	(١١٥)
- حبّ النصر	(١١٦)
- حبّ الغفران	(١١٧)
- حبّ الإنفاق	(١١٨)
- حبّ الثناء من غير عمل	(١١٨)
- حبّ نشر الفساد	(١١٩)
- حبّ الاغتياب	(١٢٠)
- حبّ الأنداد	(١٢١)
- حبّ العاجلة	(١٢١)
- حبّ المال	(١٢٣)
- حبّ الخير	(١٢٤)
- حبّ الشهوات	(١٢٥)
- حبّ الآباء والأبناء والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن	(١٢٦)

الباب الثاني / ألفاظ الكراهة الصريحة وغير الصريحة وما تعلّق بها	**(١٢٩ – ٢١٩)**
الفصل الأوّل / ألفاظ الكراهة الصريحة	(١٢٩ – ١٥٨)
- كره	(١٢٩)
- بغض	(١٤٨)
- مقت	(١٥١)
- قلى	(١٥٤)
- شنأ	(١٥٦)
الفصل الثاني / ألفاظ الكراهة غير الصريحة	(١٦٠ – ١٨١)
- أبى	(١٦٠)
- أفٍّ	(١٦٢)
- حسد	(١٦٤)
- نفي الإرادة	(١٦٥)
- سخط	(١٦٥)
- شجر	(١٦٧)
- شقق	(١٦٧)
- اشمأزّ	(١٦٨)
- ضغن	(١٦٩)
- عدو	(١٧٠)
- عرض	(١٧٢)
- عنت	(١٧٢)
- غلّ	(١٧٣)
- غيظ	(١٧٤)
- قبح	(١٧٦)
- كبر	(١٧٦)
- نبذ	(١٧٧)
- نزع	(١٧٨)
- نشز	(١٧٨)
- نفر	(١٧٩)
- هجر	(١٨١)
الفصل الثالث / ما تعلّق بالكراهة من ألفاظ	(١٨٣ – ٢١٩)
المبحث الأوّل / ألفاظ المبغوضين في القرآن	(١٨٣ – ١٩٨)
- المعتدون	(١٨٤)
- الخائنون	(١٨٦)
- الفرحون	(١٨٦)
- المفسدون	(١٨٧)
- الكافرون	(١٨٨)

- الظالمون	(١٨٩)
- المستكبرون	(١٩١)
- المسرفون	(١٩٢)
- الفساد	(١٩٣)
- المختال الفخور	(١٩٣)
- الخوّان الأثيم	(١٩٥)
- الخوّان الكفور	(١٩٦)
- الكفّار الأثيم	(١٩٧)
- الجهر بالسوء	(١٩٨)
المبحث الثاني / الألفاظ الدالة على أصناف الكراهة	(١٩٩ – ٢١٩)
- كراهة نور الله (الإسلام)	(٢٠٠)
- كراهة الرسول أو إظهار الدين	(٢٠١)
- كراهة إحقاق الحقّ	(٢٠٢)
- كراهة بعض الأعمال	(٢٠٣)
- كراهة البغاء	(٢٠٣)
- كراهة الإيمان	(٢٠٤)
- كراهة السحر	(٢٠٥)
- كراهة الحمل والوضع	(٢٠٥)
- كراهة السجود	(٢٠٦)
- كراهة القرآن	(٢٠٧)
- كراهة دعوة الدين	(٢٠٧)
- كراهة الحقّ	(٢٠٨)
- كراهة رضوان الله	(٢٠٩)
- كراهة القتال	(٢١٠)
- كراهة الدين	(٢١١)
- كراهة نبّوة نوح (عليه السلام)	(٢١١)
- كراهة الجهاد	(٢١٢)
- كراهة الإنفاق	(٢١٣)
- كراهة مجيء الحقّ وظهور أمر الله	(٢١٤)
- كراهة الحرب	(٢١٣)
- كراهة إحقاق الحقّ وإبطال الباطل	(٢١٤)
- كراهة إرث النساء	(٢١٦)
- كراهة النساء	(٢١٧)
- كراهة العودة في ملّة الكفر أو كراهة الخروج	(٢١٧)
- كراهة الإسلام	(٢١٨)
- كراهة البنات	(٢١٩)

- كراهة المغتاب والغيبة	(٢٢٠)
- كراهة المعاصي	(٢٢٠)
الباب الثالث / فنيّة التعبير لبعض ألفاظ المحبّة والكراهة	**(٢٢٢ – ٢٧٦)**
الفصل الأوّل / فنيّة التعبير في ضوء بعض مباحث علم المعاني	(٢٢٢ – ٢٤٨)
- التقديم والتأخير	(٢٢٣)
- الحذف	(٢٣٦)
- الإطناب	(٢٤١)
الفصل الثاني / فنيّة التعبير في ضوء بعض مباحث علمي البيان والبديع	(٢٤٩ – ٣٧٦)
- في محيط التشبيه	(٢٥٠)
- في محيط الاستعارة	(٢٥٧)
- في محيط التشخيص	(٢٦١)
- في محيط الكناية	(٢٦٣)
- في محيط المقابلة	(٢٦٨)
- الخاتمة وأهم النتائج	(٢٧٧)
- المصادر والمراجع	(٢٨٢)
- ملخص الأطروحة باللغة الإنكليزية	(٣٠٢)

المُـقَـدّمَـةُ

الحمدُ للهِ الذي حبّبَ الإيمانَ لعبادِهِ ، وزيّنهُ في قلوبِهم ، وكرّهَ إليهم الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ ، والصلاةُ والسلامُ على منارِ المؤمنين وقبلتِهم ومبيرِ الكافرينَ وأعوانِهم أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المخلصين المنتجبين .

إنّ الاستعمال الدقيق للمفردة القرآنية أحد الظواهر الأسلوبية التي تثير الانتباه إلى عظمة إعجاز القرآن الكريم ، فالقرآن معجزٌ بكل ما يحمله هذا اللفظ من معنى ، فهو معجزٌ في ألفاظه وأسلوبه حتى قال عنه الخطابي (ت ٣٨٨هـ) في كتابه(بيان إعجاز القرآن) ضمن كتاب (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) " واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزاً لأنّه جاء بأفصح الألفاظ ، في أحسن نظوم التأليف ، مضمناً أصحّ المعاني " [١]، والحرف الواحد منه في موضعه من الإعجاز الذي لا يُغني عنه غيره في تماسك الكلمة ، والكلمة في موضعها من الإعجاز في تماسك الجملة ، والجملة في موضعها من الإعجاز في تماسك الآية ، وهو معجز في بيانه ونظمه ، يجد فيه القارئ صورة حيّة للحياة والكون والإنسان ، ومعجز في معانيه التي تكشف الستار عن الحقيقة الإنسانية ورسالتها في الوجود ، ومعجز بعلومه ومعارفه التي أثبت العلم الحديث كثيراً من حقائقها المغيبة ، ومعجز في تشريعه وصيانته لحقوق الإنسان وتكوين مجتمع مثالي تسعد الدنيا على يديه .

حقاً إنّ القرآن الكريم فصيح وبليغ أي إنّ ظاهره جميل وجذاب يدعو إلى الإصغاء إليه ، ومحتواه رفيع معنى وشأنا، وإنّ بلاغته وفصاحته إلى درجة جعلت الأعداء تسميه السحر! وذلك لأنّه يجعل الصاغي يسلّم إليه ويخضع له ، وهذا بحد ذاته إقرار واعتراف بجاذبية القرآن ، وإنّ تذّوق الكلمة العذبة ووضعها في أي تعبير جميل هو فطرة في النفوس ، يشعر به كلّ صاحب ذوق سليم ، فلو تدبرنا القرآن الكريم لوقفنا على مدى عنايته باللفظة المستعملة فيه ، فقد يختار الكلمة ويهمل مرادفها الذي يشترك معها في بعض الدلالة ، وفي ذلك أثرة لها يفرضها السياق القرآني بكل ما تحمله اللفظة من دلالات تعبيرية معجزة على المستويات اللغوية كافّة ، فالقرآن الكريم آية باقية على وجه الدهر ومعجزة خالدة بفصاحة لفظه وبلاغة أسلوبه ، أنزله الله هداية للخلق في الدنيا وسعادة لهم في الآخرة .

وإنّه لشرف عظيم لي أن أكون واحداً ممن تشرفوا بالبحث في كتاب الله الجليل ، فقد كان أملي كبيراً في أن أواصل مسيرتي البحثية في كتاب الله منذ أن كتبت الماجستير• فيه ، وقد منحني الله تعالى فضله ونعمته على

---

١ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن / ٢٧ .

• رسالة الماجستير عنوانها (جموع التكسير في القرآن الكريم) ، بإشراف : أ.د. محمد جبار المعيبد (رحمه الله) ، جامعة البصرة / كلية التربية /١٩٩٦م .

يد أستاذي الجليل الدكتور فاخر هاشم الياسريّ إذ عرض عليّ أن أكتب في (ألفاظ المحبّة والكراهة في البيان القرآني)، فكانت سعادتي غامرة في تحقيق أملي ، وخوفي كبيراً من أن لا أوفّق في إبراز ملامح الموضوع ، لأنّه واسع وكبير وتحقيق المراد منه عسير ، لكنّني عاهدت نفسي ألاّ أدخر جهدا ولا وسعاً ، وأن أسعى حثيثاً في تحقيق ما أصبو إليه وأُصيب بعض المراد ، وما توفيقي إلاّ بالله .

أمّا قصدنا بالبيان الكشف والإيضاح والظهور ، أي إبراز ما في هذه الألفاظ من معانٍ ودلالات وقيم تعبيريّة وفنيّة ، ولا نقصد به ذلك الفن البلاغي الذي خصّه المتأخرون بالعلم الباحث عن المجاز والاستعارة والتشبيه والكناية ، والغرض منه صوغ الكلام بطريقة تبين ما في نفس المتكلم من المقاصد ، وتوصل الأثر الذي يريده إلى نفس السامع ، وإن كان ذلك جزءاً من عملنا ، فقد وردت كلمة البيان ومشتقاتها كثيراً في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى ((... كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)) البقرة/١٨٧، وقوله ((... كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)) البقرة/٢٦٦، وقوله ((بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) النحل/٤٤، وقوله ((وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ...)) آل عمران/١٨٧، وقوله ((يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) النساء/٢٦وغيرها ، والمعنى المتبادر لورودها جميعاً هو الظهور والكشف والإيضاح . فالبيان أصل لغوي يعني الكشف والإيضاح والظهور ، يقول ابن فارس الباء والياء والنون أصل واحد ، وهو بُعد الشيء وانكشافه ... وبان الشيء وأبان اتّضح وانكشف ، وفلان أبينُ من فلان ، أي : أوضح كلاماً منه [٢]، والبيان كما ذكر الجاحظ " اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك لك الحجاب دون الضمير ، حتى يُفضي السامع إلى حقيقته ويلمّ بما فيه " [٣].

أمّا تقسيم البحث فكان لسعة الموضوع أثر كبير في تحديد انسيابيته ، فقد فرضت علينا هذه السعة وقوعه في ثلاثة أبواب ، انشطر البابان الأوّل والثاني إلى ثلاثة فصول ، وكان الباب الثالث على فصلين ، شمل الباب الأول ألفاظ المحبّة الصريحة وغير الصريحة وما تعلّق بها من ألفاظ ، فكانت الصريحة منها في الفصل الأول ، ونقصد بالصريحة ما دلّت على المحبّة في دلالاتها المعجمية ، بوصف المحبّة حالة تعبيرية مصورة للوجدان أو حالة نفسيّة شعورية تُفصحُ عن الطبيعة البشرية ، أمّا مقصدنا بغير الصريحة وهي ما تناولها الفصل الثاني ، فهي ما قاربت المحبّة في بعض دلالاتها المعجمية فضلاً عن دلالاتها السياقية على المحبّة ، وبناءً على ذلك فقد عمدتُ في هذا الفصل إلى إبراز تلك المقاربات ، أمّا الفصل الثالث فجاء ليجمع ما تعلّق بلفظة(حبّ)

---

٢ - مقاييس اللغة (بين) / ٣٢٧ – ٣٢٨ .

٣ – البيان والتبيين ١ / ٢٤

ومشتقاتها من ألفاظ من دون أخواتها الصريحة ، لأنّها أمَّ الباب واتساع ورودها في القرآن ، ونقصد بالتعلّق هو ما وقعت عليه المحبّة من أشياء وأوصاف وذوات . أمّا الباب الثاني فشمل ألفاظ الكراهة الصريحة وغير الصريحة وما تعلّق بها ، ولكون لفظة الكره هي المقابل الموضوعي للفظة الحبّ ، وإنّ البحث بمجمله قائمٌ على التضاد والمقابلة بين هذين اللفظين ، فقد اضطرّنا هذا الأمر إلى تقسيم هذا الباب على نسق الباب الأوّل . أمّا الباب الثالث فجمع بين البابين وكان في بيان فنيّة التعبير لألفاظ المحبّة والكراهة في الاستعمال القرآني ، أي أنّه يُفصحُ عن هذه القيم التعبيريّة عن المشاعر الوجدانية للمحبّة والكراهة زيادة على مساحة تلك المشاعر ووجهتها ، ولأنّ هذه الفنيّة لا تبرزها إلاّ مباحث علم البلاغة فقد وقع في فصلين ، برّز الأوّل منها فنيّة التعبير في بعض مباحث علم المعاني ، أمّا الثاني فقد برّزها في بعض مباحث علمي البيان والبديع .

لقد قامت هذه الدراسة أولاً على استقراء ألفاظ المحبّة وألفاظ الكراهة الصريحة وغير الصريحة وحصرها ، ثمّ بيان معاني الألفاظ الصريحة منها ودلالاتها من خلال وجودها في سياقاتها المختلفة ، أمّا الألفاظ المباشرة الصريحة فبالإمكان حصرها وإحصاؤها اعتماداً على المعاجم اللغوية وكتب اللغة ، غير أنّ هذه الألفاظ لها معانٍ ظاهرة ، وأخرى باطنة ، أي دقيقة لا تُعرف إلاّ بالبحث والتأمّل ، أمّا غير الصريحة فكان لابدّ من وضعها في ميزان الدلالة المعجمية أولاً ثم النظر في دلالتها السياقية لبيان معنى المحبّة أو الكراهة منها .

ولا شكّ في أنّ الإحصاء هو السبيل الأمثل إلى أيّ استقراء ، ولذا حاولت أن أؤسس هذا البحث على الطريقة المتّبعة في البحوث العلمية ، فقد بدأت بحصر الألفاظ المختلفة ، والمنبثّة في السور المختلفة من الكتاب العزيز ، مستعيناً بعدّة مراجع أهمّها المعاجم والقواميس اللغوية وكتب اللغة والتفسير والبيان ، وغنيٌ عن الذكر أنّ اتّباع المنهج الاستقرائي في البحث لا يعني الاستغناء عن الملاحظة والاستنباط والتحليل والتفكّر ، أي عن المنهج الوصفي التحليلي ، إذ إنّ الإحصاء لا يقلل من أهمية استعمال الإدراك السليم في تفسير النتائج .

إنّ الباحث في كتاب الله تعالى يجد حرجاً كبيراً في التحليل وطرح الآراء لقدسيته ، ولئلا يصيبه الشطط والزلل في ذلك ، ولأنّ اللفظة القرآنيّة لا يمكن للباحثين وإنْ اجتمعوا أن يُصيبوا دلالتها وجمالها وفنيتها ، ولكن حسبهم أنّهم بحثوا لعلّهم يستجلوا لآلئ القرآن العظيم ، ذلك المعين الذي لا ينضب ، ولهذا قد لاقيت من الصعوبات مالا يلاقيه الباحثون في غير كتاب الله تعالى ، ومن تلك الصعوبات أنّ موضوع الأطروحة بكرٌ ، فما وجدت أحداً – على حدّ علمي ومعرفتي – درس هذه الألفاظ في القرآن الكريم دراسة لغوية دلالية جمالية ، إلاّ بعض ما تناثر من شذرات وإشارات في كتب اللغة عامّة منها كتب الفروق اللغوية والأضداد ، وكتب معاني القرآن بشكل خاص ، وكتب التفسير – قديمها وحديثها – ، وقواميس اللغة والمعاجم ، وكتب البلاغة العربية ، زيادة على الدراسات البيانية للقرآن الكريم ، فحاولت أن أجمع شتاتها وأنتفع منها .

ومن الجدير بالإشارة إليه أنّ هناك دراستين تناولتا موضوع الحبّ في القرآن الكريم عنوانها (الحبّ في القرآن ودور الحبّ في حياة الإنسان) للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، ودراسة أخرى عنوانها (الحُبّ في القرآن) للدكتور محمود بن الشريف ، وهاتان الدراستان تُفصّلان في موضوع الحب الذي يتناوله القرآن الكريم من الناحية الاجتماعية ، وتتحدثان عن آثاره في حياة الإنسان ، فغلب عليهما الطابع الاجتماعي لا اللغوي ، أمّا موضوع الكراهة وألفاظه فلم ألحظ أحداً على حدّ علمي قد تناوله بدراسة مخصوصة .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يُسدّد خطانا في خدمة هذه اللغة المباركة التي تُصوّب لها سهام الحقد والكراهة ، وأسأله تعالى أن يوفقنا لما يُحبّ ويرضى إنّه سميع مجيب ، وإنّ الله من وراء القصد ، له الفضل والمنّة ، ومنه التوفيق ، وبه المستعان .

الباحث

الباب الأوّل

ألفاظ المحبّة الصَّريحة وغير الصَّريحة

وما تعلّق بها في الاستعمال القرآني

- الفصل الأوّل : ألفاظ المحبّة الصَّريحة
- الفصل الثاني : ألفاظ المحبّة غير الصَّريحة
- الفصل الثالث : ما تعلّق بالمحبّة من ألفاظ
  - المبحث الأوّل : ألفاظ المحبوبين في القرآن
  - المبحث الثاني : الألفاظ الدالة على أصناف المحبّة

الباب الأوّل

ألفاظ المحبّة الصريحة وغير الصريحة وما تعلّق بها في القرآن الكريم

– الفصل الأوّل : ألفاظ المحبّة الصريحة

– الفصل الثاني : ألفاظ المحبّة غير الصريحة

– الفصل الثالث : ما تعلّق بالمحبّة من ألفاظ

– المبحث الأوّل : ألفاظ المحبوبين في القرآن

– المبحث الثاني : الألفاظ الدالة على أصناف المحبّة

الفصل الأوَّل

ألفاظ المحبَّة الصَّريحة

الفصل الأوَّل :

ألفاظ المحبَّة الصريحة

توطئة :

لقد شغل موضوع الحبّ والمحبّة حيزاً واسعاً من القرآن الكريم ، وتنوّعت في آياته الألفاظ والصيغ والأساليب والخطابات الخاصّة بأمر الحُبّ ، فهذه الفلسفة الروحيّة قد امتلأ بها الأسلوب القرآني وانعكست ملامحها في الوجدان الإنساني ، ولعلّ الإرادة الإلهية شاءت أن تبني القرآن على تقوية هذه الفلسفة وتعزيزها في نفوس الآدميين ولتكون أساس المنظومة القيميّة للمجتمع الإسلامي بخاصّة ، إذ إنّها ارتبطت بالإيمان حتّى قيل إنّ الحبّ هو الإيمان ، والإيمان هو الحبّ ، وإنّ الإسلام دين محبّة ، والمؤمن لا يحسّ حلاوة الإيمان إلاّ إذا أحسّ حرارة الحبّ ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) " ثلاث من كنّ فيه وجد فيه حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ، وأن يحبّ المرء لا يحبه إلاّ لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار "[١]، وقال أيضاً " أحبّوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبوني لحبّ الله ، وأحبوا آل بيتي لحبّي "[٢] ، وفي ذلك حثٌّ وحضٌّ على محبّة الله ومحبّة رسوله ومحبة الدين والعقيدة ومحبة الخلق ، فضلا عن المحبة بين الزوجين التي جعلها الله تعالى بينهم وهي من جلال القدرة وتمام النعمة ، فيقول تبارك وتعالى ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ الروم : ٢١ ، إذن فالحب سمة من سمات الحياة الروحية في عقيدة المؤمن ، فقد ناجى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) ربّه فسأله الحبّ بقولـه " اللهمّ إني أسألك حبّك وحبّ من أحبك وحبّ ما يقربني إلى حبّك " [٣] .

وقد جُعل دخول الجنّة متوقّفاً على الأيمان ، وجُعل الإيمان متوقفاً على المحبة ، إذن فالمحبة شرط في استكمال الإيمان وتمامه ، وركن في العقيدة ، وأساس في الدين ، حتّى قيل إنّ الحبّ هو الإيمان ، والإيمان هو الحبّ ، فالإيمان أساسه الحب وكماله الحب وأوثق عراه الحب ، وإنّ حبّ الخير للغير من كمال الإيمان .

وفي كثير من الأحيان يكون طريق العاطفة والمحبّة والرحمة أكثر إنجازاً للعمل من طريق القوة ، والله تعالى يدير العالم على محور المحبّة ، وكثير من آيات القرآن الكريم تعطي دروساً في المحبّة ، وإننا إذ نتتبّع تلك الألفاظ والصيغ فلابدّ لنا في أوّل الأمر من أن نستعين بالمعاجم العربية للتعرّف على دلالة تلك الألفاظ في المنظور اللغوي ثمّ ننطلق باحثين عن دلالاتها في السياق القرآني معتمدين في ذلك الوقوف على نوع الصيغة التي وردت عليها اللفظة اسميّة كانت أم فعلية لما لها من دور في بيان الدلالة ، وقد انحصر البحث في هذا الفصل على تتبّع الألفاظ التي تدلّ صراحة على معنى المحبّة ، مع تعدد ورودها بصيغها المختلفة ، مبتدئين بلفظة (حبّ) التي تمثّل المعنى الأصل والتي كثُر ذكرها وشاع في القرآن الكريم بشكل لافت للنظر .

---

١ - صحيح البخاري ١ : ١٠ ، وصحيح مسلم ١ : ٤٨ .
٢ - الأمالي للصدوق : ٤٤٦ .
٣ - المعجم الكبير للطبراني ٢٠ : ١٠٩ ، وبحار الأنوار للمجلسي ٩٥ : ٣٦٠ .

١- (حبَّ) :-

(حبّ) في المفهوم اللغوي :-

الحَبَّ : اللزوم والثبات ، فاللزوم : الحبُّ والمحبَّةُ ، واشتقاقه من أحبَّهُ ، أي : لَزِمَهُ [١]، ويقال حَبَّه يَحِبّهُ بالكسر فهو محبوب ، وتحبّب إليه : تودّد إليه [٢]، والحب : الوداد ، كالحباب والحِب [٣]، والحب يكون فيما يوجبه ميل الطباع والحكمة جميعا ، والودّ من جهة ميل الطباع فقط [٤]، وحابّهُ مُحابّة وحِباباً : وادّهُ وصادقهُ[٥] ، وأحببت فلانا جعلت قلبي معرضا لحبه ، فهو نقيض البغض ، وحبّب إليه الأمر: جعله يحبّه[٦]، والتضعيف للتكثير[٧]، وأحبّ فلاناً مالَ إليه فهو مُحبّ ، وهي مُحِبّ ومُحِبّةٌ واستحبّهُ آثرهُ [٨].

وحَبَبْتُ فلانا ، يقال في الأصل بمعنى أصبت حبة قلبه ، نحو : شغفته وكبدته وفأدته[٩]، وحبة القلب : ثمرته وسويداؤه [١٠]، وحَبَّةُ القلب هي العلقة السوداء التي تكون داخل القلب ، ويقال : أصابت فلانة حبة قلب فلان إذا شغف قلبه حبها ، وقال أبو عمرو : الحبّة وسط القلب[١١]، وتضم الياء (يُحبّ) وهو المستعمل كثيرا ، ولم يستعمل غيره في القرآن ، وحبّ بغير همزة لازم ، ومتعدٍ بالهمزة ، ويقال حبّه يحبّه بكسر المضارع وهو شاذ [١٢].

ومن خلال هذه الدلالات اللفظية المتنوعة نجد أنّ هناك جامعاً مشتركاً ليس في اللفظ فحسب ، وإنّما هناك تقارب معنوي ، فهذه المفردات العديدة يجمعها مضمون الانجذاب والجمال الذي هو من أركان الحبّ المُضاد للبغض ولم توضع الكلمة بجميع مشتقاتها على شيء قبيح[١٣]، والذي يلحظ من المعنى اللغوي أيضاً أنّهم جعلوا الحبّ نقيض البغض لا الإكراه ، ولم نلحظ الإشارة إلى أنّهم جعلوا الحب في مقابل الكره ، غير أنّ بعض الدارسين قد ربط بين المعاني المعجميّة للفظة (حبّ) وعاطفة الحبّ ، فقالوا إنّ معنى كلمة الحب هو حبب الأسنان أي تنضّدها، وهو صفاؤها وبهاؤها ونقاؤها ، والحبُّ هو صفاء العاطفة ونقاء المودّة . وقيل هو القُرط ، فهو يميل ويضطرب في أُذن المرأة ، وكذلك المحبّ قلق يخشى على حبّه وحبيبته ، وإذا كان معناه اللزوم والثبات ، فمن قولهم : أحبّ البعير إذا برك فلم يقم ، وكذلك المحب ملازم لا يفارق ذكر محبوبه ، وقيل هو من الحبّ ، وهو الخابية ، أي الجرّة الكبيرة ، وهي لا تسع غير ما ملأها من الماء ، وكذلك القلب لا يسع غير ما ملأه من الحبّ ، وقيل هو من الحَباب ، أي الفقاقيع التي تعلو الماء عند صبّ ماء آخر عليه ، وكذلك الحب يعلو قلب صاحبه من الغليان والفوران والاهتياج والاضطرام عند الشوق [١٤].

١- مقاييس اللغة ٢ : ٢٦- ٢٧ (حبب) .
٢- الصحاح ١ : ١٠٥ – ١٠٦ (حبب)، واللسان ٣ : ٧ (حبب) .
٣- القاموس المحيط ١: ٥٢ .
٤- الفروق اللغوية ، العسكري : ١١٥ .
٥- المعجم الوسيط ١ : ١٥٠ (حبب) .
٦- مفردات ألفاظ القرآن : ٢١٤ – ٢١٥ ، وتهذيب اللغة ٢ : ٢٣١ (حبب)، والعين ٣ : ٣١ (حبب)، ومجمل اللغة : ١٢٨ (حبب).
٧- دراسات لأسلوب القرآن ١: ٢٥٥ .
٨- أساس البلاغة : ١٠٩ (حبب)، والمعجم الوسيط ١ : ١٥١ (حبب).
٩- مفردات ألفاظ القرآن : ٢١٤ .
١٠- أساس البلاغة : ١١٠ (حبب) .
١١- تهذيب اللغة ٢ : ٢٣٢ (حبب).
١٢- الصحاح ١: ١٠٥ (حبب)، والأنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ٢: ١١٠ .
١٣- ينظر : الحبّ في التصوّف الإسلامي : ١٥ .
١٤- ينظر : مجمل اللغة : ١٥٧ (حبب)، والحب في القرآن : ٤٥ .

والمحبّة كما يراها الراغب " إرادة ما نراه أو نظنّه خيراً ، وهي على ثلاثة أنواع : محبة لذّة ، كمحبة الرجل المرأة ، ومحبة نفع ، كمحبة شيء ينتفع به ، ومحبة فضل ، كمحبة أهل العلم بعضهم بعضاً لأجل العلم "[١].ومن هنا فإنّه قد فسّر المحبّة بالإرادة ، وهما من دون شكٍّ مختلفان ، ولكنّه علل هذا التفسير بقوله " ورُبّما فُسرت المحبّة بالإرادة في نحو قوله تعالى ﴿ ... فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ... ﴾ التوبة : ١٠٨، وليس كذلك فإنّ المحبّة أبلغ من الإرادة "[٢].

وهناك تعريفات انطباعيّة للفظة الحبّ ، نذكر بعضاً منها على سبيل بيان المفهوم الاصطلاحي لهذه اللفظة ، فالحبُّ معنى قلبيّ حسيّ يطلق على كل مرغوب للنفس والعقل ، وفعله هو : حبّ يحبّ حبّاً [٣]، وقيل "هو ميل الطبع إلى الشيء الملذّ ، فإن قويَ ذلك الميل وتأكّد سُمّي عشقاً "[٤]، إذن فالحبّ مشاعر وأحاسيس تدفع الشخص إلى تقوية علاقته بالآخرين وتعزيزها بحيث تقوم على الرضا والاطمئنان .

(حبّ) في الاستعمال القرآني :

جاءت لفظة (حبّ) وتصريفاتها في الاستعمال القرآني بعدّة دلالات فضلاً عن معنى اللفظة الأصل الدال على التعلّق القلبي ، أو تقرّب المحِبّ النفسي والوجداني من المُحَبّ ، وهذا الأمر متعلق بالإنسان ، أمّا الحبّ عند الله فليس في ذلك ميل أو تقرّب قلبي ، وإنّما يعني الإكرام والإنعام والتشريف ، ومن المعلوم أنّ الله تعالى مُنزّه من الحبِّ والبُغض على حدّ ما يوجد فينا معشر الناس وما يُجانسنا من الحيوان ، إلاّ إنّه لمّا كان الأمر والنهي عندنا بحسب الطبع صادرين عن حبّ وبُغض كُنّي بهما عن الإرادة والكراهة ، **فقوله تعالى ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ النساء : ١٤٨** ، كناية عن الكراهة التشريعية ، وقيل هي بمعنى يذمّ [٥]، ومن أجل استجلاء تلك المعاني والدلالات لابدّ من النظر إلى سياق اللفظة ومقامها في النظم القرآني زيادة على ذلك فإنّ اختلاف الصيغ التي تتشكل في التركيب لها خصوصيتها في التعبير القرآني ، ونحاول في هذا الفصل الوقوف على تنوّع تلك الصيغ لنتبيّن من خلالها ما تنطوي عليه من معانٍ ودلالات ، مستأنسين بالآراء الجليلة للغويين والمفسرين– القدامى والمحدثين – ، ومن الطبيعي أنْ تتشكّل هذه اللفظة على صورتين فعلية واسمية ، مبتدئين ببيان دلالات الصور الفعلية منها ثمّ الصور الاسمية .

وقد جاءت هذه الصيغة مع تصريفاتها في القرآن الكريم في ثلاثة وثمانين موضعاً ، جاء الماضي منها في ستة مواضع ، والمضارع في ثلاثة وستين موضعاً ، والمصدر في عشرة مواضع ، واسم الفاعل في ثلاثة مواضع ، والصفة المشبّهة في موضع واحد .

١- مفردات ألفاظ القرآن : ٢١٤ ، وينظر : معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ٢٠٣ .
٢- مفردات ألفاظ القرآن : ٢١٤.
٣- العين ٣ : ٣١ (حبب) .
٤- إحياء علوم الدين ٣ : ١٩٩ .
٥- ينظر : الميزان ٥ : ١٢٥ .

أولاً : (حبّ) في صورتها الفعلية :

وردت هذه اللفظة بصورتين (ماضوية ومضارعية) ، أمّا الماضوية منها فقد وردت على أشكال ، مزيدة بالتضعيف وهو الفعل (حبّب) ، ومزيدة بحرف الألف وهو (أحبّ) ، ومزيدة بثلاثة أحرف وهو (استحبّ)، وأمّا المضارعيّة فتنوّع ورودها على وفق مساقها في القرآن أيضاً ، فجاءت مثبتة ومنفية ومسندة إلى الظاهر مرة وإلى الضمائر المختلفة مرة ثانية ، وكلّ شكل من هذه الأشكال له خصوصيته في الدلالة اللفظية والسياقية ، ولنا أن نعرض لهذه الأشكال مبينين تلك الدلالات .

(أ) الصورة الماضوية :

(حَبّبَ) :

(حبّب) على وزن (فعّل) المضعّف ، وجاء هذا الفعل مرة واحدة في الاستعمال القرآني في قوله تعالى ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** ﴾ الحجرات : ٧ ، والمعنى أنّ الله تعالى جعل الإيمان لدى هؤلاء المؤمنين المخصوصين وصيّره محبوباً (١)، إذ إنّ من معاني (فعّل) هي الصيرورة (٢)، والتضعيف في الفعل فللتعبير على الشدة والرغبة العميقة في تطبيق فعل الحبّ والتحريض على التسليم لما يأمر به الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) ، زيادة على التكثير والمبالغة (٣)، وحبّب إليه الأمر : جعله يحبّه (٤)، والمُراد بتحبيب الإيمان إليهم تصييره وجعله محبوباً عندهم ، وقد حملت لفظة الحبّ معاني الانجذاب النفسي والانشداد الروحي والتعلق القلبي ، أمّا تزيينه في قلوبهم فهو تحليته بجمال يجذب قلوبهم إلى نفسه فيتعلّقون به ويعرضون عمّا يلهيهم عنه(٥)، ومن هنا يمكن القول بأنّ (حبّبَ) وردت في هذه الآية بمعنى جعل أو صيّر .

ومن لطائف التعبير القرآني في الآية ولمحاته الفنيّة البديعة الإيجاز الحاصل من الاستدراك بـ(لكن) الناشئ عن قوله (لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم) ؛ لأنّه اقتضى أنّ لبعضهم رغبة في أن يطيعهم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) فيما يرغبون أن يفعله ممّا يبتغون ممّا يخالونه صالحاً بهم في أشياء كثيرة تعرض لهم ، وهو بيان لبراءة بعضهم عن أوصاف الأولين وإحماداً لأفعالهم ، وتقدير الكلام : ولكنّ الله حبّب إلى بعضكم الإيمان ، أي إنّ الاستدراك أغنى عن ذكر بعضهم لأنّ صفتهم مفارقة لصفة غيرهم (٦).

ومن معاني(حبّب) ما ذكره الفخر الرازي من أنّها جاءت في هذه الآية بمعنى قرّب وأدخل وألقى الإيمان في قلوبكم ثمّ زينه فيها بحيث لا تفارقونه ولا يخرج من قلوبكم ، وعطف التزيين على التحبيب لتقوية وتثبيت المحبّة ، لأنّ من أحبّ أشياء قد يملّ شيئاً منها أو أن تكون محبّته عارضة ، ولكن إذا زانت تلك الأشياء كانت متمكنة في قلبه وثابتة ودائمة ، والجمع بين (حبّب وزيّن) لبيان أنّ هذا الأمر محبّبٌ لنتائجه الحسنة ، ومزيّن عند الإنسان

١- ينظر : إرشاد العقل السليم ٨ : ١١٩ .
٢- ينظر : مباحث في علم الصرف : ٤٠ .
٣- ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١: ٢٥٥ ، وصيغة فعّل في القرآن الكريم :٤٧٧ .
٤- مفردات ألفاظ القرآن : ٢١٤ ــ ٢١٥ ، ومجمل اللغة : ١٢٨ (حبب).
٥- ينظر : الميزان ١٨ : ٣١٧ .
٦- ينظر : الكشاف ٤ : ٣٦٤ ، وإرشاد العقل السليم ٨ : ١١٩ ، ونظم الدرر ٧ : ٢٢٨ ، والتحرير والتنوير ٢٦ : ٢٣٦ .

يأخذه برغبة وطواعية ومحبّة ، ولهذا كان التزيين تتمّة للتحبيب ليكون الأخذ بهذا المحبّب برغبة واختيار لا عن إكراه [1].

ومن معاني (حبّب) أيضاً التحسين والتزيين والتثبيت[2]، وأنها تأتي بمعنى التبليغ ، لأنها عُديت بـ(إلى) فتضمنت معنى (بلّغ) ، أي : بلّغ إليكم حُبّ الإيمان وكرّه الكفر ، أي انتهاء الغاية في الحبّ والكره ، ولم يُعدّ فعل (وزيّنه) بـ (إلى) للإيماء إلى أنّه لمّا رغّبهم في الإيمان وكرّههم الكفر امتثلوا فأحبّوا الإيمان وزان في قلوبهم ، والتزيين جعل الشيء زيناً أي حسناً[3].

(أحبَّ) :

(أحبَّ) على زنة (أَفْعَلَ) الثلاثي المزيد ، ويقال : حَبَبْتُهُ وأحببتُهُ ، فهو محبوب ومُحَبٌّ [4]، تقول في الماضي منه : أحبّ بهمزة مفتوحة لتدلّ على أكثر المعنى الذي يحتوي عليه الفعل [5]، وجاء الفعل ماضياً مسنداً إلى ضمير المتكلّم على لسان نبيّ الله سليمان في قوله تعالى ﴿ **وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ، إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ، فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ، رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ** ﴾ ص: ٣٠-٣٣ ، وأحببتُ بمعنى آثرتُ حبّ الخيل على ذكر ربي ، وسميت الخيل خيرا لما فيها من المنافع [6]، والمعنى إنّي آثرت حبّ الخيل على ذكر ربي وهو الصلاة ، فتمالكه الأسى والأسف على ما فاته من ذكر الله [7]، ولعلّ القول المُرجّح إنّ التحسّر والندم الذي أصاب نبيّ الله سليمان (عليه السلام) جاء نتيجة انشغاله بها عن ممارسة الذكر المعتاد عليه لا فوات الصلاة ، أي " إنّه لم يستغرق في الذهول بل بادر الذكرى بمجرّد فوات وقت الذكر الذي اعتاده "[8].

وذكر المفسّر الطبرسي أنّ (حبّ الخير) نصب على أنّه مفعول به ، والتقدير : اخترت حبَّ الخير ، و(عن) في قوله (عن ذكر ربي) بمعنى (على) ، وعلى هذا يكون معنى أحببت بمعنى استحببت ، أي آثرت ، وقيل إنّها لمّا أنيبت مناب اخترت عُدي تعديته ، وقيل إنّها بمعنى ألزمت ، والمعنى أنّي ألزمت حبّ الخيل عن ذكر ربّي[9].

أمّا تكرار الحبّ في الآية وتعديته بـ(عن) فلأنّ أحببت بمعنى آثرت ، كما يقول المخيّر بين شيئين : أحببت هذا ، أي آثرته ، وإنّ تعديته بعن جاء للسبب نفسه ، فيصير المعنى أي آثرت حب الخير على ذكر ربي[10]، وقيل

١- ينظر : مفاتيح الغيب ٢٨ : ١١٤ .
٢- ينظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ١٠٩ .
٣- ينظر : التحرير والتنوير ٢٦ : ٢٣٧ .
٤- ينظر : إصلاح المنطق : ٨٥ .
٥- ينظر : دقائق التصريف : ٢٠٥ .
٦- ينظر : معاني القرآن – الفراء ٢ : ٤٠٥ ، ومعاني القرآن – النحاس ٢ : ١٠٥٨ ، والتبيان للعكبري ٢ : ٢٩٦ ، وتفسير غريب القرآن : ٧٢ ، وأمالي الشجري ١ : ٥٨ ، ومعالم التنزيل ٤ : ٣٥٩ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥ : ٢٩ ، ومسائل الرازي وأجوبتها : ٢٩٨ .
٧- ينظر : الميزان ١٧ : ٢٠٣ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢ : ٤٣٦ ، وأضواء على القيمة اللغوية والدلالية للأحرف التي قيل بزيادتها في القرآن الكريم : ٩٩ .
٨- التحرير والتنوير ٢٣ : ٢٥٥ .
٩- ينظر : مجمع البيان ٨ : ٣٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٦ : ١٧١ ، ومفاتيح الغيب ١٣ : ١٨٨ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥ : ٢٩ .
١٠- ينظر : مسائل الرازي وأجوبتها : ٢٩٨ .

إنّه منصوب على المصدر التشبيهي ، أي أحببت الخيل حب الخير ، أي حُبّاً مثل حب الخير ، وقيل : إن أحببت بمعنى لزمت ، وقيل بمعنى سقطت إلى الأرض ، مأخوذ من أحب البعير ، إذا عي وسقط [١].

وجاء أنّ الآية لم تتضمن معنى التفضيل ، وإنّما تضمنت أنّ سليمان (عليه السلام) انشغل بحبّ الخير ، كمن يُعرض عليه ما يشغله عمّا اعتاده من ذكر الله من دون أن يفضّله على ذكر الله ، ولذلك تعدّى بـ(عن) فقال (عن ذكر ربي) ولم يقل (على) حتى يدلّ على التفضيل [٢]. ونرجحُ هذا الرأي لاستحالة تفضيل الأنبياء شيئاً على الله تعالى أو ذكره ، ولأنّ مغزى القول القرآني كما يراه أستاذنا الدكتور فاخر الياسري " أنّ محبّة الله الحقيقية تقتضي محبّة مخلوقاته "[٣] .

(اسْتَحَبّ) :

تأتي استحبَّ بمعنى آثر[٤]، والإيثار هو ترجيح شيء على غيره بمكرمة أو منفعة ، ويأتي إيثار بعض الأمور واختيارها وتقديمها على غيرها في القرآن الكريم – غالباً – على صيغة (استحبّ) الماضوية أو المضارعية التي سنأتي على ذكرها ، ووردت (استحبّ) مسندة إلى الجماعة بمعنى الاختيار والتفضيل والمؤاثرة ثلاث مرات في القرآن ، ورد الأول منها في قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ التوبة : ٢٣ ، أي آثروا الكفر وفضّلوه على الإيمان ، وحقيقة الاستحباب أن يتحرى الإنسان في الشيء الذي يُحبه ، وضمن معنى اختار وآثر ، ولذلك تعدى بـ (على) ، واستفعل من المحبّة أي طلبوا محبّة الكفر [٥]، والآية تهديد وتخويف لمن آثر محبّة الآباء والأبناء على محبّة الله ورسوله وعلى الجهاد من أجل إعلاء كلمة الدين ، زيادة على كونها أعظم دليل على وجوب محبّة الله ورسوله و تقديمها على محبّة كل شيء ، وعلى الوعد الشديد والمقت الأكيد على من كان شيء من هذه المذكورات أحبّ من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فبيّن الله تعالى أنّ أمر الدين مقدّم على النسب وإذا وجب قطع القرابة [٦]، والذي يُلحظ من سياق الآية وخطابها أنّه تؤكّد البراءة من المشركين ولو كانوا ذوي قربى[٧] .

وجاء لفظ (استحبّ) بمعنى (آثر) أيضاً في قوله تعالى ﴿ **مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآَخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ النحل : ١٠٦ – ١٠٨ ، أي آثروها على الآخرة ، وفي الآية دلالة على القصد والتعمّد والإصرار

١- ينظر : البحر المحيط ٩: ١٥٤، والكشاف ٣ : ٩٢ ، والتبيان للعكبري ٢ : ١٠٩ ، وروح المعاني ٢٣ : ٢٧٢ ، ومسائل الرازي وأجوبتها : ٢٩٨ .

٢- ينظر : مراجعات قرآنية : ٢٤٨ .

٣ - بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٧٣ . وجاء هذا الفعل مرة أخرى مسنداً إلى ضمير المخاطَب ليدلّ على الميل في قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص :٥٦ ، ينظر : علوم القرآن ، السيد محمد باقر الحكيم : ٥٠ – ٦٠ ، وقيل : أحببت هدايته ، وهنا تكون بمعنى الإرادة وأنّ مؤدّى (أحبَّ) هنا هو الإرادة ، أي إرادة هذا الحبّ للذات الإنسانيّة ، إذ إنّ الله تعالى يهدي هذه الذات ؛ لأنّه أعلم بنفوس الناس. ينظر : إرشاد العقل السليم ١٥ : ١٦٠ .

٤- أساس البلاغة : ١٠٩ ، والمعجم الوسيط ١ : ٣١٥ .

٥- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٥: ١٩٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣: ١٣١٥ ، ومفاتيح الغيب ١٦: ١٧ ، والبحر المحيط ٥ : ٣٩١ ، ومجمع البيان ٥: ٣١ ، وإرشاد العقل السليم ٤: ٥٤ ، ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ٢٠٤ .

٦- ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٠: ٣٣٢ .

٧- ينظر : بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٧٤ .

على الفعل ، وذلك يلمح من الباء في (بأنّهم) ، أي أنهم قد فرغوا إلى ذلك إفراغا على نحو فيه قصد وتعمد ، وبكل ثبات ، و بخطى ثابتة وثقة ويقين ، وبكل ما أتوا من قوّة وشدّة على نحو فيه تشبّث به ، وإصرار عليه ، ووقوف عنده دون تورّع ، وركبوا لذلك الصعب ، وحملوا أنفسهم عليه حملا ، فهذا منهم ليس حبّاً عارضاً أو عفوياً ، أو لم تطمئن إليه النفس والقلب ، وإنّما عن تعمد وقصد [١].

ومن هنا يمكننا أنّ نقول إنّ زيادة (الباء) في البنية التركيبية للآية جاءت لزيادة في قصد الاستحباب زيادة على توكيده ، فقد ذكر كثير من اللغويين أنّ الباء قد جاءت زائدة في بعض المواضع من القرآن الكريم ، وقد كثر مجيؤها في فاعل (كفى) ، وفي خبر (ليس) ومواضع أخرى ، وغالبا ما تأتي للتأكيد ، ولعلّهم تناولوا في هذه الزيادة الجانب اللفظي للتركيب ، والحقيقة أنّها جزء لا يتجزّأ من البنية التركيبية ، ومن ثمّ فإنّ الجانب الدلالي الذي تشغله تلك الباء في التركيب عامّة ، والتركيب القرآني خاصّة كان لها سرّها البديع والعجيب ، وهذا السرُّ غاية في الدقّة والبيان .

ويلحظ من هاتين الآيتين أيضاً أنّهما إشارة إلى تغليظ جريمة من كفر بالله من بعد إيمانه ؛ لأنّه عرف الإيمان وذاقه ، ثمّ ارتدّ عنه إيثاراً للحياة الدنيا على الآخرة ، فرماهم بغضب من الله وبالعذاب العظيم ، والحرمان من الهداية ، ووصمهم بالغفلة وانطماس القلوب والسمع والأبصار ، وحكم عليهم بأنّهم في الآخرة هم الخاسرون[٢].

وفي الموضع الثالث تأتي (استحبّ) في قوله تعالى ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ فصلت : ١٧ ، أي آثروا واختاروا الكفر على الإيمان ، والآية تُبيّن حال ثمود وهم قوم نبي الله صالح (عليه السلام) إذ بيّن الله تعالى لهم الحقّ على لسان رسولهم صالح ، فكذّبوه وآثروا الضلال على الهدى ، والغيّ على الرشد ، واختاروا الكفر على الإيمان وقتلوا الناقة وهمّوا بقتل صالح فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون من الشرك والظلم والكفر والعناد ، ونجّى صالح وأتباعه[٣] ، وقد أفاد لفظ (استحبّوا) المبالغة لاقترانه بالسين وسوف ، لأنّ المبالغة في المحبّة تستلزم التفضيل على بقيّة المحبوبات ، فلذلك عُدي بـ (على) أي رجّحوا باختيارهم ، وتعليق (على الهدى) بها لتضمينه معنى : فضّلوا وآثروا [٤].

وممّا سبق يمكننا القول أنّ الفعل (استحبّ) الذي بمعنى آثر جاء في سياق استحباب الكفر على الإيمان ، والحياة الدنيا على الآخرة ، والعمى على الهدى ، وكلّها سيقت مساق ذمّ وتهديد من يفضّل ويؤثر الأوّل على الثاني الذي فيه رضا الله ، وكأنّ الاستحباب جاء لتفضيل الأمر غير المحبوب على الأمر المحبوب ، وعليه فإنّ تشكّل هذا اللفظ كانت له خصوصيّة في الاستعمال القرآني .

١- ينظر : أضواء على القيمة اللغوية والدلالية للأحرف التي قيل بزيادتها في القرآن الكريم : ٥٣ .
٢- ينظر : في ظلال القرآن ٤: ٢١٩٦ .
٣- ينظر : مفاتيح الغيب ٢٧:١٠٤ ، وإرشاد العقل السليم ٨: ٩ ، والميزان ١٧: ٣٧٧ .
٤- ينظر : التحرير والتنوير ٢٤: ٢٦٢ .

(ب) الصورة المضارعية :

(يُحِبّ) :

تأتي هذه الصورة في الاستعمال القرآني متشكلة – غالباً – مع لفظ الجلالة على جهة الفاعلية ، ومبيّنة لأولئك الذين يحبّهم الله تعالى على جهة المفعولية ، هذا إذا جاءت مثبتة ، أمّا المنفيّة منها فتأتي لبيان كراهة الله تعالى للصفات والأشياء التي تأتي على جهة المفعولية أيضاً ، وسيأتي الحديث عن تلك الصفات والأشياء المحبوبة وغير المحبوبة لله تعالى في مباحث لاحقة وبشكل تفصيلي .

وحقيقة الأمر أنّ محبّة الله تعالى للعباد أو للصفات التي يتّصفون بها تعني إنعامه عليهم وتكريمه لهم ، ورضاه عنهم ، ويتبعه إحسانه إليهم ومثوبتهم ، والمغفرة والرحمة والثناء عليهم ، زيادة على تشجيع العباد وترغيب في الاتصاف بمثل هذه الصفات [1]، ولعلّنا نرى معنى الإنعام والإكرام والمدح في كل آية ورد فيها لفظ الحبّ بصيغته الفعلية مسنداً إلى لفظ الجلالة ، فضلا عن معاني تقوية الحالة وتثبيتها في قلوبهم ومدحهم والثناء عليهم ، أمّا إذا كانت في تركيب نفي اللفظة فإنّها بالطبع تعني خلاف ما ذُكر ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ **إنّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ البقرة : ٢٢٢ ، أي إنّه يحبّ المتصفين بهاتين الصفتين ، " والتوّاب : الكثير التوبة المبالغ فيها ، وذلك بتركه كل وقت بعض الذنوب حتى يصير تاركا لجميعه ، والمتطهرون : هم التاركون الذنب والعاملون للصلاح "[2]. ومن هذه الصفات التي تشكلت مفعولا به للفعل (يحبّ) :(المتوكلين ، الصابرين ، المحسنين ، المتقين ...) ، أمّا الأشياء والصفات التي وقعت في سياق نفي الفعل (يحبّ) فهي كثيرة أيضاً منها (الفرحين ، الخائنين ، الظالمين ، ...) ، كما في قوله تعالى ﴿ **والله لا يحب الظالمين** ﴾ آل عمران : ١٤٠، أي لا يرضى الله عن هؤلاء الذين وسموا بهذا الوصف ، فالظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه المختص به ، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق [3].

وجاء الفعل (يحبّ) مسنداً إلى الظاهر غير لفظ الجلالة في قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾ الحجرات : ١٢ ، إذ يتكرر نداء المؤمنين عدّة مرات في سورة الحجرات وفي هذه المرّة جاء النداء ليحذّرهم وينبّههم ويوجّههم على أنّ الظن والتجسّس وإرادة الاغتياب أمرٌ مكروه في المجتمعات وهو من جنس المنهيات عنه .

ولعلنا نلحظ خصوصيّة الغيبة في الآية فقد صوّرها القرآن تصويراً عجيباً بمشهدٍ أبدعه إبداعاً ، مشهد الأخ يأكل لحم أخيه ميتاً ، وقد مُثّلت الغيبة في هذا المشهد بأكل لحم الأخ الميت وهذا يستلزم تمثيل المولوع بها بمحبّة أكل لحم الأخ ، والتمثيل مقصود منه استفظاع الممثّل وتشويهه لإفادة الإغلاظ على المغتابين ، لأنّ الغيبة متفشّية في الناس وبخاصة في أيام الجاهلية ، لذلك ابتدأ المشهد بلفظة المحبّة الدالة على إرادة الناس فعلها ، فهي متعلقة بنفوسهم ، والمعنى أنّ من دُعي إلى أكل لحم أخيه فعافته نفسه ، فكرهته من جهة طبعه ، فإنّه ينبغي إذا دُعي إلى

١- ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ١٣٣ ، وجامع البيان ١٦ : ٥٤ ، ومعجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ١ : ٣٦٢ .
٢ - مفردات ألفاظ القرآن : ١٦٩ ، ٥٢٥ .
٣ - المصدر نفسه : ٤٣٧ .

عيب أخيه فعافته نفسه من جهة عقله ، فينبغي أن يكرهه ؛ لأنّ داعي العقل أحق بأن يتبع من داعي الطبع ، لأن داعي الطبع أعمى وداعي العقل بصير[1] .

وقد ذهب بعض المفسرين والدارسين إلى أنّ المحبّة في هذه الآية جاءت لتعني الرغبة والشهوة في فعل الغيبة[2]، والحقّ أنّ الرغبة والشهوة تقعان – غالباً – في الأمر المحبوب للإنسان ، أي أنّه يرغب في فعل المحبوبات له ولغيره ويشتهيها ، أمّا الإرادة فتقع في فعل المحبوبات وغيرها ، إذ إننا نرجّح معنى الإرادة على الرغبة .

وقد قُيّد الفعل (يحبّ) على جهة المفعوليّة بالمصدر المؤوّل (أن يأكل) ، و" التعبير بالمصدر المؤوّل بدل الصريح (أكل) يدلّ على حُدوث فعل الأكل ومزاولته شيئاً فشيئاً لما في بنية المصدر المؤول من الملمح الفعلي ، أو لأنّ محبّة صاحب الغيبة متجددة في نفسه معجباً بها ، فناسب هذا فعله الحدوثي في تمزيق لحم أخيه وتقطيعه وأكله "[3] .

(أُحِبُّ) :

وردت هذه اللفظة مرة واحدة في القرآن مسندة إلى المفرد المتكلّم ، وهو نبيّ الله إبراهيم (عليه السلام) ، وخطابه موجّه لقومه وذلك في قوله تعالى ((**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ** ﴾ الأنعام :٧٦ ، أي " لا أعبدُ أو أميلُ إلى عبادة من كان كذلك ؛ لأنّ الربّ لا يجوز عليه التغيّر والانتقال"[4]، وقوله هذا على سبيل المحاجّة التي خاطب بها إبراهيم (عليه السلام) قومه مبيناً لهم عن طريق الاستدلال العقلي والوجداني فساد رأيهم واعتقاهم في عبادة المتغيّر ، فجاء بلفظة (أحبُّ) بدلا من (أعبدُ) ليكون وقعها أخفّ في الاحتجاج لتعلقهم الشديد بعبادتها ، ففي الآية استدلال على استحالة ألوهية الكواكب وبطلان عبادتها ، وذلك من خلال تأمّل إبراهيم (عليه السلام) ونظره فيها وافتراض ربوبيتها مجاراة لقومه ، ثم بيان استحالة عبادتها ، لأنها متغيرة ويعتريها التبديل ، وهذا يتنافى مع الألوهية [5]، وإنّما ذكر الحبّ لأنّ حجّته قائمة على عدميّة الحبّ ، وذكر الأفول ليوجّه به عدم حبّه له المنافي للربوبيّة والألوهيّة ، لأنّهما تلازمان المحبوبيّة ، والعبادة قائمة على الحبّ ، فما لا يتعلّق به الحبّ الفطري الغريزي لفقدانه الجمال الباقي الثابت لا يستحقّ الربوبيّة [6].

(يُحِبّون) :

تؤدي هذه الصورة الفعلية (صورة الغائب) معاني ودلالات عدّة في الاستعمال القرآني لمسناها من خلال وجودها في سياقات مختلفة ، ومن تلك الدلالات الإرادة ولو أنّ المحبّة أبلغ من الإرادة كما يراها الراغب[7]، فجاء أنّ المحبّة تجري على الشيء ويكون المراد به غيره ، وليس الإرادة كذلك ، فتقول : أحببت زيداً ، أي أنك تحب إكرامه ونفعه ، وتقول : أحبُّ الله ، أي أحبُّ طاعته ، فجعل المحبّة لطاعة الله محبّة له ، كما جعل الخوف من

١- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٩ : ٣٥٠ ، والتحرير والتنوير٢٦ :٢٥٤ - ٢٥٥ .
٢- ينظر : روح المعاني ٢٥: ٣٨٣ ، ونظم الدرر ٧ : ٢٣٥ ، وبحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٨٦ .
٣ - بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٨٦ .
٤ - صفوة التفاسير ١ : ٤٠١ .
٥- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٤ : ١٨٢ ، ومفاتيح الغيب ١٣: ٤٣ ، وتفسير الصافي للفيض الكاشاني ٢ : ١٦٠ ، والتسهيل لعلوم التنزيل ١ : ٣٦٧ ، وخصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم (عليه السلام): ٢١٠ .
٦- ينظر : الميزان ٧ : ١٨٤ ، ومراجعات قرآنية : ١٣١ .
٧ - مفردات ألفاظ القرآن : ٢١٥ .

عقابه خوفا منه ، وتقول : الله يُحبُّ المؤمنين ، بمعنى أنه يريد إكرامهم وإثابتهم ، ولا يقال في ذلك : أردت زيداً ، ولا أريد الله ، ولا الله يريد المؤمنين ، ولقولهم : أحبُّ زيداً ، مزية على قولهم : أريد له الخير ، وذلك أنّه إذا قال : أريد له الخير ، لم يبين أنّه لا يريد له شيئاً من السوء ، وإذا قال : أحبُّهُ ، أبان أنّه لا يريد له سوءاً أصلا ، ومع هذا فإن في المحبة إرادة ، لأنه لا يجوز أن يُحبَّ الإنسانُ شيئا مع كراهته له [1]. وجاء " أنّ الرغبة والمحبّة والإرادة نظائر ولكن بينهم فرق ، ويظهر الفرق بينهم من نقيضهم ، فنقيض الرغبة الرهبة ، ونقيض المحبّة البغضة ، ونقيض الإرادة الكراهية " [2].

وجاء الفعل (يحبون) بمعنى إرادة المنافقين الحمد والمدح والثناء بما لم يفعلوا في **قوله تعالى** ﴿ **لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ **آل عمران : ١٨٨** ، فالآية في المنافقين – وكل من يصلح له الخطاب – ، لأنّهم كانوا يعطون المؤمنين شيئاً يستعينون به على الجهاد لا على وجه القربة إلى الله تعالى بل على وجه الرياء ، ويفرحون بذلك ، ويريدون مع ذلك أن يحمدوا على ذلك لفعل ويُعتقد أنهم فعلوه لوجه القربة [3]، فالإرادة إذن ظاهرة في نفوس المنافقين من أنّهم يُحبّون ذلك محبّة إرادة ، والمعنى : لا تظن يا محمد أنّ هؤلاء الذين يفرحون بفعلهم ويريدون أن يمتدحهم الناس على ما لم يفعلوا من الوفاء بالعهود ، بل يطلبون من الناس أن يمدحوهم على ما ارتكبوه من منكرات ، فلا تظنّ هؤلاء الأشرار بمنجاة منه ، بل لهم عذاب مؤلم أشدّ الإيلام بسبب ما اجترحوه من سيئات [4].

وقيل إنّ (يُحبون) هنا بمعنى (يرغبون) أي يرغبون في أن يحمدوا بأنّهم أصل الدين والبرّ والتقوى والصدق ، والفرح المُشار إليه هو فرح الغرور المبني على الخداع وليس فرح السعادة الحقيقية للنفس الصادقة [5]، أمّا التعبير بـ(يحبون) فكان تصويراً دقيقاً لحال هؤلاء المنافقين وتعبيرا عن وجدانهم ، إذ كانت إرادتهم كبيرة ورغبتهم شديدة في حصولهم على الحمد والثناء ، والتعبير بالمضارع له دلالته على التجدد والاستمرار ، أي أنّهم يطلبون ذلك باستمرار ، زيادة على ما دلّ عليه المصدر المؤول (أن يحمدوا) من معنى الحدوث والتغيير ، فتناسب ذلك مع حال المنافقين .

ويأتي الفعل (يحبون) في سياق آخر ليدلّ على الإيثار ، أي إيثار الطهارة المعنويّة المتمثلة بالتطهير الروحي من آثار الشرك والذنوب أو الماديّة المتمثلة بالتطهير الجسمي من الأوساخ والنجاسات الموصلة لمرضاة الله تعالى في قوله تعالى ﴿ **لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** ﴾ التوبة : ١٠٨ ، ذهب الزمخشري إلى أن المحبّة هنا الإيثار فقال : " إنّ محبّتهم للتطهّر أنّهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المُحبّ للشيء المشتهى له على إيثاره ، ومحبّة الله تعالى إيّاهم أنّه يرضى عنّهم ويحسن إليهم كما يفعل المحبّ بمحبوبه "[6]، وتابعه في ذلك الفخر الرازي[1] وأبو حيّان[2].

١- ينظر : الفروق اللغوية ، العسكري : ١٣٨ .
٢- التبيان في تفسير القرآن ٣: ٧٥ .
٣- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٣: ٧٦ ، والبحر المحيط ٣: ٤٦٦ ، وبحر العلوم ٢: ٢٢٦ ، والتحرير والتنوير ٤ : ١٩٣ ، وفي ظلال القرآن ١: ٥٤٢ ، ومواهب الرحمن في تفسير القرآن ٧ : ١٥٩ .
٤- ينظر : إرشاد العقل السليم ٢: ١٢٦ ، والتفسير الوسيط ٢: ٤٨٤ ، وآلاء الرحمن في تفسير القرآن ١ : ٣٧٩ .
٥- ينظر : بيان النظم في القرآن الكريم ١ : ٢٩٤ . وفي آية أُخرى يبرز معنى الإرادة في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النور : ١٩.
٦- الكشاف ٢: ٢٩٦.

وإنّ مجيء صفة الرجال بالفعل المضارع (يحبون) للدلالة على أنها صارت جزءاً منهم مستمرين على إيثارها وتفضيلها بدلالة الحال والاستقبال ، أي أنّ اتصاف الرجال المُعيّنين بها صار مقرونا بهم ، فضلا عن أنّ مجيء المفعول بصيغة المصدر المؤول الدال على الاستمرار والتجدد في الفعل ، فكأنّ جملة الصفة سيقت لبيان أنّ الطهارة صارت حقيقة فيهم ملازمة لهم ، أي أنّ إطلاق لفظ المحبّة (يُحبُّونَ) كناية عن عمل الشيء المحبوب ، لأنّ الذي يُحبّ شيئاً ممكناً يعمله لا محالة ، فقصدَ التنويه بهم بأنّهم يتطهرون تقرباً إلى الله بالطهارة وإرضاء لمحبّة نفوسهم إيّاها بحيث صارت الطهارة خُلُقاً لهم ، فلو لم تجبْ عليهم لفعلوها من تلقاء أنفسهم ، أي إنهم لازموها مستمرين عليها [٣].

وذهب أحد المفسرين إلى معنى الإرادة ، والمعنى " أنّهم يريدون أن يتطهروا من الذنوب ، كما أنّ الله تعالى يريد منافع المتطهرين "[٤] ، فقد فسرت المحبّة هنا بالإرادة ، وإن كانت المحبة أبلغ من الإرادة ؛ لأنّ المحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيراً ، فكلُّ محبّة إرادة وليس كلّ إرادة محبّة [٥].

ويأتي معنى الإيثار ليبيّن حال المنافقين الذين يستبطنون الكفر أو إلى الكافرين الذين يجحدون نبوّة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم)، فيبيّن القرآن حالهم بأنّهم يؤثرون العاجلة على الآخرة في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا** ﴾ الإنسان : ٢٧ ، فهم يؤثرون اللذائذ والمنافع العاجلة الفانية في دار الدنيا ، وينهمكون في اتباع شهواتهم ، فلا يلتفتون إلى ذكر ولا صلاة [٦]، ويذكر الفخر الرازي أنّ "الذي حمل هؤلاء الكفار على الكفر ، وترك الالتفات الإعراض عمّا ينفعهم في الآخرة ليس هو الشبهة حتى يتنفعوا بالدلائل المذكورة في أول السورة ، بل الشهوة والمحبة والإيثار لهذه اللذات العاجلة والراحات الدنيوية البدنية " [٧].

وفي إيثار ذكر الدنيا بوصف العاجلة توطئة للمقصود من الذم ؛ لأنّ وصف العاجلة يؤذن بأنّهم آثروها لأنّها عاجلة ، وفي ذلك تعريض بتحميقهم إذ رضوا بالدون لأنّه عاجل وليس ذلك من شيم أهل التبصّر ، وقوله تعالى (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا) " واقع موقع التكميل لمناط ذمّهم وتحميقهم ؛ لأنهم لو أحبّوا الدنيا مع الاستعداد للآخرة لما كانوا مذمومين" [٨].

وصيغة الفعل المضارع في (يحبون) تدل على تكرار ذلك ، أي أن ذلك دأبهم وديدنهم لا يشاركون مع الحب العاجلة حبّ الآخرة ، وكذا الفعل (يذرون) فهو يقتضي أنهم مستمرون على ذلك وأنّ ذلك متجدد فيهم ومتكرر لا يتخلفون عن ذلك الترك ، لأنهم لا يؤمنون بحلول ذلك اليوم [٩].

وتأتي هذه الصورة لتُعبّر عن الإيثار الممزوج بالمودّة والموالاة ، وهذا ما لمسناه من وجودها في سياقها، إذ لم يعرف تاريخ البشرية حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحبّ الكريم والبذل السخي والمشاركة

١- ينظر : مفاتيح الغيب ١٦: ١٦٦ .
٢- ينظر البحر المحيط ٥: ٥٠٥.
٣- ينظر : التحرير والتنوير ١١: ٣٣ .
٤- التبيان في تفسير القرآن ٥ : ٣٠٠ .
٥- ينظر : معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ٢٠٣ – ٢٠٤ .
٦- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ١٠ : ٧٢٠ ، الكشّاف ٤: ٦٧٥ ، والبحر المحيط ١٠: ٣٦٩ ، ومجمع البيان ١٠: ٢٥٢ .
٧- مفاتيح الغيب ٣٠: ٢٣٥ .
٨- التحرير والتنوير ٢٩: ٤٠٨ .
٩- ينظر : نظم الدرر ٨: ٢٧٧ ، والتحرير والتنوير ٢٩: ٤٠٨ .

الرضية والتسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء ، ولم يجد الإنسان أعظم من تلك المودّة الخالصة والصفاء الروحي والنقاء النفسي الذي تميّزت به طائفة الأنصار بعدما أقبلت عليهم طائفة المهاجرين ، فقد أحبوهم بشدّة بحبّ الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، وقد آلت تلك المحبّة إلى واقعها العملي التطبيقي بأنّهم آثروهم على أنفسهم مع حاجتهم ، وهذا يمثل قمّة الودّ والموالاة والصفاء الذي تجلّى في قوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ الحشر : ٩، فالآية استئناف مسوق لمدح الأنصار لتطيب بذلك قلوبهم إذ لم يشركوا في الفيء ، فقد أثنى الله سبحانه على الأنصار الذين أخلصوا إيمانهم وعبادتهم ، مبيناً فضلهم وشرفهم وكرمهم ، فإنّ من صفاتهم أنهم يحبون إخوانهم الذين هاجروا إليهم حُبّاً شديداً ، لأنّ الإيمان ربط قلوبهم برباط المودّة والمحبّة ، ومن صفاتهم أيضاً أنّهم لا تتطلّع نفوسهم إلى شيء مما أُعطي للمهاجرين ، فلا ترى في نفوسهم رغبة حين جعل الله تعالى الفيء لإخوانهم المهاجرين دونهم ؛ لأنّ المحبّة ربطت قلوب الأنصار بالمهاجرين فجعلت الأنصار يرتفعون عن التشوّق إلى شيء مما أُعطي لهم ، وبناءً على ذلك فإنّ الأنصار لم يهيّؤوا بيوتهم لاستقبال المهاجرين فحسب ، بل إنّهم فتحوا قلوبهم ونفوسهم وأجواء مجتمعهم قدر المستطاع للتكيّف في التعامل مع وضع الهجرة المرتقب [١].

والذي يُلحظ من التعبير القرآني " أنّه لم يُعبّر عن حبّ المهاجرين على وجه المباشرة الاسميّة أي : يُحبّون المهاجرين ، وإنّما قال (من هاجر إليهم) لتدلّ صلة الموصول على تجدد حدوث فعل الهجرة وحدوثه "[٢].

(تُحِبّون) :

وتأتي هذه الصورة مسندة إلى جماعة المخاطبين في الاستعمال القرآني لتدلّ على معانٍ ودلالات شأنها شأن الصورة التي قبلها ، ومن تلك الدلالات الإرادة ، ولعلّنا نلمح معنى الإرادة في **قوله تعالى** ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ **آل عمران : ١٥٢** ، فقد نزلت الآية في معركة أحد ، والآية خطاب للمسلمين وتقرير لحال الرماة ، وقد ضعف فريق منهم أمام إغراء الغنيمة ، ووقع النزاع بينهم وبين من يرون الطاعة المطلقة لأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وانتهى الأمر بهم بالعصيان ، بعد ما رأوا بأعينهم طلائع النصر الذي يحبونه ويريدونه ، فكانوا فريقين ، فريق يريد غنيمة الدنيا ، وفريق يريد ثواب الآخرة [٣]. أمّا قوله (من بعد ما أراكم ما تحبّون) فإشارة إلى توبيخهم على تركهم مواقعهم ، وللتنبيه على عظم شأن المعصية ، لأنّهم شاهدوا أنّ الله تعالى أكرمهم بإنجاز الوعد كان من حقهم أن يمتنعوا عن المعصية ، فلمّا أقدموا عليها سلبهم الله ذلك الإكرام وأذاقهم وبال أمرهم [٤].

وورد هذا المعنى في سياق النفي بالفعل (تحبون) **في قوله تعالى** ﴿ **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ** ﴾ **الأعراف : ٧٩** ، فالآية تعبّر عن حال قوم نبي الله صالح

١- ينظر : البحر المحيط ١٠: ١٤٣ ، والميزان ١٩ : ٢١٣ ، والأمثل ١٨ : ١٢٦ ، وصفوة التفاسير ٣ : ٥٥٨ .
٢ - بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٨٤ .
٣- ينظر : آلاء الرحمن في تفسير القرآن ١ : ٣٥٧ .
٤- ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٤ : ١٥٢ ، ومفاتيح الغيب ٩ : ٣٣ .

(عليه السلام) بعدما استكبروا عن عبادة الله تعالى وخالفوا نبيّهم ورفضوا النصح ، فأخذتهم الصيحة فأصبحوا جاثمين ، فأعرض عنهم نبيهم صالح ، ونفض يديه منهم ، وتركهم للمصير الذي جلبوه على أنفسهم ، وأخذ يقول متحسّرا على ما فاتهم من الإيمان ، يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي كاملة غير منقوصة ، ونصحت لكم بالترغيب تارة والترهيب أخرى ، ولكن كان شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين ، فمحبّة الشيء إرادة الحال الجليلة له عند المريد ، فمن أحبّ الناصح قبل منه ، ولأنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع ، فأراد بذلك الكناية عن رفضهم النصيحة ، أي أنهم يكرهون الناصحين ، واستعمل المضارع للدلالة على رفضهم المتجدد والمتكرر في حال سماعهم النصيحة (١).

وتأتي هذه الصورة لتؤدّي دلالة الإيثار في أنّ نيل البرّ لا يكون ولا يتحصل إلاّ بالإنفاق ممّا يحبّه ويؤثره الإنسان من ماله وما يملك ، وذلك في قوله تعالى ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ آل عمران : ٩٢ ، ومعنى الآية أنكم لن تنالوا البر ولن تبلغوا ثوابه الجزيل الذي يوصلكم إلى رضا الله تعالى وإلى جنّته التي أعدّها لعباده الصالحين إلا إذا بذلتم مما تحبونه وتؤثرونه من الأموال وغيرها في سبيل الله ، وما تنفقوا من شيء – ولو قليلاً – فإن الله به عليم وسيجازيكم عليه بأكثر مما أنفقتم وبذلتم(٢) .

والمحبّة هنا هي ميل النفس وتعلّقها التعلق التام بالمنفق ، فيكون إخراجها على النفس أشقّ وأصعب من إخراج ما لا تتعلّق به النفس ذلك التعلّق ، وإنّ النفقة من الأشياء المحبوبة للنفوس من أكبر الأدلّة على سماحة النفس واتصافها بمكارم الأخلاق ورحمتها ورقّتها ، ومن أدلّ الدلائل على محبّة الله وتقديم محبّته على محبّة الأموال التي جُبلت عليها النفوس على قوّة التعلّق بها ، فمن آثر محبّة الله على محبّة نفسه ، فقد بلغ الذروة العليا من الكمال (٣).

ولعلّ بيان ما جُبل عليه كثير من الناس من إيثارهم منافع الدنيا الزائلة على منافع الآخرة الباقية ، وزجر ونهي لهم عن سلوك هذا المسلك الذي يدلُّ على قصر النظر وضعف التفكير ورد في قوله تعالى ﴿ **كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ، وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ** ﴾ القيامة : ٢٠ – ٢١، أي هذا الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره ، أنكم تحبون العاجلة وتسعون فيما يحصلها وفي لذّاتها وشهواتها وتؤثرونها على الآخرة ، فتذرون العمل لها ، لأنّ الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة ، والإنسان مولع بحبّ العاجل ، والآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم ، فلذلك غفلتم عنها وتركتموها ، فلو آثرتم الآخرة على الدنيا ونظرتم للعواقب نظر البصير العاقل لربحتم ربحاً لا خسار معه ، وفزتم فوزاً لا شقاء يصحبه (٤)، واستعمال القرآن الكريم لفظ (العاجلة) وهي المخصوصة بالحبّ والمفضّلة بدلا من الدنيا استعمالاً دقيقاً يوحي بقصر هذه الحياة وسرعة انقضائها ، والكلام بعمومه مشعر بالتوبيخ ، ومناطه حبّ الدنيا وترك الآخرة (٥).

ووردت صورة (تحبون) بمعنى (يولعون) في قوله تعالى ﴿ **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** ﴾ الفجر : ٢٠ ، أي أنهم من شدّة حرصهم على جمع المال وشهوتهم له فإنهم يولعون به ويصبح شغلهم الشاغل ، وهذه الصفة من الصفات

١- ينظر : التحرير والتنوير ٨: ٢٢٨ ، والتفسير الوسيط ٧: ١٠٣ .
٢- ينظر : التفسير الوسيط ١ : ٦٧٢ ، والميزان ٣ : ٣٩٣ ، ومواهب الرحمن في تفسير القرآن ٦٧ : ١٤٣ .
٣- ينظر : البحر المحيط ٣ : ٣١٨ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان ٤ : ١٣٨ .
٤- ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢٩ : ٨٩٩ ، والكشف والبيان ١٠ : ٤٤١ .
٥- ينظر : التحرير والتنوير ٢٩ : ٣٥١ .

الذميمة التي تؤدي إلى الحصول عليه من كل طريق من دون تفرقة بين ما يحلّ منه وما يحرم ، وأنّهم يأخذون أموال اليتامى ويضمونها إلى أموالهم ، والحقيقة أنّ القرآن الكريم يعرض جملة من الاختبارات في هذه السورة تدور كلها حول محور المال وحبّه والتولّع به وكيفية جمعه وموارد إنفاقه ، للإشارة ما للمال من أهمية في حياة الإنسان ، ولا شكّ في أنّ الحصول على المال وإنفاقه فيما يرضي الله أمر لا بأس به ، أمّا جمعه لأجل تكثيره والحرص عليه يؤدي بالإنسان أن يكون عاشقاً مولعاً به لا يبالي بطريقة جمعه ، أكان من حلال أم حرام [١]، فهناك فئة من الناس تعشق المال لذاته ، وتهيم بحبّه من دون أن تتخذه وسيلة إلى سعادة دينية أو دنيوية ، وإنّما تجد أُنسها ومُتعها في اكتناز المال فحسب ، ومن ثم تبخل به أشد البخل .

وجاءت في سياق آخر لتدلّ على الرغبة الممزوجة بالشوق ، وأصل الرغبة كما ذكر الراغب السعة في إرادة الشيء ، وهي المحبّة لما في النفس من منفعة[٢]، ولعلّنا قد لمسنا هذا المعنى في قوله تعالى ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ النور: ٢٢، فالآية تعبّر عمّن يرغبون في الحصول على المغفرة ، بشرط أن يعفوا ويصفحوا عن الناس ، فقد علّق سبحانه وتعالى غفرانه لهم على إقدامهم على العفو والصفح ، فلمّا حصل الشرط منه وجب ترتيب الجزاء عليه ، أي بمقابلة عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم فإنّ الله مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته سبحانه على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية إليها ، وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته[٣]، وجاء الخطاب بالمضارع للدلالة على الاستمرار والتجدد بالعفو والصفح والرغبة بالغفران ، أمّا الاستفهام في قوله (ألا تحبون) فهو إنكاري مستعمل في التحضيض على السعي فيما به المغفرة [٤].

وتظهر الرغبة ويتجلّى الشوق من خلال هذه الصيغة عندما يبشّر الله تعالى عباده المؤمنين بالنصر والفتح القريب بعد فضل الإيمان بالله ورسوله والجهاد بالأموال والأنفس التي توجب المغفرة ، لأنّ الله يعلمُ ما في نفوسهم من رغبة وهم يتطلعون بشوق إلى النصر والفتح الذي وعده الله تعالى لهم وذلك في قوله تعالى ﴿ **وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ الصف : ١٣، أي " ولكم خصلة أو مثوبة أخرى أو نعمة أخرى عاجلة إلى هذه النعمة الآجلة " [٥]، وهذا من الله لزيادة الترغيب ؛ لأنّه لمّا وعدهم بالجنّة على طاعته وطاعة رسوله علم منهم من يريد عاجل النصر لقاء رغبة في الدنيا ولقاء تأييد الدين فوعدهم بما يقوي به الرغبة [٦] .

والله تعالى يعلم ذلك التشوّق وتلك الرغبة المكنونة في نفوس المؤمنين فلذلك تلا خطابهم استفهام موحٍ بذلك ، فالله تعالى هو الذي يسألهم ويشوقهم إلى الجواب بقوله ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ الصف :

١- ينظر : معالم التنزيل ٥: ٣٥٧ ، والأمثل ٢٠ : ١١٩ .
٢- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٣٥٨ .
٣- ينظر : جامع البيان ٩: ٢٨٩ ، وإرشاد العقل السليم ٦: ١٦٥ .
٤- ينظر : التحرير والتنوير ١٨: ١٨٩ .
٥- البحر المحيط ١٠ : ١٦٨ .
٦- ينظر : النكت والعيون ٥ : ٥٣١ ، ومجمع البيان ٩ : ٥٢٣ .

١٠ – ١٢، أي أنّه يعلم من تلك النفوس أنّها تتعلق بشيء قريب في الأرض ، يناسب تركيبها البشري المحدود ، لأنّه يعلم ما يعنُّ للنفس من خواطر الترغيب والتحبيب والتشوق لها [١].

والآية جملة اسميّة معطوفة على الجملة الفعلية (يغفر لكم ويدخلكم) السابقة وذلك لإفادة الثبوت والتحقق ، أي ثبوت وتحقق النصر والفتح ، أمّا وصف أخرى بالجملة الفعلية (تحبونها) وذلك لبيان الامتنان عليهم بإعطائهم ما يحبون في الحياة الدنيا قبل إعطاء نعيم الآخرة [٢].

وفي موضع آخر نلحظ ظلال معنى الرجاء يفيض على لفظ المحبّة الواقع مصدراً مؤولاً من خلال اتساقه مع الفعل (عسى)، فقد ذكرت كتب اللغة أنّ (عسى) فعل جامد لا يتصرّف ، وقيل إنّه حرف يفيد الترجي في الأمر المحبوب ويفيد الإشفاق في الأمر المكروه [٣]، في قوله تعالى ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ البقرة : ٢١٦ ، أي أنّهم يرجون عدم حصول القتال ، وتشير الآية إلى حضّ المسلمين على بذل النفس في سبيل إعلاء كلمة الله ، بعد أن حضّهم على بذل المال في الآية السابقة ، وإن كانت النفس تكره القتال لشدّة ويلاته وما فيه من إخراج المال ومفارقة الوطن والأهل والجراح وقطع الأطراف وإزهاق الأرواح ، والإنسان ميّال بطبعه إلى الحياة [٤] ، وقد ختم الله تعالى الآية بجملة خبرية مستأنفة دلّت على الترغيب في الجهاد والامتثال لما شرّعه الله وهي قوله تعالى (وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)، سواء أعرفت حكمته أم لم تعرف ، لأنّ العليم بالحكم والمصالح هو الله ربّ العالمين .

(يستحبّون) :

وردت هذه الصورة الفعلية مرة واحدة بمعنى الإيثار والاختيار في قوله تعالى ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآَخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ** ﴾ إبراهيم : ٣ ، فالاستحباب كما يرى الزمخشري " الإيثار والاختيار ، وهو استفعال من المحبّة لأنّ المؤثر للشيء على غيره كأنّه يطلب من نفسه أن يكون أحبّ إليها وأفضل عندها من الآخر" [٥]، أي : يختارونها على الآخرة أو يؤثرونها[٦]، وإنّما دخلت (على) فصرفته عن معنى المحبّة إلى معنى الإيثار والاختيار ، زيادة على ذلك فهي إشارة لذم الكافرين التي تلمح من الآية ؛ لأنّهم اختاروا الدنيا التي هي دار انتقال وفناء وآثروها على الآخرة التي هي دار مقام وبقاء[٧] ، ويرى المفسّر الرازي أنّ في الآية إضماراً يفسره المذكور ، والتقدير : " يستحبّون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة ، فجمع تعالى بين هذين الوصفين ليتبيّن بذلك أنّ الاستحباب للدنيا وحده لا يكون مذموماً إلاّ بعد أن يضاف إليه

١- ينظر : في ظلال القرآن ٧ : ١٩٨ .

٢- ينظر : التحرير والتنوير ٢٨ : ١٩٥ - ١٩٦ .

٣- ينظر : أسرار العربية : ١٢٥ ، والبرهان في علوم القرآن ٤ : ٢٨٨ ، والإتقان في علوم القرآن ١ : ٤٧٩ . قيل إنّ (عسى) هنا تامّة والمصدر المؤول فاعل لها . ينظر : بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز ١ : ٤٤٤ ، وقيل إنّ كل عسى في القرآن محققة واقعة إلاّ قوله تعالى ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ التحريم : ٥ ، ينظر : البحر المحيط ١٠ : ٢١٢ .

٤- ينظر : التفسير الوسيط ١: ٣٧٣ ، وآلاء الرحمن في تفسير القرآن ١ : ١٩٢ ، ومواهب الرحمن في تفسير القرآن ٣ : ٣١٩ .

٥- الكشّاف ٢ : ٥٠٥ ، وينظر : البحر المحيط ٦: ٤١١، وإرشاد العقل السليم ٥: ٣١ .

٦- ينظر : تفسير غريب القرآن : ٣٢٩ ، والتبيان في تفسير القرآن ٦ : ٢٧٢ ، ونظم الدرر ٤ : ١٦٧ ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٩ :١٨٩ .

٧- ينظر : مجمع البيان ٦ : ٦٤ ، والدر المنثور ٥ : ٥ ، والنكت والعيون ٣ : ١٢١ ، والميزان ١٢ : ١٢ ، والأمثل ٧ : ٢٨٨ ، وتفسير الكاشف ٤ : ٤٢١ ، ونفحات قرآنية : ٧٩ .

إيثارها على الآخرة ، فأمّا من أحبّها ليصل بها إلى منافع النفس وإلى خيرات الآخرة فإنّ ذلك لا يكون مذموماً حتى إذا آثرها على آخرته بأنّ اختار منها ما يضرّه في آخرته ، فهذه المحبّة هي المحبّة المذمومة "[١] .

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) :

إن محبة الله تعالى للعباد إنعامه عليهم وتكريمه لهم ، ورضاه عنهم ، ويتبعه إحسانه إليهم ومثوبتهم ، والمغفرة والرحمة والثناء عليهم ، و محبة العبد لربّه هي تعظيم الله تعالى والتقرب إليه بطاعته وطلب الزلفى لديه والرضا بشرائعه ، والاستجابة لتعاليمه برغبة وشوق ، والتحرّز من معصيته [٢]، وقد اشترك هذان المعنيان في قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ المائدة : ٥٤ ، فالفعل (يُحِبُّهُمْ) أسند إلى فاعله الضمير المستتر الذي يعود على لفظ الجلالة ، وقد اتصل بهذا الفعل ضمير يعود على الذين يحبهم الله ، أي : يريد بهم خيري الدنيا والآخرة ، والجملة المشكلة من قوله (يحبّهم) في محل جر صفة لـ(قوم)[٣]، وفي ترابط هذه الضمائر وتشكّلها مع الفعل في فعلي المحبّة قوّة وصفاء وخلوص تلك المحبّة ، وإنّ محبّة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم ، " وهذه المحبّة أسمى نعمة يهبها الله لعبادة يتطلعون إليها ويرجون حصولها ودوامها"[٤]، وتتجسّد تلك المحبّة بعلامات ذكرها الله تعالى في سياق الآية بقوله (أذلّة على المؤمنين) أي متواضعين عاطفين رحماء عليهم ، و(أعزّة على الكافرين) أشدّاء غلاظ عليهم ، و(يجاهدون في سبيل الله) أي أنفسهم وأهواؤهم ، و(ولا يخافون لومة لائم) إذ لا يرقبون سوى المحبوب ، وليس للمحبّة طريق إلا محض الفضل والكرم فذلك هو فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده .

وجاء المعنى الثاني بلفظ الفعل(يُحِبُّونَهُ) المعطوف على سابقه بوساطة حرف العطف (الواو) ، وهذا الفعل اتصل به ضمير جماعة المحبوبين ، وقد تشكل فاعلا ، وهؤلاء هم يحبون الله تعالى ، أي :" يريدون طاعته ويتحرزون من معاصيه "[٥] ، ومحبّة العبد ربّه انفعال النفس نحو تعظيمه والأنس بذكره وامتثال أمره والدفاع عن دينه ، فهذه صفة تحصل للعبد من كثرة تصوّر عظمة الله تعالى ونِعَمِهِ حتّى تتمكّن من قلبه ، فمنشأ هذه المحبّة السمع والتصوّر وليست هي كمحبّة استحسان الذات [٦]. أمّا مجيء (سوف) في سياق الآية فلكثرة استعمالها في الوعيد والتهديد ، وقد تستعمل في الوعد ، وقد تضمنت (الوعد والوعيد) في قوله تعالى السابق ، إذ إنّ الخطاب في الآية للمؤمنين الحاضرين يعمّ مؤمنهم ومنافقهم على وجه التحذير والوعيد ؛ لأنّ المنافقين كانوا يظهرون الإيمان ، والإشارة بالارتداد إلى المنافقين ، وهي إشارة غيبيّة على ما سيؤول أمرهم في علم الله ، فالوعد لأجل المؤمنين المحبين ، والوعيد لما تضمنت من جواب المرتدين بكونهم أعزة عليهم وعلى جميع الكافرين [٧] .

١- مفاتيح الغيب ١٩: ٦٩ .
٢- ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ١٣٣ ، وجامع البيان ١٦ : ٥٤ ، ومعجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ١ : ٣٦٢ .
٣- ينظر : إرشاد العقل السليم ٣ : ٥١ .
٤- الكشّاف ١ : ٦٨٠ ، وينظر : البحر المحيط ٤: ٢٩٧ ، وروح المعاني ٧: ٢٦٢ ، والتحرير والتنوير ٦: ٢٣٦ .
٥- إرشاد العقل السليم ٣ : ٥١ .
٦- ينظر : الكشّاف ١: ٦٨٠ ، والتحرير والتنوير ٦: ٢٣٦ .
٧- ينظر : البرهان في علوم القرآن ٤ : ١٧٦ .

(تُحِبُّونَ ... يُحْبِبْكُمُ) :

اجتمعت أيضا دلالة تعظيم الله وطاعته مع إكرام العباد والإنعام لهم في سياق آخر مزدوج – سياق شرطي – ليكون الله تعالى هو المحبوب ، والعباد هم من يحبونّه ، وحينها تكون دلالتها التعظيم والتكريم والطاعة ، أي تعظيم الله وتكريمه وطاعته ، ثم أنّ الله تعالى يحبّ عباده الذين يخلصون له الطاعة والعبادة ويثيبهم وينعم عليهم ، وذلك في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ آل عمران : ٣١ ، فالحبّ الحقيقي ليس بالعلاقة القلبية فحسب ، بل يجب أن تظهر آثاره في عمل الإنسان ، وإنّ من يدّعي حبّ الله فعليه أولاً اتّباع رسوله ، وفي ذلك تعظيم الله ورسوله وطاعتهم ، ولا شكّ في أنّ للحبّ الحقيقي آثاراً عملية تربط المحبّ بالحبيب وتدفعه للسعي في تحقيق طلباته ، وإنّ من آثار المحبّة الطبيعية انجذاب المحبّ نحو المحبوب والاستجابة له ومعرفته معرفة حقيقية ، ودوام خشيته ، ودوام اشتغال القلب به وبذكره والأنس به ، ومعنى الآية : إن كنتم صادقين في إدّعاء محبّة الله فكونوا منقادين لأوامره مطيعين له فاتبعوني ، فإنّ اتباعي من محبّة الله تعالى وطاعته ، وإنّ محبّة العبد لله تعالى عبارة عن إعظامه وإجلاله وإيثار طاعته واتباع أمره ومجانبة نهيه [١].

ومحبّة الله العباد جاءت لتدلّ على الإنعام والتكريم والمنّة ، فإذا أحبّ الله عبداً كان سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله ، وما يؤيد ذلك قول الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) على لسان الإمام الصادق (عليه السلام) إذ قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) : قال الله عزّ وجلّ : " من أهان لي وليّاً فقد أرصد لمحاربتي ، وما تقرّب إليَّ عبداً بشيء أحبّ إليَّ ممّا افترضت عليه ، وإنّه ليتقرّب إليَّ بالنافلة حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ... "[٢].

والحقيقة أنّ حبّ الله العباد الذي فُسّر بالإنعام والتكريم لهم ناتجٌ عن إتباع الرسول وهو السبيل المؤدي إلى حبّ الله تعالى ، فإذا ما ادعى مدّعٍ حبّ الله تعالى يكون ادعاؤه باطلاً إنْ لم يتبع الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، فالصادق في حبّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) من تظهر عليه علامات ذلك الحبّ ، وهي الاقتداء به وإتباع سنّته وإتباع أقواله وأفعاله والتأدّب بآدابه في عسره ويسره ، وقال بعض العلماء أنّ محبّة العبد الله عبارة عن إعظامه وإجلاله وإيثار طاعته واتباع أمره ومجانبة نهيه، ومحبّة الله العبد ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه ، فلطف الله تعالى بالعبد ورحمته إيّاه هي ثمرة محبّته ، وهذه الآية ميزان يُعرف بها من أحبَّ الله تعالى وأحبّه [٣].

(تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ) :

يبيّن الله تعالى حال المؤمنين وخطأ موالاتهم لأهل الكتاب المنافقين وينهاهم عن طريق التنبيه عن ذلك ، ويحذرهم من هؤلاء المنافقين ويوضح شدّة عداوتهم في قوله تعالى ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ آل عمران : ١١٩ ، يتبيّن من هاتين الصورتين على اختلاف إسنادهما دلالة المودّة والموالاة ، فتشير الآية إلى أنّ الأنصار عامّتهم كانوا يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والرضاعة والحلف والمصاهرة ، فلما

١- ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ١ : ٣٦٠ ، ومواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥ : ٢٧٠ . الآية الكريمة نزلت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) يخاطب بها وفد نجران ؛ لأنّهم ادّعوا أنّهم أبناء الله وأحباؤه . ينظر : بيان النظم في القرآن الكريم١ : ٢١٣.
٢- أصول الكافي للكليني ٢ : ٦٥٢ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب من آذى المسلمين واحتقرهم ، الحديث : ٧ .
٣- ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٤ : ٤٠ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ١ : ١٧١ ، ولباب التأويل في معاني التنزيل ١ : ٣٦٠ .

أسلموا بغضهم اليهود وتمنوا مشقتهم ، وبقى المؤمنون على سجيتهم في المواصلة والإحسان ، لأنّ رحمة المؤمن وشفقته تتعدى حتى لأعدائه ، فنزلت الآية لتنبيههم على خطئهم في موالاة ومواصلة منافقي أهل الكتاب حيث يبذلون المحبة لمن يبغضهم ، وتحذيرهم من مواصلة فعلهم هذا ، فضلا عن توبيخهم ، وإنّها تبين المقابلة بين خُلق الفريقين ، فالمؤمنون يحبون أهل الكتاب ، وأهل الكتاب يبغضونهم ، والشأن أنّ المحبّة تجلب المحبّة إلاّ إذا اختلفت المقاصد والأخلاق(١).

ويتبنّى بعض المفسرين قول الزجّاج على أنّ المحبة هنا الإرادة ، أي تريدون لهم الإسلام وهو خير الأشياء ويريدون لكم الكفر والضلال وهو أقبح الأشياء وفيه الهلاك ، بمعنى أنكم لا تريدون إلقاءهم في المحن والآفات وهم يريدون ذلك ويتربصون بكم الدوائر(٢) ، ويرى أبو حيان أنّ هذا الرأي ليس بجيد " لأنّه لا يقع توبيخ على معنى إرادة إسلام الكافر أو المصافاة ، لأنّها من ثمرة المحبّة" (٣)، ولأنّ في الكلام توبيخاً شديداً على أنّهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم (٤)، وهذا الرأي هو الراجحُ عندنا .

والآية تتضمن أيضاً معنى التعجب من محبة المؤمنين إيّاهم في حال بغضهم المؤمنين ، لأنّ اسم الإشارة لا يأتي في مثل هذا التركيب وبعده جملة إلاّ وكان القصد منها التعجّب من مضمون تلك الجملة(٥) ، وليس في التعجب شيء من التغليظ ولكنّه مجرد إيقاظ .

ثانياً : (حبّ) في صورتها الاسميّة :

يتنوّع تشكل هذه اللفظة بصورتها الاسمية في التركيب القرآني مثلما تنوّعت في صورتها الفعلية ، ويدعو هذا التنوّع إلى التغيّر في الدلالة استناداً إلى نوع الصيغة فضلاً عن وجودها في السياق الذي تشكلت فيه ، ولنا أن نستجلي تلك الدلالات من خلال بنيتها الصرفية .

المصدر (حُبّ) :

يأتي معنى الإيثار بصيغة المصدر (حُب) مضافاً إلى ضمير الغائب ، لبيان أنّ حبّ المال مع إيتائه وبذله لمستحقيه مصداق من مصاديق البرّ، وذلك في قوله تعالى ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ البقرة : ١٧٧ ، ومعنى (وآتى المال على حبّه) أي بذله على الرغم فطرة حبّ المال عند الإنسان ، وبذلك يبرز معنى الإيثار ، وهي مثل قوله ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ... ﴾ آل عمران : ٩٢ ، وقوله ﴿... **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ... ﴾ الحشر : ٩ ، فإعطاء المال هنا مع شدّة حبّه واختياره إيّاه ، فآثر ما يحبّ الله على ما يحبّ ، وضمير الغائب في (حبّه) يحتمل أن يعود على (المال) فلأنّه يتصدّق وهو صحيح شحيح يأمل العيش ويخشى الفقر ، وبذلك يكون

١- ينظر : الكشاف ١: ٤٣٥ ، والبحر المحيط ٣: ٣١٨ ، و التحرير والتنوير ٤: ٦٥ .
٢- ينظر : معاني القرآن وإعرابه ١ : ٣٨٩ ، ومجمع البيان ٢: ٤٥١ ، ومفاتيح الغيب ٨: ١٨٥ .
٣- البحر المحيط ٣ : ٣١٩ .
٤- ينظر : الكشاف ١: ٤٣٥ .
٥- ينظر : التحرير والتنوير ٤: ٦٥ .

عن طيب خاطر حال كونه محباً له راغباً فيه مع قلّته وشهوته ، فالإعطاء والبذل في هذا الحال يدل على قوّة الإيمان وصفاء الوجدان ، ويسمو بصاحبه إلى أعلى الدرجات ، أو أن يعود على (الإيتاء) فوجهه ألاّ تدفعه وأنت ساخط عليه كاره ، ويكون رغبة في ثواب الله ، أو أن يعود على الله تعالى ، فيكون العطاء خالصاً لوجهه تعالى [١]، وعليه فدلالة المصدر تؤسس على وفق عود الضمير ، فإذا كان على لفظ الجلالة فالمعنى رضا الله وطاعته وتعظيمه ، وإذا عاد على المال فمعناه الإيثار .

وقد اختلف في مرجع الضمير في قوله تعالى (على حبه) على النحو الآتي :

١- (المال) ، فيكون المعنى : أعطى المال وهو يحب المال ، وعلى هذا يكون في موضع الحال ، أي : أتاه محباً له [٢]. ومنهم من جعل حرف الجر (على) بمعنى (مع) ، أي : مع حبه للمال [٣] .

٢- (من آمن) ، فيكون المعنى : أعطى المال على حب من آمن .

٣- (الإيتاء) ، فيكون المعنى : " أعطى المال على حب الإعطاء ، يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه ، وقدّم ذوي القربى لأنهم أحق : [٤].

٤- (الله سبحانه) ، فيكون المعنى : " أعطى المال على حبّ الله تعالى" [٥].

وعلى ذلك فيكون لكل مرجع دلالة في تعدد مراتب جملة (آتى المال) ، إذ إنّ الفعل (آتى) يصدرُ عن نفس وهي تحبُّ المال ، وهي مرتبة من العطاء ، أو يصدر عن نفس ، وهي تحبُّ من تعطيهم ، وهذه مرتبة أعلى ، ثمّ يصل الإعطاء حبّاً لله تعالى ، وهذه المرتبة الفضلى ، ولعلّ القول الأخير أقرب الأقوال ، لأنّ ذكر الله تعالى قد تقدّم في الآية [٦].

والحقيقة أنّ إنفاق المال ليس بالعمل اليسير على الجميع ، وبخاصّة إذا بلغ الإنفاق درجة الإيثار ؛ لأنّ حبّ المال موجود بدرجات متفاوتة في كل القلوب وعبارة (على حبّه) إشارة إلى هذه الحقيقة [٧]، أمّا حرف الجرّ(على) فيشير " إلى التمكّن من حبّ المال " [٨].

ونظير الصورة السابقة والدلالة السابقة قوله تعالى ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ الإنسان : ٨ ، فقد نزلت الآية كما هو مشهور في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وجارية لهم تسمى فضّة [٩]، والمعنى أنّهم يطعمون الطعام أشدّ ما يكون حاجتهم إليه ووصفهم الله بالإيثار على أنفسهم ، وجاء أنّ الحبّ هنا بمعنى اللذّة ، أي يُحبّه محبّ لذّة [١٠]، وقد خُصّص الإطعام بالذكر لما في إطعام المحتاج من إيثاره

١- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٢: ٩٦ ، ومفاتيح الغيب ٤: ٣٩ – ٤٠ ، ومواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢ : ٣٨٠ .
٢- ينظر : إعراب القرآن ، النحاس : ١٥٠ ، وجامع البيان ٢: ١٠٦ .
٣- ينظر : حروف الجر في العربية بين المصطلح والوظيفة : ١١٤ .
٤- الكشاف ١ : ٣٣٠ ، وينظر : أمالي المرتضى ١ : ٢٠٣ ، وإعراب القرآن للزجاج ١ : ١٥٠ .
٥- التبيان في إعراب القرآن ١ : ١١٥ ، وينظر : مجمع البيان ٢ : ٨ .
٦- ينظر : تفسير القرآن بالقرآن : ١٣٣ ، والدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى : ٣٦٧ .
٧- ينظر : الأمثل ١ : ٣٢٢ .
٨- التحرير والتنوير ٢: ١٣٠ .
٩- القصة تذكرها أغلب كتب التفسير وغيرها . ينظر : مجمع البيان١٠ : ٢٣٣ ، وموجز علوم القرآن : ١٢٥ .
١٠- ينظر : الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ٢ : ١١١ .

على النفس ، والتصريح بلفظ الطعام مع أنّه معلوم من فعل (يطعمون) توطئة ليبنى عليه الحال وهو(على حبّه) ، فإنّه لو قيل : ويطعمون مسكينا ويتيما وأسيرا لفات ما في قوله (على حبّه) من معنى إيثار المحتاجين على النفس ، على أنّ ذكر الطعام بعد يطعمون يفيد تأكيداً مع استحضار هيأة الإطعام حتى كأنّ السامع يشاهد الهيئة ، والأظهر عود الضمير في (حبّه) على الطعام ، أي إنّهم يطعمون الطعام مع اشتهائه والحاجة إليه ، والمعنى على حبّ الإطعام بأن يكون ذلك بطيب نفس وعدم تكلّف ، فالضمير يعود على مصدر (يطعمون) وهو الإطعام[١] ، والمراد بحبّه توقان النفس إليه لشدّة الحاجة ، وقيل إنّ الضمير لله سبحانه ، أي يطعمون الطعام حُبّاً لله في طاعته وتعظيمه لا طمعاً في الثواب ، ودليل ذلك قوله تعالى حكاية منهم (إنما نطعمكم لوجه الله)[٢]، وقد رجّح عدد من المفسرين الرأي الأوّل لأنّه أمدح ولأنّ فيه الإيثار على النفس ، أمّا الثاني فقد يفعله الأغنياء أكثر [٣]. وإنّ ذكر الطعام مع أنّ الإطعام يغني عنه لتعيين مرجع الضمير على الأول ، ولأنّ الطعام فيه قوام البدن واستقامة البنية وبقاء النفس ، ففي التصريح به تأكيد لفخامة فعلهم على الآخرين[٤].

والملاحظ أنّ الإطعام لم يكن لأجل الإطعام فحسب ، وإنّما هو إطعام مقرون بالإيثار العظيم عند الحاجة الماسّة للغذاء ، لما في تقديمه من كرم وسخاء وجود وإيثار، ومن جهة أخرى فهو إطعام في دائرة واسعة إذ يشمل أصناف المحتاجين من المسكين واليتيم والأسير ، ولهذا كانت رحمتهم عامّة وخدمتهم واسعة [٥].

وقد فسّر بعضهم قوله (على حبّه) ، أي : على قلته واشتهائه والحاجة إليه[٦]، وهذا التفسير يدلّ دلالة واضحة على معنى الإيثار الذي عليه أكثر المفسرين ، لأنّ الله تعالى حينما وصفهم بهذا الوصف إنّما هم يؤثرون غيرهم على أنفسهم بالطعام – على قلّته والحاجة إليه – ، ويواسون به أهل الحاجة ، ويتحرون به أهل أولى الناس وأحوجهم ، وذلك لأنّ أشرف أنواع الإحسان والبرّ إطعام الطعام ، لأنّ به قوام الأبدان [٧].

ويرجح الدكتور فاضل السامرائي عود الضمير على الطعام ، لأنّه يرى في ذلك اجتماع ثلاثة معانٍ فيه وهي الإيثار والإحسان والإخلاص ، فهم يطعمون الطعام مع حاجتهم إليه واشتهائهم له ، فيكون ذلك من باب الإيثار ، ويفعلونه بطيب نفس من غير تكدير ولا منّة ، فيكون ذلك من باب الإحسان ، مبتغين بذلك وجه الله تعالى ورضاه خالصاً عملهم له ، فيكون ذلك من باب الإخلاص [٨].

وإنّ حُبّ المال وجمعه وإيثاره والتعلق بالدنيا كان حال الإنسان وما زال ، وقد تمثّل ذلك بصيغة المصدر أيضاً في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ العاديات : ٨ ، والخير هو المال ، وسمّي المال خيرا تسمية عرفية إذ تعارف الناس على ذلك ، حتى زعم بعضهم أنّ الخير حيث وقع في القرآن هو المال ، وفُسّر به في قوله تعالى ﴿ **إن ترك خيرا الوصية**)) البقرة : ١٨٠، وإطلاق أنّه خيراً على ما يراه الناس ، وإنّه خير من حيث أنّه يحصل به

١- ينظر : روح المعاني ٢٨ : ١٥٥ ، وعلى طريق التفسير البياني ١: ١٦٧ .
٢- ينظر : البحر المحيط ٨ : ٣٩٥ ، والكشاف ٣: ٢٩٦ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥: ٢٧٠ ، والميزان ٢٠: ١٣٨ ، والتحرير والتنوير ٢٩: ٣٨٤ ، وفي ظلال القرآن ٦: ٣٧٨١ .
٣- ينظر : البحر المحيط ١٠: ٣٦١ ، والأمثل ١٩ : ١٥٦ .
٤- ينظر : روح المعاني ٢٩ : ١٥٥ .
٥- ينظر : الأمثل ١٩ : ١٥٦ .
٦- ينظر : معالم التنزيل ٥: ٣٠٩ ، وروح المعاني ٢٨: ١٣٧ ، والوجوه والنظائر ، الدامغاني ١: ١١٤ ، والبلاغة والتطبيق : ٢١٠
٧- ينظر : مفاتيح الغيب ٣٠: ٢٢١ .
٨- ينظر : على طريق التفسير البياني ١ : ١٦٧ .

الخير الكثير[١] ، والمعنى أنّه لأجل حبّ المال لبخيل ممسك ، أو لحبّ المال وإيثاره وطلب الدنيا لقوي شديد مبالغ ، وهو لحبّ عبادة الله وشكر نعمه ضعيف [٢]، وفي الآية إشارة تغليب شهوة النفس والغفلة على حقوق الله تعالى والآخرة .

ويبرز معنى الإنعام والتكريم بصيغة المصدر ، ومن أعظم ذلك الرعاية والعناية والإحاطة والرحمة التي منّها الله سبحانه على عبده ونبيّه موسى (عليه السلام) حينما ألقى قبساً من المحبّة عليه كما جاء في قوله تعالى ﴿ **أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** ﴾ طه : ٣٩ ، ومن آثار تلك المحبّة ما ذكره جلّ وعلا في قوله ﴿ **وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ ...** ﴾ القصص:٩، وقد ذكر المفسرون عدّة وجوه [٣] لقوله تعالى (**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي**) وهذه الوجوه كلّها أفادت معنى الإنعام والتكريم ، وهي :

الأول : أحّبه الله وحبّبه إلى خلقه ، أي حببّتك إلى عبادي وجعلت من رآك أحبك ، أي إنّه لم يرد أنّي أحببتك ، وإن كان يحبّه ، وإنما أراد أنّه حبّبه إلى القلوب ، وقرّبه إلى النفوس [٤]، ومعنى إلقاء محبّة منه " أنّه يُحبّه كل من رآه ، فكأنّ المحبّة الإلهية استقرت عليه فلا يقع عليه نظر ناظر إلاّ تعلقت المحبّة بقلبه وجذبته إلى موسى (عليه السلام) ، وفي تنكير لفظ (محبّة) إشارة إلى فخامتها وغرابة أمرها"[٥]، وورد أنّ إلقاء المحبّة مجاز في تعلّق المحبّة به ، أي خلق المحبّة في قلب المُحبّ من دون سبب عاديّ حتّى كأنّه وضعٌ باليد لا مقتضي له في العادة ، وكون المحبّة من الله تعالى للدلالة على أنّها محبّة خارقة للعادة لعدم ابتداء أسباب المحبّة العرفيّة من الإلف والانتفاع [٦]بدلالة قوله تعالى ﴿ **عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ القصص:٩ .

الثاني : يعني حُسناً وملاحةً ، قيل : جعل عليه مسحة من جمال ، لا يكاد يصبر عنه من رآه ، وقيل : كانت في عيني موسى ملاحة ، ما رآه أحد إلاّ أحبّه وعشقه [٧]، وهذا الرأي مضعّف عند الزمخشري وابن عطيّة [٨].

الثالث : " القبول الذي يضعه الله في الأرض لخيار عباده ، وكان حظ موسى (عليه السلام) منه في غاية الوفر"[٩] .

الرابع : قيل محبة آسيا وفرعون ، وكان فرعون قد أحبه حباً شديداً حتى لا يتمالك أن يصبر عليه ، فسلم من شرّه ، وأحبتك آسية بنت مزاحم فتبنّتك وربّتك في حجرها [١٠].

الخامس : أظهرت وأضفيت عليك محبتي وهي نعمة عليك ، لأنّ من أحبّه الله أوقع في القلوب محبته ، وإنّ فحوى هذه النعمة تربيتك وتغذيتك على مرأى مني وإرادة لي إرجاعك إلى أمّك لترضعك وتقرّ عينها ولا تحزن على فراقك .

١- ينظر : روح المعاني ٢٩: ٢٧٩ .
٢- ينظر : الكشاف ٤: ٧٩٥ ، والبحر المحيط ١٠: ٣٦١ ، ومفاتيح الغيب ٣٢: ٦٣ .
٣- ينظر : النكت والعيون ٣: ٤٠٢ ، والدر المنثور ٥: ٤٩٩ .
٤- ينظر : تأويل مشكل القرآن : ٩٧ ، ودلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس : ١٤٤ ، وتفسير القرآن بالقرآن : ١٦ .
٥- الميزان ١٤: ١٥٠ ، والأمثل ٩ : ٣٥٥ .
٦- ينظر : التحرير والتنوير ١٦: ٢١٧ .
٧- ينظر : مجمع البيان ٧: ٢١ ، والبحر المحيط ٦ : ٢٤١ .
٨- ينظر : الكشّاف ٣: ٦٤ ، والمحرر والوجيز ٤: ٤٤ .
٩- الكشّاف ٣: ٦٤ .
١٠- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٧: ١٧٣ ، و البحر المحيط ٧ : ٣٣١ .

السادس : الرعاية ، فالمحبة هنا هي الرعاية ، أي أن محبتي ورعايتي لك كان منها أن تمشي أختك ترقبك من دون أن يشعروا أنّها أختك ، فتعود إلى أمّك بسبب محبتنا ورعايتنا [١].

ويأتي المصدر للدلالة على الطاعة والتعظيم ، أي تعظيم الناس للأنداد كتعظيم المؤمنين الله في قوله تعالى ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ** ﴾ البقرة : ١٦٥، جاء في الكشاف أنّ معنى قوله تعالى (**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**) " يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كتعظيم الله والخضوع له ، أي كما يحبّ الله تعالى ، على أنّه مصدر من المبني للمفعول ، وإنّما استغنى عن ذكر من يحبّه ، لأنّه غير ملبس ، وقيل : كحبهم الله ، أي يسوون بينه وبينهم في محبتهم ، لأنّهم كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه" [٢]، وذهب كثير من المفسرين إلى أنّ المراد بالمحبّة هنا التعظيم والطاعة ، أي أنّهم يسوون بين الله تعالى وبين الأنداد المتّخذة فيعظمونهم ويطيعونهم كما يعظمون الله تعالى ويميلون إلى طاعته[٣] .

أمّا (حبّاً) في قوله (أشدّ حبّاً) فهو مصدر مجرد لا يتبعه شيء ، وجاء تمييزا مفسراً للحبّ الأقوى والأشدّ الذي رسخ في قلوب المؤمنين وثبت ، إذ إنّ محبّة المؤمنين هي الأقوى والأشدّ، وذهب الزمخشري إلى أنّ المراد ليس الموازنة بين محبوبية المشركين لأندادهم ومحبوبية المؤمنين لله تعالى فحسب ، وإنّما المراد التعبير عن رسوخ محبّة المؤمنين وعدم زوالها عنهم بحال [٤]، فالتفضيل إذن " ناظر إلى رسوخ المحبّة وعدم تزلزلها "[٥] وفي ذلك إشارة إلى مدح المؤمنين " لأنّهم كانوا لا يعدلون عنه إلى غيره ، بخلاف المشركين فإنّهم يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه ، فيقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله "[٦].

وقد عدل عن التفضيل بـ (أحبّ) إلى (أشدّ حبّاً) ، إذ إنّ (أحبّ) شاع في تفضيل المحبوب على محبوب آخر ، تقول : هو أحبّ إليّ ... يعني أنّ فعل (أحبّ) هو الشائع ، وفعل (حبّ) قليل ، فلذلك خصّوا في الاستعمال كلاًّ بمواقع نفياً للبس ، فقالوا : أحبّ وهو محبّ وأشدّ حبّاً ، وقالوا : حبيب من حبّ وأحبّ إلى من حبّ أيضاً [٧].

فاسم التفضيل (أشدّ) جاء مجردا من (أل) والإضافة ولفظ (من) ، ومميزاً بلفظة (الحبّ) ، وأصل الفعل يأتي للمفاضلة في الصلابة ، وثبات القلب والشجاعة ، وأصل الشدّ أن يدلّ على قوّة في الشيء ، وفروعه

١- ينظر : معاني القرآن – الفراء ٢ : ١٧٩ ، وأسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم : ١٣٨ .
٢- الكشاف ١ : ٢٣٧ - ٢٣٨ ، و ينظر : البحر المحيط ٢ : ٨٧ .
٣- ينظر : مفاتيح الغيب ٤: ٢٠٠ - ٢٠٤ ، وإرشاد العقل السليم ١: ١٨٥ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١: ١١٧ ، وروح ٣: ٧٤-٧٥ ، وتفسير الجلايين : ١٠٣ ، وتيسير الكريم المنّان في تفسير كلام المنّان ٢: ٨٠ ، ونظم الدرر ١: ٢٩٩ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ١: ٩٥ .
٤ - ينظر : الكشاف ١ : ٢٣٦ ، وروح المعاني ٢ : ٣٤ ، واسم التفضيل في القرآن الكريم – دراسة نحوية دلالية : ٢٥
٥ - التحرير والتنوير ٢ : ٩٢ .
٦- الكشاف ١ : ٢٣٧ - ٢٣٨ ، وينظر : البحر المحيط ٢ : ٨٧ .
٧- ينظر : التحرير والتنوير ٢ : ٩٣ .

ترجع إليه ، ومن ذلك شددت العقد شدّاً أشُدُّهُ [١] ، وغالباً ما يأتي التفضيل بـ (أشدّ) في الاستعمال اللغوي عموما والاستعمال القرآني على وجه الخصوص مميزاً بألفاظ دالة على الزجر والرهبة والتهديد والوعيد أو موحية بذلك [٢].

والمفضل عليه هنا محذوف ، وهو المتخذون الأنداد ، ومتعلق الحبّ الثاني فيه خلاف ، فقيل إنّ المعنى : "والذين آمنوا أشد حبّاً لله من المتخذين الأنداد لله ، لأنّ حبهم لله بواسطة ، ولأنّهم يعدلون عنه في الرخاء ، يلجئون إليه في الضراء ، وقيل المعنى : والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله من المتخذين الأنداد لأصنامهم"[٣] .

ونلحظ أنّ المعنى مختلف مع المتعلقين ، إذ إنّ المعنى مع المتعلق الأول يبنى على أساس أنّ التفضيل واقع بين محبّة المؤمنين لله تعالى ، وبين محبّة المشركين له تعالى ، أي إنّ كلاً يحبّ الله تعالى ، ولكن حبّ المؤمنين أكثر ، وبذلك فإن هناك ارتباطاً وعلاقة مشتركة بين المحبتين ، على حين نجد المعنى مع المتعلّق الثاني يختلف تماما – ولعلّه هو المراد – إذ لا شراكة بين المحبتين ، فالمؤمنون لا يحبّون الأنداد ، وإنما هو من قبيل : العسل أحلى من الخلّ ، والتقدير : محبّة المؤمنين لله زائدة على محبّة المشركين للأصنام والأنداد ، وانتصب (حبّاً) على التمييز، ومقتضى التمييز بالأشدّيّة إفراد المؤمنين له بالمحبّة ، وهو من التمييز المنقول من المبتدأ تقديره : حبّهم لله أشدّ [٤].

وفي موضع آخر من القرآن الكريم يأتي المصدر للدلالة على الميل والرغبة ، فقد ذكر الله تعالى الميل الواقع في طباع الناس للشهوات الدنيويّة ، وعبّر بلفظ (الحبّ) عن ذلك الميل لما في نفس الإنسان من تعلّق بمشتهيات الحياة وذلك في قوله تعالى ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ آل عمران : ١٤ ، والآية " كلام مستأنف سيق للتنفير عن الحظوظ النفسانية التي كثيراً ما يقع القتال بسببها إثر بيان حال الكفرة والتنصيص على عدم نفع أموالهم وأولادهم لهم وقد كانوا يعتزون بذلك" [٥].

وصياغة الفعل للمجهول يشير إلى أنّ " تركيبهم الفطري قد تضمن الميل تجاه المشتهيات ، وهذا الميل جزء من تكوينهم ، وإضافة الحب إلى الشهوات إشارة إلى أنّ المراد بحبّ الشهوات التوغل والانغمار في حبّها وهو المنسوب إلى الشيطان دون أصل الحبّ المودع في الفطرة وهو المنسوب إلى الله سبحانه "[٦]، والشهوات جمع شهوة وهي توقان النفس وثورانها وميلها إلى الشيء المشتهى ، وأُطلقت الشهوات هنا على الأشياء المشتهاة على وجه المبالغة في قوّة الوصف ، كونها مشتهاةً مرغوباً فيها كأنّها نفس الشهوات أو إيذاناً بانهماكهم في حُبّها حتى أحبوا شهوتها كقوله تعالى ﴿ **أحببت حب الخير** ﴾ ، والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات ؛ لأنّ الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها ، والتزيين تصيير الشيء زيناً أي حسناً ، فهو تحسين الشيء المحتاج إلى التحسين ، وإزالة ما يعتريه من القبح أو التشويه ، وتعليق التزيين بالحبّ جرى على خلاف مقتضى الظاهر ؛ لأنّ

---

١ - ينظر : العين ٦ : ٢١٣ ، ومقاييس اللغة ٣ : ١٧٩ .
٢ - ينظر : التفسير البياني للقرآن الكريم ١: ١١٥ ، اسم التفضيل في القرآن الكريم - دراسة دلالية : ١٤٨ .
٣ - البحر المحيط ١ : ٦٤٤ .
٤ - ينظر : البحر المحيط ١ : ٦٤٤ – ٦٤٥ ، واسم التفضيل في القرآن الكريم - دراسة دلالية : ١٥١ .
٥- روح المعاني ٤: ٦٠ .
٦- الميزان ٣: ١١٣ ، وينظر : الأمثل ٢ : ١٦٧ .

المزيَّن للناس هو الشهوات ، أي المشتهيات نفسها لا حُبّها ، فإذا زُينت لهم أحبوها ، فإنّ الحبّ ينشأ عن الاستحسان ، وليس الحبّ بمُزيَّن ، وهذا التعبير إيجاز يُغني عن أن يقال زُينت للناس الشهوات فأحبّوها[١] .

ويأتي الحبّ بلفظ المصدر ليدلّ على الحبّ الشديد الذي يُلمحُ منه معنى العشق ، والعشق شدّة الشهوة لنيل المراد من المعشوق إذا كان إنساناً ، والعزم على مواقعته عند التمكن منه ، ولو كان العشق مفارقا للشهوة لجاز أن يكون العاشق خالياً من أن يشتهي النيل ممن يعشقه [٢]. ولعلّنا نلحظ ذلك المعنى في قوله تعالى ﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ** ﴾ يوسف : ٣٠ ، فالشغف من مادة الشغاف ، وهو أعلى القلب أو الغشاء الرقيق المحيط بالقلب ، وشغفها حبا معناه أنها تعلقت به إلى درجة بحيث نفذ حبه إلى قلبها واستقرّ في أعماقه ، واستغرقت في حبّه وتولّهت في غرامه واشتغلت به عن كل شيء ، وقد أحاط بقلبها من كل جانب ، وهذا التعبير كناية وإشارة إلى الحبّ العظيم القاتل والعشق الشديد والمتلهّب [٣].

وفي قوله (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) انتصب (حبّاً) على التمييز لنقله عن الفاعلية إذ الأصل قد شغفها حبّه ، وأُضمر فيه الفاعل وفُسر بالتمييز ، ثمّ إنّ التمييز الذي يفسر الفاعل ينقل الفعل من دلالة الإخبار إلى دلالة الإنشاء ، وإضمار الفاعل وتفسيره بالتمييز يفيد أنّ الفعل خرج من الخبر إلى معنى آخر كالتعجّب أو المدح والذم ، وفي هذا التركيب إفادة التعجّب أي : ما أشغفه حُبّاً [٤].

والضمير المستتر في (شغفها) يعود على (فتاها)، ولما في الكلام من الإجمال جيء بالتمييز للنسبة بقوله (حُبّاً) للدلالة عن التمكّن ، وأصله : شغفها حُبُّهُ ، وجملة (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) في موضع التعليل لجملة (تراود فتاها) ، ومجيء الفعل بصيغة المضارع مع كون المراودة مضت لقصد الإنكار عليها في أنفسهنّ ولومها على صنيعها ، وليدلّ ذلك على أنّ المراودة هي من شأنها وعادتها ، فهي تفعل ذلك بإصرار واستمرار[٥]، والملاحظ أنهنّ في هذا الكلام واللوم قد جمعنّ لها بين العشق المفرط والطلب المفرط ، فلم تقتصد في حبّها ولا في طلبها ، أمّا العشق فقولهن (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) ، أي وصل إلى شغاف قلبها ، وأمّا الطلب المفرط فقولهن(تراود فتاها) والمراودة الطلب مرة بعد مرة [٦] .

ومما يؤيد معنى العشق وقوّته قول النسوة (**إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**) أي في محبّة شديدة ، ولمّا اقترن شدّة حبّها بالشهوة طلبت دفع الضرر عن نفسها بالكذب عليه ، ولو خلص من الشهوة طلبت دفع الضرر عنه بالصدق على نفسها[٧] .

ووردت (حبّ) مصدرا منصوباً موصوفاً بمعنى الحرص والشره والولع وثبات حبّ النفس للمال في قوله تعالى ﴿ **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** ﴾ الفجر : ٢٠ ، أي أنّ الناس من شدّة حرصهم على جمع المال وشهوتهم له فإنّهم يولعون به ويأخذ منهم كلّ مأخذ ، وقد جاءت (حبّاً) مصدراً تأكيدياً ليؤكّد هذا الحب الذي لصق بهم ، كما

١- ينظر : الكشّاف ١: ٣٧٠ - ٣٧١ ، والتحرير والتنوير ٣ : ١٧٩ .
٢- ينظر : الفروق اللغوية للعسكري : ١٤٠ .
٣- ينظر : الكشّاف ٢: ٤٣٦ ، ومفاتيح الغيب ١٨ : ١٠٥ ، والأمثل ٧ : ١٣٢ .
٤- ينظر : إرشاد العقل السليم ٤ : ٢٧٠ ، ومعاني النحو ١ : ٤٩٠ ، وبحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٨٩ .
٥- ينظر : التحرير والتنوير ١٢ : ٢٦٠ .
٦- ينظر : التفسير القيم ١ : ٤٨٢ .
٧- ينظر : النكت والعيون ٣ : ٣١ ، وبحر العلوم ٧ : ٣٧٦ ، وفي ظلال القرآن ٤ : ١٩٨٤ .

وصف هذا المصدر التأكيدي بـ (جمّاً) ، وهو نُعت للحُبّ بالكثرة وهذا النعت يُراد به الشدّة ؛ لأنّ المنعوت وهو الحبّ معنى من المعاني النفسية لا يُنعت بالكثرة التي هي وفرة عدد أفراد الجنس ، والجمّ : الكثير مستعار لمعنى القوي الشديد ، أي : حُبّاً مفرطاً ، وذلك محلّ ذمّ حُبّ المال وعدم إنفاقه ، وإشارة إلى معنى الردع والزجر عن الأعمال المعدودة قبله (١).

وممّا سبق نلحظ أنّ لفظة (محبّة) المصدر الميمي وردت مرة واحدة ، أمّا لفظة (حُب) المصدر الأصلي فقد ورد عدّة مرات ، والحقيقة أنّ لفظة (حبّ) في مرات ورودها جاءت سلوكاً من البشر تجاه الله تعالى ، أو تجاه موضوعات حياتية ، ولهذا عندما أراد الله تعالى أن يضيف لذاته العلية اسمًا من هذه المادّة جعله لفظة (محبّة) ، وليس لفظة (حبّ) المستعملة مع البشر ، ومن هنا نجد أنّ الحبّ بصيغته المصدرية إذا كان حاصلاً من البشر جاء بكلمة (حبّ) ، وإذا كان إلقاء من الله تعالى كان بكلمة (محبّة) ، وهذا تخصيص لمعنى الكلمة يعود إلى الجهة أو المصدر ، لذلك كانت محبّة الله تعالى التي أُلقيت على موسى (عليه السلام) قد استقرّت في ذات موسى ، وأخذت تشعّ منها كما يشعّ الضوء من الشمس والنور من القمر والعبير من الزهرة ، ولهذا كان شذاها الطيّب يجذب الناس إليه ويجعلهم يحبّونه .

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أنّ المصدر أكثر شيوعاً في الاستعمال من المصدر الميمي ، وهو هنا كذلك ، والشائع يناسبه أن يُستعمل مع الكثرة ، أما النادر فيناسبه أن يُستعمل مع القلّة ، ولهذا استُعملت كلمة (حبّ) مع البشر لأنّهم كثرة ، واستُعملت كلمة (محبّة) مع الله تعالى لأنّه ليس موضوعًا للكثرة ، بل هو الوحدانية عينها ، فناسبت كل كلمة من الكلمتين بما جاءت له .

(الصفة المشبّهة) بصيغة الجمع (أحبّاء) :

وتأتي لفظة (حبّ) على صيغة جمع التكسير (أحبّاء) على زنة (أفعلاء) وهو جمع (حبيب) الصفة المشبّهة ليدلّ على الإنعام والتكريم واللطف والحنوّ والعناية والرعاية ، وذلك على لسان اليهود والنصارى بادعائهم أنّ الله تعالى أكرمهم وأنعم عليهم وفضّلهم على الآخرين فجعلهم أبناءه وأحباءه في قوله تعالى ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ المائدة : ١٨ ، أي المنعم عليهم بكمال رحمته وعنايته بهم ، وجاء " أنّه لمّا دعاهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) إلى الإيمان به وخوّفهم العذاب ، قالوا نحن لا نخاف ما تقول ، لأنّنا أبناء الله وأحباؤه " (٢)، وبذلك قال الله تعالى لنبيّه : قل لهؤلاء الكذبة المفترين على ربّهم ، فَلِمَ يعذبكم ربكم ... وإنّ الحبيب لا يعذّب حبيبه وأنتم مقرّون أنّه معذبكم(٣)، وعطف (أحباؤه) على (أبناء الله) " إشارة إلى قصدهم بأنّهم أبناء محبوبون ، إذ قد يكون الابن مغضوباً عليه" (٤) .

ومن خلال استعمال القرآن الكريم لصيغ الجموع نلحظ أنّ التعبير بصيغة (أبناء) الجمعية جاءت على (أفعال) التي للقلّة ، والأبناء إذا ما قيسوا بالقرابة والعشيرة فهم قلّة ، وهذه القلّة لها خصوصيتها عند الله تعالى ،

١- ينظر : التحرير والتنوير ٣٠ : ٣٣٤ ، وبحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٩٠ .
٢- المحرر والوجيز ٢: ١٧٢ .
٣- ينظر : الكشاف ١: ٦٠٢ ، وجامع البيان ٦: ١٠٦ ،
٤- التحرير والتنوير ٦: ١٥٦ .

وهم بحسب إدعائهم أرادوا هذه الخصوصية ، أمّا التعبير بصيغة (أحبّاء) فهي على (أفعلاء) التي للكثرة ، وقد عُطفت على سابقتها لتعبّر عن خصوصية كثرة المحبّة التي هي العناية والرعاية واللطف الإلهي .

اسم التفضيل (أحبّ) :

وردت لفظة (حبّ) في الاستعمال القرآني على صيغة (أحبّ) اسم التفضيل في ثلاثة مواضع ولعلّها كلّها كانت تعني الإيثار والتفضيل ، جاءت في قوله تعالى ﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ التوبة : ٢٤ ، ووردت لفظة (أحبّ) لتدلّ على الإيثار متممة بذلك سياق النهي ومبينة جزاء التفضيل والإيثار في الآية السابقة من سورة التوبة وهي قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ التوبة : ٢٣، أي آثروا الكفر وفضّلوه على الإيمان ، وبذلك يأخذ السياق باستعراض ألوان الوشائج والمطامع واللذائذ ، ليضعها كلها في كفّة ويضع العقيدة ومقتضياتها في الكفّة الأخرى ، ليحذّر المخاطبين من إيثارهم كفّة المطامع على كفّة العقيدة ، فتكون آثر في نفوسهم وأقرب إلى قلوبهم ، فانتظروا ما تقتضيه مشيئة الله من عقوبتكم [١].

وجاءت على لسان إخوة يوسف(عليه السلام) في قوله تعالى ((**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**)) يوسف : ٨ ، وذلك أنّ يعقوب (عليه السلام) كان شديد الحبّ ليوسف لما رأى فيه من دلائل النبوّة بالمقارنة لأخوته لما رأى فيهم من سوء الخلق والفساد والحسد ، وكان يوسف من أحسن الناس وجهاً ، وكان يعقوب يؤثره على أولاده فحسدوه ، ثمّ رأى الرؤيا فصار حسدهم له أشدّ ، وجاء أنّه كان يرحمه وأخاه ويقربهما لصغرهما وهذا الحب ناشئ من الفطرة البشرية [٢]، وافتُتحت الآية بلام الابتداء لتأكيد وتحقيق مضمون الجملة ، فأرادوا أنّ زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه ، أمّا قولهم (ونحن عصبة) فإشارة إلى أنّ يعقوب (عليه السلام) كان يفضلهما ويؤثرهما عليهم في المنزلة والمحبّة ، وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ، ونحن جماعة عشرة رجال ، فنحن أحقّ بزيادة المحبّة منهما ، لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما[٣]، أمّا أنهم لم يذكروا اسم أخي يوسف وذلك للإشعار بأنّ من أسباب محبّة يعقوب له أنّه شقيقٌ ليوسف ، ولذا كان حسدهم ليوسف أشدّ[٤] . وممّا يؤكّد مضمون إيثار وتفضيل يوسف وأخيه دخول لام الابتداء ، فبدخولها تحقّق وتأكّد حبّ يعقوب (عليه السلام) ليوسف (عليه السلام) وأخيه ، وهي التي تفيد التحقّق والتأكيد [٥]، إذ إنه بحذفها يحتمل المعنى أن الحب غير متحقق . وبذلك يختلّ المعنى المراد .

وجاءت على لسان يوسف (عليه السلام) في قوله تعالى ﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ يوسف : ٣٣، أي ربِّ إني لو خيرت بين السجن وبين ما يدعونني إليه لآثرت السجن على غيره ، وهذا ما حققته لنا (أحبّ) التفضيلية ، وليس فيه دلالة على كون ما يدعونه إليه

١- ينظر : مجمع البيان ٥: ٣٢ ، وفي ظلال القرآن ٣: ١٦٤٧ ، والتحرير والتنوير ١٠ : ١٥٣ ، واسم التفضيل في القرآن الكريم – دراسة نحوية دلالية : ١٦٥ .
٢- ينظر : معالم التنزيل ٣: ١٥٢ ، ومجمع البيان ٥: ٤٠٦ ، والنكت والعيون ٣: ٩ ، وبيان النظم في القرآن الكريم ٢ : ٣٦٨ .
٣- ينظر : الكشّاف ٢: ٤٢١ ، وبحر العلوم ٧ : ٢٢٦ ، والتحرير والتنوير ١٢: ٢٢٠ - ٢٢١ .
٤- ينظر : إرشاد العقل السليم ٤: ٢٥٥ ، والتفسير الوسيط ١٢: ١٦ .
٥- ينظر : البحر المحيط ٥ : ٢٨٢ .

محبوباً عنده بوجه إلا بمقدار ما تدعو إليه داعية الطبع الإنساني والنفس الأمارة [١]، وجاء في البحر المحيط " أنّ أحبّ هنا ليست على بابها من التفضيل ، لأنّه لم يحبّ ما يدعونه إليه قط ، وإنّما هذان شرّان فآثر أحد الشرّين علـى الآخر"[٢]، ويرى أستاذنا الدكتور فاخر الياسري أنّها جاءت على بابها[٣] بدليل أنّـه (عليه السلام) فضّل السجن مع ما فيه من الألم والشدّة وضيق النفس على ما يدعونه إليه من الاستمتاع بالمرأة الحسنة على ما فيه من اللذّة ، ولكنّه كره فعل الحرام وفضّل مقاساة السجن ، فلمّا علم أنّه لا محيص من أحد الأمرين صار السجن محبوباً إليه بعدّه أنّه يخلصه من الوقوع في الحرام[٤]، إذن فنزول السجن مشقّة على النفس شديدة ، وما دعونه إليه لذّة عظيمة ، وكانت المشقّة أحبّ إليه وآثر عنده نظراً في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما ، لا نظراً في مشتهى النفس ومكروهها[٥]. وقد أوّل الشريف المرتضى معنى (أحبّ) بـ(أخفّ وأسهل)[٦] .

وإلى معنى الإيثار ذهب المفسّر أبو السعود فقال " إنّ أحبّ إليّ بمعنى آثر عندي ، لأنّ السجن مشقّة قليلة نافذة ، إثرَها راحات جليلة أبديّة من مؤاتاتها التي تؤدي إلى الشقاء والعذاب الأليم ، وهذا الكلام منه (عليه السلام) مبنيّ على ما مرّ من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها "[٧] .

ويبدو أنّ هذا التعبير بصيغة التفضيل كان تعبيراً قرآنياً مميزا ودقيقاً دالاً على معنى الضدّ ، فقوله تعالى (أحبّ إليّ) يعني أقلّ بغضاً مما يدعونني إليه ، لما علم من سوء عاقبة المعصية بعد سرعة انقضاء اللذّة ، وهذه العبارة تدلّ على غاية البغض لموافقتها ، فإنّ السجن لا يُتصور حبّه عادة ، وإنّما المعنى أنّه لو كان يتصور الميل إليه كان ميلي إليه أكثر ، ولكنّه لا يتصور الميل إليه لأنّه شرّ محض ، ومع ذلك فأنا أوثره على ما يدعونني إليه لأنّه أخفّ الضررين ، والحاصل هنا أنّه أطلق المحبّة على ما يضادّها في هذا السياق من البغض بدلالة الالتزام[٨].

ويفاضل بين الشيئين أو الأشياء باسم التفضيل الذي يصاغ على وزن (أفْعَل) بشروط معينة ذكرتها كتب اللغة والنحو ، ويدل اسم التفضيل على الزيادة في أصل الفعل غالباً ، ولا يخلو المفضل عليه في أصل مشاركة المفضل في المعنى في الغالب كقولك (سيبويه أنحى من الكسائي) ، فالكسائي مشارك لسيبويه في النحو ، وإن كان سيبويه قد زاد عليه في النحو، وقد تكون المشاركة تقديرية لا حقيقية ، وليست ثمّة مشاركة بين المفضل عليه والمفضل في أصل الوصف ، والمراد بالمشاركة التقديرية مشاركته بوجه ما ، كقولهم في البغيضين : (هذا أحسن

١- ينظر : الميزان ١١ : ١٥٦ ، والقصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف ١ : ٣٧٩ .
٢- البحر المحيط ٦ : ٢٧٣ .
٣- ينظر : بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٩٤ .
٤- ينظر : التحرير والتنوير ١٢: ٢٦٥ .
٥- ينظر : الكشّاف ٢: ٤٤١ .
٦ - ينظر : أمالي المرتضى ١ : ٤٩٠ .
٧- إرشاد العقل السليم ٤ : ٢٧٣ ، وينظر : روح المعاني ١٢: ٣٢٠ .
٨- ينظر : نظم الدرر ٤ : ٣٥ .

من هذا) ، وفي الشريّن : (هذا خير من هذا) ، وفي الصعبين :(هذا أهون من هذا)، وفي القبيحين :(هذا أحسن من هذا) ، كما هو في التنزيل ، وتأويل ذلك : هذا أقلُّ بغضاً وأقلّ شرّاً وأهونُ صعوبةً وأقل قبحاً [١] .

ودلالة (أحبّ) على التفضيل في الآيتين الأولى والثانية واضحة ، فيمكننا ملاحظة أنّ اسم التفضيل بـ(أحبّ) جاء للدلالة على الزيادة الحقيقية التي تقتضي اشتراك المتفاضلين في أصل الوصف (المحبة) ، وزيادة أحدهما فيها على الآخر ، وذلك في المفاضلة بين متناظرين ، أو خيرين فهو في الآية الأولى يدل على أن يعقوب كان يحب جميع أبنائه ، لكنه كان يفضل يوسف وأخاه عليهم بزيادة محبته لهما . أما آية التوبة ، وهي كما قال الزمخشري : " تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين ، واضطراب حبل اليقين "[٢] فمعنى التفضيل فيها ، قل : إن كانت هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا بما تحبون حتى يأتي الله بعقوبة عاجلة أو آجله[٣] .

أمّا الآية الأخيرة فجاءت لتبيّن الدلالة على المشاركة التقديرية بين المتفاضلين ، وذلك في المفاضلة بين البغيضين ، وهما السجن والمعصية ، أي أنّ يوسف (عليه السلام) دعا ربّه متضرعاً إليه مفضلاً الحبس في السجن ، على أن يفعل ما يدعونه إليه من الفاحشة والمعصية ، فليس في أحدهما استحباب حقيق ، ولا اشتراك في أصل الوصف ، ذلك أنّ الصفة التي يقوم عليها التفضيل تنقسم – من حيث وجودها في الطرفين المتفاضلين وعدمه – على حالات ثلاث[٤] :

الحالة الأولى : أن تكون الصفة مشتركة بين المتفاضلين معاً ، " فلا تخلو أفعل التفضيل المجردة من (أل) والإضافة والمقرونة بـ(من) من مشاركة المفضل في المعنى غالباً ولو تقديراً ، فإذا قيل : سيبويه أنحى من الكسائي ، فالكسائي مشارك لسيبويه في النحو ، وإن كان سيبويه قد زاد عليه في النحو"[٥] .
الحالة الثانية : أن تكون الصفة في أحدهما دون الآخر ، كقولنا : الجنة أحبّ إليّ من النار .
الحالة الثالثة : أن لا يكون للصفة التي قام عليها التفضيل اشتراك بين المتفاضلين ، ولا وجود في أحدهما ، كقوله تعالى ﴿ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إليه ﴾ فليس في السجن ولا فيما يدعونه إليه من الفاحشة والمعصية أيّة شراكة في صفة المحبة ؛ لذلك أوّل الرازي الآية بقوله : " أنّ تلك اللذة كانت تستعقب آلاماً عظيمة ، وهي اللّوم في الدنيا ، والعقاب في الآخرة ، وذلك المكروه ، وهو اختيار السجن ، كان يستعقب سعادات عظيمة ، وهي : المدح في الدنيا ، والثواب الدائم في الآخرة"[٦] ، فاستعمل أحبّ نظراً إلى العاقبة ، لا إلى ما تشتهيه النفس وتكرهه ، فاختار يوسف الصبر في السجن مع ما فيه من المشقة والشدة ، بوصفه مخلصاً من الذنب ومستوجباً لرضى الرب ، فالمشاركة بين السجن وما يدعونه إليه في صفة المحبة مشاركة تقديرية[٧] ، فليس في نفس المتكلم قدر مشترك

١- ينظر : همع الهوامع ٢ : ١٠٤ ، ومعاني النحو ٤ : ٢٦٧ .
٢- الكشاف ٢: ٤٢٧ .
٣- ينظر : مفاتيح الغيب ٦:١٧ .
٤- ينظر : اسم التفضيل في القرآن الكريم - دراسة دلالية : ٣٧ .
٥- همع الهوامع ٢:١٠٤ .
٦- مفاتيح الغيب ٦ : ٤٥١-٤٥٢ .
٧- ينظر : ارتشاف الضرب ٣ : ٢٢٧ .

من الحب للسجن أو للفاحشة ، وإنّما القدر المشترك هو البغض والكره ، اللذان يضادان الحب ، فالاشتراك إنما هو في أمر مضاد في معناه لمعنى (الحب) المذكور ، هو في أمر السجن معصية وما يدعونه إليه معصية فلا يجوز أنّه يريده ، أي لم يرد بالمحبة التي هي الإرادة ، وإنّما أراد أن ذلك أخف عليّ وأسهل [١]، لذلك أوّل القرطبي أحبّ هنا بمعنى " أسهل عليّ أهون من الوقوع في المعصية "[٢]، ويرى ابن عاشور أنّ " اسم التفضيل هنا مسلوب المفاضلة "[٣].

وانطلاقاً من قيد التفضيل في الآية يمكننا القول بأنّ السجن بوصفه مكاناً ، والزنا بوصفه لذة ، بصرف النظر عما يستعقبهما ويتعلق بهما من ألم وشرور ، يشتركان في صفة الحب ، فلمّا كان الأول منجياً من الصبو إليهن ، فهو أولى ، فعظمت الفاحشة عنده حتى صار يرى أشد الأشياء مشقة وكرباً ، أهون الأشياء وأحبّها إلى قلبه قياساً إلى المعصية .

ويرى أحد الباحثين أنّه ماذا لو وضعت لفظة (أبغض) ، وهو مما يشترك فيه المتفاضلان بدلاً عن لفظة (أحبّ) ؟ أما كان لِيفسد معنى الآية ؟ إذ التقدير – وهو مخيّر – : ربِّ ما يدعونني إليه أبغض إليّ من السجن ، وعلامة فساد المعنى ، أنّه لا يدل على رفض طلبهن ، فإطلاق الحكم بزيادة البغض لما يدعونه إليه على السجن ، لا يدل على اختياره السجن ، فكم هي الأمور التي تكون أبغض الأشياء إلينا ، ونكون أسرع الناس إليها ؟ وإنّ ضعف التركيب ، وركاكة التعبير، لا تخفى على من تذوق معاني القرآن ، ولامسَ مفرداته ، وهو أيضا يشعر بضعف إيمانه وفتوره حاشاه من ذلك ، كيف ذاك وقد ثبتت قدماه على منبر الطهر والعفة ؟ فهل نجد أحداً بعد ذلك يجيء بلفظ أحسن من أحبّ [٤].

١- ينظر : مجمع البيان ٥ : ٤٤٥ .
٢- الجامع لأحكام القرآن : ٩:١٢١ .
٣- التحرير والتنوير ١٢ : ٢٦٥ .
٤- ينظر : اسم التفضيل في القرآن الكريم - دراسة دلالية : ١٤٧ .

٢- (ودّ) :-

(ودّ) في المفهوم اللغوي :-

الودّ مصدر وَدِدتُ وهو يَوَدّ من الأمنية ومن الموَدّة ، ويقال : هذا وِدُّك ووديدُك كما تقول حِبُّك وحبيبُك [١]، ودِدْتُ لو تفعل ذاك ، أي : تمنيت ، ووددت الرجل أودّه إذا أحبّه ، والودّ بكسر الواو وضمها وفتحها من المودّة ، والودود : المحبّ [٢]، والوِدّ بالكسر وبالضمّ : المحبّة والرضا[٣]، والودُّ مصدر المودّة ، والودّ : الحبّ يكون في جميع مداخل الخير ، ووِدّ الشيء (وُدّا ووُدادا) بضم الواو وكسرها وفتحها أحبّه [٤]، و" الودود في صفات الله تعالى فهو يودُّ عباده الصالحين ويُحبّهم وهو فعول بمعنى مفعول من الوُدّ : المحبّة " [٥].

والودّ عند الراغب " محبة الشيء وتمني كونه ، ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أنّ التمني يتضمن معنى الودّ ، لأنّ التمني تشهي حصول ما تودّه ، وتأتي المودة على عدّة معانٍ منها الألفة والتمني والمحبة والموالاة والرضا"[٦]. وبهذا فقد جمع الراغب الأصفهاني في تعريف المودّة بين المحبّة والتمني ، لمّا في التمني من شدّة الاشتياق لحصول الشيء المطلوب ، ويُستدلّ ممّا سبق أنّ الودّ والمودّة انفعال نفسي مليء بمشاعر الحبّ يُعبّر فيه الإنسان عن صفو المحبّة وخالصها ، وهي بذلك أشدّ من الحبّ ، وألصق في النفس .

وإذا تتبعنا أصل (ودّ) وجدناها مأخوذة من الوَتد ، وهو ما يُثبّت بالحائط أو الأرض ، يقول الراغب " يصحُّ أن يكون وتَد فأدغمَ ، وأن يكون لتعلّق ما يُشدّ به أو لثبوته في مكانه فتُصوّر منه معنى المودّة والملازمة "[٧]، وهذا يعني أنّ دلالة هذا الأصل انتقلت من المادّي المحسوس وهو الوتَد ، وذلك لثباته وملازمته الأرض إلى المعنى المجرد وهو الثبوت واللزوم .

(ودّ) في الاستعمال القرآني :-

تأتي لفظة (ودّ) وتصريفاتها في الاستعمال القرآني على عدّة وجوه دلالية ، أشارت كتب اللغة والتفسير إلى بعض منها ، فقد ذكر البلخي[٨] وجوها عدّة لـ (ودّ) في الاستعمال القرآني ، غير إننا وبعد تتبعنا لدلالات هذه اللفظة في كتب اللغة والتفسير وجدنا وجوهاً أُخر غير ما ذُكر ، ولنا أن نستجلي تلك الوجوه والدلالات من خلال النظر إلى سياق اللفظة ومقامها في النظم القرآني ، زيادة على اختلاف صورها ، ومن الطبيعي أنّها تتشكّل على صورتين فعلية واسمية ، مبتدئين ببيان دلالات الصـور الفعلية منها ثمّ الصور الاسمية .

١- العين ٨ : ٩٩ (ودد)، واللسان ١٥ : ٢٤٨ (ودد).
٢- جمهرة اللغة ١: ٣٥ (ودد)، والصحاح ٢: ٥٤٩ (ودد) .
٣- المثلث ٢ : ٤٧٠ ، وينظر : فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات : ٢٥٦ .
٤- واللسان ١٥: ٢٤٨ (ودد).
٥- اشتقاق أسماء الله للزجاجي : ١٦٤ ، وينظر : النهاية في غريب الحديث الأثر ٥ : ٣٦٣ .
٦- مفردات ألفاظ القرآن : ٨٦٠ ، وينظر : معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ٩٤٤ .
٧ - المصدر نفسه : ٨٦٢ .
٨- ينظر : الوجوه والنظائر، البلخي : ١٤٥ .

أولاً : (ودّ) في صورتها الفعلية :

(أ) الصورة الماضوية :

(ودَّ) :

جاءت هذه اللفظة بصيغة الماضي المسند إلى الظاهر لتدلّ على التمني ويراد به الرغبة في تحقيق شيء محبوب [١]، أو هو طلب حصول شيء على سبيل المحبة ، أو بشرط المحبّة ونفي الطماعية[٢] في قوله تعالى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة : ١٠٩ ، فالآية مناسبة لما تقدّمها من أخبار حسد أهل الكتاب ، واليهود منهم خاصّة ، وفي الآية بيان للون من ألوان الشرور التي يضمرها أهل الكتاب وعلى رأسهم اليهود ، وهو تمنيهم ارتداد المسلمين عن دينهم الحقّ ، إلى الكفر الذي أنقذهم الله تعالى منه ، وإنّ إسناد هذا التمني الذميم إلى الكثرة منهم ، إنصافاً للقلّة المؤمنة التي لم ترضَ أن ينتقل المسلمون إلى الكفر بعد أن هداهم الله إلى الإسلام ، والذي بعثهم على هذا التمني هو الحقد والحسد ، فجعلهم يحسدون المؤمنين على نعمة الإيمان ويتمنون التحوّل عنه إلى الكفر[٣]، " والتمني كائنٌ من عند أنفسهم وتشهيهم لا من التدبّر والميل إلى الحقّ "[٤].

وفي موضع آخر تأتي لفظة (ودّ) بصيغتها الماضوية المسندة إلى ضمير الجمع الغائبب ، لتدلّ على معنى المحبّة الممزوج بتمنّي القبول ، ولتعبّر عن حال الكافرين في محبتهم لإدهان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) في قوله تعالى جاء ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ القلم : ٩ ، فالآية تعليل للنهي السابق في قوله تعالى ﴿ فلا تطع المكذبين ﴾ القلم : ٨ ، وإنّما عبّر عنها بالطاعة للمبالغة في التنفير، والإدهان : اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام ، وانجرار بالباطل وإغماض عن الحقّ مع المعرفة ، والمعنى : أحَبّوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الأمور (فيدهنون) طمعاً في إدهانك ، وقيل إنّ المعنى لا يناسب إدخاله تحت التمني ، لأنّ إدهانهم أمر مفروغ منه محقق في نفوسهم [٥]، إذ ليس المراد أنّهم ودّوا ذلك في نفوسهم فأطلع الله تعالى عليه رسوله (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، بل أنّهم عرضوا الإدهان على الرسول [٦].

وقال البقاعي : " إنهم أحبّوا محبّة عظيمة واسعة متجاوزة الحدّ قديماً مع الاستمرار على ذلك ، وأكّد تهالكهم على هذه الودادة بما يفهم التمني وإنّ ذلك مستمرٌّ منهم لا أنّه وقع ومضى " [٧].

---

١ - ينظر : البرهان في علوم القرآن ٢ : ٣٢٣ .
٢ - ينظر : شرح التلخيص ٢ : ٢٣٨ ، والإتقان في علوم القرآن ٣ : ٢٤٤ .
٣- ينظر : الكشاف ١: ٢٠٢ ، وتفسير غريب القرآن : ٣١٠ ، والتفسير الوسيط ١ : ١٨٩ .
٤- إرشاد العقل السليم ١: ١٤٥ . جاء معنى التمني في : آل عمران : ٦٩ ، ١١٨ ، والنساء : ٨٩ ، ١٠٢ ، والممتحنة : ٢ .
٥- ينظر : مفاتيح الغيب ٣٠ : ٧٤-٧٥ ، ومجمع البيان ١٠: ٩٥ ، وإرشاد العقل السليم ٩: ١٣ ، والميزان ١٩ : ٣٨٧ ، وفي ظلال القرآن ٦ : ٣٦٥٨ .
٦- ينظر : التحرير والتنوير ٣٠: ٦٩ .
٧- نظم الدرر ٨: ١٠٠ .

(ب) الصورة المضارعيّة :

(يودّ) :

وعبّر القرآن الكريم عن محبّة الشيء وتمني وقوعه بلفظة (الودّ) بصيغة الفعل المضارع المنفي بـ(ما) في قوله تعالى ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ البقرة : ١٠٥ ، للدلالة على أنّهم ما يحبّون ذلك بقوّة وما يتمنون كونه للمسلمين ، وعبّر بالنفي للدلالة على الكراهة ، وأتى بـ(ما) إشارة إلى أنّهم متلبسون بالبغض والحقد والكراهة[١]، والمعنى " أنّهم يرون أنفسهم أحقّ بأن يوحى إليهم فيحسدونكم وما يحبّون أن ينزل عليكم شيء من الوحي ، ونزلت الآية تكذيباً للذين يزعمون أنهم يودّون المسلمين ، وتنبيهاً وتحذيراً للمسلمين من الاطمئنان لهم والثقة بهم" [٢].

وشبيه بالتعبير السابق الدال على المحبّة جاء في قوله تعالى ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ البقرة : ٢٦٦ ، والآية جاءت في سياق آيات لبيان أمر الإنفاق ، وهي تحث المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله تعالى [٣]، والمعنى : أيحبُّ أحدكم حُبّاً شديداً – أيُّها المنفقون في غير مرضاة الله – أن يكون له بستان يحوي على شتى الثمرات ، والحال أنه قد تقدّمت به السن وله ذرية صغار ، وأصاب ذلك البستان الذي هو مصدر عيشهم ، أصابه إعصار فيه نار فاحترق ، وهو مثل ضربه الله تعالى في الحسرة بسلب النعمة ، وهو للمرائي في النفقة ، لأنّ ينتفع بها عاجلا وتنقطع عنه آجلاً ، وهمزة الاستفهام الداخلة على الفعل لإنكار الوقوع ، والتقدير : لا يودّ ، أو ليس منك أحد يودّ [٤].

وجاء معنى التمني بصيغة الفعل المضارع في قوله تعالى ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾ المعارج : ١١-١٤ ، ذكر كثير من المفسرين أنّ معنى (الودّ) هو التمني ، والتمني بـ (ودّ) ومشتقاته يتضمن محبّة الشيء وتمني كونه[٥]، وفي الآية بيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ به إلى حيث يتمنى أن يفتدي بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه ، فضلا عن أنّه يهتم بحاله ويسأل عنها [٦]، ويكون التمني إمّا بخاطر يخطر في نفسه عند رؤية العذاب ، وإمّا بكلام يصدر منه ، ولعلّ الكلام هو الظاهر إذ إنّ الكافر يصرخ يومئذٍ فيقول : أفتدي من العذاب ببنيّ وصاحبتي وفصيلتي ، فيكون ذلك فضيحة له بين أهله [٧].

ونظير المعنى السابق قوله تعالى ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ الحجر : ٢ ، المُراد به ودادة التمني لا مطلق الودادة والحبّ ، والدليل على ذلك قوله في بيان هذه المودّة (لو كانوا مسلمين)، فإنّ لفظي(لو)

١- ينظر : البحر المحيط ١: ٥٤٤ ، وروح المعاني ٢: ٣٧١ ، والتفسير الوسيط ١: ١٧٨ .
٢- الكشاف ١: ٣٤١ ، وإرشاد العقل السليم ١: ١٤١ .
٣- ينظر : الميزان ٢: ٣٩٦ .
٤- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٢: ٣٤١ ، ومفاتيح الغيب ٧: ٥٥ ، والبحر المحيط ٢: ٦٧١ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١: ١٥٩ ، ومعالم التنزيل ١: ٢٣٧ ، والأمثل ٢ : ٣٠٥ ، وفتح القدير ١: ٢٨١ .
٥- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ١٠: ١١٨ ، ومفاتيح الغيب ٣٠: ١١٣ ، ومجمع البيان ١٠: ١٣٤ ، والميزان ٢٠: ١٠ ، وفتح القدير ٢: ١٠٨١ ، وفي ظلال القرآن ٦: ٣٦٩٥ .
٦- ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥: ٢٤٥ ، وروح المعاني ٢٧ : ٤٢٥ ، والميزان ٢٠: ١٠.
٧- ينظر : الدر المنثور ٨: ٢٦٢ .

و(كانوا) تدلان على أن ودادهم وداد تمنٍ ، وأنّهم يتمنون الإسلام بالنسبة إلى ماضي حالهم مما فاتهم ولن يعود إليهم إلاّ الإسلام وما داموا في الدنيا [١] .

والآية خبر مستعمل في التهديد والتهويل الخفيّ ، والحث على انتهاز الفرصة المعروضة للإسلام والنجاة ، وذكر بعض المفسرين أنّ(ربما) للتقليل ، والتقليل هنا مستعمل في التهكّم والتخويف ، وبهذا فقد نُظِرَ إلى قلّة زمان إفاقتهم من العذاب بالنسبة إلى زمان دهشتهم منه ، ومنهم من قال إنّها للتكثير ، أي كثرة تمنيهم أن لو كانوا مؤمنين [٢]، والمشهور أنّها تدخل على الماضي ، ودخولها على المضارع هنا لبيان أنّ المترقّب في أخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه [٣]، أمّا الإتيان بفعل الكون الماضي فللدلالة على أنّهم يودّون الإسلام بعد مضي وقت التمكّن من إيقاعه[٤] .

ومن المعلوم أنّ الفعل المضارع قد اقترن زمنه بالحال أو الاستقبال ، ولكنه قد يدلّ على المضيّ في مواضع معينة ، منها إذا دخلت عليه (ربّما) ، فيقول النحاة أنّها مختصّة بالدخول على الفعل الماضي ، فإذا دخلت على المضارع ، فإنها تصرف معناه إلى الماضي ، وزمان الفعل في الآية المضي ، أي : ودّ [٥]، وجاز دخولها على المضارع ، لأنّ المستقبل معلوم عند الله تعالى كالماضي ، أي الأمور الأخروية غالب عليها في القرآن ذكرها بلفظ الماضي ، وقيل : هو على حكاية حال ماضية مجازاً مثل قوله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾الكهف:٩٩، وقوله تعالى ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ... ﴾الزمر:٧١، وقيل إنّ أصل الكلام : ربما كان يودّ ، فحذف (كان) لكثرة استعماله مع ربما [٦]، " والمشهور جواز دخول (ربما) على الماضي بلا تأويل" [٧].

ولحظ أحد الدارسين أنّ معنى الودّ هنا أعمق من كونه للتمنّي ، ويتأتّى ذلك من دخول (ما)على (ربّ) وقيمتها الدلالية التي تؤديها ، فجعلها أكثر اللغويين كافّة زائدة ، والحقيقة أنّها من صميم بنية التركيب ومضمون الكلام ، وتؤدي قيمة تعبيرية غاية في الدقّة والجمال ، وليست زائدة أو صلة كما يُظنُّ ، وإنّ مجيئها في الآية للدلالة على أنّ كثيراً ما يروق الإسلام في أعين الكافرين من أصحاب القلب السليم والحسّ الصادق ، وكثيراً ما تعرض لهم الحقيقة والانتقال من حالة الكفر إلى أن يكونوا مسلمين بحقّ ويقين ، وإنّ إشراق نفوسهم وقلوبهم وأرواحهم بالإسلام كثيراً ما يطفو على السطح حتى يكون مطلبا حقيقيا مقصوداً متعمداً منهم ، وكلّ ذلك المعنى قد استدعاه وجود (ما) في بنية التركيب [٨].

١- ينظر : الميزان ١٢: ٩٥ ، وأسئلة وأجوبة قرآنية تفسير وتأويل ٢ : ٨ .
٢- ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣ : ٢٠٦ ، وفتح القدير ١: ١١٦٩ ، والتحرير والتنوير ١٤: ١٠ ،والتفسير الوسيط ١٤: ٥
٣- ينظر : الكشّاف ١: ٥٣٣ .
٤- ينظر : التحرير والتنوير ١٤: ١١ ، وجاء معنى التمني بلفظ (الود) بصيغة الفعل المضارع في مواضع عديدة في الاستعمال القرآني ، وهذه المواضع هي : البقرة : ٩٦ ، آل عمران : ٣٠ ، النساء : ٤٢ ، الأحزاب : ٢٠ ، المعارج : ١١ .
٥- ينظر : معاني النحو ٣ : ٢٨٤ ، ومغني اللبيب ١ : ١٥٧ .
٦- ينظر : شرح الرضي على الكافية ٤ : ٢٩٥ ، ومغني اللبيب ١ : ٣٤٠ ، والمتشابه اللفظي في القرآن الكريم : ٣٠٥ .
٧- المقتضب ٢ : ٤٨ ، ٥٥ .
٨- ينظر : أضواء على القيمة اللغوية والدلالية للأحرف التي قيل بزيادتها في القرآن الكريم : ١٣٣ – ١٣٤ .

(تودّون) :

تأتي هذه الصيغة المضارعية لتؤدي معنى التمني في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ الأنفال : ٧ ، تشير الآية إلى معركة بدر ، والمراد بإحدى الطائفتين (العير والنفير) أي : " تريدون وتتمنون أن تكون لكم العير ، لأنّها الطائفة التي لا حدّة لها ولا شدّة "[١]، وهذه المحبّة وهذا التمني تخالف إرادة الله تعالى لعلمه بصالح المسلمين ، وفي الفعل المضارع دلالة التجدد في تمني الحالة الأسهل .

(يوادّون) :

جاءت صيغة (يوادّون) المضارعية الدالة على المشاركة لتؤدّي معنى الموالاة والميل في قوله تعالى ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة : ٢٢ ، فمعنى يوادّه يواليه ، الموادّة هنا هي الموالاة والصداقة والميل بالنصرة والمحبّة ، والمعنى لا تجتمع موالاة الكفار مع الإيمان ، وهو الموالاة في الدين ، فنهى الله تعالى عن موالاة الكفار وعن مظاهرتهم [٢]، ونفي وجدان قوم على هذه الصفة دلالة عن أنّ الإيمان الصادق بالله واليوم الآخر لا يجامع مواداة أهل المحادّة والمعاندة من الكفار ، إذ لا يجتمع حبّان متضادّان في قلب واحد [٣]، وأصل الموادّة حصولها بين طرفين ، والنهي هنا إنّما هو عن مودّة المؤمن الكافرين لا مقابلة الكافر المؤمنين بالمودّة ، فلا يصحّ من المؤمن أن يقابل محبّة الكافر الذي تلك صفتُهُ محبّته له بمثلها وإذا النهي عن مبادلته المحبّة فإنّ مبادرة المؤمن للكافر بالمحبّة أولى بالنهي ، وأشدّ في الإثم ، وإنّما جيء بصيغة المفاعلة من باب أنّ شأن الود يجلب ودّا من المودود للوادّ ، أو أنّ المفاعلة كناية عن الودّ الصادق[٤]. وممّا يؤيّد هذا المعنى أنّ هذه اللفظة قُوبلت بلفظة(حادّ) التي تعني المعاداة في مقابل الموالاة ، واستعمال الفعل المضارع (يوادّ) في سياق هذه الآية بما يحمله من جرس ، يدلّ على شدّة وقوة الودّ الذي يتميّز به هؤلاء القوم ، فالمعنى الذي يحمله هذا الفعل أقوى في الدلالة من استعمال الفعل (يودّون).

ثانياً : (ودّ) في صورتها الاسميّة :

(المصدر) :

يأتي معنى المحبّة والألفة على صيغة المصدر (ودّ) في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ مريم : ٩٦ ، أي : "يحبّهم الله ويحببهم إلى أوليائه . ويجعل بينهم ألفة ، ويجعل لهم في قلوب العباد محبة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم" [٥]، ويوضح ذلك قوله تعالى ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي

١- الكشّاف ٢: ١٨٩ .
٢- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٩: ٥٥٦ ، ومفاتيح الغيب ٢٩: ٢٥٩ ، ومدارك التنزيل ٢:٦٦١ .
٣- ينظر : الميزان ١٩: ٢٠٣، والأمثل ١٨ : ٩٩ ، وإرشاد العقل السليم ٨: ٢٢٣ ، وفي ظلال القرآن ٦: ٣٥١٤ .
٤- ينظر : التحرير والتنوير ٢٧: ٥٨ ، وينظر : نظرات لغوية في القرآن الكريم : ٢٧١ .
٥- الكشاف ٣ : ٤٩ .

وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ طه : ٣٩ ، وأراد بذلك أنّه حببّه إلى القلوب وقرّبه إلى النفوس ، والذي يبدو أنّ الآية الثانية فسّرت الأولى ، ففسّر الودّ بالمحبة (١).

وقد أجمع المفسرون على معنى الألفة والمحبّة في الآية ، وقد ذُكرت عدّة أقوال في تفسير هذه الآية ، وكلّها تصبّ في المعنى المذكور ، فقيل إنّها نزلت خاصّة في الإمام علي (عليه السلام) ، فما من مؤمن إلا وفي قلبه محبّة له ، وقيل إنها عامّة في جميع المؤمنين ، إذ يجعل الله تعالى لهم المحبّة والألفة والمقة في قلوب الصالحين ، وقيل : يجعل الله تعالى لهم محبّة في قلوب أعدائهم ومخالفيهم ليدخلوا في دينهم ، وقيل : يجعل بعضهم يحبّ بعضاً ، فيكون كل واحد منهم عضداً لأخيه المؤمن ، وقيل : أنّه سيجعل لهم ودّا في الآخرة (٢). و" الجعل هنا كالإلقاء في قوله تعالى ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ طه:٣٩" (٣).

وجاء المصدر على صيغة (مَفْعَلَة) ليدلّ على المحبّة والألفة في قوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الروم : ٢١، يصور القرآن الكريم بهذا التعبير اللطيف الرقيق العلاقة الزوجية تصويراً موحياً ، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحسّ ، فالمودّة هنا : المحبّة والألفة(٤)، فالمودّة والرحمة دليل على الألفة والمحبّة بين الزوجين وفي ذلك اطمئنان نفسي وهدوء قلبي ووجداني ، " فكأنّ المودّة هي الحبّ الظاهر أثره في مقام العمل ، فنسبة المودة إلى الحبّ كنسبة الخضوع الظاهر أثره في مقام العمل إلى الخشوع الذي هو نوع تأثر نفساني عن العظمة والكبرياء" (٥)، أمّا اقتران المودّة بالرحمة فلأنّ الباعث على الارتباط بين الزوجين أولاً هي المودّة ، وحين يضعف أحد الزوجين تأخذ الرحمة مكان المودة وتحلّ محلها ؛ لأنّ من بواعث المودة هي الرحمة (٦).

وتأتي صيغة مودّة المصدريّة بمعنى النصيحة الموجبة للصلة وهي من أسباب المحبّة الخالصة الشديدة في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ الممتحنة : ١، أي : تكتبون وتبعثون إليهم النصيحة بالمودّة ، قال النحاس : معناه تخبرونهم بما يخبر به الرجل أهل مودّته إذ توجهون إليهم بالمودة والنصيحة (٧)، وقال السهيلي : " ضمّن (تلقون) معنى (ترمون) ، من الرمي بالشيء ، وفي الآية إنما هو إلقاء

١- ينظر : تأويل مشكل القرآن : ٧٩ ، وتفسير القرآن بالقرآن : ١٦ .

٢- ينظر : الكشاف ٣: ٤٩ ، والتبيان في تفسير القرآن ٧: ١٥٤ ، ومعالم التنزيل ٣: ٣٧٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٣: ١٨٥٧ ، ومفاتيح الغيب ٢١: ٢٣٦ - ٢٣٧ ، ومجمع البيان ٦: ٥١٩ - ٥١٠ ، والميزان ١٤: ١١٤ ، وروح المعاني ١٦: ١٩٨ ، ونظم الدرر ٤ : ٥٥٩ .

٣- التحرير والتنوير ١٦: ١٧٥ .

٤- ينظر : معاني القرآن – النحاس ٢ : ٩٢٤ ، والبحر المحيط ٨: ٣٨٢ ، وإرشاد العقل السليم ٧: ٥٥ ، وروح المعاني ٢٠: ٤٣٣ ، وفي ظلال القرآن ٥: ٢٧٦٣ ، وقيل هي عطف قلوب بعضهم على بعض ، وورد إن معنى المودّة في الآية الكريمة هو الجماع ، والرحمة هي الولد ، وبذلك جُعلت المودّة والرحمة بين الزوجين آية من آيات الله تعالى ودليل من دلائل قدرته . ينظر : معاني القرآن – النحاس ٢ : ٩٢٤ ، والميزان ١٦: ١٧١ .

٥- الميزان ١٦: ١٧١ ، و ينظر : الحبّ في القرآن : ٦٠ .

٦- ينظر : الأمثل ١٢: ٣١٨ . وجاء هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الممتحنة : ٧.

٧- ينظر : إعراب القرآن : ٩٦٢ ، والبرهان في علوم القرآن ٤ : ١٥٨ .

بكتاب أو برسالة ، فعبّر عنه بالمودّة ، لأنّه من أفعال أهل المودة ، فلهذا جيء بالباء "[١]. ونزلت الآية في بعض المؤمنين من المهاجرين الذين كانوا يسرون المودّة إلى بعض المشركين من أهليهم بمكة ، وهي مسوقة لبيان أنّه لا ينفعهم الإسرار بالمودّة للمشركين في جلب محبتهم ورفع عداوتهم شيئاً وأنّ المشركين على الرغم من إلقاء المودّة إليهم أن يدركوهم ويظفروا بهم يكونوا لهم أعداء من دون أن يتغير ما في قلوبهم من العداوة [٢]، وذكر الفرّاء أنّ " المودّة في هذا المقام بمعنى صلة الأولياء " [٣].

أمّا قوله تعالى ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ ، فمعناه تفضون إليهم بمودّتكم سرّاً ، أو تُسرون إليهم أسرار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، بمناصحتهم بسبب المودّة ، وهو استئناف وارد على نهج العتاب والتقريع والتوبيخ [٤]، أمّا قوله(إليهم) في الموضعين ففيها دلالة على التوبيخ أيضاً وإشارة إلى بُعدهم عنهم بدلالة فرض عدم اتخاذ الكافرين أولياء ، لأنك مهما بذلت لهم من النصيحة فإنهم يكنون لك العداوة والبغضاء[٥] .

وقد احتملت (الباء) في (بِالْمَوَدَّةِ) معنى القصد والتمكّن في المودّة لا التأكيد فقط ، قال الزمخشري " الباء زائدة مؤكدة للتعدي ، ومعناه : تلقون إليهم أخبار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) بسبب المودة التي بينكم وبينهم "[٦]، ولكن المعنى : أتلقون بأنفسكم وبأموالكم إليهم في ودّ ، أي تودد وتألق ، وفي نقل لأسرار من حولكم إليهم وتدفعون بالمودّة إليهم دفعا ، وذلك على نحو فيه تعمّد وقصد له وإصرار عليه وترسيخ وتمكين لها لديهم ، وعلى نحو تام كامل ، أي بكل المودّة ، وبكل ما تستطيعون منها ، وفي ابتذال لتلك الخصلة (الودّ) الحميدة ، فإنّه لا ينبغي أن تمنح إلاّ لأهل الإيمان ، فهي صفة عزيزة ، فكل ذلك احتمله وجود الباء في كلمة المودّة من عمق في الدلالة [٧]. ومثلها ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾، أي أتسرون إليهم بأسراركم وبأسرار من حولكم في وُدّ ، أو تودد وإيثار للقلوب والنفوس والأرواح إليهم ، ويلحظ في ذلك التعمّد والقصد وقوّة إرادة وإصرار عليه بشدّة وتمكين ، أي بكل مودّة ، ومفاد ذلك كلّه من وجود الباء[٨] .

وفي مقام آخر تأتي المودّة لتعني الصلة والمواصلة في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ الشورى : ٢٣ ، أي : إلا أن تصلوا قرابتي[٩] وتكفوا عني الأذى وتمنعوني حتى أبلغ رسالات ربي ، وقيل إنّه لمّا نزلت هذه الآية سألوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) من هؤلاء الذين نودّهم ؟ قال : عليّ وفاطمة ووُلْدُها والمعنى لا أرجو ولا أتوسّم ولا أبتغي إلاّ المودّة في القربى ، أي الحظوة بتلاقي القلوب وتآلف النفوس وتقاربها ،

١- نتائج الفكر : ١٣٤ ، وينظر : البرهان في علوم القرآن ٤ : ١٥٨ ، والنكت والعيون ٥: ٥١٧ .
٢- ينظر : الميزان ١٩: ٢٣٦ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢: ٦٧١ .
٣- معاني القرآن – الفراء ٣ : ١٤٩ .
٤- ينظر : النكت والعيون ٥: ٥١٧ ، ومفاتيح الغيب ٢٩: ٢٧٦ ، وإرشاد العقل السليم ٨: ٢٣٥ ، وزاد المسير ٨: ٢١٧ .
٥- ينظر : نظم الدرر ٧ : ٥٤٨ .
٦ - الكشاف ٤ : ٥١١ .
٧ - ينظر : أضواء على القيمة اللغوية والدلالية للأحرف التي قيل بزيادتها في القرآن الكريم : ٨٥ .
٨ - ينظر : معاني القرآن – الفراء ٣: ١٤٧ ، والبحر المحيط ١٠ : ١٥٢ ، وأضواء على القيمة اللغوية والدلالية للأحرف التي قيل بزيادتها في القرآن الكريم : ٨٦ .
٩- ينظر : معاني القرآن – الفراء ٣ : ٢٢ ، ومعاني القرآن – الأخفش ٢ : ٥١٠ .
١٠- ينظر : معاني القرآن – النحاس ٢ : ١١٣١ ، والكشّاف ٤: ٢٢٣ ، والعقل البشري في تفسير القرآن ١ : ١٧٥ .

وأن يحيا القوم في توادّ وتآخٍ حال قربكم [1]، أي أنّ المودّة تأتي للدلالة على المحبّة المقرونة بالصلة والمتابعة ، إذ إنّ المحبّة في ذلك تقتضي المتابعة ، وهذه المتابعة توجب حبّ الله تعالى لعباده [2]، ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾آل عمران : ٣١ .

وإذا قلنا : لِمَ قال تعالى (إلا المودة في القربى) ، ولم يقل : إلا مودة القربى ، أو إلا المودة للقربى ؟ والجواب كما يراه الزمخشري وغيره : أنّهم جعلوهم محلاً للمودة ومقراً لها للمبالغة ، كأنّه قال : إلا المودة الثابتة المتمكنة المستقرة في القربى ، كقولك : لي في آل فلان مودّة ، ولي فيهم هوى وحبّ شديد ، تريد : أحبّهم وهم مكان حبّي ومحلّه[3] .

وجاء لفظة المودّة لتعبّر عن التواصل والتقارب والتحابّ أيضاً في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ العنكبوت : ٢٥ ، والآية هي من جملة قول إبراهيم (عليه السلام) لقومه وهو يعظهم ويرشدهم ، فأخبرهم بحقيقة يتجاهلونها وهي أنّهم ما اتخذوا تلك الأوثان آلهة يعبدونها إلاّ لأجل التعارف عليها والتوادد والتحابّ من أجلها ، لا لأنّهم يعتقدون أنّها آلهة ، بل هي أحجار نحتوها ونصبوها تماثيل لتكون مصدر تواصل وترابط بينهم [4]، والآية مسوقة في مقام التوبيخ والتقريع على سوء صنيعهم في عبادتهم الأوثان ، واجتماعهم على عبادتها للصداقة والأُلفة التي تقوم بينهم عليها .

ويتجلى معنى الصلة بالقرب وميل الطباع بلفظ المودّة أيضاً في قوله تعالى ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ المائدة : ٨٢ ، الملاحظ أنّ القرآن الكريم استعمل أشدّ وأقرب ، لوصف حال فريقين من الناس هم اليهود والمشركون من جهة ، والنصارى من جهة ثانية ، ونبّه على عدم المقابلة بين الطرفين ، من خلال عدم مقابلة أشد باسم التفضيل الذي يقابله وهو أضعف ، وعدم مقابلة أقرب باسم التفضيل المقابل له وهو أبعد ، مع تغيير المميز ، قال أبو السعود : " والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئاً واحداً قد تفاوت فيه بالشدة والضعف ، أو بالقرب والبعد بأن يقال آخراً : ولتجدن أضعفهم عداوة ، أو بأن يقال أولاً : لتجدن أبعد الناس مودة ؛ للإيذان بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ، ببيان أنّ أحدهما في أقصى مراتب أحد النقيضين ، والآخر في أقرب مراتب النقيض الآخر"[5] .

فالآية توضح وتبيّن حال اليهود والمشركين بأنّهم أشدّ عداوة وبغضاً وحسداً للمسلمين لشدّة انهماكهم في إتباع الهوى ، في مقابل حال النصارى الذين هم ألين عريكة وقولاً وأقرب صلةً وآنس قلوباً ، إذ إنّه لم يصفهم بالودّ إنّما

١- ينظر : أضواء على القيمة اللغوية والدلالية للأحرف التي قيل بزيادتها في القرآن الكريم : ١٥٧ .
٢- ينظر : تأويل القرآن – النظرية والمعطيات - : ١٦٣ .
٣- ينظر : الكشاف ٤ : ٢٢٣ ، والبحر المحيط ٩: ٣٣٤ ، ومسائل الرازي وأجوبته : ٣٠٩ - ٣١٠ .
٤- ينظر : البحر المحيط ٨ : ٣٥٢ ، و إرشاد العقل السليم ٧ : ٣٦ ، وروح المعاني ٢٠ : ٣٣٧ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢: ٢٨٨ ، و أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ٤: ٢١٠ . وقريب من ذلك المعنى ورد في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ، وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ، وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ النساء : ٧١ - ٧٣ .
٥- إرشاد العقل السليم ٣:٧١ .

جعلهم أقرب من اليهود والمشركين ، فهو قرب مودّة بالنسبة إلى متباعدين ، وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودّتهم بأنّ منهم علماء وعباداً ، وفيهم تواضع واستكانة ، ووصفهم الله برقّة القلوب وأنّهم يبكون عند استماع القرآن [١]، ووصف العداوة بالأشدّ والمودّة بالأقرب إشارة إلى أنّ عداوة اليهود والمشركين التي اختصّت المؤمنين أشدّ العداوات وأظهرها ، وأنّ مودّة النصارى هي أقرب المودّات .

وابتدأت الجملة بلام القسم اعتناءً ببيان تحقق مضمونها ، والمعنى : أقسم لك يا محمد بأنّك عند مخالطتك الناس ودعوتهم إلى الدين الحقّ ، ستجد أشدّهم عداوة لك ولأتباعك اليهود والذين أشركوا ، لأنّ عداوتهم منشؤها الحقد والحسد والعناد والغرور ، ولتجدنّ أقربهم مودّة ومحبّة لك ولأتباعك الذين قالوا إنّا نصارى ، لأنّ مودّتهم منشؤها رقّة قلبهم ولين جانبهم وقلّة حرصهم على الدنيا ، وجاء العطف بين الجملتين لزيادة التوضيح والبيان[٢] .

صيغة المبالغة :

وجاءت هذه الصيغة لتدلّ على المحبّة في قوله تعالى ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ هود :٩٠ ، الودود هنا المحبّ ، وفي الآية حكاية ما قال شعيب (عليه السلام) لقومه بعد تحذيره إيّاهم عذاب الله وحثّهم على أن يطلبوا مغفرة الله ، ثمّ يرجعوا إلى طاعته ، وأخبرهم أنّ الله رحيم بعباده ، يقبل توبتهم ويعفو عن معاصيهم ، ودود بهم أي محبٌّ لهم مريد لمنافعهم ، فهو يرحم المستغفرين التائبين ويحبّهم ، فاعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل البليغ بمن يودّه [٣]، والودود صيغة مبالغة على (فعول) مشتقّة من الودّ ، وهي المحبّة ، وتعني الكثرة الكاثرة في الودّ ، والله جلّ شأنه كلّه ودّ ومحبّة ، لأنّه يودّ عباده الصالحين ، ولأنّ فعل الحبّ دائم فيه لا ينقطع[٤] ، أي أنّ الله شديد المحبّة لمن يتقرّب إليه بالتوبة ، وذكرها بعد كلمة (رحيم) إشارة إلى أنّ الله تعالى يلتفت بحكم رحمته إلى المذنبين التائبين ، وهو إشارة للأمر بالاستغفار والتوبة والحثّ عليهم ، بل هو يحبّهم كثيراً ، لأنّ رحمته ومحبته هما الدافع لقبول الاستغفار وتوبة العباد [٥]. وذكر الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) أنّ للودود معنيين أحدهما ، أنّه محبٌّ للمؤمنين ، والثاني ، أنّه بمعنى المودود ، أي محبوب المؤمنين ، أي أنّه (فعول) بمعنى (فاعل) أو (مفعول)[٦].

ومثل ذاك المعنى جاء في قوله تعالى ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ البروج : ١٤ ، أي : المحبّ لأوليائه ، والغفور والودود كلاهما صيغة مبالغة ، ويشيران إلى منتهى الغفران والودّ الإلهي ، فهو غفور لعباده المذنبين ومحبّ لعباده

١- ينظر : الكشّاف ١: ٧٠١ ، والبحر المحيط ٤: ٣٤٢، وروح المعاني ٧: ٣٦٤ .
٢- ينظر : التفسير الوسيط ٥: ١٠٨ .
٣- ينظر : تفسير غريب القرآن : ٣١٢ ، والتبيان في تفسير القرآن ٦ : ٥٣ ، ومجمع البيان ٥: ٣٥٩ ، والميزان ١٠: ٣٦٢ ، والكشّاف ٢: ٣٩٨ ، والمحرر والوجيز ٣: ٢٠٢ ، ونظم الدرر ٣: ٥٦٩ ، وفتح القدير ١ : ١٠٣٧ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ١ : ٥٨٣ .
٤ - ينظر : تفسير غريب القرآن : ١٨ ، ومن الدراسات اللغوية القرآنية : ٣٢ .
٥- ينظر : التحرير والتنوير ١٢: ١٤٧، والأمثل ٧ : ٣٠، وإرشاد العقل السليم ٤: ٢٣٥ .
٦- ينظر : اشتقاق أسماء الله : ١٦٤ – ١٦٥ ، والبحر المحيط ٦: ٢٠٠ ، ومعالم التنزيل ٣: ١٣٩ ، وروح المعاني ١٢: ٧١ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان : ٣٨٨ ، وزاد المسير ٤: ٣١٢ .

الصالحين [١]، واقترن الودود بالغفور ليدلّ على أنّ أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله ، غفر لهم ذنوبهم وأحبّهم ، والمودّة هي المحبّة الصافية [٢].

٣- (شغف) :-

(شغف) في المفهوم اللغوي :-

الشَّغَفُ والشغاف : غلاف القلب ، وهو جلدة دونه كالحجاب ، ويقال شَغَفَه الحُبُّ ، أي بلغ شغافه[٣]، والشَّغَفُ : أن يبلغ الحب شغاف القلب ، وهو جلدة دونه ، والشَّغف : إحراق الحُبِّ القلبَ مع لذّة يجدها وهو شبيه باللوعة ، ومنه قيل رجل مشغوف الفؤاد ، وهو عشق مع حرقة [٤] ، "وشغفها أي ارتفع حبّهُ إلى أعلى قلبها ، مشتق من شغفات الجبال ، أي رؤوس الجبال ، وقولهم : فلان مشغوف بفلانة ، أي ذهب الحبّ به أقصى المذاهب" [٥]، وقيل الشغاف سويداء القلب ، والمشغوف : المجنون ، وذُكرت (شعف) بعين مهملة ، ومعناها هو المعنى نفسه لـ(شغف) ، وقيل : شعف الفؤاد : أصاب شعفته ، وشعفة كل شيء أعلاه ، ويقال فلان مشعوف بكذا ، إذا أشغل قلبه به وأصيب ، وشَعَفةُ القلب : رأسه عند معلق النياط ، ولذلك يقال : شَعَفَني حُبُّ فلان به وبحبه ، أي غشي الحبّ القلب من فوقه [٦]، والشَّعَفَةُ : رأس الجبل والنخلة[٧] ، وقيل : الشَّغَف الحُبّ القاتل ، والشعف حُبٌّ دون ذلك ، وقيل : إنّ الشغف حبٌّ والشعف جنون[٨]. ومن هنا يمكننا القول أنّ الشغف هو شعور بالحبّ الشديد بحيث يخترق قلب الإنسان ، فيجعله متألماً حائراً .

(شغف) في الاستعمال القرآني :-

استعمل القرآن الكريم هذه اللفظة مرة واحدة بصورتها الفعلية الماضويّة في سورة يوسف في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ يوسف:٣٠ ، للدلالة على الولع والانشغال والمحبة العميقة التي أضنت صاحبها [٩]، و"(شغفها حبّاً) أصاب حُبُّه شغاف قلبها" [١٠] ، وخرقه حتى وصل حبّه إلى شغافها ، أي الفؤاد ، والشغاف : حجاب القلب ، أو جلدة محيطة بالقلب ، فغلب على قلبها وأحاط به فتملكه عليها ، وهو أعظم ما يكون من الحبّ [١١]. والمعنى أن حبّه دخل الجلدة حتى أصاب القلب ، أو أنّ حبّه قد أحاط بقلبها كإحاطة الشغاف بالقلب ، ومعنى إحاطة ذلك الحبّ بقلبها هو أن اشتغالها بحبّه

١- ينظر : التحرير والتنوير ٣٠: ٢٤٩ ، الأمثل ٢٠ : ٩٣ ، والبرهان في تفسير القرآن ٨ : ٢٥٤ .
٢- ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان : ٩١٨ .
٣- العين ٤ : ٣٦٠(شغف)، ومجمل اللغة : ٣٤٧ (شغف)، ومقاييس اللغة ٣: ١٩٥ (شغف)، واللسان ٧: ١٤٧ (شغف).
٤- المخصص ١: ٣٢٤ (شغف)، وأساس البلاغة : ٣٩٥ (شغف)، ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ٤٧٦ .
٥- تفسير غريب القرآن : ٢٠١ .
٦- العباب الزاخر ١ : ٤٤٦ (شغف)، وجمهرة اللغة ٢ : ٨٧٣ (شغف) .
٧- فقه اللغة وسر العربية : ١١٧ ، وينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ٥٤٠ .
٨- ينظر : إرشاد العقل السليم ٤: ٢٧٠ .
٩- ينظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ٤٧٨ ، وقصص القرآن الكريم ، محمود البستاني ١ : ٣١٢ .
١٠- تفسير غريب القرآن : ٢٠١ .
١١- ينظر : الكشاف ٢: ٤٣٦ ، والبحر المحيط ٥ : ٣٠١ ، ٤٦٢ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٢: ٣٩٧ .

صار حجابا بينها وبين كل ما سوى هذه المحبّة ، فلا تعقل سواه ولا يخطر ببالها إلا هو [١]، فقد استغرقت في حبّ يوسف وتولّهت غرامه واشتغلت به عن كل شيء ، وقد أحاط بقلبها من كل جانب ، فلا همّ لها إلا يوسف ، ولا بغية لها إلا فيه ، وليوسف الجمال الذي يأخذ بمجامع القلوب ، فكيف إذا امتلأت به عين محبٍّ والهٍ وأدام النظر إليه ، وأمّا هو فقد استغرق في حبّ ربّه وأخلص وصفى ذلك نفسه فلم يترك في قلبه محلاً غير حبيبه [٢]، والضمير المستتر في (شغفها) يعود على(فتاها)، ولما فيه من الإجمال جيء بالتمييز للنسبة بقوله (حبّاً) ، وأصله : شغفها حبّه ، وهو كناية عن تمكّن الحب الشديد والعشق العظيم ، ودلالة على المبالغة [٣]. وأكّد القرآن الكريم هذا التعلّق بالمصدر للدلالة على المبالغة والثبوت ، ويُستدلّ ممّا سبق أنّ الشغف شعور بالحبّ الشديد الذي يخرق قلب الإنسان فيجعله متألماً حائراً.

وقد قُرئت (شعفها حباً) بعين مهملة ، للدلالة على ولع الحبّ وجواه ، وأن الحبّ ذهب بها كلّ مذهب ، وذلك لأنّ شعفات الجبال أعاليها [٤]، وروي أيضاً أنّ الشَّغف حبٌّ ، والشَّعَفَ جنون [٥]. وقال ابن جني : " ومعناه : وصل حبّه إلى قلبها فكاد يحرقه لحدّته ، وأصله من البعير تهنأ بالقطران ، فيصل حرارة ذلك إلى قلبه ، وأمّا قراءة الجماعة (شغفها) فتأويلها : أنه خرق شغاف قلبها ، وهو غلافه ، فوصل إلى قلبها " [٦]، وجاء أنّه "قد أصاب شغاف قلبها ، أي باطنه أو وسطه" [٧].

ونرجح الشغف على قراءة الشعف ، لأنّ حبّ يوسف بلغ بها مبلغاً كبيراً ، لكنّه لم يبلغ حدّ الجنون وفقدان البصيرة ، إذ كانت نتيجة ذلك الحبّ الهداية . وقد رجّح أحد الدارسين قراءة (الشغف) على الأخرى وعلل ذلك من جانب صوتي ورأى أنّ قراءة " شغفها أكثر دقة من شعفها وذلك لانّ صوت (الغين) وان كان يشترك مع صوت (العين) لكونهما من أصوات الحلق إلا إنه يختلف عنه في بعض الصفات ، ... وعلى هذا فإنّ ضعف حفيف العين يوحي إلى أن هناك انقطاعاً في الوصل بين المحب ومَنْ أحب وان الحب غير ظاهر على حين إن شدة الغين وحفيفها العالي يومئ بأن الحب قد بلغ أعلى مراتبه حتى ظهر إلى العيان وان الوصل بين المحب ومَن أحب دائم الوصل حتى انه تعدى إلى الصوت وبهذا فان صفات الغين الصوتية وبما فيها من شدة تتناسب مع شدة الحب وحدته الذي كاد أن يحرق القلب ولذلك استعمل النص القرآني (شغف) دون (شعف) توخياً للدقة البيانية وتفريقاً بين نوعين من الحب فالشغف أعلى درجة من الشعف " [٨].

١- ينظر : مفاتيح الغيب ١٨: ١٠٥ .
٢- ينظر : الميزان ١١: ١٤٨ ، والحبّ في التراث العربي : ٢٦ .
٣- ينظر : مفاتيح الغيب ١٨: ١٠٥ ، والتحرير والتنوير ١٢: ٢٦٠، وروح المعاني ١٢: ٣٠١ .
٤- ينظر : معاني القرآن – الفراء ٢ : ٤٢ ، والمحتسب ١ : ٣٣٩ .
٥- ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ٥٤٠ .
٦- المحتسب ١ : ٣٣٩ .
٧- مفردات ألفاظ القرآن : ٤٥٧ .
٨- الفروق الدلالية في الأسلوب القرآني : ١٦ – ١٧ . (أطروحة دكتوراه)

على حين ذهب دارس آخر إلى أن التحليل الصوتي لهذه المسألة لا يصيب هدفه ، وعلل ذلك أنّ الارتباط بين الصوت ومدلوله ليس مطّرداً في الدراسات الصوتية ، ورأى أنّ العود إلى الأصل اللغوي وتفسير ذلك على أساسه أسلم ، وبعد النظر للمعنى اللغوي المذكور آنفاً " رأى أنّ دخول الحبّ في القلب أبلغ وأقوى من مجرد وصول حرارته إلى القلب فقط ، ... أي أن اشتقاق اللفظ من الشغاف وهو غلاف القلب أفضل لتعلّق هذه المسألة فيه ، أمّا محاولة اشتقاقه من رؤوس الجبال فهو يتعلق بمعنى الارتفاع والعلو فحسب " [١].

والحقيقة أنّ التحليل الصوتي للمفردة القرآنية إذا كان يصبُّ في بيان القيم الجمالية والدقائق الدلالية لتلك المفردة فلا ضير في ذلك ، إذ لو كان يمتنع ذلك لما تعددت القراءات القرآنية ، ولما قرأ جمعٌ من القرّاء (شعفها) ، فضلاً عن ذلك فإنّ الوقوف على الأصل اللغوي وبيان القيم الدلالية على أساسه أمرٌ وقف عليه أغلب المفسرين – إنْ لم يكن أجمعهم – ، وبيّنوا ما في الألفاظ من دلالات ، وقد أفادوا منها في التفسير ، وعلى ذلك فلا نرى غضاضة من تتبع أي مستوى من المستويات اللغوية للوقوف على الدلالات القرآنية شريطة أن لا تصل إلى الشطط .

١- مستويات تفسير النص القرآني في التراث الأدبي العربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري : ١٣٨ – ١٣٩ (أطروحة دكتوراه)

٤- (رغب) :-

(رغب) في المفهوم اللغوي :-

قال الجوهري : رَغبت في الشيء إذا أردته ... ، ورغبت عن الشيء إذا لم ترده وزهدت فيه [١]، ورغب الشيء ورغب فيه يرغب رَغْبا ورَغَبا ورغبة : أراده وأحبّه ، وحرص عليه وطمع فيه ، فهو راغب فيه ، ورغب عنه : لم يرده وزهد فيه [٢]، ويرى ابن فارس أنّ لهذا الجذر أصلين : الأول طلب الشيء ، والثاني سعة في شيء[٣].

وقيل الرغبة في الشيء معناها الشهوة ، واشتهى الشيء : اشتدت رغبته فيه ، وشهاه شهوة : أحبّه ورغب فيه[٤]، وقيل هي الضراعة والمسألة ، ويقال : رغبت إلى فلان في كذا وكذا ، أي سألته إيّاه . ويقال : رَغِب يَرغَب رَغبة إذا حرص على الشيء وطمع فيه ، والرغبة : السؤال والطمع . وأرغبني في الشيء ورغّبني بمعنىً ، ورغّبه أعطاه ما رَغِب فيه ، ورَغِب في الشيء رغْباً ورغبة ورَغَباً ورغبى : أراده فهو راغب ، ورَغَبَ عن الشيء : تركه متعمدا وزهد فيه ولم يرده . ورغب بنفسه عنه ، رأى لنفسه عليه فضلا ، ويقال : رَغِبت بفلان عن هذا الأمر ، إذا كرِهْتُهُ له وزهدت له فيه [٥]، وحرف الجر الذي يلي الفعل هو الذي يحدد معناه ، وقد اكتسبت هذه اللفظة معنى المحبّة ، فقيل "إنّ الرغبة : المحبّة لما فيه للنفس منفعة ، ورغب فيه ضد رغب عنه" [٦].

(رغب) في الاستعمال القرآني :-

جاءت مادّة (ر غ ب) ومشتقاتها في القرآن الكريم ثماني مرات [٧]، منها ثلاث مرات في آيات مكيّة ، وخمس مرات في آيات مدنية ، " وكلّما كانت متعدية بـ(إلى) أو (في) كانت بمعنى الميل إلى الشيء ، وكلّما كانت متعدية بـ(عن) كانت بمعنى الانصراف وعدم الاعتناء بالشيء" [٨]، وللفظ (رغب) وتشكلاته معانٍ ودلالات وردت في آيات الذكر الحكيم ، ومن تتبّع تلك التشكلات في سياقها القرآني نستطيع استجلاء دلالاتها ومعانيها .

أولاً : (رغب) في صورتها الفعلية :

(أ) الصورة المضارعيّة :

وردت صيغة (ترغبون) في القرآن لتدلّ على الإرادة والمحبّة في قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ النساء : ١٢٧ ، أي : تريدون وتحبّون نكاحهنّ أو عدمه ، فحذف حرف الجر بعد الفعل (ترغبون) ؛ وذلك لدلالة التعميم ، لأنّ النساء يشتملن على وصفين ، وصف الرغبة فيهنّ ، ووصف الرغبة عنهنّ ، وقيل معناه : ترغبون في نكاحهنّ

١- الصحاح ١ : ١٣٧ (رغب)، واللسان ١ : ٤٢٢ (رغب).
٢- معجم الأفعال المتعدية بحرف : ٧٨ ، المعجم الوسيط ١ : ١٠٣٤ (رغب).
٣- مقاييس اللغة ٢ : ٤١٥ (رغب).
٤- المعجم الوسيط ١ : ٣٥٦ .
٥- اللسان ٥ : ٢٥٤(رغب) ، العين ١ : ٣٥٦ (رغب)، المحيط في اللغة ١ : ٤١٠ (رغب).
٦- التبيان في تفسير القرآن ١: ٤٦٨ .
٧ - ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : ٤٢٨ .
٨- الأمثل ١٢ : ٢١٣ .

لمالهن وجمالهنّ ، وقيل معناه : عن نكاحهنّ لزمانتهنّ وقلّة مالهنّ ، والكلام يحتمل الوجهين (1) وهذا الفعل عند ابن عاشور من باب المشترك اللفظي إذ قال " ولك أن تجعل الاحتمالين مقصودين على حدّ استعمال المشترك في معنييه "(2) ، وفي الآية نهيٌ عن أن ينكحوا من رغبوا في مالهنّ وجمالهنّ من يتامى النساء إلاّ بالقسط (3).

ونلحظ الزهد في الشيء أو الانصراف عنه من الدلالات التي تعيّنت في الصورة المضارعية المسندة إلى الضمير المستتر ، ويأتي هذا المعنى بتضام الفعل (رغب) مع حرف الجر (عن) في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ البقرة : ١٣٠ ، والمعنى : لا أحد يترك ملّة إبراهيم ودينه وشريعته ، وينصرف عنها إلى الشرك بالله ، ويزهد فيها ويربأ بنفسه عنه ، إلا من امتهن نفسه ، واستخفّ بها وظلمها بسوء رأيه إذ ترك الحق إلى طريق الضلالة (4)، وذكر الرازي في مقام هذه الآية "أنّ الرغبة عن الأمر أي كرهه ، ورغبت فيه إذا أردته" (5).

وفي آية أخرى تأتي هذه الصيغة ليكشف لنا السياق عن معنى البخل والضّنّ بالنفس في قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ التوبة : ١٢٠ ، فنزلت الآية فيمن تخلّف من أهل المدينة وممن حولهم عن غزوة تبوك ، والمعنى أنّهم أُمِروا بأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط ، وأن يلقوا أنفسهم في الشدائد ما تلقاه نفسه ، ولا يضنّوا بأنفسهم عن نفسه بل يبذلونها ، وهو نهي بليغ مع تقبيح لأمرهم وتوبيخ لهم عليه (6)، "ولا يخفى ما في الآية من التعريض بالمتخلفين رغبة باللذائذ وسكوناً إلى الشهوات غير مكترثين بما يكابد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم)" (7).

ويُعدّ هذا التركيب من بديع الإيجاز وبالغ الإعجاز إذ من المعلوم أنّ الرغبة تُعدّى بالحرف (في) فتفيد معنى مودّة تحصيل الشيء والحرص فيه ، وتُعدّى بالحرف (عن) فتفيد معنى المجافاة للشيء ، وفي هذه الآية مُعدّاة بـ (عن)، فأُريد برغبتهم عن نفسه محبتهم أنفسهم وحرصهم على سلامتها من دون الحرص على سلامة نفس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، فكأنهم رغبوا عن نفسه إذ لم يخرجوا معه محتفظين بأنفسهم ، فلذلك أُستعير لهذا التخلّف لفظ الرغبة عنه (8)، زيادة على ذلك فإنه تعالى قللهم بصيغة جمع القلّة (أنفسهم) نسبة إلى من أيّده من أهل المدينة ومن حولهم (9).

١- ينظر : البرهان في علوم القرآن ٣ : ٧٤ ، والصاحبي : ٣٨٩ ، والكشاف ١:٦٠٤ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢: ١٠٠ ، وروح المعاني ٦: ٣١٦.
٢- التحرير والتنوير ٥: ٢١٤ ، وينظر : أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور : ٢٩٩ .
٣- ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ١٨٩ .
٤- ينظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن١:٣٥٢ ، والتفسير الوسيط ١: ٢١١ .
٥- مفاتيح الغيب ٤: ٦٨ .
٦- ينظر : الكشاف ٢: ٣٠٦ ، والبحر المحيط ٥: ٥٢٢ ، والميزان ٩ : ٤١٧ ، والأمثل ٦ : ٢٦١ ، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٢ : ٢٠٤ .
٧- روح المعاني ١٠: ٥٦٦.
٨- ينظر : التحرير والتنوير ١١: ٥٦ .
٩- ينظر : نظم الدرر ٣: ٤٠٠ .

(ب) الصورة الأمريّة :

ويأتي لفظ (رغب) في صورته الأمريّة ليدلّ على التوجّه والسؤال والتضرّع في قوله تعالى ﴿ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ الشرح : ٨ ، أي : ارغب إليه في المسألة ، وتضرّع إليه راهباً من النار وراغباً إلى الجنّة [١]، ومجيء اللفظ بصيغة الأمر للدلالة على تبليغ الله تعالى نبيّه بأن يحرص على التوجّه إليه ، لأنّ الله تعالى هو الذي يَمُنُّ عليك بالعطاء والخير [٢] ، وفي الآية حثٌّ على الرغبة في الطلب من الله تعالى من دون غيره [٣]، أي "اجعل رغبتك دون سواه من خلقه ، إذ كان هؤلاء المشركون قد جعلوا رغبتهم في حاجتهم إلى الآلهة والأنداد" [٤]. أمّا تعدية الفعل (فارغب) بـ (إلى) فلتضمنه معنى الإقبال والتوجّه تشبيهاً بسير السائر إلى من عنده حاجته [٥].

وقد قرأ زيد بن علي وابن أبي عبلة (فرغّبْ) بالتشديد ، والمعنى في ذلك هو أن ترغّب الناس إلى الله تعالى وأن تُشوقهم إلى ما عنده من الخير[٦] ، وفي التشديد دلالة التكثير والمبالغة .

ثانياً : (رغب) في صورتها الاسميّة :

(أ) اسم الفاعل :

ويأتي معنى التوجّه والسؤال والتضرّع والرجاء والطلب والسّعة ليظهر لنا بصيغة اسم الفاعل(راغبون) في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ التوبة : ٥٩ ، وقد عُدي (راغبون) بـ (إلى) وهو يتعدّى بـ (عن) أو (في) لتضمنه معنى الرجوع ، والآية تبين حال المنافقين من أنهم عابوا الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) في توزيع الصدقات والغنائم ، والرغبة في الآية تعني السعة في الفضل والاستغناء عن أموال الناس ، وقيل إنها لفظة أفادت العموم ، أي أن يؤتينا من الثواب ويصرف عنّا العذاب ، فنحن لا نطلب من الإيمان والطاعة أخذ الأموال والفوز بالمناصب في الدنيا ، وإنما اكتساب السعادات في الآخرة [٧]، وقيل إنها لفظة تعني الطمع في كرم الله والرجاء في فضله ، وامتثال أوامره ، وترك زواجره ، وتصديق أخباره ، والاقتفاء بآثاره ، أي طامعون راجون [٨]، أو متضرّعون في جلب منافعنا ، ودفـع مضارنا[٩].

ومن لطيف البيان في الآية أنّه تعالى نسب الإيتاء إليه وإلى رسوله ، وخصّ الكفاية والفضل والرغبة بالله على ما هو لازم دين التوحيد[١٠]، وتكرار لفظ الجلالة في الآية هو للتعظيم وإظهار المنّة ، وللتنبيه على أنّ ما فعله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) كان بأمره تعالى[١١].

١- مجمع البيان ١٠ : ٤٧٧ ، وينظر : الميزان ٢٠: ٣٦٢ ، ومعالم التنزيل ٥ : ٣٧٣ ، وتفسير الجلالين : ٥٦٩ .
٢- ينظر : أفعال التبليغ في القرآن الكريم : ٩٧ .
٣- التبيان في تفسير القرآن ١٠ : ٣٧٤، وينظر : معالم التنزيل ٥ : ٣٧٣ .
٤- جامع البيان ٣٠ : ٣٠٠ .
٥- التحرير والتنوير ٣٠: ٤١٥ - ٤١٦ .
٦- ينظر : البحر المحيط ١٠ : ٥٠١ ، ومختصر في شواذ القرآن : ١٧٥ ، والكشاف ٤: ٧٧٧ .
٧- ينظر : البحر المحيط ٥: ٤٤٠ ، ومفاتيح الغيب ١٦: ٨٦ ، ومجمع البيان ٥: ٧٩ ، وجامع البيان ٦: ٣٩٤ ، وفي ظلال القرآن ٣ : ١٦٦٨ .
٨- ينظر : بحر العلوم ٥: ٣٢١ ، وتفسير القرآن العظيم ٣: ١٣٤٤ .
٩- ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان ١٠: ٣٤٠ .
١٠- ينظر : الميزان ٩: ٣٣٠.
١١- ينظر : روح المعاني ١٠: ٣٧٩ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣: ٨٥ . وجاءت لفظة (راغبون) لتدل على التوجّه والتضرّع والرجاء والطلب والسّعة أيضاً في قوله تعالى ﴿ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ القلم : ٣٢.

ويأتي اسم الفاعل على صيغة المفرد ليدلّ على الزهد في الشيء أو تركه أو الانصراف والإعراض عنه وذلك في نحو قوله تعالى ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ مريم : ٤٦ ، أي : "أزاهد في عبادة آلهتي ، وصارف رغبتك عنها ، أو أمعرض أنت عن عبادة آلهتي التي هي الأصنام وتارك لها وزاهد فيها" [١]، بتوجيه الإنكار إلى الرغبة نفسها مع ضرب من التعجّب ، كأنّ الرغبة عنها ممّا لا يصدر عن العاقل زيادة على ترغيب غيرهم عنها [٢]. وذكر سيد قطب معنى الكره هنا ، والمعنى عنده : أتكره آلهتي ولا ترغب في عبادتها [٣].

استعمل القرآن الكريم صيغة اسم الفاعل بدلا عن الفعل المضارع ، ليدلل به على ثبات الأمر واستمراره ، ففي التعبير باسم الفاعل بدلا من الفعل إشارة إلى الثبات والاستمرار على الرغبة ، وإنّها ليست أمرا جديدا طارئاً لجأ إليه ، بل هي أمر متأصل فيه ، وصفة لازمة وثابتة فيه ، وهذا حال أنبياء الله وما جبلوا عليه .

(ب) المصدر :

وجاء المصدر من الفعل رغب ليدلّ على التوجّه والسؤال والتضرّع والرجاء والطلب في قوله تعالى ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ الأنبياء : ٩٠ ، والدعوة هنا لشخصيتين من أنبياء الله العظماء وهما زكريا ويحيى (عليهما السلام)، ولعلّ المراد " رغبتهما في الطاعة لا في الثواب ، والرهبة من المعصية لا من العقاب ، لارتفاع مقام الأنبياء" [٤]، وهذه هي حالة الطالبين المسترشدين المتعطشين إلى الله ، يدعون الله تعالى رغباً في الوصول ، ورهباً من الانقطاع والرجوع ، وقد تكون للواصلين ، رغباً في زيادة الترقّي ، ورهباً من الوقوف أو الإبعاد .

فقوله (رغبا ورهبا) مفعولان لأجله ، أي لأجل الرغبة والرهبة ، يستشعرهما الدعاة والمسارعون في الخيرات ، وانبعاث ذلك من القلب فهي من أعمال النفس الباطنة ، فهم يعبدون الله رغبة منهم فيما يرجون من رحمته وفضله وما يرهبونه من عذابه وعقابه[٥].

وقيل هما مصدران بتأويلهما باسم الفاعل في موضع الحال ، ويجوز إبقاؤهما على الظاهر مبالغة في الرغبة والرهبة[٦]، أي كونهما مصدرين في موقع الحال ، وقد قرئت بضم الراء وسكون الحرف الثاني على المصدر ، وقرئت بضمتين [٧]، والملاحظ أنّ القراءة بضمتين على صيغة (فُعُل) تدل على الجمع ، وفي الجمع كثرة في الفعل ومبالغة فيه .

١- التبيان في تفسير القرآن ٧: ١٣٠ ، وينظر : مجمع البيان ٦: ٤٨٨ ، والبحر المحيط ٧: ٢٧٠ ، ومن أسرار اللغة : ٣١٨ .
٢- ينظر : إرشاد العقل السليم ٥: ٢٦٨، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤: ١٢ .
٣- ينظر : في ظلال القرآن ٤: ٢٣١٢ .
٤- التفسير الصافي للفيض الكاشاني ٤ : ٣٦٥ .
٥ - ينظر : تفسير المراغي ١٧ : ٦٦ ، وأسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم : ٢٢١ .
٦ - ينظر : البحر المحيط ٤ : ١٢ ، وروح المعاني ١٧ : ١٨٣ .
٧ - ينظر : إتحاف فضلاء البشر : ٢١٢ .

٥- (ألف) :-

(ألف) في المفهوم اللغوي :-

أَلِفت الشيء لزمته ، فهو مؤلف ومألوف ، وآلفتُ فلاناً الشيء إذا ألزمته إياه ، وألّفت بينهم تأليفاً إذا جمعت بينهم بعد تفرّق ، وألّفت الشيء وصلت بعضه ببعض ، وكل شيء ضممت بعضه إلى بعض فقد ألفته تأليفاً [١]، وتألّف القوم وائتلفوا أي اجتمعوا ، وتألفت الرجل إذا قاربته ووصلته حتى تستميله إليك [٢].

وألفه إلفاً وألفاً وإلافاً أنسَ به وأحبّه فهو آلف ، وائتلف الناس اجتمعوا وتوافقوا ، والألفة : الاجتماع والالتئام ، وفي علم النفس خاصّة هو تجاذب الظواهر النفسية في المجال الشعوري بتداعي الأفكار وترابطها . وفي الأخلاق هي وشيجة بين شخصين أو أكثر يحدثها تجاذب الميول النفسية كصلة الصداقة ولحمة القرابة [٣]، ومنه "قيل الألفان والأليفان لموافقة أحدهما صاحبه على المودّة والتواصل والأنَسَة" [٤].

(ألف) في الاستعمال القرآني :-

وممّا لاشكّ فيه أنّ هذه اللفظة تأتي على دلالات ، ويتطلب منّا استجلاء تلك الدلالات النظر في الصورة الصرفية التي جاءت عليها اللفظة وطريقة تركيبها النحوي زيادة على ذلك النظر في مقامها ، ولنا أن ننظر في ذلك .

أولاً : (ألف) في صورتها الفعلية :

(أ) الصورة الماضويّة :

جاء هذا اللفظ على صورة الماضي ليدلّ على المحبّة والوصال والاجتماع والالتئام في قوله تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ آل عمران : ١٠٣ ، أي يجمعكم على الإسلام ورفع البغضاء والشحناء عن قلوبكم فأصبحتم بنعمة الله متواصلين متحابين بعد أن كنتم متحاربين متعادّين ، ويجمع قلوبكم على المحبة ، لأنها اتفقت على المودّة والمصافاة[٥] ، فبعد أن كان بينهم في الجاهلية العداوة والحروب فألّف بين قلوبهم بالإسلام وقذف في قلوبهم المحبّة وصاروا إخواناً ، واتفقت قلوبهم على المودّة والمصافاة [٦].

ومن دقائق النص القرآني أنّه عَمَدَ إلى مكمن المشاعر والروابط (القلب) ، فلم يقل : فألّف بينكم ، إنّما نفذ إلى المكمن العميق فقال : فألّف بين قلوبكم ، فصوّر القلوب على أنّها حزمة مؤلفة متآلفة بيد الله وعلى عهده وميثاقه [٧]، وفي الآية تنبيه وتذكير بنعم الله وأعظمها الإسلام وإتباع نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، فإنّ به

١- العين ٨ : ٣٣٦(ألف) ، وتهذيب اللغة ١٥: ٣٨٧ (ألف)، ، ومقاييس اللغة ١ : ١٣٥ (ألف)، ولسان العرب ١ : ١٨١ (ألف)، ومفردات ألفاظ القرآن : ٨١ .
٢- العباب الزاخر١ : ٣٧٠(ألف) .
٣- المعجم الوسيط ١: ٢٣ - ٢٤ (ألف).
٤- الفروق اللغوية للعسكري : ١٦٣ .
٥- ينظر : مجمع البيان ٢: ٢١٦ ،
٦- ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١ : ١٩٣ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢: ٣١ .
٧- ينظر : في ظلال القرآن ١ : ٤٤٢ .

زالت العداوة والفرقة وكانت المحبّة والألفة [١]، ونلحظ أنّ الفعل مضعّفاً ليدل على التكثير والمبالغة في المحبّة والألفة والجمع .

ونظير المعنى السابق ورد في قوله تعالى ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الأنفال : ٦٣ ، أي بين قلوب الأنصار من الأوس والخزرج ، كانت بينهم حرب ، فلمّا دخل المدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وأصلح الله به وبالإسلام ذات بينهم[٢]، وقال مجاهد : " هو في كلّ متحابين في الله ، وإنّما كان الجمع على المحبّة تأليفاً بين القلوب ؛ لأنّه مأخوذ من الألفة وهي الاجتماع على الموافقة في المحبّة ، ولا يجوز في الجمع على البغضاء "[٣]، والمؤلِّف هو الله تعالى بلطف من ألطافه وحسن تدبيره ، فلا يقدر على ذلك إلاّ من يملك القلوب ، فهو يقلبها كيف يشاء ، فأحدث بينهم التحابّ والتوادّ ، وأماط عنهم التباغض والتماقت .

ولعلّ في تكرار الفعل وتضعيفه إشارة إلى أن أمر التأليف ليس بالأمر الهيّن ، أي أنّه فوق قدرة البشر وأنّه توفيق من الله تعالى ، وما كان ذلك التآلف والتحابّ حاصل إلاّ بتقدير الله تعالى ، فإنّه لا يحصل من قبل بوشائج الأنساب ولا بدعوات ذوي الألباب ، لأنّه لم يكن من العرب حيّان بينهما من العداوة مثل ما كان بين هذين الحيّين ، حتى صار أهلها متوادّين متحابين ببركة نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) [٤]. ويبدو لنا أنّ هذه اللفظة قد اكتسبت معنى المحبّة في الآيتين السابقتين من خلال ارتباطها في سياقها بلفظة (القلب) الذي هو مكمن المشاعر الإنسانيّة ومنها المحبّة ، زيادة على مفهومها اللغوي الذي أشار إلى معنى المحبّة .

(ب) الصورة المضارعيّة :

واستعمل القرآن الكريم اللفظ (يؤلّف) لغير العاقل بمعنى الاجتماع والالتئام ولكن ليس في مقام المحبّة البشريّة أو لازم من لوازمها ، ولكن في مقام الجمع بين الجمادات ، في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ النور : ٤٣ ، أي "يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض ثمّ يجعله متراكماً بعضه فوق بعض" [٥]، وفي ذلك بيان لقدرة الله تعالى .

١- ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٤ : ١٠٣ .
٢- ينظر : معاني القرآن – الفرّاء ١ : ٤١٧ .
٣- التبيان في تفسير القرآن ٥: ١٥١ .
٤- ينظر : مجمع البيان ٤ : ٤٢٥ ، والتحرير والتنوير ٦ : ١٨٩ ، ومفاتيح الغيب ٧ : ٤٢٦ .
٥- معالم التنزيل ٤ : ١٢٠ ، وينظر : التبيان في تفسير القرآن ٧ : ٤٤٦ ، والكشف والبيان للثعلبي ٩ : ٣٣٧ .

ثانياً : (ألف) في صورتها الاسميّة :

(اسم المفعول) :

جاء صورة اسم المفعول الاسميّة من هذا اللفظ لتعني الاستمالة أي استمالة القلوب إلى الإسلام في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة : ٦٠ ، أي المستمالة قلوبهم إلى الإسلام بالإحسان إليهم ، أو هم الذين كان يدفع لهم من أجل استمالتهم للإسلام [١]، ويفهم من تعبير (المؤلفة قلوبهم) أن أحد موارد صرف الزكاة هم الأفراد الذين يُراد استمالتهم وجلب محبتّهم بالزكاة ، ويدخل من ضمن هذا التعبير كلّ من يمكن الاستعانة بهم واستمالتهم في أمر الجهاد ببذل الزكاة لهم ، والقلوب هنا بمعنى النفوس ، وإطلاق القلب على ما به إدراك الاعتقاد أمر شائع في العربية [٢]. وبعد النظر والتأمّل في تفسير هذه الآية نلحظ أن المفسرين قد أجمعوا في بيان معنى الاستمالة[٣] .

١- ينظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ٢٠ ، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ١: ٩٥ .
٢- ينظر : التحرير والتنوير ١٠: ٢٣٦ ، و التبيان في تفسير القرآن ٥: ٢٤٣ ، الأمثل ٦ : ٦٠ ، والمحرر والوجيز ٣: ٤٧ ، والنكت والعيون ٢: ٣٧٥ .
٣- ينظر : الكشاف ٢ : ٢٧٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤ : ١٦٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٨ : ١١٣ ، والبحر المحيط ٦ : ١٧٦ ، ومجمع البيان ٥ : ٦٣، وإرشاد العقل السليم ٤: ٧٦ ، وروح المعاني ١٠ : ٣٨٣ ، ومعالم التنزيل ٣ : ٤٢ ، وفي ظلال القرآن ٣ : ١٦٦٩ .

٦- (خلّ) :-

(خلّ) في المفهوم اللغوي :-

الخُلّة : المرأة يُخالّها الرجل ، والخُلّة والخُلان جماعة الخليل ، وفلان خِلّي وفلانة خِلّتي بمنزلة حِبّي وحِبّتي ، والخِلُّ : الرجل الخليل [١] ، وقال الزجاج : " الخليل : المُحبّ الذي ليس في محبته خلل " [٢].

الخَلّة : الصداقة المختصّة التي ليس فيها خلل ، تكون في عفاف الحُبّ ودعارته ، وجمعها خِلال ، والخِلال والمُخالّة المصادقة ، والخِلُّ الوُدُّ والصديق ، والخُلّة بالضم الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خِلاله أي في باطنه ، والخليل : الصديق المخلص الذي تخلّلت صداقته القلب ، وهو الذي أصفى المودّة ، أو هو الحبيب والجمع أخلاّء [٣]، والخَلّة بالفتح الحاجة [٤]، والخُلّة بالضم : المودّة[٥]، والفرق بين المحبّة والخلّة "هو إنّ المحبّة حال من قد وصل إلى محبوبه ، والخلّة حال من هو بعد في الطريق يطلب خليله" [٦].

(خلّ) في الاستعمال القرآني :-

جاءت هذه اللفظة في السياق القرآني على معانٍ وفقاً لصورتها الاسميّة التي وردت فيها ، إذ لم تأتِ على الصورة الفعلية ، وهذا ما سيأتي بيانه .

(خلّ) في صورتها الاسميّة :

(أ) الجمع :

وردت هذه اللفظة بصيغة جمع التكسير على صيغة (أفعلاء) للكثرة ، لتدلّ على معنى الصداقة والصحبة المصاحبة للمحبّة في قوله تعالى ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ الزخرف : ٦٧ ، والأخلاّء جمع خليل ، وهو الصاحب الملازم ، وقيل إنّه مشتق من التخلل ، لأنّه كالمتخلل لصاحبه والممتزج به ، أو هو الصديق إذ يرفع خلّة صديقه وحاجته ، ولمّا كانت المحبّة والصداقة كأنّها تنفذ في أعماق القلب وفي أثنائهِ ، فقد استعملت فيها هذه الكلمة [٧]، والمعنى : أنّ الذين تخالوا وتواصلوا في الحياة الدنيا على معصية الله يكون بعضهم أعداء لبعض يوم القيامة ، وهم الذين تخالّوا على الكفر والمعصية ومخالفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) لما يرى كل واحد منهم من العذاب بسبب المصادقة ، واستثنى من ذلك الأخلاّء المتقين من المؤمنين الموحدين الذي خال بعضهم بعضا على الإيمان والتقوى فإن تلك الخلّة تتأكد بينهم يوم القيامة . وورد أنّ الإمام علياً (عليه السلام) سُئل عن هذه الآية ، فقال : خليلان مؤمنان وخليلان كافران ، مات أحد المؤمنين ، فبُشّر بالجنة ، فقال : اللهمّ لا تضلّ خليلي ، حتى يُبشّر بما بُشّرت به ، وترضى عنه كما رضيت عني ، فلمّا مات جمع الله بينهما ، فقال له : جزاك الله من خليل ، ومن أخٍ وصاحبٍ خيراً ، فنعم الخليل كنت ، والكافرون يقول أحدهما لصاحبه : بئس الخليل كنت[٨].

١- العين ٤ : ١٣٩ (خلل)، وأساس البلاغة ١٢٠٢(خلل) .
٢- معاني القرآن وإعرابه ٢ : ١١٢ .
٣- ينظر : البحر المحيط ٣ : ٣٤٨ ، والكليات : ١٧٩ ، ومعجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٢ : ٦٤ .
٤- اللسان ٤: ١٩٨-١٩٩(خلل) ، وجمهرة اللغة ١ : ٣٠ (خلل)، ومجمل اللغة : ١٧٢(خلل) ، والمغرب في ترتيب المعرب : ١٥٥ (خلل)، ومجمع البحرين ٢:١٦٩ (خلل) .
٥- ينظر : أمالي المرتضى ٢: ١٨٥ ، ومعاني القرآن - الزجاج ٢ : ٢٢٢ ، ومفردات ألفاظ القرآن : ٢٩١ .
٦- الوجوه والنظائر للدامغاني ١: ٣٢٤ .
٧- ينظر : الكشاف ٤: ٢٦٥ ، والتحرير والتنوير ٢٥ : ٢٥٣، وروح المعاني ٢٤: ٤١٣ ، والميزان ١٨: ١٢٢ ، والأمثل ١٦: ٥٨
٨- ينظر : معاني القرآن – النحاس ٢ : ١١٥٦ ، ومجمع البيان ٩: ٩٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤: ٢٦٩٩ .

ويلحظ في الآية إشارتان متضادّتان ، الأولى هي التهديد والوعيد ، وتفهم من أنّ أخلاء السوء في الدنيا سيكون مصيرهم العداوة والبغضاء يوم القيامة ، أما الثانية فهي البشارة التشريف والتكريم ، وتفهم أيضاً من كلمة الأخلاء ، إن كانوا أخلاءً في تقوى الله ، وتأكدت هذه البشارة في الآيات التي تلت هذه الآية ، فبينما الأخلاّء يتلاحون ويختصمون ، يتجاوب الوجود كله بالنداء العلوي الكريم للمتقين ، إذ كان النداء ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ الزخرف:٦٨ ، فقد شرّف الله تعالى هؤلاء العباد فنسبهم إليه فخصّهم بالإضافة إليه كما خصّوه بالعبادة [١]، فالآية إذن إنذار للكافرين الذين كانت صداقتهم في الدنيا تقوم على محاربة الحق ، ومناصرة الباطل ، وبشارة عظيمة للمتقين الذين بنوا صداقتهم في الدنيا علـى طاعـة الله تعالـى ، ونصرة دينه والعمل بشريعته .

ويتبيّن عموم معنى الأخلاّء وخصوصه من خلال تركيب الآية ، فالآية واقعة في سياق جملة استثنائية ، "فإذا كانت الخلّة على المعصية ، فيكون الاستثناء منقطعا ، وإذا فُسّر الأخلاء بالأحبّاء مطلقا كان الاستثناء متصلاً "[٢]، فالأخلاّء المتحابّون في الدنيا على الإطلاق أو في الأمور الدنيويّة ، يكون بعضهم لبعض عدواً يوم القيامة لانقطاع ما بينهم من علائق الخُلّة والتحابّ لظهور كونها أسبابا للعذاب (إلا المتقين) ، فإنّ خلّتهم في الدنيا لمّا كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم من آثار خُلتهم من الثواب ورفع الدرجات ، فإذا كان المراد بالأخلاّء المطلق الشامل للمخالّة والتحابّ في الله كما في مخالّة المتقين أهل الآخرة والمخالّة في غيره كما في أهل الدنيا ، أي إذا حُمل معنى الأخلاّء على عموم المتخالين كان الاستثناء متصلاً ، أمّا إذا أريد بالأخلاّء المتحابّون في الأمور الدنيوية ، إي إذا حُمل على خصوص من تخالّوا على المعاصي ، كان الاستثناء منقطعاً ، كون المتقين ليسوا من جنس الأخلاء ، والمشهور عند المفسرين كونه متصلاً [٣].

(ب) الصفة المشبّهة :

جاءت لفظة الخليل بمعنى الصديق على صيغة الصفة المشبّهة في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ الإسراء : ٧٣ ، ذهب أكثر المفسرين إلى أنّ معنى الخليل هنا هو الصديق[٤] ، والمعنى أنّ المشركين همّوا وقاربوا أن يزلوك ويصرفوك عن القرآن الذي أوحينا إليك ، فإذا اتبعت أهواءهم أو هممت أنك تفعله بأمر الله كنت كالمفتري ، وإنك لو أجبتهم إلى ما طلبوا منك لتولّوك وأظهروا خلتك ، أي صداقتك لموافقك معهم ، وإذن لاتخذوك صديقاً [٥]، أي" لو اتبعت أهواءهم لكنت لهم وليّاً ولخرجت من ولايتي" [٦]، وقيل إنها بمعنى قوله تعالى ((وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ القلم : ٩ [٧].

وقد رجّح كثير من المفسرين معنى الصداقة على المعاني الأخر ، إذ المشهور بين المفسرين أنّ القرآن يعني بالآية هذه أنّك إذا أظهرت توجيهاً للمشركين فسوف يعدّونك صديقاً لهم ، إلاّ أنّ بعض المفسرين يَعُدُّ معنى الجملة

١- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٩: ٢١٤ ، والتحرير والتنوير ٢٥ : ٢٥٣ ، ونظم الدرر ٧: ٤٩ ، وفي ظلال القرآن ٥: ٣٢٠١
٢- إرشاد العقل السليم ٨ : ٥٤ .
٣- ينظر : والميزان ١٨ : ١٢٢ ، وروح المعاني ٢٤: ٤١٣ .
٤- ينظر : التحرير والتنوير ١٥: ١٣٧، وروح المعاني ١٥ : ٣٤ .
٥- ينظر : مجمع البيان ٦: ٣١٩ ، و الميزان ١٣: ١٦٩ .
٦- إرشاد العقل السليم ٥: ١٨٧ ، وينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣: ٢٦٣ ، والبحر المحيط ٧: ٨٩ .
٧- ينظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٣: ٤٨٨ .

، أنّ المشركين سيعتبرونك يا رسول الله فقيراً لهم محتاجاً إليهم ، إذ إنّ (الخليل) في المعنى الأوّل مأخوذ من (خِلّة) على وزن (قِلّة) وتعني الصداقة ، أمّا في المعنى الثاني فإنّ (خَلّة) على وزن (غَلّة) وتعني العوز والفقر والحاجة [١]. ولكن من الواضح أنّ المعنى الأوّل هو الأقرب للصواب .

وهناك من ذهب إلى أنّ الخليل بمعنى الحبيب والصفيّ ، أي تكون لديهم أعزّ من أحبّابهم ، لما جبلك الله عليه من مكارم الأخلاق ، ومحاسن الآداب ، المحبّبة للقريب والبعيد ، والصديق والعدو [٢]. والحقيقة أنّ معنى الحبيب في هذه الآية منافٍ للواقع إذ من المحال اتخاذ المشركين رسولَ الله (صلى الله عايه وآله وسلّم) حبيباً لهم فلا يمكن أن يجتمع نقيضان .

ومن معاني الخليل أيضاً في هذه الآية الوليّ ، قال الطبري في تفسيرها " لاتخذوك إذن لأنفسهم خليلا ، وكنت لهم وكانوا لك أولياء "[٣]، أي لو اتبعت أهواءهم لاتخذوك خليلا أي : "والوك وصافوك ، ولكنت لهم وليّاً ولخرجت من ولايتي" [٤]، وفي الآية إشارة إلى أنك خارج عن ولايتي إذا أجبتهم عن سؤالهم ، لأنّ من كان وليّاً لأعداء الله لإتباعه إياهم فيما لا يرضى الله يكون عدواً لله سبحانه وتعالى ، ولعلّ هذا المعنى قريبٌ إلى الصواب لأنّ معنى الوليّ قريب من معنى الصحبة والصداقة .

وجاء الخليل بمعنى الصديق الخاص الحميم في قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ، يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ الفرقان : ٢٧ – ٢٨ ، ففي لفظة (الخليل) معنى خاص وآخر عام اعتماداً على (ال) في كلمة الظالم إنْ عُدّتْ عهدية فهو خاص ، وإنْ عُدّتْ جنسية فالمعنى عام [٥]، ونعني بالمعنى الخاص أنّها نزلت في رجلين من قريش كانا خليلين – أي صديقين – [٦].

وما نقصده بالمعنى العام أنّه كل صديق سوء ، وأنّها نزلت في كل كافر أو ظالم تبع غيره في الكفر أو الظلم وترك متابعة أمر الله تعالى ، فقد قال الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) " ليس رجل في قريش إلا ونزلت فيه آية أو آيتان تقوده إلى جنّة أو تسوقه إلى نار ، تجري فيمن بعده إن خيراً فخيراً ، وإنْ شرّاً فشراً " [٧]. وقال سيد قطب " إنّما قال (فلاناً) بهذا التجهيل ليشمل كل صاحب سوء يصدّ عن سبيل الرسول ويضلّ عن ذكر الله "[٨].

وأشار ابن عاشور إلى المعنيين بقوله " والداعي إلى الكناية بـ (فلان) إمّا لقصد إخفاء اسمه خيفة عليه أو خيفة من أهلهم أو للجهل به ، أو لعدم الفائدة بذكره ، أو لقصد نوع من له اسم علم ، وهذان الأخيران هما اللذان يجريان في هذه الآية إنْ حُملت على إرادة خصوص عُقبة وأُبَيَ ، أو حُملت على إرادة كل مشرك له خليل صدّه عن إتباع الإسلام " [٩]. زيادة على ذلك ففي الآية إشارة إلى الحثّ على محبّة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) والاهتداء بهدايته ، واتباع ما جاء به ، وكذلك الترغيب في صحبة الأبرار والترهيب من صحبة الأشرار .

١- ينظر : الأمثل ٩ : ٧٣ ، والنكت والعيون ٣ : ٣٦٠ ، وروح المعاني ١٥ : ٣٤ ، ونظم الدرر ٤: ٤١٠ .
٢- ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان للسعدي : ٤٦٤.
٣- جامع البيان ٨ : ١١٩ .
٤- إرشاد العقل السليم ٦: ٢١٣، وينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣: ٢٦٣ ، والبحر المحيط ٧: ٩٠ .
٥- ينظر : البحر المحيط ٨: ١٠٢، ومفاتيح الغيب ٢٤: ٦٩ .
٦- ينظر : الميزان ١٥: ٢٠٤، ومجمع البيان ٧: ٣١٢ ، والتحرير والتنوير ٢٠: ١١ .
٧- ينظر : مجمع البيان ٧ : ٣١٢ .
٨- في ظلال القرآن ٥: ٢٥٦٠ .
٩- التحرير والتنوير ٢٠ : ١٢ .

وذكر بعض المفسرين أنّ الخليل هو الشيطان ، وسماه شيطاناً لأنّه أضلّه كما يضل الشيطان ، ثمّ خذله ولم ينفعه في العاقبة ، وفلان كناية عنه لأنه معرفة [1]، ولا نجد ذلك القول مقبولا عند صاحب الميزان إذ قال " وكأنه نظر إلى ما في الآية التالية من حديث خذلان الشيطان للإنسان غير أن السياق لا يساعد ذلك " [2].

ويرد معنى المحبّ ومعنى الفقير المحتاج إلى الله تعالى على صيغة (فعيل) ، قال أبو حيّان " الخليل : فعيل من الخَلّة ، وهي الفاقة والحاجة ، أو من الخُلّة ، وهي صفاء المودّة " [3]وقد تعاقب هذان المعنيان على لفظة الخليل في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ النساء : ١٢٥ ، أي "أنّه المحبّ المنقطع إلى الله ، الذي ليس في انقطاعه اختلال "[4]، وورد أنّ المعنى : افتقاره إلى ربه كما دعا موسى (عليه السلام) ربه فقال ﴿ إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴾ القصص : ٢٤ ، وقيل : بل من الخُلّة ، واستعماله فيه كاستعمال المحبة فيه . واعتمد بعض اللغويين التوسع في اللغة لبيان وتوجيه الدلالة القرآنية للفظة (الخليل) في الآية الكريمة فقالوا : والخليل : الحبيب من المودّة والمحبة ، والخليل أيضا الفقير[5] ، وذُكرت أدلّة لغوية تؤكد المعنيين فقيل : الخليل : فعيل من الخُلّة ، والخُلّة المودّة ، كما في قوله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ أي أنّه يُحبُّ الله ويُحبّه الله مَحبّة لا نقص فيها ولا خلل ، ويقال الخليل الفقير من الخَلّة ، والخَلّة الفقر ، قال زهير[6] :

وإن أتاه خليل يوم مسألة   يقول : لا غائب مالي ولا حرمُ

أراد : وإن أتاه فقير ، ومعنى قوله تعالى ، فقير إليه ، ينزل فقره وفاقته به ، ولا ينزل ذلك بغيره [7].

وذهب كثير من المفسرين إلى احتمال المعنيين فقالوا : ومعنى الخليل يحتمل أمرين : أحدهما – المحبّة ، مشتقّاً من الخلّة بضم الخاء ، والمعنى اتخذ الله إبراهيم محبّاً ، وتكون خلّة إبراهيم موالاته لأولياء الله ومعاداته لأعدائه ، وسُمي خليلا لشدّة محبة ربه له لما قام به من الطاعة التي يحبها ويرضاها ، وخلّة الله له نصرته على من أراده بسوء ، والثاني – أن يكون مشتقّاً من الخلّة التي هي الفقر بفتح الخاء ، وذلك لأنّه افتقر إلى الله وتوكّل عليه وانقطع بحوائجه إليه ، وإنّما خصّه الله بهذا الاسم تشريفاً له بالنسبة إليه من حيث أنّه فقير إليه لا يرجو لسدّ خلّته سواه [8].

وأجاز الراغب المعنيين كليهما أيضاً فقال : " قيل سمّاه بذلك لافتقاره إليه سبحانه ، وقيل بل هي من الخُلّة ، واستعمالها كاستعمال المحبّة فيه "[9]، ورفض أبو القاسم البلخي (ت٣١٩هـ) أن يكون الخليل بمعنى الحبيب إذ قال : " هو من الخَلة لا من الخُلة ، ومن قاسه بالحبيب فقد أخطأ ، لأنّ الله يجوز أن يحبّ عبده ، فإنّ المحبّة منه

١- ينظر : الكشاف ٣: ٢٨١ ، التبيان في تفسير القرآن ٧: ٤٨٦، ومجمع البيان ٧: ٣١٢، ومفاتيح الغيب ٢٤: ٦٩ ، والنكت والعيون ٤: ١٤٣ ، وزاد المسير ٦: ٢١٦ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢: ١٨٥ .
٢- الميزان ١٥: ٢٠٤ .
٣- البحر المحيط ٣ : ٤٣٨ .
٤- معاني القرآن – النحاس ١ : ٢٣٧ .
٥- ينظر : أمالي المرتضى ٢: ١٨٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢ : ٢٢٢ ، وإعراب القرآن للأصبهاني : ٩٣ .
٦- ديوان زهير بن أبي سُلمى : ٩١ .
٧- الزاهر في معاني كلام الناس ١ : ٦٠٤ .
٨- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٣ : ٣٤٠، ومجمع البيان ٦: ٨٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٢: ٧٨٣ ، وروح المعاني ٦: ٣٠٣ ، والجواهر الحسان في تفسير القرآن ٢ : ٣٠٥ .
٩- مفردات ألفاظ القرآن : ٢٩١ (خلّ) .

الثناء ، ولا يجوز أن يُخَالّه ، فإنّ الخُلة من تخلل الودّ نفسه ومخالطته"[١]، وهناك من فسّره بالمحبّة فقط ، فالمحبّة هي البلوغ بالودّ إلى حبّة القلب من قولهم حببته ، إذا أصبت حبّة قلبه ، لكن إذا استعملت المحبة في الله ، فالمراد بها مجرد الإحسان ، وكذا الخُلة ، فإن جاز في أحد اللفظين جاز في الآخر[٢] . ويرى أحد الدارسين أنّ اللفظ لابدّ من أن يكون له معنى واحد من سائر معانيه في المقام الذي هو فيه ، "وهذا المعنى يتعين بالقرائن اللفظية أو السياقية أو العقلية أو الحالية"[٣].

ومنهم من ذهب إلى أن معنى الخليل هو أنّ الله تعالى قد اصطفاه بالرسالة والنبوّة ، وخصّه بكرامات تُشبه كرامات الخليل عند خليله ، وكان محبّاً له خالص الحبّ ، ولأنّ محبّة الله تعالى قد تخللت نفسه وخالطتها مخالطة تامّة [٤]، وقيل إنه اصطفاه وخصّه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله [٥].

وهناك من ذهب إلى الدليل العقلي في تحديد الدلالة كالوقوف تأدباً أمام ألفاظ القرآن الكريم ، والقول فيها بما يتفق وتنزيه الذات الإلهية من أفعال الحوادث ، فذهب محمد رشيد رضا إلى أن " إبراهيم قد اتخذه الله خليلا بأن منّ الله بسلامة الفطرة ، وقوّة العقل ، وصفاء الروح ، وكمال المعرفة بالوحي ، والفناء في التوحيد ، ... ولا تكاد توجد كلمة في اللغة تمثل هذه المعاني غير كلمة (الخليل) ، أما لوازم هذه الكلمة في استعمال البشر ، التي هي خاصّة بهم فيُنزّه الله عنها بأداة العقل والنقل " [٦] ، وتأكيداً لهذا القول ذكر المفسّر أبو السعود أنّ الآية (١٢٧) من السورة ذاتها وهي سورة النساء في قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ النساء : ١٢٧ سيقت لبيان أن اتخاذه تعالى لإبراهيم (عليه السلام) خليلاً ليس لاحتياجه إلى ذلك في شأن من شؤونه كما هو دأب الآدميين ، فإن مدار خلّتهم افتقار بعضهم إلى بعض في مصالحهم ، بل لمجرد تكريمه وتشريفه عليه السلام ، وجاء أيضاً أنها لبيان أنّ الخلّة لا تخرجه عن رتبة العبودية ، وإنّها لبيان أنّ اصطفاءه عليه السلام للخُلّة بمحض مشيئته تعالى[٧].

ومن المفسرين من ذهب إلى أنّ الخليل في الآية الكريمة تعني الصداقة والصحبة الخالصة ، لأنّ الخليل في كلام العرب الصاحب الملازم الذي لا يخفى عنه شيء من أمور صاحبه ، مشتقٌّ من الخِلال وهو النواحي المتخللة للمكان ، أو من الخلة وهي صفاء المودّة التي توجب الاختصاص بتخلل الأسرار ، والمعنى في اتخاذ الله تعالى إبراهيم خليلا شدّة رضَى الله عنه ، إذ قد علم كلّ أحد أنّ الخلّة الحقيقية تستحيل على الله فأُريد لوازمها وهي الرضا ، وهذا على عكس الصداقة والخلّة مع الله التي لا يتساوى فيها كلّ المخلوقات [٨].

---

١ - تفسير أبي القاسم الكعبي البلخيّ :١٧٣ .
٢- ينظر : معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ٢٨٣ .
٣- فقه اللغة ، كاصد الزيدي : ١٤٣ .
٤- ينظر : الكشّاف ١: ٦٠٢ ، وروح المعاني ٦: ٣٠٣ ، وإرشاد العقل السليم ٢ : ٢٣٦ .
٥- ينظر : معاني القرآن – الفراء ١ : ٢٩٠ ، والتبيان في تفسير القرآن ٣ : ٣٤٠ ، ومجمع البيان ٧: ٨٩ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣: ٩٩ ، ومعجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٢: ٦٤ .
٦- تفسير المنار ٥ : ٤٤٠ .
٧- ينظر : إرشاد العقل السليم ٢: ٢٣٧ .
٨- ينظر : التحرير والتنوير ٥: ٢١١ ، والأمثل ٣ : ٢٨٤ .

وقد ذكر بعض الباحثين أن لفظة (خليل) جاءت على وجه دلالي واحد وهو أنها بمعنى (الوليّ)[١]، مستنداً إلى رأي المفسّر الطبري على ما جاء في تفسيره لسورة الإسراء قوله " لاتخذوك إذن لأنفسهم خليلا ، وكنت لهم وكانوا لك أولياء "[٢] ، والحقيقة أن الوجوه الدلالية لهذه اللفظة كثيرة وغير متفقة المعنى كما أوضحنا ، وقد ذكرها المفسرون ، ولا ينبغي الوقوف على وجه دلاليٍّ واحد .

(ج) المصدر :

يتجسّد معنى الصداقة الحميميّة العميقة المرتبطة بالمودّة على صورة المصدر في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ البقرة : ٢٥٤، أي : " مودّة وصداقة متناهية الإخلاص إذ لا يمكن في القيامة ابتياع حسنة ولا استجلابها بمودّة "[٣]، والآية تخاطب المؤمنين وتأمرهم أن ينفقوا ما داموا اليوم قادرين على ذلك ، إذ لا إنفاق في الآخرة ولا صداقات حميمة تنفعكم [٤].

ونظير الآية السابقة قوله تعالى ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ إبراهيم : ٣١ ، الخلال هو المخالّة ، وهو مصدر من خاللت خلالاً ومُخالّة ، وهي المصادقة ، وقيل إنّ المراد هو نفي أن يكون هناك خليل ينتفع به بأن يشفع له أو يسامحه بما يفتدي به [٥]، ويخاطب الله رسوله محمداً (صلى الله عليه وآله وسلّم) في الآية ويأمره أن يبلغ العباد الذين خصّهم الله بالإضافة إليه تشريفاً لهم وتنويهاً بقدرهم وتنبيهاً على أنهم الذين قاموا بحقوق العبودية ، ويأمرهم بالصلاة والزكاة والصدقة ، من قبل أن يأتي يوم لا بيع يومئذٍ فيشترى الثواب ولا خلال من شأنها الإرفاد والإسعاف بالثواب ، والمراد من الخلال هنا آثارها ، بقرينة المقام ، وليس المراد نفي الخلة ، أي الصحبة والمودّة لأن المودّة ثابتة بين المتقين بدليل قوله تعالى ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ الزخرف : ٦٧ [٦].

١- ينظر : صيغة فعيل في القرآن الكريم : ١٤٥ (رسالة ماجستير).
٢- جامع البيان ١٥ : ٨٩ .
٣- تفسير غريب القرآن : ١٥٧ ، وينظر : تفسير القرآن العظيم ١ : ٤٢٩ ، والبحر المحيط ٢: ٦٠٥ ، والتحرير والتنوير ٣: ١٤، وروح المعاني ٣: ٣٨٥ ، ومعالم التنزيل ١: ٢٢١ .
٤- ينظر : الأمثل ٢ : ١٤٥ ، وفتح القدير ١ : ٢٦٤ ، وفي ظلال القرآن ١: ٢٨٥ .
٥- ينظر : مفاتيح الغيب ١٩: ١٠٨ ، وروح المعاني ١٣: ٢٩١ .
٦- ينظر : الكشّاف ٢: ٥٢٢ ، وإرشاد العقل السليم ٥: ٤٦ ، وفي ظلال القرآن ٤: ٢١٦٠ .

٧- (هوى) :-

(هوى) في المفهوم اللغوي :-

هَوِيَ يهوى هَوًى ، أي أحَبَّ[١]، وَالْهَوَى مَقْصُورٌ مَصْدَرُ هَوِيَتُهُ إذَا أَحْبَبْتَهُ وَعَلِقْتَ بِهِ ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى مَيْلِ النَّفْسِ وَانْحِرَافِهَا نَحْوَ الشَّيْءِ ثُمَّ اُسْتُعْمِلَ فِي مَيْلٍ مَذْمُومٍ [٢]، قال الأزهري الهَوَى محبةُ الإنسان الشيء وغَلَبَتُه على قلبه ، وهذا الشيءُ أَهْوى إليَّ من كذا أي أَحَبُّ إليَّ[٣]، والهوى : ميل النفس إلى الشهوة ، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة [٤]، "والهوى هو لطف محلّ الشيء من النفس مع الميل إليه بما لا ينبغي ، ولذلك غلب على الهوى صفة الذمّ "[٥]، قال أبو زيد : الهَوَى العِشْق وقد يكونُ في مَدَاخِلِ الخيْرِ والشَّرّ والجمع أهْواء ، وقال أبو عبيد ، الجَوَى : الهَوَى الباطِنُ واللَّوعة وهو حُرْقة الهَوَى ، والهوى : إرادة النفس ، وهَوَى النَّفْسِ : إرادتها ، إذن فالهوى شعور بالميل الشديد تجاه ما يرغبه الفرد ، بحيث يسقط في حبائل المحبوب ، ممّا يجعله شخصيّة غير متوازنة ، واستهوته الشياطين : ذهبت بِهَواهُ وعقله ، وقيل : استَهوَتْهُ : استهامته وحيرته ، وقيل : زينت له هَواهُ ، والاستهواء (استفعال) أي طلب المرء هَوى المرء ومحبّته[٦]، والهوى السقوط ، قال الأصمعيّ : هَوَيتُ أَهْوِي هُوِيًّا ، إذا سقطتَ من عُلْوٍ إلى أسفل ، وكذلك الهَوِيُّ في السَّير إذا مضى[٧] .

(هوى) في الاستعمال القرآني :-

وتأتي (هوى) في الاستعمال القرآني على وجوه دلالية عديدة منها ما تضمن معنى الحبّ أو قَرُبَ منه أي ميل النفس إلى الملذات والشهوات• ، وهو ما سنتعرضه ، إذ جاء أنّه ما ذَكَرَ الله لفظ الهوى في القرآن إلاّ ذمّه ، وقيل إنّه لم نجد الهوى يوضع في موضع الخير ، فلا يقال : فلان يهوى الخير ، وإنّما يقال : يريد الخير ويحبّه ، ومنها ما بَعُدَ عن معنى الحبّ[٨].

١- الصحاح ٦: ٢٤٤٢ (هوى).
٢- المصباح المنير : ٢٤٦ (هوى).
٣- اللسان ١٥: ١٦٧(هوا) .
٤- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٨٤٩ ، ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ٩٣١ .
٥- الفروق اللغوية : ١٤٢ .
٦- اللسان ١٥: ١٦٧ (هوا).
٧- الصحاح ٦:٢٥٣٨(هوى).
• - جاء الأصل (هوى) وما يُشتق منه لدلالة السقوط في ثمانٍ وثلاثين موضعاً في القرآن ، وجاءت لدلالة انفعالية وهي الميل إلى الشهوات في اثنين وثلاثين موضعاً وبتصاريف عديدة .
٨- وهناك معانٍ أُخر للفظة (هوى) وردت في القرآن لا يدل معناها على الحبّ والمحبّة أو يقترب منه ، منها النزول أو السقوط وردت في : النجم: ١ ، النجم : ٥٣ ، القارعة : ٩ ، ومنها معنى الذهاب كما في : الحج : ٣١ ، ومنها الهلاك كما في : طه: ٨١ ، ومنها الخلو أو هوى الشيء (قائم بين الشيئين على غير شيء) كما في : إبراهيم : ٤٣ . ومنها الضلالة والتيه كما في : الأنعام : ٧١ . ينظر : الكشاف ٢ : ٣٧ ، والبحر المحيط ٤ : ١٥٧، في ظلال القرآن ٣ : ٨٠ .وجاء لفظ (الهوى) بصيغة الجمع ليعبّر عن الآراء الزائفة والمنحرفة التي تبناها أهل الكتاب كما في : البقرة : ١٢ .ينظر : تفسير القرآن العظيم ١ : ٨٠ ، ومنها أيضاً الغلو في الدين والعقيدة ، والغلو هو تجاوز الحدّ المعروف ، وقد جاء هذا المعنى في : المائدة : ٧٧ .ينظر : الكشاف ١: ٦٩٩ ، التحرير والتنوير ٦ : ٥٠ ، والنداء في القرآن الكريم : ١٤٤ – ١٤٥ .وجاء لفظ (الهوى) ليدلّ على معنى المعبود في : الفرقان : ٤٣ . ينظر : الكشّاف ٣: ٢٨٧ ، والإتقان في علوم القرآن ٣ : ٣٤ .

أولاً : (هوى) في صورتها الفعليّة :

الصورة الماضويّة :

جاءت بلفظ الماضي المزيد لتدلّ على الميل وزيادة جذب الشيطان للنفس في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الإنعام : ٧١، فالاستهواء هنا الميل والهوى ، فحال من تُسقطه الشياطين في حبائلها بحال من يسقط من المكان العالي إلى الوهدة العميقة ، ولا شكّ في أنّ الإنسان في هذه الحال يكون في غاية الضعف والاضطراب[١]، وهذا الضعف ناتج عن حبّه لما تستهويه إليه الشياطين ، إذ لولا رغبته وميله لما فعلت الشياطين ذلك .

الصورة المضارعيّة :

جاءت لفظة (هوى) بصيغة الفعل المضارع (تهوى) لتكون دلالتها على المحبّة والميل في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ البقرة : ٨٧ ، تهوى مضارع هوى ، إذا أحبّ ، والمراد به ما تميل إليه أنفسهم من الانخلاع عن القيود الشرعية والانغماس في أنواع الملذات والتصميم على العقائد الضالّة ، وسياق الآية لتوبيخهم أو للتعجّب من شأنهم ، بدليل توسط الهمزة في (أفكلّما) بين الفاء وما تعلقت به من الأفعال السابقة [٢]، والخطاب هنا لبني إسرائيل لأنهم كانوا إذا أتاهم الرسول بما لا يحبّون ويميلون إليه كذّبوه ، وإن تهيّأ لهم قتله قتلوه ، وإنّما كانوا كذلك لإرادتهم الرفعة في الدنيا وطلبهم لذّاتها ، وكانت الرسل تبطل عليهم ذلك فيكذّبونه لأجل ذلك ويوهمون عوامهم كونهم كاذبين ويحتجّون في ذلك بالتحريف وسوء التأويل [٣].

وجاء معنى الميل والمحبّة على صيغة المضارع أيضاً في قوله تعالى ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ النجم : ٢٣ ، الظن ميل النفس إلى أحد معتقدين متخالفين من دون أن يكون ميلها بحجّة ولا برهان ، وهوى النفس هو إرادتها الملذّة والشهوة ، لأنها مجبولة بطبعها على حبّ الملذّ[٤]، والمعنى : ما يتّبع هؤلاء الجاهلون في عبادتهم لتلك الآلهة الباطلة إلاّ الظنون الكاذبة ، وإلاّ ما تشتهيه أنفسهم الأمارة بالسوء ، وتقليد للآباء من دون تفكّر أو تدبّر [٥].

وجاءت على صيغة (تهوي) بكسر الواو التي تعني النزول والسقوط لتدلّ على القصد بشوق ومحبّة في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ إبراهيم : ٣٧ ،(تهوي) مضارع (هوى) بفتح الهاء والواو ، بضم الهاء وكسر الواو ، أي سقط إلى أسفل [٦]، والمراد هنا : "تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا" [٧]، أو

١- ينظر : الميزان ٧ : ١٤٩ .

٢- ينظر : البحر المحيط ١: ٤٨٢ ، إرشاد العقل السليم ١: ١١٩ ، وروح المعاني ٢: ٣٠٠ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١: ٩٣ ، ومفاتيح الغيب ٣: ١٧٣ .

٣- ينظر : نظم الدرر ١: ١٨٩ .

٤- ينظر : الكشاف ٤: ٤٢٤ ، وإرشاد العقل السليم ٨: ١٥٩ ، ونظم الدرر ٧ : ٣٢٣ .

٥- ينظر : معالم التنزيل ٥: ١٥٦ .

٦- الصحاح ٦:٢٥٣٨ (هوى)

٧- الكشاف ٢ : ٥٢٥ ، وينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ٥٨٩ ، وإرشاد العقل السليم ٥: ٥٢ .

"تحبّهم وتهواهم وتجلُّهم" [١] ، وإيثار (تهوي) لما فيها من دلالة على نهاية السرعة التي لا يحجبها شيء ، لأنها سقوط من أعلى إلى أسفل ، والتعبير بالإسراع كناية عن محبّة الناس لهم وشوقهم لزيارتهم ، وفيه رقة ورفرفة تصور القلوب رفرافة مجنحة وهي تهوي إلى ذلك البيت وأهله في ذلك الوادي الجديب [٢]، وعبّر بجميع البدن بالفؤاد وهو القلب ؛ لأنّه أشرف عضو فيه ، كما أنّ لفظ الأفئدة يشير إلى أن يكون مسير الناس إليهم عن شوق ومحبّة ، حتى كأن المسرع هو الفؤاد لا الجسد ، ومحبّة الناس إياهم يحصل معها محبّة البلد وتكرير زيارته ، وذلك سبب لاستئناسهم به ورغبتهم في إقامة شعائره [٣].

وقال أبو الفتح : " أما قراءة الجماعة (تهوى إليهم) بكسر الواو ، فتميل إليهم ، أي تحبّهم ، وذلك إن الإنسان إذا أحبَّ شيئا أكثر من ذكره وأقام عليه ، وإذا كرهه أسرع عنه وخفّ إلى سواه "[٤]، وقرأ مجاهد (تَهوَى إليهم) ، أي تُحبُّ[٥] .

ثانياً : (هوى) في صورتها الاسميّة :

المصدر :

الميل هو توجّه النفس نحو رغبتها لما تحبّ وتهوى ، فحبّ الذات هوى وكذلك حبّ الأهل والأقربين ، والعطف على الفقير ومجاملة الغني ، والتعصّب للعشيرة وغيرها هوى ، فإذا هوت النفس ذلك كلّه مالت إليه وجارت ، وهذا ما نهت عنه الشريعة في مواطن عديدة في القرآن الكريم فالنفس تميل وتسير وفق ما تهوى ، وتستكبر عمّا لا تهوى وقد عبّر القرآن الكريم عن الهوى بصيغة المصدر في سبعٍ وعشرين موضعاً وهي في أغلبها مسندة إلى ضمير الغائب والمتكلّم ، ليحدد المقصود بالنفس التي تتبع الهوى ، أي النفس الأمّارة بالسوء ، ومنها قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ النساء : ١٣٥، أي لمّا أمر تعالى المؤمنين بالقيام بالعدل وبالشهادة لمرضاة الله نهى عن إتباع الهوى فيها ، والهوى هنا هو ما تميل إليه النفس مما لم يبحه الله تعالى ، والمعنى : اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل أو لأجل أن تعدلوا [٦]

.

١- تفسير غريب القرآن : ١١٩ ، وينظر : الإتقان في علوم القرآن ٢ : ١٦٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٩ : ٢١٤ ، و معجم الأدوات النحوية : ٢٢٥ .

٢- ينظر : في ظلال القرآن ٤: ٢١١٠ ، والتحرير والتنوير ١٣ : ٢٤٢ .

٣- ينظر : التحرير والتنوير ١٣ : ٢٤١ .

٤- المحتسب ١ : ٣٦٤ .

٥- ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ٥٨٩ ، والمحتسب ١ : ٣٦٤ . وقد فُسِّرت (تهوي إليهم) بمعنى الإرادة ، أي اجعل أفئدة من الناس تريدهم . ينظر معاني القرآن –الفراء ٢ : ٧٨ . وخُرّجتْ على تضمين تهوى معنى تميل ، أو أن الأصل تَهْوِي بالكسر ، فقلبت الكسرة فتحة ، والياء ألفاً ، كما يقال في رَضِيَ ، رَضَا . ينظر مغني اللبيب ٢ : ٨٩ . وقيل إنه ضمن معنى تنزع فعدي تعديته ، وقيل إنه لمّا ضمن تهوى معنى تميل عداه بـ (إلى) وأصله أن يتعدى باللام . ينظر : الكشاف ٢ : ٥٩٩ ، والبحر المحيط ٥ : ٤٣٣ ، والتبيان ، العكبري ٢ : ٧٧ .

٦- ينظر : البحر المحيط ٤: ٧٧ ، ومفاتيح الغيب ١١: ٤٩ ، ومثلها قوله تعالى : الأنعام : ١١٩ ، وأكثر ما يستعمل الهوى في الميل إلى الباطل وما ليس بحقّ . ينظر : معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٥ : ١٧٤ .

وجاء في قوله تعالى ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ طه : ١٦ ، إذ إنّ متابعة الهوى هو ميل النفس إلى اللذات الحسيّة الفانية ، ومخالفة أمر الله [١]، فكأنّ حال الإنسان حال البهائم التي لا عقل لها عند ميوله إلى شهواته ، وفي الآية إشارة إلى التنفير والتحذير .

ويأتي لفظ (الهوى) على صورة المصدر ليدلّ على معنى (الشهوة) وغالباً ما يكون ذلك عندما تكون في سياقه لفظة (النفس) ، كما في قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ النازعات : ٤٠، أي ما تدعو إليه شهوته ، أو عمّا تهواه من المحارم التي تشتهيها ، والهوى ميل النفس إلى المشتهى من غير داعي الحق ، وشاع الهوى في المرغوب الذميم [٢]، والآية " إشارة إلى نهي النفس عن اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على إيثار الخير ، ولمّا كان مقام الآية مقام ترغيب ، ربط الجزاء بالعمل ، فقال (فإنّ الجنة هي المأوى) تأكيداً لأجل تكذيب الكفار " [٣].

١- ينظر : معالم التنزيل ٤ : ٦ ، روح المعاني ١٦ : ٢٦٧ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤ : ٢٥ .
٢- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ١٠ : ٢٦٤ ، ومعالم التنزيل ٥ : ٣٢٢ ، والبحر المحيط ١٠ : ٤٠٢ ، والتحرير والتنوير ٣٠ : ٩٢ ، ونظم الدرر ٨ : ٣٢٠ ، المعجم الموضوعي لتصنيف القرآن الكريم : ٣٠٥ .
٣- الكشاف ٤ : ٦٩٨، وينظر : روح المعاني ٢٨ : ٢٨٣ ، ونظم الدرر ٨ : ٣٢٠ .

٨- (صبا) :-

(صبا) في المفهوم اللغوي :-

الصَّبْوُ والصَّبوَةُ : جَهلةُ الفُتُوَّة واللَّهوُ من الغَزَل[١]، والصِبا أيضاً من الشوق[٢]، يقال منه : " تَصابى ، وصَبا يَصْبو صَبْوَةً وصُبوءاً ، أي مال إلى الجهل والفتوّة ، يقال : صبا فلان إلى فلانة ، وصبا لها يصبو صباً ، وصبوة : أي مال إليه"[٣] ، ويقال : شابٌّ ليست له صَبْوةٌ أي مَيْلٌ إلى الهوَى[٤]، وتأتي صَبَا بمعنى رَغِبَ وودَّ وأحبَّ وعَشِقَ وكَلِفَ وأُغرِمَ وهامَ ، وصَبَّ : عَشِقَ وهامَ [٥].

(صبا) في الاستعمال القرآني :-

جاء هذا اللفظ مرة واحدة في القرآن الكريم للدلالة على الميل بصيغة الفعل المضارع (أصبو) على لسان يوسف (عليه السلام) في قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ يوسف : ٣٣ ، أي "أمل إليهن أو قولهن بهواي ، والصبو لطافة الهوى" [٦]، وقيل : أمِل إلى جانبهن أو إلى أنفسهنّ بطبعي ومقتضى شهوتي ، والصبو الميل إلى الهوى ، ومنه الصبا ، لأنّ النفوس تستطيبها وتميل إليها ، وقُرِئ (أَصْبُ) من الصبابة وهي الشوق ، أو الإفراط في الشوق[٧] .

١- العين ٧: ١٦٨ (صبا)، وتهذيب اللغة ١٢ : ٢٥٦ (صبا) ، واللسان ٧: ٢١٢(صبو).
٢- الصحاح ٦: ٢٣٩٨ (صبو) .
٣- معاني القرآن – النحاس ١ : ٥٤٢ .
٤- جمهرة اللغة ١ : ٧١ (صبو) .
٥- ينظر : معجم المترادفات والأضداد :٣٥٨ .
٦- مجمع البيان ٥: ٤٤٥ ، وينظر : وتفسير القرآن الكريم ، عبد الله شبّر : ٢٨٨ ، والقصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف ١ : ٣٧٩ .
٧- ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣: ١٦٣ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٣: ٣٢٤ ، وأسئلة وأجوبة قرآنية ١ : ٤٧٧. ٤٧٧.

الفصل الثاني

ألفاظ المحبّة غير الصّريحة

الفصل الثاني

ألفاظ المحبّة غير الصريحة

توطئة :

نحاول في هذا الفصل تتبّع بعض الألفاظ التي لا تدلّ صراحة على المحبّة وإنّما تتضمّن معناها ، إذ بعد استقراء تلك الألفاظ وتحديدها والنظر في أصلها اللغوي تبيّن أنها قد دلّت بشكل أو بآخر على معنى (المحبّة) ، زيادة على تتبّعها في سياقاتها القرآنيّة المختلفة التي أرشدتنا إلى تبيان معنى المحبّة ، والحقيقة أنّه عند دراسة هذا الفصل كان لابدّ من الإشارة إلى أنّ النظر والتأمّل كان الفيصل في تحديد وتبيين معاني هذه الألفاظ ودلالاتها ، زيادة على تتبعها في كتب اللغة والتفسير التي كثيراً ما تذكرها أو تشير إليها ، وكان للسياق الأثر الفاعل في ذلك البيان ، أمّا الألفاظ فهي :-

١- آثَرَ :

والأَثْرُ في **المفهوم اللغوي** مصدر قولك أَثَرْتُ الحديث آثُره إذا ذكرته عن غيرك ، وآثَرَه أكرمه ، وآثَرَه عليه فَضَّلَهُ وقدّمَهُ ، وآثَرْتُك إيثاراً أي فَضَّلْتُك ، وآثَرُوكَ بها إذ قَدَّموكَ[١].

والإيثار هو الاختيار المتقدّم على غيره ، أو هو ترجيح شيء على غيره بمكرمة أو منفعة ، وجاءت في **القرآن الكريم** ليُلمحَ منها معنى المحبّة أو أنّها تضمنته في مواضع كثيرة وبالصورة الفعليّة ، منها قوله تعالى ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ يوسف:٩١، أي قدّم اختيارك علينا وفضلّك ، وأنت ممّن أفضلّه على غيره بتأثير الخير والنفع ، والإيثار للتفضّل ومنه آثرته [٢]، ومن هنا يحمل التفضيل والتقديم للأشخاص أو للأشياء ضمناً معنى المحبّة ، ومنها ما جاء في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الحشر:٩ ، أي ويُقدمون المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم فقر وحاجة ، وهذه الخصيصة أغزر وأبلغ في مدحهم وأعلى درجة من الخصيصة السابقة ، فكأنّه أراد أن يقول " إنّهم لا يطمحون النظر فيما بأيدي المهاجرين من الفيء بل يقدمونهم على أنفسهم فيما بأيديهم ، أي يختارون على أنفسهم من يولونه على مالهم"[٣] ، ويدلُّ هذه على أنّ قلوبهم مُحِبّة للمهاجرين على محبّة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وإلاّ ما معنى الإيثار من دون محبّة ونقاء سريرة وإيمان خالص .

وجاء الإيثار بمعنى الحبّ للدنيا[٤] بالفعل المضارع في قوله تعالى ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ الأعلى ١٦ – ١٧، قرأ الجمهور (تؤثرون) بصيغة الخطاب الدال على الاستمرار ، أي أنّهم يؤثرونها على الدوام ، والخطاب موجه للمشركين بقرينة السياق ، والإيثار : اختيار شيء من بين متعدد ، والمعنى : تؤثرون الحياة الدنيا بعنايتكم واهتمامكم ، وأنتم تؤثرون منافع الدنيا على حظوظ الآخرة [٥]، وممّا لا يخفى عن السامع أنّ

١- لسان العرب ١ : ٧١ (أثر).
٢- ينظر : الفروق اللغوية : ١٤٣ ، ومفردات ألفاظ القرآن : ٦٢ ، والتحرير والتنوير ١٣ : ٥٠، ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ٤٥ .
٣- التبيان في تفسير القرآن ٩ :٥٦٥ ، وينظر : الميزان ١٩: ٢١٤ ، والتحرير والتنوير ٢٨: ٩٣ .
٤- ينظر : المعجم الموضوعي لتصنيف القرآن الكريم : ٢٤٥ ، ونفحات قرآنية : ١٧٣ .
٥- ينظر : التحرير والتنوير ٣٠ :٢٨٩ .

العناية والاهتمام بالشيء دليل واضح على حبّه ، "فالكَفّار يؤثرها إيثار كفر فيرى أنْ لا آخرة ، والمؤمن يؤثرها إيثار معصية وغلبة نفس إلا من عصم الله ، وسبب الإيثار حبّ العاجل والجهل ببقاء الآخرة" [١].

والخطابُ في الآية إمّا للكفرةِ فالمرادُ بإيثارِ الحياةِ الدُّنيا هُو الرِّضا والاطمئنانُ بهَا والإعراضُ عن الآخرةِ ، فهو توبيخ لهم ، أو أنّه خطاب عام فالمرادُ بإيثارها ما هُو أعمُّ ممَّا ذُكرَ وما لا يخلُو عنْهُ الإنسانُ غالباً من ترجيح جانبِ الدُّنيا على الآخرة في السَّعي وهو توبيخ للكافرين ، وتشديدِ العتابِ في حقِّ المسلمينَ ، وقولُه تعالى﴿ **والآخرةُ خَيْرٌ وأبقى** ﴾ حالٌ من فاعلِ تؤثرونَ مؤكدةٌ للتوبيخِ والعتابِ أي تُؤثرونَها على الآخرةِ [٢] ، ومثل ذلك قولـه تعالـى ﴿ **وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** ﴾ النازعات:٣٨ .

ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ** ﴾ يوسف:٩١ ، (آثرك) لفظ يعمُّ جميع التفضيل وأنواع العطايا ، وإيثار الله تعالى الأنبياء بلا شكّ فيه حبّه لهم وتفضيله على الآخرين ، والمعنى : فضلك علينا بالعلم والعقل والحكم والحسن والملك والتقوى وغير ذلك[٣]، وهذا اعتراف بالخطيئة من إخوة يوسف (عليه السلام)، وإقرار بالذنب ، وتقرير لما يرونه من إيثار الله له عليهم بالمكانة والحلم والتقوى والإحسان ويقابله يوسف بالصفح والعفو[٤] .

٢– أخو :

الأصلُ في الأخِ : أَخَوَ ، وهو في **مفهومه اللغوي** المُشارك في الولادة من الطرفين ، أو من أحدهما أو من الرضاع ، ويُستعارُ في كل مشارك لغيره في القبيلة ، أو في الدين ، أو في صنعة ، أو في معاملة ، أو في مودّة [٥]، "والإخاءُ : المحبّة والمودّة والصداقة والمصافاة ، والأُخُوّةُ : المحبّة والأُلفة والصداقة"[٦]. وذكر البلخي (ت١٥٠هـ) ستة وجوهٍ للفظ الأخ ، ومن ضمنها الأخ فـي الحبّ والمودّة ، نحو قوله تعالى ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** ﴾ الحجر:٤٧ ، يعني في الحب والمودّة بعضهم لبعض [٧]، وجاءت لفظة (إخوان) على صيغة جمع التكسير (فِعلان) التي للكثرة ممّا أفاد ذلك الكثرة في الإخوان والوفرة في المحبّة بعد نزع الأحقاد والكراهة والبغضاء من صدورهم ، وهذا من نعم الله وعطائه وفضله .

وعبّرت هذا اللفظة في سياقات عديدة عن التحابّ والتوادّ في **القرآن الكريم** كما عبّرت عن معنى الأخوّة في النسب وغيرها من المعاني ، وممّا يُلحظُ من معنى المحبّة والمودّة ما جاء في قوله تعالى ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ آل عمران : ١٠٣، أي أصبحتم بتوفيق الله

١- المحرر والوجيز ٥: ٤٧١ .
٢- ينظر : إرشاد العقل السليم ٩: ١٤٦ .
٣- ينظر : الكشاف ٢: ٤٧٢ ، و المحرر والوجيز ٣: ٢٧٧ ، وإرشاد العقل السليم ٤: ٣٠٤ ، ونظم الدرر ٤: ٩٤ .
٤- ينظر : في ظلال القرآن ٤: ٢٠٢٨ .
٥- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٦٨ .
٦- معجم المترادفات والأضداد : ٢٩ ، ٣٥ .
٧- ينظر : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للبلخي : ١٤٥ . وهذه الوجوه هي الأخ من أبيه وأمّه أو من أحدهما ، نحو : المائدة:٣٠ ، المائدة:٣١ ، والأخ في النسب وليس كالأول ، نحو : الأعراف:٨٥ ، والأخ في الدين والولاية في الشرك نحو : الإسراء:٢٧ ، والأخ في دين الإسلام والولاية ، نحو : الحجر:١٠ ، والأخ الصاحب ، نحو : الحجرات:١٣ .

متواصلين متحابين بعد أن كنتم أعداءً متحاربين متعادين ، وصرتم بحيث يقصد كل واحد منكم مُراد الآخرين ، لأنّ أصل الأخ من توخيت الشيء إذا قصدته وطلبته [١]، وفي قوله تعالى (فأصبحتم بنعمته إخوانا) تكرار يؤكد الامتنان الذي دلّ عليه قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم) ، والمراد بالنعمة هو التأليف ، والمراد بالأخوة التي توجده وتحققه هذه النعمة أيضاً تألّف القلوب [٢].

وفي آية أخرى تأتي لفظة (إخوان) للتعبير عن المحبّة على لسان طائفة من المسلمين عُرفوا باصطلاح القرآن الكريم بالتابعين وهم غالبية المسلمين بعد الأنصار والمهاجرين في قوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ الحشر:١٠ ، فالتعبير بلفظة (إخوان) والاستمداد من الرؤوف الرحيم في نهاية الآية يحكي عن روح المحبّة والصفاء والأخوّة التي يجب أن تسود المجتمع الإسلامي أجمع ، فكلُّ شخصٍ يتمنّى صفة حسنة لا يتمناها لنفسه فحسب ، بل للآخرين أيضاً ، وبذلك تطهّر القلوب من كلّ أنواع العداء والبغضاء والحسد والحرص [٣]، ولعلّ استخدام صيغة جمع الكثرة لبيان امتلاء قلوبهم بالمحبّة والصفاء لجميع إخوانهم فشمل الدعاء هذا الجميع من دون الأقلّ .

٣- أنس :

الإِنْسُ في **المفهوم اللغوي** البَشَر، والواحد منها إِنْسِيٌّ وأَنَسِيٌّ ، والجمع أَناسِيٌّ ، وأصل الإنس والأنس والإنسان من الإيناس وهو الإبصار، يقال : أَنَسْتُهُ وأَنِستُهُ : أي أبصرته ، ويقال : كيف ابنُ إِنْسِكَ وإِنْسِكَ، يعني نفسه ، أي كيف تراني في مصاحبتي إيّاك ، ويقال فلان ابنُ إِنْسِ فلانٍ ، أي صفيُّه وخاصّته ، وقال الليث : جارية آنِسَة : إذا كانت طيبة النفس ، تُحبُّ قربك وحديثك ، وجمعها الآنسات والأوانس[٤]، والإيناسُ خلاف الإيحاش وكذلك التَّأْنيس والأَنَسُ والأُنْسُ والإِنْسُ الطمأْنينة[٥]، والأُنسُ خلاف النفور ، وآنسه يؤانسه ويؤنسه : لاطفه وألفه [٦]، وقد استعملت هذه اللفظة في **القرآن الكريم** على الصورة الفعلية المضارعيّة المسندة إلى الجمع ليكون لها معنى الألفة التي تحمل ضمناً معنى المحبّة ، ولتكون المحبّة في الاستئناس جمعيّة في قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ النور:٢٧ ، أي تستأذنوا مَن يملكُ الإذن من أصحابها من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا أبصره فإنّ المستأنس مستعلم للحال مستكشف أنّه هل يؤذن له أو من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما أنّ المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن له استأنس[٧] .

١- ينظر : مجمع البيان ٢: ٢١٦ .
٢- ينظر : الميزان ٣: ٤٢٣ ، والتحرير والتنوير ٣ : ٣٣ .
٣- ينظر : الأمثل ١٨ : ١٢٩ .
٤- تهذيب اللغة ١٣ : ٨٦ (أنس)، والمحيط في اللغة ٢ :٢٧٨ (أنس)، والصحاح ٣ : ٩٠٥ (أنس).
٥- لسان العرب ١ : ٢٣٢ (أنس).
٦- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٩٤ ، ومعجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ١ : ١٢٠، ومعجم المترادفات والأضداد :١٠٦ .
٧- ينظر : إرشاد العقل السليم ٦: ١٦٨ .

وذكر ابن عاشور أنّ معنى الاستئناس هو طلب الأنس ، أي تطلبوا أن يأنس بكم صاحب البيت ، وأنسه به بانتفاء الوحشة والكراهية ، وهذا كناية لطيفة عن الاستئذان ، وفي ذلك من الآداب أن المرء لا ينبغي له أن يعرض نفسه إلى الكراهية والاستثقال ، وأنه ينبغي أن يكون الزائر والمزور متوافقين متأنسين وذلك عون على توفر المحبّة والأخوة الإسلامية [١]. والحقيقة أنّ صيغة الاستفعال التي جاء عليها الفعل توحي بالاستعلام عن القبول والارتياح وهي التي ألقت ظلالها في بيان ذلك المعنى .

٤- تبع :

تَبِعَهُ واتَّبَعَهُ في **المفهوم اللغوي** قفا أثرهُ ، وذلك تارة بالجسم ، وتارة بالارتسام والائتمار [٢]، وتبعه : سار وراءه سواء أكان السير حسيّاً أم معنوياً ، والاتباع المعنوي هو الاقتداء والامتثال ، وأكثر ما جاء في القرآن الاتباع المعنوي [٣]. وجاء الاتباع بمعنى المحبّة على صيغة الأمر في **القرآن الكريم** في قوله تعالى ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ آل عمران : ٣١ ، أي إنّ اتباع النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) ومحبّة الله متلازمان ، فمن اتبع النبي أحبّه الله ولا يُحبّ الله عبداً إلاّ إذا كان متّبعاً لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، "وإذا اتبعوا النبي اتصفوا بكلِّ حسنة يحبّها الله ويرضاها" [٤]. والذي نلحظه أنّ الاتباع جاء بين لفظي المحبّة الدالّ على التجدد والاستمرار بتجدد الاتباع واستمراره ، وممّا لاشكّ فيه أنّ اتباع الآخر يوحي بمحبّته أو محبّة أفعاله ، فلا اتباع دون محبّة .

وتشير الآية إلى أنّ " الحبّ ليس بالعلاقة القلبية فحسب ، بل تظهر آثاره في عمل الإنسان ، فإنّ من ادّعى حبّ الله فعليه أولاً اتباع رسوله ، وإنّ من آثار الحبّ الطبيعيّة انجذاب المحبّ نحو المحبوب والاستجابة له ، والارتباط به والسعي في تحقيق طلباته" [٥] .

والحقيقة أنّ من يكون تابعاً لشخص لاشكّ في أنّه يُحبّهُ أو يألفه أو يأنس به ، فكيف إذا كان ذلك المُتَّبَع هو من الرُسُل الذين يحبّون الناس ويهدونهم من دون أجر ، وورد ذلك بصيغة الأمر الجمعي في قوله تعالى ﴿ **وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ، اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ يس : ٢٠ – ٢١ ، وقد افتُتِحَ الخطاب بوصف القومية له ، قُصد منه أن في كلامه الإيماء إلى أن ما سيخاطبهم به هو محْض نصيحة لأنه يحِب لقومه ما يحِب لنفسه ، وجملة (اتبعوا من لا يسألكم أجراً) مؤكدة لجملة (اتبعوا المرسلين)، أي اتبعوا من لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم وتربحون صحة دينكم ، وهم متّصفون بالاهتداء إلى ما يأتي بالسعادة الأبدية ، وهم إنما يدعونكم إلى أن تسيروا سِيرتهم فإذا كانوا هم مهتدين فإن ما يدعونكم إليه من الاقتداء بهم دعوة إلى الهدى ، فتضمنت هذه الجملة بموقعها بعد التي قبلها ثناء على المرسلين وعلى ما

١- ينظر : التحرير والتنوير ١٨: ١٩٧ .
٢- مفردات ألفاظ القرآن :١٦٢، وينظر : معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ١٤٨ .
٣- ينظر : معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ١ : ٢٤٦ .
٤- الميزان ٣: ١٨٢-١٨٣ .
٥- الأمثل ٢ : ٢٣٢ .

يدعون إليه وترغيباً في متابعتهم[١]، لما يحمل ذلك الاتباع من إمارات الألفة والالتئام والتواصل المُحاطة بأجواء المحبّة .

٥- **حفيّ :**

والحِفَايَةُ في **مفهومها اللغوي** مَصْدَرُ الحَفِيّ وهو اللَّطِيْفُ المُحْتَفي بكَ يَبَرُّكَ ، والحَفاوَةُ بالفتح : المبالغة في السؤال عن الرجل والعنايةِ في أمره ، تقول : حَفِيتُ به بالكسر حَفاوَةً وتَحَفَّيتُ به، أي بالغتُ في إكرامه وإلطافه ، ويقال قد تحفيتُ بفلان في المسألة إذا سألت به سؤالاً أظهرت فيه المحبَّة والبِرَّ[٢]. ويقال : تحفيتُ بفلان في المسألة ، إذا سألته سؤالاً أظهرتُ العناية والمحبّة والبرّ ، فـ(حفيّ) فعيل من حفي عن الشيء إذا بحث عن تعرف حاله ، وأن الحفاوة في الأصل الاستقصاء في الأمر للاعتناء به [٣]، والحَفيُّ : البَرُّ اللطيفُ ، والحفيُّ العالمُ بالشيء [٤]، وربّما نلمحُ من هذا الإكرام وتلك العناية والاهتمام معنى المحبّة ، وورد ذلك في **القرآن الكريم** في قوله تعالى ﴿ **قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا** ﴾ مريم:٤٧ ، أي بـاراً معنيّاً ، وقيل : رحيماً أو حليماً أو باراً وقيل : حفيّك من يهمه أمرك ، وهو الشديد البِر والإلطاف ، أو بليغٌ في البّر والإكرام يقال حفيّ به إذا اعتنى بإكرامه [٥]، وذكر الماوردي خمسة أوجه لهذه اللفظة هي : مُقَرِّب ، ومُكْرِم ، و رحيم ، وعليم ، ومتعهد [٦]. في حين ذكر أحد الدارسين لهذه اللفظة وجهين دلالين أحدهما بمعنى عالم جاء في قوله تعالى ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ الأعراف:١٨٧ ، والآخر بمعنى اللطيف جاء في قوله تعالى السابق[٧]، أي إنّ الله تعالى كان كثير البرّ واللطف بيّ يُجيب دعائي إذا دعوته ، وكلّ ذلك من أسباب المحبّة والقرب[٨] .

٦- **حمم :-**

الحامّة في **مفهومها اللغوي** العامّة ، وهي أيضاً خاصّة الرجل من أهله وولده ، قال الليث : والحميم : القريب الذي تَوَدّه ويَوَدّك ، والحامّة خاصّة الرجل من أهله وولده وذي قرابته ، والحميم : الماء الحار ، واليحموم : الدخان [٩]، ويقال : هو حميمي وهي حميمتي ، أي : وديدي وديدتي ، وتقول : هو مولاي الأحمّ ، أي : الأخصُّ والأحَبُّ [١٠]، والحميمُ : الصفيّ والودودُ والعزيز والحبيبُ والقريب والمُقرّبُ [١١].

١- ينظر : التحرير والتنوير ٢٢:٣٦٧ .
٢- المحيط في اللغة ١ : ٢٥٤ ، واللسان ٣ :٣٣٨ ، والصحاح ٦: ٢٣١٦ (حفي).
٣- ينظر : تفسير غريب القرآن : ١٤٤ .
٤- مفردات ألفاظ القرآن : ٢٤٦ . .
٥- ينظر : تفسير غريب القرآن : ١٤٤ ، والبحر المحيط ٧: ٢٧٢ ، وروح المعاني ١٦: ١٠٦ ، والتحرير والتنوير ١٦: ١٢١.
٦- ينظر : النكت والعيون ٣: ٣٧٥ .
٧- ينظر : صيغة فعيل في القرآن الكريم : ١٢٥ .
٨- ينظر : معاني القرآن – الفرّاء ٢ : ١٦٩ ، والكشّاف ٢ : ١٧٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ : ١١٣ .
٩- تهذيب اللغة ١ : ٤٤٥ ، ومفردات ألفاظ القرآن: ٢٥٥(حمم)، واللسان ٣ : ٣٣٨
١٠- أساس البلاغة : ١٧٤ (حمم).
١١- معجم المترادفات والأضداد :٢٣٠ .

وورِدَ معنى (الحميم) في كتب التفسير ليدلّ على معنى القريب المشفق مرةً ومعنى الصديق المخلص المحبّ مرةً أخرى[1]، وقيل هو بمعنى المودّة [2]، ومن الواضح أنّ هذه المعاني كلّها توصلنا ضمناً إلى معنى المحبّة ، وقد جاءت هذه اللفظة صفة مشبّهة للدلالة على معنى القريب المشفق المُحبّ في مواضع عديدة في **القرآن الكريم** وكلّها في سياق الحديث عن القيامة ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى ﴿ **وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا** ﴾ المعارج: ١٠ ، أي : قريبا ، وهو القريب المشفق ؛ لأنّه له في الإشفاق على قريبه حرارةً وحِدّةً [3] ، إذن فالحرارة جزء من المعنى العام ، فتدخل في القرب والشفقة الحرارة المعنوية [4]، والمعنى "أنّه لا يسأل قريب مشفق قريباً مشفقاً عن حاله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك ، وفيها إشارة إلى التهويل ، فقد قطع الهول المروّع الوشائج جميع وحبس النفوس"[5]، وقيل لا يسأله عن حاله لأنّها ظاهرة قد بَصُرَ كل أحدٍ حالة الجميع ، وقيل لا يسأله الشفاعة ولا الإحسان ولا الرفق ، وقيل لا يسأله نصرة ولا منفعة لعلمه أنه لا يجد ذلك عنده ، وجاءت نكرة لإفادة التعميم[6] .

ووردت أيضاً في قوله تعالى ﴿ **فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾ الشعراء : ١٠٠-١٠١ ، أي ما لنا من شفيع من الأباعد ولا صديق من الأقارب ، وذلك حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون[7] ، أو هو القريب المصافي الذي تودّه ويودّك ، ينفع بأدنى نفع كما جرت العادة بذلك في الدنيا ، فأيسوا من كل خير وأبلسوا بما كسبوا ، وتمنوا العودة إلى الدنيا ليعملوا صالحاً ، وأشار الزمخشري في محلّ هذه الآية إلى أنّ هناك شفعاء للمؤمنين من الملائكة والنبيين ، وإنّ لهم أصدقاء ، إذ لا يتصادق في الآخرة إلاّ المؤمنون ، أمّا أهل النار فبينهم التباغض والتباعد ، واستشهد بقوله تعالى ﴿ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾ الزخرف : ٦٧ ، ثمّ بيّن أنّ هذا القول هو لسان حال تحسّر الكافرين آنذاك ؛ لأنّهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله ، فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلّق بهم من النفع ، لأنّ ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم[8]، وذكر أبو السعود أنّ "عدمهما كناية عن عداوتهما ، وإنّ عدم المحبّة في قوله تعالى ﴿ **والله لا يحبّ الفساد**﴾ كناية عن البغض ، أو أنّ المراد بعدمهما عدم أثرهما" [9].

والحميم هنا الخاصّ وقد أشار المفسرون إلى ذلك ، ومنه حامّة الرجل ، وهم الذين يُحرقهم ما أحرقه ، لأنها من الحميم وهو الماء الحار[10]، واقتران الصديق بالحميم لبيان أنّه صديق مشفق[11]، والصديق هو الصادق في ودادك الذي يهمّه ما أهمّك ، وجاء أنّ لفظة (الشفيع) تقتضي رفعة المكانة ، ولفظة (الصديق) تقتضي شدّة

١- ينظر : البحر المحيط ١٠: ٢٧٤ ، والنكت والعيون ٤ : ١٧٨ ، ونظم الدرر ٨: ١٤٧ .
٢- ينظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ١٣٥ .
٣- ينظر : معاني القرآن – الفراء ٣ : ١٨٤ ، ومفردات ألفاظ القرآن: ٢٥٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٥: ٣١٢٠، و معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ٢٤٤ ، ومعجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ١: ٤٤٩ .
٤- ينظر : الكشاف ٤ : ٦١٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ : ٧٣ ، وجامع البيان ١٤ : ٥٧ ، والوجوه والنظائر ، البلخي: ١٥٣ ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ق٢:ج٤ ، ٧ : ٣٤ .
٥- في ظلال القرآن ٦: ٣٦٩٧ ، وينظر : فتح القدير ٢: ١٠٨١ .
٦- ينظر : البحر المحيط ١٠: ٣٣٤ ، وروح المعاني ٢٧ : ٤٢٤ ، ونظم الدرر ٨:١٤٦.
٧- ينظر : مجمع البيان ٧ : ٣٦١ ، وجامع البيان ٩: ٤٥٦ .
٨- ينظر : الكشاف ٣: ٣٢٧، والبحر المحيط ٨: ١٧٠ ، وروح المعاني ١٩ : ٢٣٥، ومفاتيح الغيب ٢٤: ١٣٨ .
٩- إرشاد العقل السليم ٦: ٢٥٣ .
١٠- ينظر : معاني القرآن – النحاس ٢ : ٨٥٨ ، وفتح القدير ٢: ٧٨١ .
١١- ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦ : ٧٣ ، والميزان ١٨: ١٢٢، ومفردات ألفاظ القرآن : ٢٥٥ .

إسهامٍ ونصرة وهو فعيل من صدق الودّ وخالصه ، ولفظة (الحميم) منبّهة على محل الصديق من المرء [١]، والصديق الحميم هو من صدقك مودّته ومحبته بشرط الدين [٢]، أو القريب المشفق أو الوليّ القريب[٣]، وسُمي القريب حميما من الحميّة لأنّه يحمي لغضب صاحبه ، وقد ذهبت يومئذٍ مودّة الصديق ورقّة الحميم [٤].

والحميم في قوله تعالى ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴾ الحاقّة : ٣٥، هو القريب الذي يحمي لغضب صاحبه ، وينفعه ويدفع عنه ويحزن عليه كما كان يفعل معه في الدنيا ، لأنّهم كانوا يتحامون ويفرون منه ، ولأنه يوم يفرُّ فيه القريب من قريبه ، ويهرب الحبيب من حبيبه [٥]. وهذا رأي عليه أغلب المفسرين .

وهناك جمع من المفسرين قالوا هو الصديق اللطيف المودّة ، أي أنّه لمّا كان الكافر لا يؤمن بالله العظيم ، فليس له اليوم هاهنا صديق مخلص ينفعه أي شفيع يشفع له إذ لا مغفرة لكافر فلا شفاعة [٦].

وذكر بعض المفسرين المعنيين معاً ، فهذا أبو حيّان يقول : " هو صديق ملاطفٌ وادٌّ ، ونظيرها قوله تعالى ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ الزخرف : ٦٧ ، أو هو قريب يدفع عنه " [٧].

وإذا نظرنا إلى المعنى العام ولم ننظر إلى دقائق المعنى ، وجدنا أنّ الصديق هو الشخص القريب أو المقرّب للآخر ، فإذا ما فُسّرت كلمة (الحميم) بالصديق أو القريب فكلاهما يصيب المعنى ، ولعلّه هو المعنى الأقرب إلى نصّ الآية ، وهناك من نظر إلى السياق ، أي إلى قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ، فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ، لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ الحاقّة :٣٤ – ٣٧ ، فجمع بين الأكل والشرب وفسّر(الحميم) بالماء السُّخْن ، أي أنّه صفة الماء ، فكأنّه تعالى أخبر أنّ الكافر ليس له ماء ولا شيء مائع ولا طعام إلاّ من غسلين [٨].

وجاء هذا المعنى في قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ غافر: ١٨، والحميم هنا القريب الصادق في مودّتهم مهتم بأمورهم ، مزيل لكروبهم، والحميم لغة الماء الحار الناهي في الحرارة ، سمي القريب به لأنه يحمي لقريبه غضباً[٩] ، أي "ليس لهم قريب يقوم بنصرهم بحميّة القرابة "[١٠]، وقيل هو الصديق ، فالظالمون في هذا اليوم مشغولون بأنفسهم لا ينفعون أحداً ، وهو يوم لا تنفع فيه صداقة ولا خلّة ، وقيل هو المحبّ المشفق [١١].

١- ينظر : البحر المحيط ٨: ١٧٠ ، والمحرر والوجيز ٥: ٣٦١ .
٢- تفسير غريب القرآن : ٢١٠ .
٣- ينظر : المحرر والوجيز ٤: ٥٥٢ .
٤- ينظر : الأمثل ١١ : ٢٦٠ .
٥- ينظر : الكشّاف ٤ : ٦٠٩ و التبيان في تفسير القرآن ١٠ : ١٠٦ ، والنكت والعيون ٦: ٨٥ ، ومفاتيح الغيب ٣٠: ١٠٣ ، وإرشاد العقل السليم ٩: ٢٦، ومعالم التنزيل ٥: ٢٧٦ ، وروح المعاني ٢٧: ٤٠١ .
٦- ينظر : الميزان ١٩ : ٤١٨ ، المحرر والوجيز ٥: ٦٢، والجواهر الحسان في تفسير القرآن ٥: ٤٧٠ ، ونظم الدرر ٨ : ١٣٥ .
٧- البحر المحيط ١٠: ٢٦٣ ، وينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان : ٨٨٤ ،
٨- ينظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٥: ٤٧٠ ، والمحرر والوجيز ٥: ٣٦١ .
٩- ينظر : نظم الدرر ٦: ٤٩٦ .
١٠- الميزان ١٧: ٣٢٠ ، وينظر : النكت والعيون ٥: ١٤٩، والمحرر والوجيز ٤: ٥٥٢ ، وإرشاد العقل السليم ٧: ٢٧٢ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥ : ٥٤ ، ومعالم التنزيل ٥: ٢٤ .
١١- ينظر : الكشاف ٤: ١٦٢ ، والبحر المحيط ٩: ٢٤٦ ، و التحرير والتنوير ٢٤: ١١٤، والأمثل ١٥ : ١٥١ .

وفي هذا الآية ملمح بياني إذ تحتمل عموم السلب وتحتمل سلب العموم ، أمّا الأول فعلى تقدير أن يكون المعنى أنّ كل واحد من الظالمين محكوم عليه بأنّه ليس له حميم ولا شفيع ، أو على تقدير أن يكون مجموع الظالمين ليس لهم حميم ولا شفيع ، ولا يلزم من نفي الحكم عن المجموع نفيه عــن كل واحد مــن آحــاد ذلك المجموع .

ووردت في قوله تعالى ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ فصلت : ٣٤ ، والمعنى "أنّه إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبّتك والحنو عليك ، وترك أفعاله القبيحة وانقلب من العداوة إلى المحبّة ومن البغضة إلى المودّة ، حتى يصير كأنّه وليّ حميم ، أي قريب إليك من الشفقة إليك والإحسان إليك" [١]، والحقيقة أنّ سياق الآية يذهب بنا إلى توخي الدقّة في المعنى ، فجاء أنّ الوليّ هو الحبيب والنصير ، ففي الآية (٣١) من السورة نفسها قال تعالى ﴿ **نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ** ﴾ ، فالآية بشارة للمؤمنين المستقيمين بمودّة الملائكة لهم على طاعة الله بأن الملائكة تخاطبهم وتقول لهم نحن أنصاركم وأحباؤكم في الدنيا كما في الآخرة ، وتفيد الآية أيضاً وجوب اعتقاد تودّد الملائكة إلى من كان مستقيماً على طاعته [٢]، أمّا الآية التي نحن بصددها فقد خصص الخطاب للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) – وإن أفادت العموم – والمعنى : ادفع بحقك باطلهم وبحلمك جهلهم وبعفوك إساءتهم ، فإنّك إن دفعت خصومك بلين ورفق ومحبّة ومداراة صار عدوك الذي يعاديك في الدين بصورة وليك القريب ، فكأنّه وليك في الدين وحميمك في النسب[٣]، وعليه فإذا كان الوليّ هو الحبيب والنصير ، فماذا تعني الحميم ؟ إنها بحقّ تعني الخلوص في المودة والمحبّة ، فاقتران الوليّ بالحميم أفاد هذا المعنى .

٧- حنن :

الحَنينُ في **المفهوم اللغوي** : الشَوقُ وتَوَقانُ النفس ، تقول منه : حَنَّ إليه يَحِنُّ حَنيناً فهو حانٌّ ، والحَنانُ : الرحمةُ ، يقال منه : حَنَّ عليه يَحِنُّ حَناناً ، والحَنَّانُ بالتشديد : ذو الرحمة[٤]، و"الحنين مأخوذٌ من حنين الناقة ، وهو ترجيع الناقة صوتها إثرَ ولدِها"[٥]. والحنينُ : "النّزاعُ المُتضمّنُ للإشفاقِ ، ولمّا كان الحنين متضمناً للإشفاق ، والإشفاق لا ينفكُّ من الرحمة عُبِّرَ عن الرحمة به "[٦] ، والحَنانُ رقّة القلب والرحمة[٧] .

١- تفسير القرآن العظيم ٣: ٢٦٥٢ . وينظر : مفاتيح الغيب ٢٥: ١١٦ ، والأنباء ما في كلمات القرآن من أضواء ٢ : ١٩٥ ، والتفسير الهادي للقرآن الكريم : ٤٨٠ .

٢- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٩: ١٢٦ ، ومجمع البيان ٩: ٢٢ .

٣- ينظر : مجمع البيان ٩: ٢٢ – ٢٣ ، و الأمثل ١٥ : ٢٦٣ . وقد جاءت لفظة (حميم) بمعنى (الشيء الحار) في مواضع عديدة في القرآن للتعبير عن موقف من مواقف الهول والعذاب للكافرين ، ينظر : الحج : ١٩ ، محمد : ١٥ ، الصافات :٦٧ ، الرحمن :٤٤ ، النبأ : ٢٥ ، يونس :٤ ، الحج : ١٩ ، ص : ٥٧ .

٤- الصحاح ٥ : ٢١٠٤ (حنن)، واللسان ٣:٣٦٦ (حنن)، وينظر : التطور الدلالي : ١٠٠ .

٥- الفروق اللغوية : ٣٩ .

٦- مفردات ألفاظ القرآن :٢٥٩ .

٧- ينظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ١٣٧ .

وورد ذلك بصيغة المصدر في قوله تعالى ﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ مريم : ١٣، أي : آتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ورقة قلب عليهم ليحرص على دعائهم إلى طاعة ربهم [١]، وقيل : رحمة وتعطفا وشفقة [٢]، والحنّان صفة من صفات الله تعالى ، وهو الذي يقبل على من أعرض عنه [٣].

ذكر المفسرون في معنى الحنان في هذه الآية دلالات عدّة ، منهم من فسرها بالرحمة ، ومنهم من ذهب إلى معنى المحبّة ، وذهب آخرون إلى التعطّف والشفقة والرقّة ، وقيل إنّ الحنان في الأصل بمعنى الرحمة والشفقة والمحبّة وإظهار العلاقة والمودّة للآخرين ، وقيل هو ما جُبل عليه من الرحمة والعطف والشفقة ، وإطلاق الحنان على الرحمة مشهور في كلام العرب [٤].

وعن ابن زيد أنّ الحنان هنا المحبّة ، وهي رواية عن عكرمة ، أي وآتيناه محبّة من لدنّا ، والمراد على ما قيل جعلناه محبباً عند الناس ، فكل من رآه أحبّه نظير قوله تعالى ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ طه: ٣٩ ، أي كان لا يراه أحد إلاّ أحبّه [٥]، و"الحنان هي المحبّة في شفقة وميل ، كما تقول العرب : حنّت الناقة على ولدها ، وحنّت المرأة على زوجها" [٦].

أمّا إذا كان معناها الرحمة ، فلعلّ المراد بها النبوة أو الولاية كقول نوح (عليه السلام)﴿ وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ﴾ هود:٢٨، وقول صالح (عليه السلام)﴿ وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً ﴾ هود:٦٣ ، ولأنّ أصل الرحمة الإشفاق والعطف والرقّة ، وإنّ الإشفاق لا ينفكّ من الرحمة فقد عبّر عن الرحمة بالحنان [٧]، فكان بالناس رؤوفاً ناصحاً لهم يهديهم إلى الله ويأمرهم بالتوبة .

وذكر الزمخشري في الحنان معنيين أحدهما : رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفاً وشفقة ، وقيل لله (حنّان) كما قيل (رحيم) على سبيل الاستعارة ، والثاني : حناناً من الله عليه ، وحنّ في معنى ارتاح واشتاق ، ثمّ استعمل في العطف والرأفة [٨]، وذهب ابن عاشور إلى أنّ "الحنانَ هي الشفقةُ "[٩].

١- التبيان في تفسير القرآن ٧: ١١١ ، وينظر : مجمع البيان ٦: ٤٦٧ ، وتفسير غريب القرآن : ١٤٥ .
٢- الكشاف ٣ : ١٠ ، وينظر : التفسير الهادي للقرآن الكريم : ٤٨٠ .
٣- فروق اللغات : ١١٢ .
٤- ينظر : البحر المحيط ٧: ٢٤٥ ، والتبيان في تفسير القرآن ٧: ١١١، والدر المنثور ٥: ٤٢٨ ، ومجمع البيان ٧: ٤٦٧، والأمثل ٩: ٢٦٩ . وذكر بعض المفسرين سبعة تأويلات لكلمة (الحنان) وهي الرحمة والتعطّف والمحبّة والبركة والتعظيم والتحنن على العباد والرفق ليستعطف به القلوب وتسرع إليه الإجابة . وقيل إنّ معنى الحنان في الآية هو التلبية ، فكان يحيى (عليه السلام)إذا نادى الله تعالى لبّاه الله سبحانه ، على أنه كان لله تعالى حنان خاص به على ما يفيده تنكير الكلمة ، أي لا يملك عطاءها أحد غيرنا. ينظر : النكت والعيون ٣: ٣٦٠ ، و تفسير القرآن العظيم ٣: ١٨٢١ ، والميزان ١٤: ١٩ ، والدر المنثور ٥: ٤٢٨ .
٥- ينظر : الميزان ١٤: ١٩ ، وروح المعاني ١٦ : ٤٠ والتفسير الوسيط ١٨: ٢٠ ، والإعجاز البياني للقرآن : ٣١٩ -٣٢٠ .
٦- تفسير القرآن العظيم ٣ : ١٨٢١ .
٧- ينظر : مفاتيح الغيب ٢١: ١٧٦ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤: ٧ .
٨- الكشّاف ٣: ١٠، وينظر : إرشاد العقل السليم ٥: ٢٥٩ .
٩- التحرير والتنوير ١٦: ٧٦ .

وبالنظر إلى السياق وتقييد الحنان بـ (لدنّا) ، فإنّ الكلمة إنّما تستعمل فيما لا مجرى فيه للأسباب الطبيعية العادية ، والمراد بها نوع من العطف والانجذاب الإلهي الخاص بينه وبين ربّه غير مألوف ، وعلى ذلك فإنّ الحنان إذا كان من الله تعالى فإنه تولي أمره والعناية بشأنه ، وإذا كان من عيسى (عليه السلام) فإنّه انجذاب منه إلى ربّه [١].

٨- **خدن :**

الخِدْنُ في **المفهوم اللغوي** والخِدان والخدين : مُخادنك ، يكون معك في ظاهر أمرك وباطنه ، والمخادنة المصاحبة . والخِدن والخدين : الصاحب والصديق ، وجمع خدين خُدناء ، وجمع خِدن أخدان [٢]، والخِدن المصاحب ، وأكثر ذلك يستعمل فيمن يصاحب بشهوة [٣]، والخِدن الصديق في السرِّ ، ويقع على الذكر والأنثى [٤].

ولعلّنا نتلمّس مفهوم الحبّ والمحبّة مما ورد في المعاجم اللغوية فالمصاحبة والمصادقة والمنادمة والشهوة تفضي لنا عن معنى المحبة للشيء ، وإن كان الخدن هو الصديق في السرّ ، وأريد بالمخادنة في القرآن المصاحبة غير الشرعية [٥] .

وقد وردت في **القرآن الكريم** بصيغة جمع التكسير على زنة (أفعال) التي للقلّة مرتين ، في قوله تعالى ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ النساء : ٢٥ ، ذكرت كتب التفسير أنّ الخدن هو الحبيب والخليل والصديق والصاحب والرفيق ، ويطلق على الذكر والأنثى [٦]، والمخادنة نوع من أنواع العلاقات يكون بين الرجل والمرأة بغير عقد ولا نكاح يكون الرجل خدناً للمرأة أي : صديقاً لها ، تكون هي خدناً له ، أي صديقة له ، والمتخذات أخدان اللواتي قد حبسن أنفسهن على الخليل والصديق للفجور بها سراً ، فذات الخدن المرأة ذات الخليل الواحد المستترة به ، وقد يقيم معها وتقيم معه ، وقد عُدت صداقة ومودّة ، لذلك اختلفت وجهة نظرهم إليه ، فلم يعدوه قبل الإسلام مـن الزنا الشائن [٧].

١- ينظر : الميزان ١٤: ١٩ .
٢- العين ٤: ٢٣٢ (خدن).
٣- مفردات ألفاظ القرآن : ٢٧٧ ، وينظر : معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ٢٦٦ .
٤- ينظر : الكشاف ١ : ٥٠٠ ، ٦٠٨ .
٥- ينظر : التبيان في تفسير غريب القرآن : ١٣٨ ، ومعجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٢ : ٣٠ .
٦- ينظر : التحرير والتنوير ٥: ١٦، والتسهيل لعلوم التنزيل ١: ٢٤٨ ، وتبيين القرآن ١: ١٣١ ، والكشف والبيان ٣:٣٨٨ ، والمحرر والوجيز ٢:٣٩ ، والنكت والعيون ١: ٢٨٩ ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز١ : ١٧٤ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢: ٦٦٧ ، وإرشاد العقل السليم ٢:١٦٧ ، وروح المعاني ٥:٤٥٧ ، والبحر المحيط ٤: ٩٨ ، ومعالم التنزيل ٢: ٢٩ ، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٢: ٧١ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١: ٤٤٥ ، ومفاتيح الغيب ٥: ١٦٨ ، وجامع البيان ٤: ٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٥: ٩٢ ، ونظم الدرر ٢: ٢٣٦ ، ومدارك التنزيل ١: ٢٤٦، وفي ظلال القرآن ٢: ٦٢٧ .
٧- ينظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د. جواد علي ٣ : ١٦٧ ، والأمثل ٣: ١١٩ ، والتحرير والتنوير ٥: ١٦.

ووردت في قوله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ المائدة : ٥ ، أي أن يكون التواصل بوسيلة الزواج المشروع وليس عن طريق الزنا الصريح ، ولا عن طريق المعاشرة الخفيّة [١]، والمراد بالخدن هنا "المرأة التي يخادنها الرجل أي يصادقها ، وغالباً ما تكون خاصّة به"[٢]، فأخدان جمع خِدن ، وهي في الأصل الصديق ، وعادة ما تطلق على الصداقة السريّة غير الشرعية مع الجنس الآخر ، وهو يقع على الذكر والأنثى ، ومتخذي الأخدان ، أي أصحاب تُسرون معهنّ بالفاحشة[٣]، وفي الآية إشارة إلى أمر المسلمين بالعفّة والبعد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

٩- خلط :

خَلَطَ الشيء بالشيء في **المفهوم اللغوي** المزجُ ، فيَخْلِطُه خَلْطاً وخَلَّطَه فاخْتَلَطَ مَزَجَه ، قال الليث : خَليطُ الرَّجلُ : مخالِطُه ، والخليطُ : القوم الذين أمْرُهم واحدٌ ، والْخَلِيطُ : الصاحب ، والْخَلِيط : الجارُ ، والخلْطةُ : العشرةُ ، قال الليْثُ: رجلٌ خَلطٌ : أي مختلط بالناس متحبّب ، وامرأةٌ خَلطةٌ متحبّبة [٤]، والخلط : هو الجمع بين أجزاء الشيئين فصاعداً ، وهو أعمُّ من المزج ، ويقال للصديق والمجاور والشريك خليط[٥] .

وجاء هذا اللفظ ليُلمحُ منه معنى المحبّة بلفظ المضارع الدال على المفاعلة في **القرآن الكريم** في قوله تعالى ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة : ٢٢٠ ، أي وإن تعاشروهم وتضموهم إليكم فاعتبروهم إخوانكم في العقيدة الإنسانية ، وعاملوهم بمقتضى ما تفرضه الأخوة من تراحم وتعاطف ومساواة ، وهذا القول "إشارة إلى المساواة المجعولة بين المؤمنين جميعا بإلغاء جميع الصفات المميزة بينهم"[٦]، وعلى هذا الأساس فالخطاب للمسلمين عامتهم ، فالقرآن يوصيهم بعدم إهمال اليتامى ، وضرورة معاشرتهم وقربهم زيادة على محبّتهم التي توجبها المخالطة ؛ لأنّ الإعراض عن تحمّل مسؤوليتهم وتركهم وشأنهم أمرٌ مذموم . ولعلّ الفعل المضارع (تخالطوهم) المسند إلى جماعة المسلمين الذي يدلّ على المفاعلة والاستمرار قد أدّى معنى المحبّة ، وإنّ وقوعه في سياق الشرط الذي جوابه لفظة(إخوانكم) التي تدلّ أيضاً – كما أسلفنا– على معنى المحبّة ، وبذلك يكون ظلال المحبّة قد فاض في السياق من خلال هذا الارتباط .

ويأتي أمر المحبّة بلفظ الجمع (خلطاء) في قوله تعالى ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ ص : ٢٤ ،فـ(خلطاء) جمع (خليط) على (فُعلاء) للكثرة ، ويحتمل في

١- ينظر : الأمثل ٣ : ٣٦٦ .
٢- التفسير الوسيط ٥: ١١ .
٣- ينظر : الكشاف ١: ٦٤٢ ، والأمثل ٣ : ٣٦٧ ، والدر المنثور ٢: ١٣٠ .
٤- تهذيب اللغة ٢ : ٤٥٧ ، ولسان العرب ٤ : ١٧٥ ، والمعجم الوسيط ١ : ٢٥٠ (خلط).
٥- مفردات ألفاظ القرآن : ٢٩٣ .
٦- الميزان ٢: ٣٠٢ ، ومفاتيح الغيب ٦: ٤٨ ، والتفسير الوسيط ١: ٢٨٠ ، وقد حُملت المخالطةُ على المصاهرة . ينظر : إرشاد العقل السليم ١: ٢٢١ .

"الخُلَطاءِ أن تكون بمعنى الأصحاب أو الشركاء"(١)، ولعلّ المعنيين كليهما يحملان معنى المحبّة أو فيهما شيء من المحبّة ومصداق ذلك التقارب ، ولكنّ الآية تقرر أنّ كثيراً من الأصدقاء والمخالطين يبغي بعضهم على صاحبه ، إلاّ الذين آمنوا وهم قلّة في مقابل الكثرة فناسب ذلك مع لفظ جمع الكثرة ، نعم فالأشخاص الذين يراعون بصورة كاملة في معاشرتهم وصداقتهم الطرف المقابل قليلون جدّاً ، وهم المتزودّون بالإيمان والعمل الصالح .

١٠- ذكر :-

الذِّكْرُ في **مفهومها اللغوي** : الحفظ للشيء(٢)، والذّكْرُ : تارةً يُقالُ ويُرادُ به هيأةٌ للنفسِ بها يُمكنُ للإنسانِ أن يَحفظَ ما يقتنيهِ من المعرفةِ ، وهو كالحفظِ إلاّ أنّ الحفظَ يُقالُ اعتباراً بإحرازهِ ، والذّكر يُقالُ اعتباراً باستحضارهِ ، وتارةً يُقالُ لحضورِ الشيء بالقلبِ أو القولِ ، ولذلك قيل : الذّكرُ ذكران : ذكرٌ بالقلبِ وذكرٌ باللسانِ ، ويأتي الذكـر بالقلب واللسان معاً(٣) .

ويأتي السياق في **القرآن الكريم** ليبيّن معنى المحبّة التي تضمنها لفظ الذكر في قوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ البقرة: ١٩٨ ، أي فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات(٤). وتتجسّد محبّة الله تعالى بإعظامه وإجلاله عن طريق الذكر بالقلب واللسان والعمل بالجوارح ، وجاء ذلك بلفظ الفعل الأمر الدال على وجوب الفعل ، فكأنّما هذا الذكر يقوي العلاقة بين العبد وربّه .

ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾ البقرة:٢٠٠ ، أي فأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم ، "وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل ، فيعدّدون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم"(٥)، ولعلّ الآية تُشير إلى النهي أو التقليل من ذكر مآثر الآباء والأجداد لما فيها من التفاخر الذي يفضي إلى التنافر ، ووصف الذكر بالأشدّيّة دلالة على الإكثار والمبالغة في ذكر الله لما فيه من محبّته التي هي التعظيم .

وقال بعض العلماء في الفرق بين قوله تعالى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ البقرة: ١٥٢ ، وقوله تعالى ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ البقرة:٤٠، إنّ قوله(اذكروني) مخاطبة لأصحاب النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم) الذين حصل لهم فضل قوة بمعرفته تعالى ، فأمرهم بأن يذكروه بغير وساطة ، وقوله (اذكروا نعمتي) مخاطبة لبني إسرائيل الذين لم يعرفوا الله إلاّ بآلائهِ ، فأمرهم أن يتبصّروا نعمته فيتوصّلوا بها إلى معرفته (٦).

١- النكت والعيون ٥: ٨٨ .
٢- العين ١ : ٤٣٧ .
٣- مفردات ألفاظ القرآن : ٣٢٨ .
٤- ينظر : الكشاف ١: ٢٧٣، والتحرير والتنوير ١: ٢٤١ .
٥- الكشاف ١ : ٢٧٥ .
٦- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٣٢٨ – ٣٢٩ .

ويأتي الذكر بمعنى الطاعة والجزاء الذي يفضي ربما إلى معنى المحبّة[١]، فطاعة الله تعالى محبّة له ، وجزاؤه إحسان ومحبّة للبشر ، وورد هذا المعنى في قوله تعالى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ البقرة : ١٥٢ ، أي اذكروا عظمتي وصفاتي وثنائي وما ترتب عليها من الأمر والنهي ، أو اذكروا نعمي ومحامدي ، وسوف (أذكركم)، أي أعاملكم معاملة من ليس بمغفول عنه بزيادة النعم والنصر والعناية في الدنيا ، وبالثواب ورفع الدرجات في الآخرة [٢]، وقد ذكر الفخر الرازي مواطن الذكر بقوله " أما الذكر فقد يكون باللسان ، وقد يكون بالقلب ، وقد يكون بالجوارح ، فإنّ الأمر بقوله : (اذكروني) متضمناً الطاعات جميعها ، أما قوله : (أَذْكُرْكُمْ) فلا بدّ من حمله على ما يليق بالموضع ، والذي له تعلق بذلك الثواب والمدح ، وإظهار الرضا والإكرام ، وإيجاب المنزلة ، وذلك كلّه داخل تحت قوله : (أَذْكُرْكُمْ) "[٣]. ولعلّنا إذا نظرنا في مواطن الذكر للهِ كلّها أو مواطن ذكر المقربين للمسنا منه تلك المحبّة وذلك التعلّق الذي يربط العبد بربّه .

١١- ذلّ :-

الذال واللام في التضعيف في **المفهوم اللغوي** أصلٌ واحد يدلُّ على الخُضوع والاستكانة واللِّين ، فالذُّل : ضِدّ العِزّ ، والذِّلُّ خلاف الصُّعوبة ، والذِّلُّ : الرِّفْقُ والرحمةُ [٤].

واللين والرفق والرحمة هي من لوازم المحبّة ، وفي التواضع للوالدين ولزوم طاعتهما وبرّهما ومحبتهما جاء في **القرآن الكريم** في قوله تعالى ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ الإسراء: ٢٤، تأمر الآية بالتواضع لهما ، هذا التواضع الذي يكون علامة المحبّة ، ودليل الودّ لهما ، "فلا تبخل عليهما بأي شكل من أشكال المحبّة واللطف"[٥]، وأضاف الجناح إلى الذلّ مبالغة في التذلل والتواضع لهما ، وزيادة في تبجيلهما والتلطف معهما في القول والفعل والمعاملة على اختلاف ألوانها ، وقوله (مِنَ الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما[٦].

وجاء أيضاً لإظهار اللين والرفق والرحمة للمؤمنين الموحي بالمحبّة في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة:٥٤ ، يعني أهل تواضع ولين ورحمة ورقّة ، والأذلّة والأعزّة جمعا تكسير للقلّة ومفردهما عزيز وذليل ، وهما كنايتان عن خفضهم الجناح للمؤمنين تعظيماً لله الذي هو وليّهم وهم أولياؤه ، ولعلّ اقتران أذلّة بـ(على) لتضمنه معنى الحنان أو الحنو[٧]، وهذا الاقتران هو الذي أكسبها معنى الحنان والرفق ، وهي من التواضع والحنو واللين على المؤمنين ، وليس بوصفهم أنّهم مهانون ، بل المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب للمؤمنين .

١- ينظر : الإتقان في علوم القرآن ٢ : ١٢٩ .
٢- ينظر : التحرير والتنوير ٢: ٥١ .
٣- مفاتيح الغيب ٣: ٣٤ .
٤- مقاييس اللغة ٢ : ٣٤٥ ، ولسان العرب ٥ : ٥٦(ذلل) .
٥- الأمثل ٨ : ٢٩٥ .
٦- ينظر : الكشاف ٢: ٦١٥، وفي ظلال القرآن ٤: ٢٢٢١ .
٧- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٣ : ٥٥٦ ، والميزان ٥: ٣٩٦، والإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ٢ : ٣٠٠ .

وقيل إنّهم أرقّاء رحماء متذللين ومتواضعين لهم ، واقترانه بـ(على) إمّا لتضمنه معنى العطف والحُنُوّ ، أو للتنبيه على أنّهم مع علوّ طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ، أو لرعاية المقابلة بينه وبين (على) في قوله تعالى اللاحق (أعزّة عن الكافرين)[١] .

١٢- أراد :-

أراد الشيء في **المفهوم اللغوي** شاءه و أحبّه[٢] ، قال الراغب : الإرادة منقولة من راد يرودُ إذا سعى في طلب شيء ، وهي في الأصل قوّةٌ مركبةٌ من شهوةٍ وحاجةٍ وأملٍ ، وجُعل اسماً لنزوع النفس إلى الشيء ، فإذا استعمل في الله فإنّه يُراد به المنتهى في الشيء دون المبدأ ، فإنّه يتعالى عن نزوع النفس ، ومنه قوله تعالى ﴿ **قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً** ﴾ الأحزاب:١٧ [٣]، وأراد الشيء يريده إرادة : مال إليه ، والإرادة بالنسبة لما ليس لــه إرادة كالجماد ، يراد بها المشارفة والمُداناة ، على سبيل المجاز [٤].

وجاء أنّ المحبّة هي الإرادة إلاّ أنّ فيها حذفاً لا يكون في الإرادة فإذا قلت أحبُّ زيداً فالمعنى إنّي أُريد منافعه أو مدحه ، وإذا قلت أحبَّ اللهُ زيداً فالمعنى أنّه يريد ثوابه وتعظيمه ، وإذا قلت أُحبُّ الله فالمعنى أريد طاعته واتباع أوامره ، ولا يقال أريد زيداً ولا أنّ الله يريد المؤمن ولا أنّي أريد الله ، فاعتيد الحذف في المحبة ولم يعتد في الإرادة ، وقيل إنّ المحبّة ليست من جنس الإرادة بل هي من جنس ميل الطبع ، كما تقول أحبُّ ولدي أي يميل طبعي إليه ، وهذا من المجاز بدلالة أنّهم يقولون أحببت أن أفعل بمعنى أردت أن ، وقيل إنّ الرغبة والمحبّة والإرادة نظائر ولكن بينهم فرق ، ويظهر الفرق بينهم من نقيضهم ، فنقيض الرغبة الرهبة ، ونقيض المحبّة البغضة ، ونقيض الإرادة الكراهية [٥] ، ومن معاني الإرادة الودّ والرغبة [٦]، وقيل إنّ "الحبّ له على الإرادة مزية الإيثار"[٧] .

وممّا تقدّم يظهر لنا أنّ هناك ترابطاً بين الإرادة والمحبّة في الدلالة ، إذ إنّ في المحبّة إرادة وفي الإرادة محبّة ، مع ما في المعنيين من فروق دلالية ، وقد جاء الفعل (يريد) بصيغة المضارع ليُلمحَ منه معنى محبّة الدنيا ، كما يُلمحُ منه محبّة الآخرة[٨]في **القرآن الكريم** في قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ **آل عمران :١٥٢** ، فالآية تتحدّث عن معركة أحد ، فالإرادة الأولى هي محبّة الدنيا وهي الغنيمة ، فقد كان نزولهم من الجبل تأويلاً لإرضاء حُبّ المال[٩]، والإرادة الثانية هي إرادة الآخرة ، فمنهم من أراد الآخرة وأحبّها فثبتوا على طاعة رسول الله مع ابن جبير

١- ينظر : البحر المحيط ٤: ٢٩٨ ، وإرشاد العقل السليم ٣: ٥١ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢: ١٣٢.
٢- المعجم الوسيط ١ : ٧٩١ (راد).
٣- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٤٥٣ ، والإنباء بما في القرآن من أضواء ١:٩٥ .
٤- ينظر : معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٢ : ٢٢٩ .
٥- ينظر : مجمع البيان ٨: ١٥٤ .
٦- ينظر : معجم المترادفات والأضداد : ٣٩ .
٧ - البحر المحيط ٨: ٤٦٢ . يرفض صاحب مواهب الرحمن تفسير المحبّة بالإرادة لأنّه يرى أنّها خلاف الاستعمالات اللغوية المتعارفة ، لأنّه يصحّ أن يقال : " اللهمّ من أرادني بسوء فأرده " ولا يصحّ أن نقول : " اللهمّ من أحبّني بسوء ..." ، ولكنّه يرى أنّه يصحّ جعل الإرادة والشوق من مبادئ المحبّة . ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢:٣١٣ .
٨- ينظر : المعجم الموضوعي لتصنيف القرآن الكريم : ٢٤١ .
٩- ينظر : التحرير والتنوير ٤: ١٢٩، والمحرر والوجيز ١ :٢٥٢ ، وفي ظلال القرآن ١:٤٦٤ .

في موقعهم حتى استُشهدوا [١]، وعبّر عن الإرادة بالمضارع لما في قلوبهم من تجدد الإرادة واستمرارها وتلبسها ، ولكنّ الله تعالى أراد أن يُخلصهم من حبّ الدنيا فذكر العفو والفضل .

وفي سياق آخر عبّر القرآن عن إرادة الدنيا بالفعل المضارع (يريد) ، وعبّر عن إرادة الآخرة بالفعل الماضي (أراد) في قوله تعالى ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ الإسراء: ١٨ – ١٩، والمعنى : "أنّ هذا الفريق الذي يريد الحياة الدنيا فقط قد نعطي بعضهم بعض ما يريد على حسب مشيئتنا وإرادتنا لأسباب مختلفة ، ولا يَخلو أحد في الدنيا من أن يكون قد عجل له بعض ما يرغبه من لذات الدنيا" [٢]، فقد كنّى بالعاجلة عن الدنيا ، أي من كان يريد نعيم الدنيا فقط ، لا همَّ له غيرها ، عجّلنا له من نعيمها ما نشاء تعجيلَه نحنُ ، لا كما يحبُّ هو ويهوى [٣]. وممّا يؤيّد أنّ الإرادة قد تضمنت معنى المحبّة قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ الإنسان : ٢٧. ولعلّ التعبير بالمضارع لإرادة الدنيا هو تجددها في قلوبهم واستمرارها كما ذكرنا ، أمّا التعبير بالماضي عن إرادة الآخرة فكأنّهم جُبلوا على إرادتهم ، والسعي لها للدلالة على أنّ إرادة الشيء لا يكفي لتحصيلها من دون سعي .

ومنه أيضاً إرادة الله تعالى الدالة على الإحاطة والعناية الخاصّة الموجبة لمطلق المحبّة ، وقد عبّر عنها بالفعل المضارع (يُريد) في قوله تعالى ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب : ٣٣ ، فقد نزلت هذه الآية في أهل بيت النبي المعصومين ، وإنّهم نتيجة دوام الرعاية الإلهية وأعمالهم الطاهرة ، لا يقدمون على المعصية مع امتلاكهم القدرة والاختيار في إتيانها ، وإن التعبير بـ (إنّما) الذي يدلّ على الحصر عادةً ، دليل على أنّ هذه المنقبة خاصّة بأهل بيت النّبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) [٤] .

ومثله قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ النساء : ٢٧، أي " ويحبّ الذين يتّبعون الشهوات أن تميلوا ، ولمّا كانت رغبتهم في ميل المسلمين عن الحقّ رغبة لا تخلو عن سعيهم لحصول ذلك ، أشبهت رغبتُهم إرادة المريد للفعل ، فقد كان المشركون يحبّبون للمسلمين الزنى ويعرضون عليهم البغايا ، والميلُ العظيم هو البعد عن أحكام الشرع والطعن فيها" [٥] ونظيره قوله تعالى بعد هذه الآيــة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ النساء : ٤٤ .

١- ينظر : الكشف والبيان ٣ : ٢٤٦ .
٢- التحرير والتنوير ١٥: ٥٨ .
٣- ينظر : الإبداع البياني في القرآن العظيم : ١٨٠ .
٤- ينظر : الأمثل ١٣ : ١٥٧ . ومنه قوله تعالى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القصص : ٨٣ ، ومعنى الإرادة هنا هو حبّ الرياسة . ينظر : المعجم الموضوعي لتصنيف القرآن الكريم : ٢٤٦ .
٥- التحرير والتنوير ٥: ٢١ .

١٣- **رأف :-**

رَأَفَ به رأفةً في **مفهومها اللغوي** : أشفق عليه من مكروه يحلّ به فهو رؤوف ، والرأفة أشدَّ الرحمة والشفقة ، والرأفة من الله دفع السوء [١]، ورَأَفَ يَرْأَفُ إذا رَحِمَ والرَّأْفَةُ أَرَقُّ من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة ، والرحمةُ قد تقع في الكراهة للمَصْلحةِ[٢]، وقد ورد هذا اللفظ في مواضع عديدة في **القرآن الكريم** ليدلّ على الشفقة والرحمة أو أشدّهما وأرقّهما ، وقيل إنّها جاءت لتحمل هذا الوجه الدلالي فقط[٣]، وممّا لاشكّ فيه أنّ رأفة الرسول تشتمل محبّته للمرؤوف به التي هي عنايته ورعايته ، ومنه قوله تعالى﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ التوبة:١٢٨، وعبّر عن الرأفة والرحمة بصيغتي المبالغة (فَعُول وفعيل) وقدّم الأبلغ منهما وهو الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة رعاية للفواصل وهو أمر مراعي في القرآن ، وقد يقال : تقديم الرأفة بوصف أنّ آثارها دفع المضار وتأخير الرحمة بوصفها أنّ آثارها جلب المنافع والأول أهم من الثاني[٤]. وإذا ما تأملنا هذا اللفظ لوجدنا أنّه يشتمل الحبّ والمحبّة ؛ لأنّ الذي يحمل بين جنباته الرأفة للآخرين ويحمل في قلبه محبّتهم .

وجاءت الرأفة بصورة المصدر ليُلمحَ منها معنى المحبّة في قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ الحديد :٢٧ ، فالمراد بالرأفة والرحمة كما يرها ابن عطيّة حبّ بعضهم بعضاً وتوادّهم[٥]، "والذين اتبعوه هم الحواريون جعل الله في قلوبهم مودّة ورحمة يتراحمون بها ، بخلاف اليهود فإنّهم ليسوا كذلك" [٦].

١٤- **رحم :-**

الراء والحاء والميم في **المفهوم اللغوي** أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الرّقّة والعطف والرأفة[٧]، والرَحْمَةُ : الرِقَّةُ والتعطُّفُ[٨]، والرحمة رقّةٌ تقتضي الإحسان إلى المرحوم ، وإذا وُصفَ به الباري فليس يُرادُ به إلاّ الإحسان المُجرّد دون الرقّةِ ، وعلى هذا فإنّ الرحمة من الله إنعامٌ وإفضالٌ وإحسانٌ ، ومن الآدميين رقّةٌ وتعطّفٌ ، وممّا تقدّم فإنّ الرحمة منطوية على معنيين المرقّة والإحسان ، فرَكَزَ تعالى في طبائع الناس الرقّة وتفرّد بالإحسان [٩] .

١- العين (رأف) ٨ : ٢٨٢ ، والصحاح(رأف) ٤ : ١٣٦٢ ، ومفردات ألفاظ القرآن: ٣٧٣ ، واشتقاق أسماء الله : ٩٢ ، والقاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ١٨٨ ، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٢ : ١٦١، والأنباء ما في كلمات القرآن من أضواء ٣ : ٨.
٢- اللسان(رأف) ٥ : ٨٢ .
٣- ينظر : ألفاظ التسامح في الخطاب القرآني : ٢٧ (رسالة ماجستير)
٤- ينظر : الإتقان في علوم القرآن ٣ : ٣٠١ ، وروح المعاني ١٠: ٥٨١ .
٥- ينظر : المحرر الوجيز ٥: ٢٧٠ .
٦- فتح القدير ٢: ٩٧٠ .
٧- مقاييس اللغة (رحم) ٢ : ٤١٤ .
٨- الصحاح (رحم) ٥ : ١٩٢٩ ، واللسان(رحم) ٥ : ٨٢ .
٩- مفردات ألفاظ القرآن : ٣٤٧.

وترد لفظة الرحمة لمعان عديدة في **الاستعمال القرآني** ومن هذه المعاني المودّة والمحبّة[1]، إذ جاءت بهذا المعنى على صيغة جمع التكسير (فُعَلاء) في قوله تعالى ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الفتح : ٢٩ ، ومعنى قوله (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) أي : أنهم مع إخوانهم المؤمنين يتوادون ويتعاطفون ويتعاونون على البر والتقوى[2]؛ لأنّ الله تعالى أمرهم باللين للمؤمنين ، فهو يحبّهم ويحبّونه بشهادة آية المائدة [3]، "وقد بلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه وعانقه"[4]، ولعلّ وصفهم بـ(رحماء) على صيغة الكثرة للدلالة على المبالغة في اللين والرقّة .

١٥- رضى :-

الرضا في **المعنى اللغوي** ضدّ السخط ، ورضى عنه وعليه أحبّه وأقبل عليه يودّهُ ، ورضى الله عن فلان أي قبله وأراد ثوابه[5] ، وجاءت هذه اللفظة في **القرآن الكريم** بدلالات مختلفة منها دلالة المحبّة كما في قوله تعالى ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ المائدة : ١١٩، الرضا هو المسرة الكاملة بما جازاهم به من الجنّة ورضوانه ، وأصل الرضا المحبّة وأثرها من الإكرام والإحسان ، فرضي الله مستعمل في إكرامه وإحسانه مثل محبّته في قوله (يحبّهم) ، ورضا الخلق عن الله هو محبّته وحصول ما أمّلوه منه بحيث لا يبقى في نفوسهم متطلّع[6] وقيل إنّ الله تعالى رضي عنهم فأعطاهم بسبب إيمانهم الصادق وعملهم الصالح عطاء هو نهاية الآمال والأماني أمّا رضاهم عنه فهو بسبب هذا العطاء الجزيل الذي لا تحيط العبارة بوصفه[7].

وجاء هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ البقرة : ١٢٠ ، أي تحبّكم [8].

وتُلمحُ المحبّة من لفظ الرضا في قوله تعالى ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ التوبة : ٩٦ ، أي إنّ رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه .

١- ينظر : الإتقان في علوم القرآن ٢ :١٢٦ .
٢- ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢: ٥٧٨ ، وبحر العلوم ٧: ٢١١ ، والتفسير الوسيط ٢٦: ٩٢ .
٣- ينظر : نظم الدرر ٧: ٢٤١ .
٤- مفاتيح الغيب ٢٨: ١٠٠ .
٥ - لسان العرب ٥: ٢٣٦(رضي) .
٦ - ينظر : التحرير والتنوير ٦: ٣٢٣ .
٧ - ينظر : التفسير الوسيط ٤: ٣٥٣ .
٨ - ينظر : الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ٣ : ٧٥ .

١٦- زيّن :-

الزَّيْن في **المفهوم اللغوي** : نقيض الشَّين ، قال الليث: زانه الحُسْن يزينه زيناً. وازدانت الأرض بنباتها ازديانا، وازَّيّنتْ وتزيّنَتْ: أي حسنت وبهجُت، وقال: الزِّينة اسم جامع لكل شيء يُتَزيَّن به[١]. والزّينة الحقيقيّة : ما لا يشينُ الإنسانُ في شيء من أحوالهِ لا في الدنيا ولا في الآخرة ، والزّينةُ بالقول المجملِ ثلاثٌ : زينةُ نفسيّة كالعلم والاعتقادات الحسنة ، وزينةُ بدنيّة كالقوّة وطول القامة ، وزينةُ خارجيّة كالمال والجاه[٢]، وزيّن : جمّل وحسّن ورغّب في ، والزينةُ : الجمالُ والبهاءُ [٣].

والتزيين فعل الله لأنّه خالق كلّ شيء ويكون محموداً ، ويُسند التزيين إلى الشيطان ليجعل فيكون مذموماً فيُزيّن بعض الأشياء في قلوب الخلق ليحيدهم عن الطريق ، وهو من دواعي وسوسته للخلق ، وقد جاء التزيين بمعنى الحبّ للدنيا[٤] بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول في **قوله تعالى** في قوله تعالى ﴿ **زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ البقرة : ٢١٢ ، أي "أوجدتْ حسنة وجُعلتْ محبوبة في قلوبهم فتهافتوا عليها تهافت الفراش على النار وأعرضوا عما سواها"[٥]، والآية تصوّر الكافرين وإقبالهم على الدنيا يبتغونها ويطلبونها [٦]، والمُزيّن هو الشيطان ، حسّنها في أعينهم بوسواسه وحبّبها إليهم ، ويجوز أن يكون المُزيّن الله تعالى ؛ لأنّه أمهلهم في الدنيا ، ولم يمنعهم عن الإقبال عليها والحرص الشديد في طلبها [٧]، وصياغة الفعل للمجهول تشير إلى أن تركيبهم الفطري قد تضمن هذا الميل فهو محببٌ ومزيّن ، زيادة على ذلك فإنّ صيغة الماضي تدلّ على ثبوت الحدث[٨] .

ويأتي التزيين لنلمح منه معنى التحبيب للأشياء في مواضع عديدة في القرآن ، وإن كان التزيين والتحسين والتجميل من لوازم التحبيب والترغيب ، وجاء التزيين في هذا الموضع بصيغة الماضي المبني للمعلوم المسند إلى ضمير الجمع (نا) في قوله تعالى ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ الإنعام:١٠٨ ، فالمزين هو الله سبحانه بدليل ضمير الجمع (نا) العائد إلى الله تعالى ، والدال على التعظيم ، فالله تعالى زين الأعمال الصالحة في قلوب الأمم ، وتزيين الله هو ما يخلقه ويخترعه في النفوس من المحبّة للخير واتباع لطرقه [٩].

وفي موضع آخر يأتي التزيين من الله تعالى أيضاً في قوله ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ النمل:٤ ، بمعنى " أنّا حببنا لهم قبيح أعمالهم وسهلّنا ذلك عليهم"[١٠]، وإسناد التزيين إلى الذات

---

١ - تهذيب اللغة ١٣ : ٢٥٥ (زان).
٢- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٣٨٨-٣٨٩ .
٣- ينظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ٢٢٩ ، ومعجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٢ : ٢٦٨ ، ومعجم المترادفات والأضداد :٢٨٩ .
٤- ينظر : المعجم الموضوعي لتصنيف القرآن الكريم : ٢٤١ .
٥- مفاتيح الغيب ٦: ٥ .
٦- ينظر : جامع البيان ٢:٢٨ .
٧- ينظر : الكشاف ١: ٢٨٢ ، ومفاتيح الغيب ٢: ٣٦٨ .
٨- ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٣: ٢١ ، والبحر المحيط ٢ : ١٢٩ .
٩- ينظر : مفاتيح الغيب ٥ : ١١١ ، والنهر الماد ١ :٧٣٢ .
١٠- جامع البيان ٩ : ٤٩٥ .

الإلهيية مجاز كما يرى الزمخشري ، " أي إنّ أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها زينها لهم الله فعموا عنها وضلّوا "[١]، وجاء الفعل بصيغة الماضي للدلالة على تأكيد وقوع الحدث [٢]، والذي يُلحظ من الآية أنّه ما تزينت لهم الأعمال إلاّ بعد إصرارهم على عدم الإيمان وتأكيد ذلك فلذلك ابتدأت الآية بتأكيد .

ويأتي تزيين الإيمان معطوفاً على تحبيبه ليُعلمَ أن تزيين الأشياء المعنويّة مرحلة لاحقة لتحبيبها في قوله تعالى ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** ﴾ الحجرات:٧ ، بمعنى "حسّنه إليكم أو زاده حُسناً حتى رسّخه في قلوبكم[٣] ، أو أنّه رغّبهم في الإيمان فامتثلوا وزان في قلوبهم"[٤]، ويدلّ استخدام حرف الجرّ(في) هنا على أنّ الفعل يحدث بعد دخول الإيمان في القلوب ، أي زُين الإيمان وهو في قلوبهم [٥]. فالإيمان زينة معنويّة محببة ، فلها جمالها الروحي وشفافيتها الأخّاذة ، لا لأنّها جميلة وبهيّة وحسب ، وإنّما لأنّها من الأنوار الإلهية التي يخصّ بها عباده المؤمنين [٦].

ويأتي المال والبنون زينة الدنيا ، وهما كما هو معلوم من الأمور المحبوبة لما في جبلّة الإنسان من ميل ورغبة تجاهما ، وجاء ذلك في قوله تعالى ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا** ﴾ الكهف : ٤٦ ، تبيّن الآية وتنبّه الناس على ما تعلّق بالنفس البشرية من محبّة شديدة بهما في الدنيا [٧].

١٧- **زلف :-**

الزُّلْفَةُ في **المفهوم اللغوي** : الدنو والمنزلةُ والحظوةُ والمكانة والمرتبة[٨]، والزُّلفى مصدر على المعنى أي يقربكم قربى [٩]، وجاء هذا اللفظ في عدّة مواضع من القرآن ليدلّ في أغلبها على القربى والمنزلة وتكريم الله تعالى ، ومن ملامح المحبّة هي التقريب والتكريم ، وممّا جاء في **الذكر الحكيم** على صيغة المصدر قوله تعالى ﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** ﴾ الزمر:٣ ، (زلفى) بمعنى قربى وتوصلة ، كأنه قال : لتقربنا إلى الله تقريباً ، أي: لترفع حوائجنا لله ، ولتكون شفيعة لنا عنده حتى يرفع عنا البلاء والمحن ، وإلا فنحن نعلم أنها، لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئا[١٠]، والضمير البارز في نعبدهم راجع إلى الأشياء التي كانوا يعبدونها

١- الكشاف ٣ :٣٥٣ . ومثلها : التوبة :٣٧ ، وفصلت : ٢٥ .
٢- ينظر : الكشاف ١: ٣٥٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣: ١٠٥ ، والبحر المحيط ٢ : ١٢٩ ، وصيغة فعّل في القرآن الكريم : ٢٨٦
٣- ينظر : جامع البيان ١١:٣٨٥ ، مفاتيح الغيب ١٠ : ١٠٢ ، وإرشاد العقل السليم ٨ : ١١٩ .
٤- التحرير والتنوير ٢٦ : ٢٣٧ .
٥- ينظر : الفعل في القرآن الكريم ، تعديته ولزومه :٤٤١ .
٦- ينظر : الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم : ٦٣ .
٧- ينظر : البحر المحيط ٦ : ٢٧. ويأتي فعل التزيين ليدلّ على قدرة الله تعالى في : فصلت:١٢، الملك : ٥ ، الصافات :٦. ينظر : الطبيعة في القرآن الكريم : ٣٣٦ ، وصيغة فعّل في القرآن الكريم : ٢٨٧ .
٨- تهذيب اللغة ١٣ : ٢١٢ (زلف)، واللسان ٩ :١٣٨ (زلف)، والصحاح ٤ : ١٣٧٠ (زلف).
٩- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٣٨٢ ، معجم المترادفات والأضداد :٢٨٦ .
١٠- ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٧١٨ ، و التفسير الوسيط ٢٨ : ٢٣ .

من الملائكة ، وعيسى ، والأصنام ، وهم المرادون بالأولياء "[1]، وفي قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ ص:٢٥ ، ٤٠ ، أي "القربة وكرامة و منزلة عالية مع ماله من الملك العظيم فهو إشارة إلى أن ملكه لا يضره ولا ينقصه شيئاً من مقامه"[2].

وجاءت بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول في قوله تعالى﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الشعراء:٩٠ ، أي قُربتِ الجنَّةُ للمتَّقين ، والقربى من دلائل المحبّة ، فيُشاهدونها من الموقفِ ويقفُون على ما فيها من فنُون المحاسنِ فيبتهجُون ويغتبطون بأنَّهم النازلون فيها[3].

١٨- سكن :-

سَكَنَ الشيء سُكوناً في **مفهومها اللغوي** : استقرَّ وثبت ، والسَكينَةُ : الوَداعة والوقار[4]، والسّكُونُ : ثبوتُ الشيء بعد تحرّكٍ ، ويُستعملُ في الاستيطان ، والسَّكَنُ : السّكون وما يُسكنُ إليه [5]، وسكن : هدأ واستقرّ [6] .

ورد هذا المعنى في **القرآن الكريم** ليعبّر عن الألفة والمحبّة والاطمئنان بصيغة الفعل المضارع المنصوب بأنْ مضمرة بعد لام التعليل في قوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الروم : ٢١ ، أي : لتطمئنّوا وتميلوا إليها وتألفوها ويستأنس بعضكم ببعض ، فإنّ المجانسة من دواعي التضام والتعارف ، كما أن المخالفة من أسباب التفرّق والتنافر [7]، وهذا التعبير غزير المعنى ، لأنّه يعبّر عن حالة إنسانية هي إحدى مواهب وآيات الله العظيمة ، وهذا السكن والاطمئنان ينشأ من أنّ هذين الجنسين يكمّل بعضهما بعضاً ، فمن الطبيعي أن تكون بين الزوجين مثل هذه الجاذبية القويّة والمحبّة الكبيرة [8].

والسكون هنا مستعار للتأنس وفرح النفس ، لأنّ في ذلك زوال اضطراب الوحشة والكمد بالسكون ، وضمن (لتسكنوا) معنى (لتميلوا) فعدي بحرف الجر (إلى) وإن كان حقّه أن يعلّق بـ (عند) ونحوها من الظروف[9]، فيقال : "سكن إليه للسكون القلبي ، ويقال : سكن عنده للسكون الجسماني ، لأنّ (عند) جاءت لظرف المكان وذلك للأجسام ، و(إلى) للغاية وهي القلوب" [10].

ونظير الآية السابقة جاء بصيغة الغائب قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ

١- فتح القدير ٢: ٦٧١ ، والإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ٣ : ١٣٦ .
٢- روح المعاني ٢٣ : ٢٥٨ ، و ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٧١٢ .
٣- ينظر : الكشاف ٣: ٣٢٦ ، والبحر المحيط ٨: ١٩٦ ، و إرشاد العقل السليم ٦: ٢٥١ .
٤- الصحاح ٥ : ٢١٣٦ (سكن) .
٥- مفردات ألفاظ القرآن :٤١٧ .
٦- ينظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ٢٥٣ .
٧- ينظر : إرشاد العقل السليم ٧: ٥٥ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤: ٢٠٤ ، وروح المعاني ٢٠: ٤٣٣ .
٨- ينظر : مجمع البيان ٨: ٥٧ ، والأمثل ١٢ : ٣١٨ .
٩- ينظر : التحرير والتنوير ٢١: ٧٢ .
١٠- مفاتيح الغيب ٢٥: ١٠٠ .

الشَّاكِرِينَ ﴾ الأعراف : ١٨٩ ، أمّا قوله (ليسكن إليها) أي ليألفها ويطمئن ويأنس بها فلكونها من جنسه ، ويميل ولا ينفر لأنّ الجنس إلى الجنس أمْيَل وبه آنس وإذا كان منها على حقيقته فالسكون والمحبة أبلغ كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبّه محبّة نفسه أو أكثر لكونه بعضاً منه[١]، وقيل إنّ السكون مجاز في الاطمئنان والتأنس أي : جُعل من نوع الرجل زوجه ليألفها ولا يجفو قربها ، وصيغت هذه الكناية بالفعل الدال على التكلف لإفادة قوة التمكن من ذلك لأن التكلف يقتضي الرغبة[٢].

١٩- شهى :-

شَهِيَ الشيء في **مفهومه اللغوي** وشَهاه يَشْهاهُ شَهْوَةً ، واشْتهاهُ وتَشَهَّاهُ في اللغة : أحبّه ورغب فيه ، والشَّهْوَةُ اشْتِيَاقُ النَّفْسِ إِلَى الشَّيْءِ وَالْجَمْعُ شَهَوَاتٌ[٣]، وهي الرغبة الشديدة والقوة النفسانية الراغبة فيما يُشتهى من الملذات المادية [٤]، وقال الراغب أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده [٥].

والشهوة هي توقان النفس وميل الطباع إلى المشتهي ، فإنّ الإنسان يحب الولد ولا يشتهيه ، لأنّ الشهوة نزوع النفس إلى ما فيه اللذّة ، والمحبّة أعمّ من الشهوة ، لأن الشهوة تتعلق بالملاذّ ، أما المحبة فتتعلق بالملاذّ وغيرها[٦].

وقيل إنّ الشهوة هي مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذّة ، وهي تختصّ بنيل المستلذات ، وهي ليست كالإرادة ؛ لأنّها قد تدعو إلى الفعل مع الحكمة ، والشهوة ضرورية فينا من فعل الله تعالى ، والإرادة من فعلنا[٧]، وشهوة القبيح غير قبيحة ، وإرادة القبيح قبيحة ، وقد تستعمل المحبة مجازا استعمال الشهوة ، فيقال : فلان يحبّ اللحم ، أي يشتهيه ، وتقول أكلت طعاما لا أحبّه ، أي : لا أشتهيه ، وتسمى الشهوة محبّة والمشتهى محبوبا لكثرة ما يحب الإنسان ويميل إليه طبعه [٨]، وقيل هي نزوع النفس إلى ما تريدُهُ أو حركة النفس طلباً للملائم[٩]، إذن فالشهوة خاصة بالنفس فحسب ، ومما يدلُّ على أنّ الشهوة من مطامح النفس أمران[١٠] :

١- ينظر : البحر المحيط ٥: ٢٤٤ ، والمحرر والوجيز٢: ٤٨٦ ، والتحرير والتنوير ٩: ٢١١ .
٢- ينظر : التحرير والتنوير ٩: ٢١١ .
٣- المحكم المحيط الأعظم٢: ٢٢٨ ، ولسان العرب ٧ : ٢٣١ (شها) .
٤- المعجم الوسيط ١ : ٤٩٨ (شها)، وينظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ٢٨٥ .
٥- مفردات ألفاظ القرآن : ٤٦٨-٤٦٩ .
٦- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٦ : ١٥٤ .
٧- ينظر : فروق اللغات : ٤٣ ، ٧٦ ، ١٥٥ .
٨- ينظر : الفروق اللغوية : ١٣٩ ، ١٤٧ ، ومفردات ألفاظ القرآن : ٤٦٨ .
٩- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٢٧٠ ، والتوقيف على مهمات التعاريف : ٤٤٠ .
١٠- ينظر : دقائق الفروق اللغوية في القرآن الكريم : ٢٣٧ .

١– ذمُّ القرآن الكريم الشهوة في كثير من المواضع ؛ لأنّها من قرائن النفس والإسلام يدعو إلى مخالفة شهوات النفس ؛ لأنها تحيد به عن محجة الشرع ، قال تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾ النساء:٢٧ ، وقال : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾ مريم:٥٩ .

٢– وقوعها في بعض الآيات مقترنة بالنفس ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ الأنبياء:١٠٢، وقوله : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ فصلت:٣١ .

وجاءت الشهوة بمعنى المحبّة والرغبة في الشيء وإن كانت تلك الشهوة مذمومة ولكنّها مرغوب بها في **القرآن الكريم** في قوله تعالى ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ الأعراف : ٨٠– ٨١ ، ف(الشهوة) مصدر وقع مفعولاً لأجله ، أي لأجل الشهوة لا غير ، وهي من أعمال النفس الباطنة وصدورها ينبعث من الداخل فهي ليست من أفعال الجوارح المجردة من الشعور ، والعاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا مجرد قضاء الشهوة [١] ، ومثلها قوله تعالى ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ، أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ النمل :٥٤ – ٥٥ ، فهذه "الشهوة فاحشة ومحرّمة وقد ذمّها القرآن بدليل الاستفهام الذي هو للإنكار والتوبيخ" [٢] .

وفي مقام الجنّة تأتي الشهوة بصيغة المضارع في قوله تعالى ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ الزخرف : ٧١ ، وهذا حصر لأنواع النعم ، "لأنها إما مشتهاة في القلوب ، وإما مستلذة في العيون"[٣]، وقد جمع بهذين اللفظين ما لو اجتمع الخلق كلهم على وصف ما فيها على التفصيل لم يخرجوا عنه[٤]، ويبدو أنّ القرآن استعمل الشهوة والشهوات في المواطن غير الممدوحة ، واستعمل الفعل اشتهى في غير المذموم [٥].

٢٠– صحب :–

الصَّحْبُ في **مفهومها اللغوي** : جَمَاعَةُ الصَّاحِبِ ، والأَصْحَابُ : جَمَاعَةُ الصَّحْبِ ، ويُجْمَعُ أيضاً بالصُّحْبَان والصُّحْبَةِ والصِّحَابِ ، وأَصْحَبَ الرَّجُلُ : إذا كانَ ذا صاحِبٍ ، وأَصْحَبَ : تَبِعَ وانْقَادَ[٦]. وقال ابن فارس " الصاد والحاء والباء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مقارَنة شيءٍ ومقاربته ، وكلُّ شيءٍ لاءم شيئاً فقد استصحبه "[٧]، وصَحِبَه يَصْحَبُه صُحْبَة بالضم وصَحابة بالفتح وصاحبه عاشره ، والصاحب المُعاشر [٨] ، وصاحبَهُ و صَحِبَهُ رافقه و يقال

١- ينظر : التحرير والتنوير ٨: ٢٣١ .
٢- البحر المحيط ٧ : ٨٣ .
٣- الكشاف ٤: ٢٦٥ .
٤- ينظر : الإتقان في علوم القرآن ٣ : ١٦٦ .
٥- ينظر : معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٢ : ٤٠٧ . ومنه جاء في الأنبياء:١٠٢ ، الواقعة :٢١ ، المرسلات :٤٢ ، فصلت :٣١ ، الزخرف : ٧١ ، ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٥١٧ .

٦- العين ١ : ١٩٤(صحب)، الصحاح ١ : ١٦١ (صحب) .
٧- مقاييس اللغة ٢ : ٣٣٥ (صحب) .
٨- لسان العرب ٧ : ٢٨٧ (صحب) .

في الدعاء صحبك الله حفظك و رافقتك عنايته ، واستصحب الشيء لازمه ، والصاحب : مالك الشيء و القائم على الشيء و في التنزيل العزيز ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾ المدثر : ٣١ ، والصاحبة : الزوجة وفي التنزيل العزيز ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾الجن : ٣ [١] ، والصحبة تفيد انتفاع أحد الصاحبين بالآخر ، ولهذا يستعمل في الآدميين خاصّة فيقال : صحب زيدٌ عمراً ، ولا يقال : صحب النجم النجمَ ، وأصله في العربية الحفظ ، ومنه يقال : صحبك الله وسرْ مُصَاحَباً أي محفوظاً ، وفي القرآن ﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ الأنبياء:٤٣ ، أي يحفظون[٢] .

ولاشكَّ في أنّ الاتباع والانقياد والمقاربة والمُلازمة والمرافقة والمعاشرة ومُلك الشيء والقيام عليه كُلّها معانٍ يُلمحُ منها المحبّة ، فلولا شيء من الحبّ لما تحققت هذه المعاني ، ومن هنا كانت المحبّة لازمة من لوازم الصُّحبةِ والمُصاحبةِ ، وردت لفظة الصاحب في **القرآن الكريم** في مواضع كثيرة وهي تعني واحداً من تلك المعاني ، ولعلّنا لمسنا المحبّة من الصحبة على صيغة فعل الأمر الدال على المفاعلة في سياق الحديث عن الوالدين في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ لقمان:١٥ ، أي إنّ الأمر بمعاشرتهما بالمعروف شامل لحالة كون الأبوين مشركين فإنّ على الابن معاشرتهما بالمعروف كالإحسان إليهما وصلتهما ، وصاحبهما صحاباً معروفاً يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم والمروءة كإطعامهما واكسائهما وعدم جفائهما وانتهارهما وعيادتهما إذا مرضا ومواراتهما إذا ماتا ، وأمّا قوله (في الدنيا) فلتهوين أمر الصحبة والإشارة إلى أنها في أيام قلائل وشيكة الانقضاء فلا يضر تحمل مشقتها لقلة أيامها وسرعة انصرامها؛ وقيل : للإشارة إلى أن الرفق بهما في الأمور الدنيوية من دون الدينية [٣].

٢١- صدق :-

الصِدْقُ في **مفهومه اللغوي** : خلاف الكذب ، ويقال : وتَصادَقا في الحديث وفي المودّة ، والصَداقَةُ والمُصادَقَةُ : المُخَالَةُ[٤]، والصَّداقَةُ : المَحَبَّةُ[٥]، والصداقة : علاقة مودة ومحبة بين الأصدقاء ، وتصادقا : تصاحبا و توادّا في الحديث و المودة أو فيهما [٦]، والصّداقةُ : الصحبةُ والرفقةُ والمخادنةُ والألفةُ الإخاءُ ، والصديقُ : الخليلُ والخدينُ والأليفُ والصاحبُ [٧] ، و الصداقة كما يراها العسكري قوّة المودّة ، مأخوذ من الشيء الصدق وهو الصلب القوي ، وقيل : إن الصداقة اتفاق القلوب على المودّة [٨] .

١- المعجم الوسيط ١ : ٥٠٧(صحب) .
٢- الفروق اللغوية : ٣١٨ ، وينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٤٧٥ – ٤٧٦ .
٣- ينظر : الكشاف ٣: ٥٠١ ، و المحرر والوجيز ٤: ٣٤٩ ، و مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢: ٣١٨ ، و روح المعاني ٢١: ٥٧ ، و نظم الدرر ٦: ١٧ .

٤- الصحاح ١ : ١٣٧(صدق) .
٥- القاموس المحيط ٢: ٤٨٢(صدق).
٦- المعجم الوسيط ١ : ٥١٠ (صدق).
٧- معجم المترادفات والأضداد :٣٦٢ ، ٣٦٤ .
٨- ينظر : الفروق اللغوية ، العسكري ، : ١٣٩ .

وداخلت المعاجم بين لفظي الصداقة والخلّة فذكرت أنّ الخلّة هي الصداقة ، فهما لفظان متداخلان في المعنى فالخَلَّة : الصداقة المختصّة التي ليس فيها خلل ، تكون في عفاف الحُبّ ودعارته ، وجمعها خِلال ، والخِلال والمُخالّة المصادقة ، وقد خالّ الرجلَ والمرأةَ مُخالّة ، ... والخِلُّ الوُدُّ والصديق ، وقال اللحياني : إنّه لكريم الخَلّ والخِلّة كلاهما بالكسر ، أي كريم المصادقة والموادّة والإخاء ، والخُلّة بالضم الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خِلاله أي في باطنه ، والخليل : الصديق ، الذي أصفى المودّة ، والخليل المُحِبّ الذي ليس في محبته خَلَل ، والخُلّة : الزوجة ، ويقال : كان لي وِدّاً وخِلاً ووُدّاً وخُلاً ، والخَلّة الحاجة [1].

وقد فرق العسكري بين اللفظين فقال إنّ " الصداقة هي اتفاق الضمائر على المودّة ، فإذا أضمر كل واحد من الرجلين مودّة صاحبه ، فصار باطنه فيها كظاهره سميا صديقين ، ولهذا لا يقال : الله صديق المؤمن ، وإنّه وليّه ، والخلّة الاختصاص والتكريم ، ولهذا قيل : إبراهيم خليل لاختصاص الله إياه بالرسالة ، وفيها تكريم له ، ولا يجوز أن يقال : الله خليل إبراهيم ، لأنّ إبراهيم لا يجوز أن يخصّ الله بتكريم . ويقال : لا يصحّ أن نقول : فلان خليل الله ، لأنّ الخليل صفة اختصّ الله بها الأنبياء من دون غيرهم ، وبخاصّة نبي الله إبراهيم (عليه السلام)"[2].

وجاء لفظ الصديق في **القرآن الكريم** على صيغة (فعيل) ليحمل في دلالته معنى المحبّة أو صدق الاعتقاد في المودّة وذلك مختصّ بالإنسان من دون غيره[3] ، في قوله تعالى ﴿ **فما لنا من شافعين ، ولا صديق حميم** ﴾ الشعراء : ١١٠– ١٠١ ، أي : "من صدقك مودّته ومحبته مع موافقة الدين"[4]، أو القريب المشفق ، وقد وصف الصديق بأنّه حميم ، والحميم هنا الخاصّ [5]، وهذا الوصف أو الاقتران يدلّ على أنّ الصديق هو المشفق[6]، "والصديق هو الصادق في ودادك الذي يهمّه ما أهمّك" [7]، ولفظ (الشفيع) يقتضي رفعة المكانة ، ولفظ (الصديق) يقتضي شدّة مساهمة ونصرة وهو فعيل من صدق الودّ ، ولفظة (الحميم) منبّهة على محل الصديق من المرء [8]، وممّا يلحظ في الآية أنّه جمع الشافع ووحّد الصديق ، وذلك "لكثرة الشفعاء في العادّة وقلّة الصديق ، ولأنّ الصديق الواحد يسعى أكثر ممّا يسعى الشفعاء ، وبخاصّة أنّه وصف الصديق بأنّه حميم فإنّ ذلك أندر"[9] .

ونظير الآية السابقة في المعنى جاء في سياق قوله تعالى ﴿ **لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ النور : ٦١ ، تتحدث الآية عن رفع الحرج عن الأكل من

١- اللسان ٧ : ٣٠٨ - ٣٠٩ (صدق)، ومجمل اللغة : ٣٨٦ (صدق)، المغرب في ترتيب المعرب ١: ٤٦٩ (صدق) .
٢- الفروق اللغوية ، العسكري ، : ٣١٩ .
٣- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٤٨٠ .
٤- تفسير غريب القرآن : ٢١٠ .
٥- ينظر : معاني القرآن – النحاس ٢ : ٨٥٨ .
٦- ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٣ : ٨١ .
٧- الكشاف ٣ : ٣٢٨ .
٨- ينظر : المحرر والوجيز ١: ٢١٢ .
٩- الكشاف ٣:٣٢٨ ، وينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤: ١٤٣ ، والتعبير القرآني : ٤٨ .

بيت الصديق بغير إذنٍ إذا كان عالما بأنه تطيب نفسه بذلك والصديق هنا هو الذي صدقك عن مودته ، وقيل هو الذي يوافق باطنه باطنك كما وافق ظاهره ظاهرك و لفظ الصديق يقع على الواحد و على الجمع[١]، وهو فعيل بمعنى فاعل وهو الصادق في المودة ، "وقد جعل في مرتبة القرابة مما هو موقور في النفوس من محبة الصلة مع الأصدقاء"[٢]، وعن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنّه قال : من عِظَمِ حرمةِ الصديق أن جعله الله تعالى من الأنس والثقة والانبساط ورفع الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ[٣].

٢٢- صفا :-

الصَّفاءُ في **المفهوم اللغوي** : مُصافاة المَوَدَّة والإخاءِ ، وصَفِيُّ الإنسانِ : الذي يُصافيه المَوَدَّةَ[٤]، وأَصْفَيْتُهُ الودَّ : أخلصتُه له ، وصافَيْتُهُ وتَصافَينا : تخالصنا ، واصْطَفَيْتُهُ : اخترته ، وأَصْفَيْتُهُ بالشيء إذا آثرتَه به[٥]، والصَّفَاءُ مُصافاة المَوَدَّةِ والإخاءِ والاصْطِفاءُ الاخْتِيارُ افْتِعالٌ من الصَّفْوَةِ [٦] .

والصَّفاءُ مصدر الشيء الصافي ، وقولهم : صفا الشيء يصفو أي تميّز من الكدر والخَبث والغشّ وغير ذلك ، فهو صافٍ وقد صفّاه المصفّى أي ميّزه وأخلصهُ ، وسُمي الحبيب محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) بالمصطفى ، أي تخيّرهُ [٧]. وأصلُ الصفاء : خُلوصُ الشيء من الشّوبِ ، ... والاصطفاء : تناول صفو الشيء ، وإنّ الاختيار : تناول خَيْرِهِ ، والاجتباء : تناولُ جبايته ، واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إيّاهُ صافياً عن الشّوبِ الموجودِ في غيرِهِ ، وقد يكون باختيارِهِ وبحكمِهِ وإن لم يتعرَّ ذلك من الأوّل [٨]، وقيل إنّ "الاصطفاء والاختيار والاجتباء نظائر ، والصفاء والنقاء والخالص نظائر ، والصفاء نقيض الكدر ، وصفوة كل شيء خالصه من صفوة الدنيا وصفوة الماء وصفوة الإخاء ، والصفاء مصافاة المودّة والإخاء ، وصفي الإنسان الذي يصافيه المودّة ، وناقة صفي كثيرة اللبن ، ونخلة صفيّة كثيرة الحمل" [٩].

وجاء الاصطفاء بمعنى المحبّة بصيغة الفعل الماضي (افتعل) في **القرآن الكريم** في قوله تعالى ﴿ **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ البقرة : ١٣٠ ، وهو مشتقٌّ من الصفوة ومعناه تخيّر الصفوة ، ومعناه في الآية "اخترناه في الدنيا للنبوّة والرسالة والإسلام والخلّة ، ورفعنا شأنه وأعلينا مقامه [١٠]، وقيل إن معنى الاصطفاء أنّه نبّأه واتخذه خليلاً "[١١]، وفي لفظة اصطفيناه بيان رأي من رغب عن ملّته ؛ لأنّ من جمع الكرامة عند الله في الدارين ، بأن كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان

١- ينظر : الكشاف ٣: ٢٦٢ ، ومجمع البيان ٧: ٢٩٢ ، وإرشاد العقل السليم ٦: ١٩٦ .
٢- التحرير والتنوير ١٨: ٣٠٢ . سئل بعض الحكماء : أي الرجلين أحب إليك أخوك أم صديقك؟ فقال : إنما أحبّ أخي إذا كان صديقي .
٣- ينظر : روح المعاني ١٨: ٤٨١ .
٤- العين ٢ : ٤٥ (صفو)، وينظر : أساس البلاغة ٤٢٥(صفو) .
٥- الصحاح ٦ : ٢٤٠١ (صفو).
٦- لسان العرب ٧ : ٣٧١ (صفا).
٧- ينظر : تصحيح الفصيح : ٤٥٦ .
٨- مفردات ألفاظ القرآن : ٤٨٨ ، وينظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ٣٠٣ .
٩- التبيان في تفسير القرآن ١: ٤٧٠ ، وينظر : التبيان في إعراب القرآن١ : ٩٧، والأنباء ما في كلمات القرآن من أضواء ١: ١٤٧
١٠- ينظر : الدر المنثور ١: ٣٠٥ ، والنكت والعيون ١: ١٩٣ ، وبحر العلوم ١: ٣٥٧ .
١١- المحرر والوجيز ٣: ٢٢١ .

مشهوداً له بالاستقامة على الخير في الآخرة ، لم يكن أحد أولى بالرغبة في طريقته منه[١] ، وذكر البقاعي أنّ في صيغة الافتعال من الدلالة على "التعمّد والقصد ما يزيد من الشرف والرفعة ، فذكره بمظهر العظمة تعظيماً له ، فإنّ العبد يشرف بشرف سيده ، وتشريفاً لاصطفائه ، فإنّ الصنعة تجلُّ بجلالة مبدعها" [٢].

ونظير ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران:٤٢ ، أي واذكر يا محمد للناس وقت أن قالت الملائكة لمريم – التي تقبّلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا – يا مريم (إِنَّ الله اصطفاك) أي اختارك واجتباك لطاعته ، وقبلك لخدمة بيته (وَطَهَّرَكِ) من الأدناس والأقذار ، ومن كل ما يتنافى مع الخلق الحميد ، والطبع السليم ، وبهذا فقد مدح الله تعالى مريم مدحاً عظيما بأن شهد لها بالاصطفاء والطهر والمحبة [٣] . فقد تكررت كلمة (الاصطفاء) ، فالأولى هي العبادة التي هي خدمة البيت المقدس وتخصيصها بقبولها في النذر مع كونها أنثى ، والثانية هي لولادة عيسى (عليه السلام)، أو أعيد لفظ الاصطفاء ليفيد بقوله (على نساء العالمين) ، فيندفع بأنها مصطفاة على الرجال [٤]، و"التكرير هنا هو أبلغ من التأكيد اللفظي ، وهو من محاسن الفصاحة" [٥].

وجاء أيضاً في قوله تعالى ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ النمل:٥٩ ، وقيل إنّهم أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) اصطفاهم الله لنبيه[٦]، والاصطفاء بمعنى الاختيار والتقريب والاعتناء ، وهذا كلّه لا يكون إلاّ بالمحبة .

وورد بصيغة (اسم المفعول) في قوله تعالى ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ، إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ، وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ ص:٤٥ – ٤٧ ، أي الاختيار وقع عليهم بوصفهم أنبياء الله ، والآية ثناء على الأنبياء أي إنّ هؤلاء العباد ممّن اصطفيناهم لحمل رسالتنا ، واخترناهم لتبليغ دعوتنا هم من العباد الأخيار الذين يفضلون على غيرهم في المناقب الحميدة ، والصفات الكريمة[٧]؛ لأنّه مما يبعث على ذكرهم بأنّهم اصطفاهم الله من بين خلقه فقرّبهم إليه وجعلهم أخياراً [٨].

وإنّه لّما اشتد تشوق السامع لما استحقوا به هذا الذكر ، قال مؤكداً إشارة إلى محبّته سبحانه لمدحهم ورداًّ على من ينسب إليهم أو إلى أحد منهم ما لا يليق ، ولمّا دلت جملة (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ) على المدح البليغ ، عطف عليها ما يلازم الإخلاص فقال مؤكداً لمثل ما تقدم من التنبيه على أنهم ممن يغتبط بمدحهم ، ورداً على من ربما ظن خلاف ذلك بكثرة مصائبهم في الدنيا (وإنهم عندنا) أي على ما لنا من العظمة والخبرة (لمن المصطفين) المبالغ في تصفيتهم [٩].

١- ينظر : الكشّاف ١: ٢١٥ .
٢- نظم الدرر ١: ٢٤٥ .
٣- ينظر : التفسير الوسيط ٢: ١٣٤ .
٤- ينظر : مسائل الرازي وأجوبتها : ٣٢ .
٥- الإتقان في علوم القرآن ٣ : ٢٠٠ .
٦- ينظر : معاني القرآن – النحاس – ٢ : ٨٨٠ .
٧- ينظر : فتح القدير ٢: ٦٥٩ - ٦٦٠ ، وإرشاد العقل السليم ٧: ٢٣٠ ، والتفسير الوسيط ٢٣: ١٣٢ .
٨- ينظر : التحرير والتنوير ٢٣: ٢٧٩ .
٩- ينظر : نظم الدرر ٦: ٣٩٣ .

٢٣- صنع :-

الصُنْعُ بالضم في **مفهومه اللغوي** : مصدر قولك صَنَعَ إليه معروفاً ، وصَنَعَ به صَنيعاً قبيحاً ، أي فعل ، والصِناعَةُ : حرفةُ الصانِع ، وعمله الصَنْعَةُ ، واصْطَنَعْتُ فلاناً لنفسي ، وهو صَنِيعِي وصَنيعَتي أي : اصْطَنَعْتُه ورَبَّيْتُه وخَرَّجْتُه[١] .

والصنعُ أيضاً : إجادةُ الفعل ، فكلُّ صنعٍ فعلٌ ، وليس كلُّ فعلٍ صُنعاً ، والاصطناع المبالغة في إصلاح الشيء ، وقوله تعالى ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ طه:٣٩ ، إشارة إلى نحو ما قال بعض الحكماء (إنّ الله تعالى إذا أحبّ عبداً تفقدّهُ كما يتفقّد الصديقُ صديقهُ)[٢] ، وجاء بصيغة الفعل المضارع للدلالة على التجدد ، أي لتتربّى بمرأى مني ورعاية خاصّة بك ، ولتتغذى على محبَّتي وإرادتي وأنت محاط بالحنو والشفقة تحت رعايتي وعنايتي وعيني ، كما يراعى الإنسان بعينه من يحبّه ويهتم بأمره ، والجملة الكريمة فيها من الرفق بموسى (عليه السلام) ومن الرعاية له ما يعجز القلم عن وصفه [٣].

وجاءت هذه اللفظة في السورة نفسها والسياق ذاته لتدلّ على العناية والرعاية والمحبّة الإلهيّة على صورة الفعل الماضي فكأنّ الاصطناع واقع في علم الله ، ومن ذا الذي يصطنعه الله لنفسه ولا يكون مُحاطاً بمحبّته ، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ طه : ٤١، أي "جعلتك موضع الصنيعة ، ومقرّ الإكمال والإحسان ، وأخلصتك بالألطاف ، واخترتك لمحبتي ، وهو افتعال من الصنع أي القصد ، وهو الإحسان إلى الشخص ، وقال الزمخشري : هذا تمثيل لما حوله من منزلة التقريب والتكريم والتكلم والتكليم "[٤]. والاصطناع : صنع الشيء باعتناء ، والكلام تمثيل لِهيئة الاصطفاء لتبليغ الشريعة بهيأة من يصطنع شيئاً لفائدة نفسه فيصرف فيه غاية إتقان صنعه [٥]، ولما خوّله عزَّ وعلا من الكرامة العظمى بتقريب الملِكِ بعضَ خواصّه واصطناعِه لنفسـه وترشيحـه لبعض أمـورِهِ الجليلة [٦].

وقيل إنّ المعنى اخترتك من بين سائر بني إسرائيل لرسالتي ووحيي ، فأنت اليوم قريب وحبيب ، ولا ينالك أذى من أعدائك بمعجزاتي التي أيدتك بها ، وفي الآية استعارة تبعيّة بديعة شبّه ما منحه به من القرب والمحبّة ، بحال مَلِكٍ يرى شخصاً ، أهلاً للكرامة ، وقرب المنزلة ، فيختارُهُ وينتقيه لنفسِهِ ، من دون غيره من الأشخاص [٧].

١- الصحاح ٣ : ١٢٤٥ (صنع)، والقاموس المحيط ٢ : ٢٩٧ (صنع).
٢- مفردات ألفاظ القرآن : ٤٩٣ .
٣- ينظر : روح المعاني ١٦: ٣٠٩ ، والتبيان في تفسير القرآن ٧: ١٧٣ ، و معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٢ : ٤٥٦ .
٤- الكشّاف ٣: ٦٦ ، وينظر : البحر المحيط ٦ : ٢٤٣ ، و مفردات ألفاظ القرآن : ٤٩٣ ، ونظم الدر ٥: ٩٤ ، والقاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ٣٠٧.
٥- ينظر : مفاتيح الغيب ٢٢: ٥٥ ، روح المعاني ١٦: ٣٠٩ ، والتحرر والتنوير ١٧: ٢٢٣ .
٦- ينظر : إرشاد العقل السليم ٦: ١٧ .
٧- ينظر : الإبداع البياني في القرآن العظيم : ١٩٩ .

٢٤- ضلّ :-

ضَلّ الشيءُ يَضِلُّ ضَلالاً في **مفهومه اللغوي** : ضاع وهلك ... والضَلالُ والضَلالَةَ : ضدُّ الهُدَى والرَّشاد[١]، والضّلالُ : العُدُولُ عن الطريقِ المستقيمِ ، ويُضادُّهُ الهدايةُ ، ويُقال الضلالُ لكلّ عدولٍ عن المنهج ، عمداً كان أو سهواً ، يسيراً كان أو كثيراً ، ولمّا كان كذلك صحّ أن يُنسب إلى الأنبياء وإلى غيرهم [٢].

ويأتي الضلال في سياق الحديث عن محبّة يوسف (عليه السلام) ليدلّ على المحبّة مجازاً على صورة المصدر في **القرآن الكريم** في قوله تعالى ﴿ **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ يوسف:٨ ، أي أنّه في ترجيحهما علينا في المحبّة مع فضلنا عليهما والكثرة والعمر، وهذا هو معنى الضلال[٣]، أو لفي محبّة ظاهرة ، وهذه إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه[٤]، وجاء أنّه كان أحبَّ إليه لما يرى فيه من "مخايل الخيرِ وكان إخوتُه يحسُدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبِر عنه فتضاعف حسدُهم" [٥]، وإنّ يعقوب (عليه السلام) ما فضلهما على سائر الأولاد إلا في المحبّة ، والمحبة ليست في وسع البشر فكان معذوراً فيه ولا يلحقه بسبب ذلك لوم [٦].

ونظير الآية السابقة وفي سياق متقدّم من السورة ترد لفظة (ضلالك) المصدر مضافة إلى ضمير المخاطب العائد على يعقوب (عليه السلام) لتعطي معنى المحبّة ، فلفظة (القديم) في قوله تعالى ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ** ﴾ يوسف : ٩٥ ، جاءت للتعبير على المبالغة على جهة الإفراط في حُبّ الشيء والتشبّث به ، وجاءت نعتاً وُصِفَ به ضلال يعقوب (عليه السلام) على جهة الإفراط ، أي المبالغة في محبّة يوسف (عليه السلام)، والإكثار من ذكره ، والتوقع للقائه [٧]، ومعنى لفي ضلالك القديم ، أي "لفي حبّك القديم لا تنساه ولا تذهل عنه"[٨]، فالآية تصوّر خطاب أخوة يوسف (عليه السلام) أباهم ، أي لفي ذهابك عن الصواب قدما في إفراط محبتك ليوسف ، ولهجك بذكره ، ورجائك للقائه[٩]، وهو كقوله تعالى ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضلال مُّبِينٍ ﴾ يوسف:٨ .

وجاء هذا التعبير في السورة نفسها على لسان صويحبات امرأة عزيز مصر في قوله تعالى ﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ يوسف : ٣٠ ، فقد جاء في معنى (الضلال المبين) قولان أحدهما : في ضلال عن الرشد وعدول عن الحق ، وفي خطأ واضحٍ ، إذ كيف تحبّ عبداً وهي من هي في شرفها وعُلوّ مكانتها ، والثاني : معناه في محبّة شديد ، إذ لمّا اقترن شدّة حبها

١- الصحاح ٥:١٧٤٨ (ضلل) ، ولسان العرب ٨ : ٨١ (ضلل).
٢- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٥١٠ .
٣- ينظر : المحرر والوجيز ٣: ٢٢١ ، وإرشاد العقل السليم ٤ : ٢٥٥ .
٤- مفردات ألفاظ القرآن : ٥١٠ ، وينظر : النكت والعيون ٣ : ١٠ .
٥- إرشاد العقل السليم ٤ : ٢٥٥ .
٦- ينظر : مفاتيح الغيب ١٧: ٧٨ .
٧- ينظر : مجمع البيان ٣: ٢٦٣ ، وأنوار التنزيل ٣ : ١٦١ ، وروح المعاني ١٢ : ٤٩٠ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ١ : ٦٢٢ ، وصفوة التفاسير ٢ : ٦٧ ، والنعت في التركيب القرآني ١ : ٨٧ .
٨- مفاتيح الغيب ١٧: ٨٠ .
٩- ينظر : الكشاف ٢: ٤٧٥ .

بالشهوة طلبت دفع الضرر عن نفسها بالكذب عليه ، ولـو خلص مــن الشهوة طلبت دفـع الضرر عنه بالصدق علــى نفسها [١].

ولعلّ هذه اللفظة تعني الخُسران في المواطن السابقة كما ذكر البلخي (ت١٥٠هـ) [٢]، الخسران من حبّ يوسف ، إلاّ أنّه خُسران في نظر إخوة يوسف (عليه السلام) القائلين بذلك ، ولكنّه حبّ يوسف (عليه السلام) الذي ملأ قلب أبيه . والملاحظ أنّ هذه اللفظة جاءت لتعني في سياقها معنى المحبّة في سورة يوسف فقط ، فكأنّها من الخصائص التعبيريّة لهذه السورة .

٢٥- عجب :-

العُجْب في **المفهوم اللغوي** ، هو أن يتكبَّر الإنسان في نفسه ، تقول : هو مُعجَبٌ بنَفْسِه ، وتقول من باب العَجَب : عَجِب يَعْجَبُ عَجَباً ، وأمرٌ عجيب ، وذلك إذا استُكْبِر واستُعْظِم ، وأعجبه الأمر وأُعْجِب به : سَرَّه ، والعُجْب : الزهو [٣] ، ويقال أعجبنى هذا الشيء وأُعجِبتُ به ، وهو شيء معجِب ، إذا كان حسناً جدا ، والعجبُ والتّعجُّبُ حالةٌ تعرِض للإنسانِ عند الجهل بسبب الشيء ، ويُستعارُ مرةً للمُونَقِ ، فيقال : أعجبني كذا ، أي راقني[٤] .

وقد وردت هذه اللفظة في **القرآن الكريم** لتقترب من دلالة المحبّة والاستحسان للشيء على صورة الفعل الماضي في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ البقرة : ٢٢١ ، والإعجاب هو الاستحسان[٥]، أي "ولو كان الحال أنّ المشركة تعجبكم وتحبّونها لجمالها ومالها وسائر ما يوجب الرغبة فيها"[٦].

وورد الإعجاب بصيغة المضارع في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ البقرة:٢٠٤ ، والمعنى : ومن الناس فريق يروقك منطقهم ، ويعجبك بيانهم ، ويحسن عندك مقالهم ، ويعظم قولهم في قلبك ، فأنت معجب بكلامهم ولعلّك تُحبّهم ، وحقيقة أمرهم غير ذاك[٧].

ونلاحظ أيضاً اقتراب هذا اللفظ إلى معنى المحبة في قوله تعالى ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ الحديد : ٢٠ ، إذ لم يكن الإعجاب إلا بميل نفس الإنسان إليه وهذا يدفع إلى المحبّة ، وجاء التعبير دقيقاً بلفظة الكفّار التي شكلت قيداً للفعل على جهة المفعولية ، إذ ربطت بين التمثيل الذي يكشف حقيقة الدنيا وبين خطاب الآية الذي يختصّ

١- ينظر : النكت والعيون ٣: ٣٢٥ ، وتفسير الجلالين : ٤٥٣ .
٢- ينظر : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للبلخي : ١٣٩ .
٣- مقاييس اللغة ٤ : ٢٤٣ (عجب)، والمحكم والمحيط الأعظم١ : ١١٧ (عجب).
٤- تهذيب اللغة ١: ١١٧ (عجب)، ومفردات ألفاظ القرآن : ٥٤٧ .
٥- القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ٣٤٢ .
٦- الكشاف ١: ٢٩٢ ، وروح المعاني ٣: ٢٦٣ .
٧- ينظر : روح المعاني ٣: ٢٠٧ ، والكشاف ١: ٢٧٨ .

بالكفّار، فالكفار هنا إمّا الكافرون بالله الجاحدون لنعمه ، وإمّا الزرّاع لأنّ الزارع كافر ؛ لأنه يكفر البذر الذي يبذره بتراب الأرض أي يغطيه ، وربما المعنى الأول هو الأنسب لأنّ الكافرون هم الذين يغترون بالدنيا وهم أشدّ إعجاباً ومحبّة بها وبزينتها [١].

٢٦- عزّ :-

تَعزَّزَ الرجلُ في **مفهومه اللغوي** صار عَزِيزاً ، وتَعَزَّزَ تشرَّف ، وأَعْزَزْتُه أكرمته وأحببته ، والعَزِيزُ من صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى ، قال الزجاج " هو الممتنع فلا يغلبه شيء"[٢]، والعِزُّ خلاف الذُّلّ[٣]، وجاء أنّ العَزِيزُ هو الحَبيبُ والصَّديقُ والخَليلُ والمَحْبوبُ ، ومعنى أعزَّ : أحبَّ وودَّ وهَوِي وعَشِقَ وعَلِقَ وأُغْرِمَ وأُولعَ وشُغف وأَلِفَ[٤] .

ووردت هذه اللفظة في مواضع كثيرة في **القرآن الكريم** ، وبدلالات عديدة[٥]، ولعلّنا نلمحُ في بعض مواضعها معنى المحبّة والمودّة زيادة على معنى القوّة والشدّة، وقد وردت بصيغتي اسميتين (الصفة المشبّهة واسم التفضيل) في قوله تعالى ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ، قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ هود :٩١ – ٩٢ ، أي : وما أنت علينا بمكرم أو محبوب أو بكريم مودود ، أو قويٍّ حتى نمتنع عن رجمك ، بل أنت فينا الضعيف المكروه ، ومن هنا نجد شعيبا (عليه السلام) ينتقل في أسلوب مخاطبته لهم من اللين إلى الشدة ، ومن التلطف إلى الإنكار ، دفاعا عن جلال ربه (سبحانه) فيقول لهم : (**قَالَ يا قوم أرهطي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ الله**) ، أي : أرهطي وعشيرتي الأقربون ، الذين من أجلهم لم ترجموني ، أعز وأكرم عندكم من الله تعالى الذي هو خالقكم ورازقكم ومميتكم ومحييكم[٦].

٢٧- قرب :-

القُرْبُ في **المفهوم اللغوي** ضد البعد ، والاقترابُ الدنو ، والتَقَرُّبُ : التدني والتواصلُ بحقٍّ أو قَرابةٍ ، والقُرْبانُ : ما تَقَرَّبْتَ به إلى الله تبتغي به قُرْباً ووسيلة[٧]، يقال : قرُبتُ منه أقرُبُ ، ويُستعملُ ذلك في المكان ، وفي الزمان ، وفي النسبة ، وفي الحَظْوَةِ والرعاية والقُدرة [٨].

وممّا ورد في **القرآن الكريم** من القرب وهو يحمل معنى المحبّة قوله تعالى ﴿ **وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا** ﴾ مريم :٥٢ ، أي قربناه منّا، وجعلناه موضع عطفنا ورعايتنا[٩]، وجاء على صورة الماضي

١- ينظر : الكشاف ٤ : ٤٧٦ ، وعلى طريق التفسير البياني ١ : ٢٧٨ ، و من بلاغة النظم القرآني : ٢٦٠ .
٢- معاني القرآن وإعرابه ٢ : ١٥٠ .
٣- ينظر : المحكم والمحيط الأعظم١:٢١ (عزز)، و لسان العرب ٩ : ١٨٦ – ١٨٧(عزز) .
٤- معجم المترادفات والأضداد : ٧٣ ، ٤٣٩ .
٥- ينظر : صيغة فعيل في القرآن الكريم : ١٢٢، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن : ٦٠٦ وما بعدها . ومن هذه الدلالات المنعة والعظمة والشدّة والغلبة والغنى واليسير والهيّن والانتقام .
٦- ينظر : نظم الدرر ٣: ٥٦٩ ، والتفسير الوسيط ١١: ١٦٣ .
٧- العين ١ :٣٩٨ (قرب)، والمحيط في اللغة ١ : ٤٧٤(قرب) .
٨- مفردات ألفاظ القرآن : ٦٦٣ ، و ينظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ٤٢٥ .
٩- معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٣ : ٣٣٣ .

المسند إلى الفاعل (نا) العائد إليه تعالى والدال على عظمة الله وتعظيم النبيّ بقرب المنزلة والتشريف بالمناجاة ، (ونجيا) فعيل بمعنى مفاعل كنديم بمعنى منادم من المناجاة المسارّة بالكلام [١]. وممّا لاشكّ فيه أنه بهذا التشريف والاصطفاء والكرامة تكون المحبّة التي هي من لوازم التقريب .

ويُلمح معنى الحبّ والمحبّة أيضاً من القرب الذي يتمثّل بالحظوة والرعاية بصيغة (اسم المفعول) في قوله تعالى﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ آل عمران:٤٥ ، أي "عند الله يوم القيامة ، وقيل : هو إشارة إلى رفعه إلى السماء وصحبته الملائكة ، وقيل : من المقربين من الناس بالقبول والإجابة وهو معطوف على قوله (وَجِيهاً) أي ومقرباً من جملة المقربين"[٢]، والمقرّب محبوب لا محالة .

وفي موضع آخر يأتي القرب على صيغة (فعيل) صفة مشبّهة عائدة الله تعالى في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة:١٨٦ ، يقف الشريف المرتضى في أماليه على لفظة (القريب) في هذه الآية فيقول : " والعرب تضع كثيراً لفظة القُرب على غير معنى المسافة ، فيقولون : فلان أقرب إلى قلبي من فلان ، وزيد مني قريب ، وعمرو منّي بعيد ، ولا يريدون المسافة "[٣]، ومن هنا نلمح أن لفظة القُرب دلّت على الجانب المعنوي وهو المحبّة ، وفي معنى الآية يقول : " إنّه تعالى لم يُرد بقوله (قريب) في قُرب المسافة ، بل أراد أنني قريب بإجابتي ومعونتي ونعمتي أو بعلمي "[٤]. ومن هنا نقول أنّ قرب الله محبّته ، ومحبّته رعايته وعنايته وإنعامه وإكرامه .

ونظير ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف:٥٦ ، فقال (قريب) ولم يقل (قريبة) وذلك لكسب معنيين ، وهما قرب رحمة الله وقربه هو أيضاً ، وليست الرحمة وحدها قريبة ، فجمع المعنيين معاً : قربه وقرب رحمته ، فقدّم الرحمة وأخبر عن الله . وهذا توسّع في المعنى لا يؤديه الأصل فبدل أن يقول : إنّ رحمة الله قريبة والله قريب ، جمع ذلك من أخصر طريق وأوجزه ، نعم قد يكون ذلك لإقامة وزن في شعر ، وقد يرد من كلام العرب ما ليس على هذا القصد ، ولكن البليغ لا يعدل من تعبير إلى تعبير إلاّ لقصد وغرض [٥].

٢٨- كبر :-

أكبرتُ الشيءَ في **مفهومه اللغوي** أكبره إكباراً ، إذا عَظُمَ في صدرك وعجبت منه ، وأَكْبَرْتُ الشيءَ أَي أَعْظَمْتُهُ واستعظمته ، وكذا فسر في التنزيل: " فلمَّا رأينَه أكبَرْنَه " ، فهذا معنى الإعظام[٦]، وكَبُر : زاد وعظُمَ ، والكبير العظيم ، أكبرتُ الشيءَ : رأيته كبيراً [٧]، قد تلمح المحبّة والإعجاب من لفظة (أكبرنه) الفعل الماضي في

١- ينظر : مفاتيح الغيب ٢١: ٢١٣ ، والنكت والعيون ٣: ٣٧٦ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤: ١٣ ، وروح المعاني ١٦: ١١٠
٢- نظم الدرر ٢: ٨٩ .
٣- أمالي المرتضى ١ :٥٢٧ .
٤- المصدر نفسه ١ :٦٠٣ ، وينظر : الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى : ١٧٣ .
٥- معاني النحو ٣ : ١١٧ .
٦- ينظر : جمهرة اللغة ١: ١٤٦ (كبر)، و المخصص ٣: ٤٦٢ (كبر)، و لسان العرب ١٢ : ١٣ (كبر) .
٧- مفردات ألفاظ القرآن :٦٩٨ ، وينظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ٤٤٨ .

قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴾ يوسف :٣١ ، أي أعظمنه واستهولن جماله وشمائله ودهشن برؤية جماله الفائق الرائع الرائق [١]، فأكبر الشخص أو الأمر ، عدّه كبيراً عظيماً أو عَظُم تأثره به [٢]، والتعبير بلفظ (أكبرنّه) المتشكّل مع فاعله ومفعوله الضمائر المتصلة به قد عبّر بشكل دقيق عن حالة الإعجاب والإعظام التي ملأت نفوسهنّ حتى فقدنَ شعورهنّ .

٢٩- متع :-

المتاعُ في **مفهومه اللغوي** : ما يَستمتع به الإنسانُ في حوائجه من أمتعة البيت ونحوه من كلّ شيء ، والدنيا متاعُ الغرور ، وكلّ شيء تمتعت به فهو متاع ، تقول إنّما العيشُ متاعُ أيّام ثم يزول ، ومتّعك اللهُ به وأَمْتَعَكَ واحدٌ ، أي : أبقاك لتستمتع به فيما تحبُّ من السرور والمنافع ، وكلّ من متّعته شيئاً فهو له متاعٌ ينتفع به[٣].

وكلّ موضع ذُكر فيه (تمتّعوا) في الدنيا في **القرآن الكريم** جاء على سبيل التهديد ، وذلك لما فيه معنى التوسّع ، ومتّعهُ جعله ينعم ، وهيّأ له ما يُحبُّ و(استمتع) طلبَ التمتّع ، نحو قوله تعالى ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴾ الأنعام:١٢٨، أي انتفع بعضنا ببعض ووجد عنده ما يشتهيه [٤].

جاء الاستمتاع بمعنى الحبّ والتعلّق في الدنيا وملاذها[٥] بصيغة الماضي في قوله تعالى ﴿ **كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ التوبة : ٦٩ ، والخطاب للمنافقين يصف حالهم كحال الذين خلوا من قبلهم من الطغاة في الانحراف عن الحق ، والاغترار بشهوات الدنيا وزينتها ، ولكن هؤلاء الطغاة المهلكين ، يمتازون عنهم بأنهم (كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً) في أبدانهم ، وكانوا أكثر منهم (أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً) ، أي "أنّهم طلبوا المتاع والانتفاع في الدنيا بملاذها وشهواتها بغاية الرغبة معرضين عن العقبى بنصيبهم الذي قدره الله وخلقه لهم"[٦].

١- ينظر : الكشاف ٢: ٤٣٨ ، وروح المعاني ١٢: ٣٠٦ ، والتحرير والتنوير ١٢: ٢٦٢ .
٢- معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٤ : ٢٢ .
٣- العين ٢ : ٨٣ (متع)، ومقاييس اللغة ٥ : ٢٩٣ (متع) .
٤- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن :٧٥٧ ، ومعجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٤ :٢١٥ .
٥- ينظر : المعجم الموضوعي لتصنيف القرآن الكريم : ٢٤١ .
٦- نظم الدرر ٣: ٣٤٦ ، وينظر : التفسير الوسيط ٩: ٢٠٨ .

٣٠- مال :-

المَيْلُ في **المفهوم اللغوي** : انحراف في الشيء إلى جانب منه ، ويُستعمل في الجَوْر[١]، وقيل هو العُدول إلى الشيء والإقبالُ عليه وكذلك المَيَلانَ[٢]، ويكون في المحبوب والمكروه[٣]، وتأتي مالَ بمعنى أحبَّ وودَّ وهامَ وأُغرِمَ وعَشِقَ وشَغفَ ، وكذلك رَغِبَ وتمنّى واشتهى[٤] .

وقد دلّت لفظة (الميل) على المحبّة في **القرآن الكريم** في قوله تعالى ﴿ **وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ النساء:١٢٩، يخبر تعالى أنّ الأزواج لا يستطيعون وليس في قدرتهم العدل التام بين النساء ، وذلك لأنّ العدل يستلزم وجود المحبّة على السواء ، والميل في القلب إليهن على السواء ، ثم العمل بمقتضى ذلك ، وهذا متعذر غير ممكن ، فلذلك عفا الله عما لا يستطاع ، ونهى عما هو ممكن ، أي "لا تميلوا ميلا كثيرا بحيث لا تؤدون حقوقهن الواجبة ، بل افعلوا ما هو باستطاعتكم من العدل"[٥]، وجاء الميل بصيغة المضارع الدال على تجدد الحالة واستمرارها ، لذلك أكّده بالنائب عن المفهول المطلق ، وجاء بلفظة (كلّ) لتدلّ على عموم الميل .

وقد دلّت الآية على أنّ " المحبّة أمر قهري ، وأنّ للتعلّق بالمرأة أسباباً توجبه قد لا تتوافر في بعض النساء ، فلا يُكلّف الزوج بما ليس في وسعه من الحبّ والاستحسان ، ولكنّ من الحبّ ما هو اختياري ، وهو أن يَرُوض الزوج نفسه على الإحسان لامرأته ، وحسن معاشرتها ، حتّى يحصّل من الألف بها والحنوّ عليها اختياراً بطول التكرّر والتعوّد"[٦].

٣١- همّ :-

هَمَّ بالشيءَ ويهمُّ هَمّاً في **المفهوم اللغوي** نواه وأَرادَه وعزَم عليه[٧] ، والهمّ : خطور الشيء بالبال وإن لم يقع العزم عليه ، وهمّ : عزمَ على ، وأزمعَ ونوى وعزِمَ وشَرَعَ وباشرَ وبدأ وطفقَ[٨] ، **قال تعالى ﴿ ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾** يوسف:٢٤ ، ومن هنا لا ينكر أن يكون المُراد بـ(همّ بها) خطر بباله أمرها ووسوس إليه الشيطان بالدعاء إليها ، من غير أن يكون هناك همّ أو عزم فسمِّي الخطور بالبال همّاً من الهمّ يقع في الأكثر عنده ، وربما يكون معنى (الهم) الشهوة وميل الطباع ، و(همّ بها) اشتهاها ، ومال طبعه إلى ما دعته إليه ، وقد يجوز أن تسمى الشهوة في مجاز اللغة همّاً ، ولا قبح في الشهوة ؛ لأنها من فعل الله تعالى فيه ، وإنّما يتعلّق القُبحُ بتناول المشتهي[٩].

١- مقاييس اللغة ٥ : ٢٣٣(مال) ، ومفردات ألفاظ القرآن : ٧٨٣ .
٢- لسان العرب ١٣ : ٢٣٤(مال) .
٣- الفروق اللغوية : ٢٣٩ .
٤- ينظر : معجم المترادفات والأضداد : ٥٩٤ .
٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٢٧٠.
٦- التحرير والتنوير ٥: ٢١٨، وينظر : في ظلال القرآن ٢: ٧٧٢ .
٧- لسان العرب ١٥ : ١٣٧(همم) .
٨- معجم المترادفات والأضداد : ٧٩٦ .
٩- ينظر : الدلالة القرآنية عند الشريف الرضي : ١٥١ – ١٥٢ .

وقد ذهب البيضاوي في تفسيره إلى هذا المعنى فقال :" والمُراد بهمّه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك ممّا لا يدخل تحت التكليف ، بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف نفسه من الفعل عند قيام هذا الهمّ " [١].

٣٢- ولي :-

الواو واللام والياء في **المفهوم اللغوي** أصل صحيح يدلّ على قرب ، والوليّ هو الناصر وقيل هو التابع المحبّ ، وهو من أسماء الله تعالى المتولي لأمور العالم والخلائق والقائم بها ، والوَلاية بفتح الواو : النصرة ، والوِلاية بكسر الواو : تولي الأمر [٢]، "والولاية قد تكون بإخلاص المودّة"[٣]، والوليّ للمرء هو المُحبّ والصديق ، وهو ضدّ العدوّ[٤]، " والوليّ هو الخالص المصاحب القريب بنسب أو مودّة " [٥].

ويبرز معنى المحبّة من لفظ (الولي) وقد جاء بصيغة الجمع (أولياء) على (أفعلاء) ليدلّ على علاقة المحبّة والودّ التي تربط بين طرفين وذلك في **القرآن الكريم** في قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ المائدة : ٥١ ، الآية خطاب للمؤمنين ينهاهم الله عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ، فالولي هو الناصر ، وإن كان من جهة الالتئام في المعاشرة والمحبّة التي هي الانجذاب الروحي ، فالولي هو المحبوب الذي لا يملك الإنسان نفسه دون أن ينفعل عن إرادته ويُعطيه فيما يهواه ، فهي أساس القرب والنصرة والمعاشرة والصداقة والنسب ، فالمتحابّان بعد استقرار ولاية المحبّة والمودّة تراهما كأنّهما شخص واحد ، ذا نفسيّة واحدة ، وإرادة واحدة ، وفعل واحد ، وقوله (بعضهم أولياء بعض) فالمُراد ولاية المحبّة المُستلزمة لتقارب نفوسهم وتجاذب أرواحهم المستوجب لاجتماع آرائهم على الهوى ، والاستكبار عن الحقِّ وقبولهِ [٦].

ويلمسُ معنى المحبّة والإحاطة من هذا اللفظ وقد جاء على صيغة جمع التكسير (أفعلاء) في قوله تعالى ﴿ **نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ** ﴾ فصلت : ٣١ ، فجاء إنّ الوليّ هو الحبيب والنصير ، وفي الآية بشارة للمؤمنين المستقيمين على طاعة الله أن الملائكة تخاطبهم وتقول لهم نحن أنصاركم وأحباؤكم في الدنيا وفي الآخرة ، ففي ذلك بشارة للمؤمنين بمودّة الملائكة [٧].

ولمّا كان الخطاب في السورة مطلقاً انتقل بعد ذاك إلى تقييده بالرسول الكريم ، وجاء بصيغة الإفراد (فعيل) في قوله تعالى ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ فصلت: ٣٤، أي الصديق المحبّ الشفيق عليك[٨]، والمعنى ادفع بحقك باطلهم وبحلمك جهلهم وبعفوك إساءتهم ،

١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣: ١٦٠ . وينظر : الكشاف ٢ : ٣١١ .
٢- المحكم والمحيط الأعظم ١٢: ١١٥ ، ولسان العرب ١٥ : ٤٠١ (ولي)، وينظر : اشتقاق أسماء الله : ١٢١ وما بعدها .
٣- الفروق اللغوية :٢١٤ ، ٣١٨ .
٤- ينظر : معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٥ : ٢٨٣ .
٥- المحرر والوجيز ٢ : ٢٠٣ .
٦- ينظر : الميزان ٥ : ٣٧٧ - ٣٨١ .
٧- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٩: ١٢٥ ، ومجمع البيان ٩: ٢١ .
٨- ينظر : البحر المحيط ٩: ٣٠٦ ، وتفسير الجلالين : ٤٣٢ ، والتفسير الوسيط ٢٤: ١٠٥ .

فإنّك إن دفعت خصومك بلين ورفق ومداراة صار عدوك الذي يعاديك في الدين بصورة وليك القريب [١]، أي إنّك إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبّتك والحنو عليك ، "وترك أفعاله القبيحة وانقلب من العداوة إلـى المحبّة ومـن البغضة إلـى المودّة ، حتى يصير كأنّه ولـيّ حميم ، أي مُحبّ مشفق" [٢].

وجاء أيضا على الصيغة نفسها في قوله تعالى يخاطب فيها اليهود ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ الجمعة : ٦ ، الولي في الآية هو المحبُّ[٣]؛ لأنّهم زعموا بأنّهم أبناء الله وأحبّاؤه ، فإنْ كانوا حقّاً صادقين في ذلك فليتمنوا الموت [٤]، فيا أيّها الذين صاروا يهوداً يهوداً وزعموا أنّهم أحبّاء الله من دون الناس فإنّ الله تعالى يأمرهم أن يتمنّوا الموت صدقاً لا باطلاً في دعوى حبّ الله لهم [٥]، وخصَّ التمني بالموت في هذه الآية لصعوبته على النفس ، واستثقال هذا الأمر لتعلّق النفوس بالحياة وأسبابها ، وفيه بلاغة بالتعريض بحبّهم الحياة الدنيا من دون الإيمان والجهاد في سبيل الله لأنّ الأولياء يتمنون الموت لحبّ لقاء الله وللشوق إليه فإنّما تبيّن ذلك منهم بأنّهم بذلوا أنفسهم لله حتى قُتلوا[٦] .

١- ينظر : مجمع البيان ٩: ٢٣ ، و الأمثل ١٥ : ٢٦٢ .
٢- تفسير القرآن العظيم ٤: ٢٦٥٣ ، وينظر : مفاتيح الغيب ٢٧: ١١٦ ، والتحرير والتنوير ٢٤: ٢٩٣ .
٣- ينظر : المعجم الموضوعي لتصنيف القرآن الكريم : ٢٤١ .
٤- ينظر : الكشاف ٤ : ٥٣٢ ، ومفاتيح الغيب ٣٠ : ٦ .
٥- ينظر : فتح البيان ٢ : ١٠١٦ ، وصفوة التفاسير ٣ : ٣٨٠ ، والنداء في القرآن الكريم : ١٢٥ .
٦- ينظر : تحصيل نظائر القرآن للترمذي : ١٣٠ ، والنداء في القرآن الكريم : ١٤٠ .

الفصل الثالث

ما تعلّق بالمحبّة من ألفاظ

المبحث الأول: ألفاظ المحبوبين في القرآن

المبحث الثاني : الألفاظ الدالة على أصناف المحبّة

الفصل الثالث

ما تعلّق بالمحبَّة من ألفاظ

المبحث الأول : ألفاظ المحبوبين في القرآن

المبحث الثاني : الألفاظ الدالة على أصناف المحبّة

المبحث الأوّل : ألفاظ المحبوبين في القرآن

توطئة :

تتسم الدراسة في هذا المبحث ببيان الصفات التي يتصف بها الذين يحبّهم الله تعالى ، مع بيان دلالات هذه الصفات في مقاماتها وسياقاتها ، فغالباً ما يتكرر ذكرها في مواضع عدّة في الاستعمال القرآني ، وهذا التكرار يأتي في سياقات وحالات مختلفة فمن الطبيعي أن تكون دلالاتها مختلفة في المواضع التي ذكرت فيها .

فأحياناً يكون طريق العاطفة والمحبّة والرحمة أكثر إنجازاً للعمل من طريق القوّة ، فالله تعالى يدير الأمور على محور المحبّة ، وكثير من آيات القرآن تعطي دروساً في المحبّة ، ولأنّ المحبّة لطيفة ورقيقة لا تقال للجميع وفي كل الأحوال بل في حال مخصوصة ، وقد عرفنا أنّ محبة الله تعالى للعباد إنعامه عليهم وتكريمه لهم ، ورضاه عنهم ، ويتبعه إحسانه إليهم ومثوبتهم ، والمغفرة والرحمة والثناء عليهم، فهو يدنيهم من جنابه إدناء المحبّ لحبيبه[1]، ويتضافر مع ذلك المعنى معنى الترغيب والتثبيت والتعزيز وتقوية الأمر المحبوب في نفوس العباد ، أي يثبتهم وينعم عليهم ويقوي فكرة الإحسان والتوكّل والتقوى والإقساط والصبر والقتال في سبيله والتوبة والتطهير عندهم ، فإنّ الله تعالى يحبّ هذه الصفات ويحبّ المتّصف بها ، وهذه الصفات متعلقة باتّباع الرسول الكريم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كما في قوله تعالى ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ آل **عمران : ٣١** ، وبها يظهر أنّ اتباع النبي ومحبّة الله متلازمان فمن اتبع النبي أحبّه الله ، وإذا اتبعوا النبي اتصفوا بكل صفة حسنة يحبّها الله ويرضاها كالصفات التي وقعت مباشرة في مقام محبّة الله والتي سنقوم ببيانها ، وهذه الصفات هي :

المحسنون :

الإحسانُ في منظورها اللغوي : ضدُّ الإساءة ، وفسَّر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الإحسان حين سأله جبريل ، فقال: هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وهو تأويل قوله جلّ وعزّ: ﴿ **إنَّ اللهَ يأمر بالعَدْلِ والإحسان** ﴾النحل : ٩٠، وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿ **هَلْ جزاء الإحسان إلا الإحسانُ** ﴾ الرحمن : ٦٠ أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يُحْسن إليه في الآخرة [2].

وقال الراغب :" الإحسانُ يقال على وجهين ، أحدهما : الإنعامُ على الغير ، يقال أحسنَ إلى فلان ، والثاني : إحسانٌ في فعلِهِ ، وذلك إذا علمَ علماً أو عملَ عملاً حسناً ، وعلى هذا قول الإمام علي (عليه السلام): (الناسُ أبناء ما يُحسنون) ، أي منسوبون إلى ما يعلمون وما يعملونه من الأفعال الحسنة" [3].

١- ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ١٣٣ ، وجامع البيان ١٦ : ٥٤ ، ومعجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ١ : ٣٦٢ .
٢- تهذيب اللغة ٢ : ٧٢ (حسن).
٣- مفردات ألفاظ القرآن : ٢٣٦ .

والإحسانُ زائد على العدل ، وذاك أنّ العدل هو أنْ يعطي ما عليه ، ويأخذ أقلّ ممّا لهُ ، والإحسانُ أن يعطي أكثر ممّا عليه ، ويأخذُ أقلَّ ممّا له ، وتحرّي العدل واجبٌ ، وتحرّي الإحسان ندبٌ وتطوّعٌ ، ولذلك عظّم اللهُ تعالى ثوابَ المحسنين(١) .

وقعت لفظة (المحسنين) مفعولاً به لفعل المحبّة في القرآن الكريم خمس مرات مرة في سورة البقرة ومرتين في سورة آل عمران ومرتين في سورة المائدة ، وكان مجيئها في سياقات مختلفة ، ولعلنا نقف على تلك السياقات لنتبين من خلالها على دلالة تلك اللفظة ، وقد جاءت هذه اللفظة في سياق القتال والإنفاق في سبيل الله في قوله تعالى ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة : ١٩٥ ، والآية أمر بإنفاق المال لإقامة القتال في سبيل الله ، والإنفاق مقيد هاهنا للقتال في سبيل الله بدليل تقييدَ القتال في سبيل الله في الآية (١٩٠) السابقة من السورة نفسها ، أمّا إلقاء الأيدي إلى التهلكة فقد قيّده بعضهم في أنّ البخل والإمساك عن إنفاق المال عند القتال يوجب بطلان القوة وذهاب القدرة ، وإنّ التبذير بإنفاق جميع المال يوجب الفقر والمسكنة المؤدين إلى انحطاط القدرة ، ثمّ يأتي الإحسان موضوع البحث ليدلّ على الإتيان بالفعل على الوجه الحسن بالقتال في مورد القتال ، والكف في مورد الكف ، والشدّة في مورد الشدّة ، والعفو في مورد العفو(٢)، وهذا ما تظهره الآية من تقييد عند اتساقها في نسقها العام ، ولكنّها قد تكون مطلقة في الإنفاق والنهي عن كل ما يوجب الهلاك من إفراط وتفريط ، والإحسان في كل مواضع الإحسان فإنّ الله يُحبُّ العاملين بالإحسان ، وقوله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) جاء تذييلاً لترغيب المسلمين بالإحسان ، لأنّ محبّة الله عبده غاية ما يطلبه الناس إذ إنّ هذه المحبّة سبب الصلاح والخير (٣).

وقد ربط ابن عاشور الإحسان بكلّ ما مرّ من الحالات التي ذُكرت ليبيّن أنّ هذه الصفة تدخل في جميع أفعال الناس وأقوالهم لتمثل الذروة في ذلك فيقول " إنّ في الأمر بالإحسان بعد ذكر الأمر بالاعتداء على المعتدي والإنفاق في سبيل الله والنهي عن الإلقاء باليد في التهلكة إشارة إلى أنّ كلّ هاته الأحوال يُلابسها الإحسان ويحفُّ بها "(٤) .

وفي سياق آخر من سياقات ذكر لفظة (المحسنين) في مقام محبّة الله تأتي هذه اللفظة لتُبيّن أنّ إنفاق المال في مرضاة الله في وقت الرخاء والشدّة وكظم الغيظ والعفو عن الناس من علامات المتقين المحسنين الذين يُحبّهم الله ويُنعم عليهم ويُكرمهم بأنواع الإكرام على سبيل التجديد والاستمرار ، فقد جاء ذلك في قوله تعالى ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران:١٣٣ – ١٣٤ ، وفي الآية إشارة إلى أنّ صفة المحسنين هي مرحلة أعلى من العفو والصفح وبها يرتقي المتقون من درجة إلى أعلى في سلّم التكامل المعنوي ، وهذه السلسلة

١- ينظر : المصدر نفسه : ٢٣٦ .
٢- ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١: ٣٢٥ ، والميزان ٢: ٦٥ ، والتحرير والتنوير ٢: ٢١٥ .
٣- ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٨٠ ، والأمثل ٢ : ٣٦ – ٣٧ . فقد يكون المراد من الإحسان هو حسن الظن بالله من أنّ الإنفاق يؤدي إلى الإخلال في المعيشة ، أو هو الاقتصاد والاعتدال في مسألة الإنفاق ، أو هو دمج الإنفاق مع حسن الخلق للمحتاجين بحيث يتزامن مع البشاشة والمحبة . ينظر : مفاتيح الغيب ٥: ١٣٣ .
٤- التحرير والتنوير ٢: ٢١٦ .

التكاملية هي أنْ لا يكتفي الإنسان تجاه الإساءة إليه بكظم الغيظ بل يعفو ويصفح عن المُسيء ليغسل بذلك آثار العداء عن قلبه ، ويعمد بعدها إلى القضاء على جذور العداء فيُطهّر فؤاد خصمه المُسيء إليه من كل رواسب الضغينة ، وذلك بالإحسان إليه فيكسب ودّه وحبّه ، ويمنع من تكرار الإساءة إليه في مستقبل الزمان [١]، أي أنّه لمّا ذكر أشقّ ما يُترك ويُبذل أتبعه بأشقّ ما يُحبس ثمّ أتبعه بالحثّ على العفو ، لأنّ الكاظم قد لا يعفو[٢] ، ثمّ يأتي حُبّ الله للمحسنين للمرتبة العليا في إتقان العمل ، " والحبُّ هنا هو التعبير الودود الحاني المُشرق المُنير الذي يتناسق مع ذلك الجو اللطيف الكريم ، ومن حُبِّ الله للإحسان وللمحسنين ينطلق حُبّ الإحسان في قلوب أحبّائه ... ، والجماعة التي يُحبّها الله وتُحبّ الله والتي تشيع فيها السماحة واليسر والطلاقة من الإحن والأضغان هي جماعة متآخية ومتضامنة وقويّة "[٣] .

ثمّ تأتي هذه الصفة لتعبّر عن كرم الله وعطائه ورضاه بحبّه لمن اتّصف بها في قوله تعالى ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ، وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ، فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ **آل عمران : ١٤٦-١٤٨** ، فبعد أن سبقتها صفة (الصابرين) الدالة على الثبات والصمود لتُشعر هذه الأسبقيّة بأنّ الإحسان لا يمكن أن يكون إلاّ بالصبر ، لأنّ المحسن تواجهه مشاكل جمّة ، فإذا لم يكن مزوداً بالصمود والصبر والثبات لا يمكنه الاستمرار في عمله [٤]، وبعد أن رسم السياق الصورة الظاهرة للمؤمنين بالثبات رسم الصورة الباطنة لنفوسهم ومشاعرهم ، فهم لم يطلبوا النصر ، وإنّما طلبوا غفران الذنوب وتثبيت الأقدام والنصر على الأعداء لرفعة الإسلام ، وهؤلاء الذين لم يطلبوا لأنفسهم شيئاً أعطاهم الله كل شيء وشهد لهم بالإحسان وسماهم المحسنين ، لأنّهم أحسنوا الأدب وأحسنوا الجهاد وأعلن حبّه لهم وهو أكبر من النعمة والثواب [٥]، فلما كان ثواب الدنيا مكدراً منغّصا مصحوبا بالبلاء ، لأنّ الدنيا دار الأكدار ، فلذا عرّي ثوابها من وصف الحسن ، وخصّت به الآخرة ، إشعاراً بفضله ومزية الحسن تدلّ على الدوام والتمام [٦].

ويأتي الإحسان في باب العفو والصفح عن الناس ومن بينهم اليهود الموفون بالعهود الباقون على المواثيق في قوله تعالى ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ **المائدة : ١٣**، تخاطب الآية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وتُبيّن له حال اليهود المطرودين من رحمة الله ، من جُعلت قلوبهم قاسية نتيجة لنقضهم مواثيقهم وتحريفه التوراة ، وتُحذّره من حالهم المستمر في الخيانة والغدر ونقض العهد معه

١- ينظر : الأمثل ٢ : ٢٤٣ ، والبلاغة القرآنية في آيات صفات المؤمنين ٢ : ٦٧٧ – ٦٧٨ . وممّا يؤيد أن الإحسان هي الذروة في الفعل الحسن ما ذكرته كثير من المصادر من أنّ جارية للإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) جعلت تسكب عليه الماء ليتهيّأ للصلاة ، فسقط الإبريق من يدها فشجّه ، فرفع رأسه إليها فقالت له الجارية : إنّ تالله تعالى يقول (والكاظمين الغيظ) فقال لها : قد كظمت غيظي ، فقالت : (والعافين عن الناس) قال : قد عفوت وقد عفى الله عنكِ ، فقالت : (والله يحب المحسنين) ، قال : اذهبي فأنتِ حرّة لوجه الله . فهذا الحديث شاهد على أن كلّ مرحلة هي أفض من التي قبلها .ينظر : روح المعاني ٤: ٤٥٣ .
٢- ينظر : نظم الدرر ٢: ١٥٧ .
٣- في ظلال القرآن ١ : ٤٧٥ .
٤- ينظر : الأمثل ٢ : ٢٨٩ ، والبلاغة القرآنية في آيات صفات المؤمنين ٢ : ٧٦٦ .
٥- ينظر : مفاتيح الغيب ٩ : ٢٧ ، وفي ظلال القرآن ١ : ٤٧٨ .
٦- ينظر : الكشّاف ١: ٤٥١ ، ونظم الدرر ٢ : ١٥٧ ، و أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم : ٣٤١ .

ولكنّها تستثني بعضهم ممّن وفوا بالعهود وتأمره بالعفو والصفح عنهم ، لأنّ ذلك من عمل المحسنين ، ومن علامات المُحسن أنْ يعفو أي لا يقابل الإساءة بمثلها ظاهراً ، وأنْ يصفح أي أنْ يترك اللوم والمعاتبة فهو أعلى رتبةً من العفو [١] .

ولعلّ مجيء لفظة (المحسنين) وهي الغاية في القول الحسن والعمل الصالح تتناسب تماماً مع ما ذُكر من مبالغات لفظية من ذكر لفظة (القاسية) الدالة على الشدة والصلابة للحجر وقد أطلقت مجازاً على القلوب ، وذكر اسم الفاعل (خائنة) على معنى المصدر إي (خيانة) ، ويستحقّ أن يُسمّى فاعلها الخؤون لشدّتها ، أو على حذف الموصوف أي طائفة خائنة أو نفس خائنة والتاء للمبالغة ، وحذف الموصوف يدلّ على تلبّس الصفة بالموصوف ، ويضاف إلى ذلك صيغة الافتعال الدالة على المبالغة في قوله (تطّلع) ، فضلاً عن معنى الدوام والاستمرار في الخيانة المتأتية من الفعل المضارع (لا تزال)، ثمّ جاءت جملة (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)المؤكّدة تعليلاً للأمر وحثّاً على الامتثال وتنبيهاً على أنّ العفو على الإطلاق من باب الإحسان[٢].

ثمّ تأتي هذه اللفظة في مقام التقوى والإيمان اللذين يوجدان العذر لمن فعل المحرمات قبل نزول التحريم وذلك في قوله تعالى ﴿ لَيسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ **المائدة : ٩٣** ، والآية لا تصلح بسياقها إلاّ أن تتصل بالآيات السابقة[٣] الموجبة لتحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، لتجد عذراً لمن أُبتُلي من المؤمنين بشرب الخمر وغيره قبل نزول التحريم ، ولكنّ هذا العذر مشروط بكونهم ملازمين للتقوى ومتلبسين بالإيمان بالله ورسوله والعمل الصالح ، ولعلّ هذا كلّه مشروط بالإحسان ، وتكرار التقوى للمبالغة والتوكيد على وجوب امتلاء قلب المؤمن بها واستمراره عليها ، فإنّ المؤمن بمداومته على خشية الله يتدرّج من الكمال إلى الأكمل حتى يصل في إيمانه وتقواه إلى مرتبة الإحسان ، ولأنّ أهميّة التقوى والإيمان والعمل الصالح تقتضي الإعادة والتكرير [٤].

التوّابون :

التّوبة في اللغةً هي التي تكون بإقامة الحدود : طَهُور للمُذْنب تُطَهِّره تطهيرا[٥]، وهي تدلُّ على الرُّجوع ، يقال تابَ مِنْ ذنبه، أي رَجَعَ عنه[٦]، والتوبة في الشرع : ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرّط منه ، والتوّاب صيغة

١- ينظر : التحرير والتنوير ٦: ١٤٥ .
٢- ينظر : مفاتيح الغيب ١١: ١٥٨ ، وإرشاد العقل السليم ٣:١٦ ، وروح المعاني ٧ :١٠٠ ، ونظم الدرر ٢: ٤١٦ ، والتحرير والتنوير ٦: ١٤٤ .
٣- والآيات هي قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة ٩٠ – ٩٣ .
٤- ينظر : الميزان ٦ :١٢٧ - ١٣٠ ، والأمثل ٤ : ١٤٥ ، ومفاتيح الغيب ١٢: ٧٣ - ٧٤ .
٥- العين ٢ : ١٤١(توب) .
٦- مقاييس اللغة ١ : ٣٥٧ (توب)، مجمل اللغة : ٧٤ (توب)، والصحاح ١ : ٩١-٩٢ (توب) .

مبالغة على زنة (فعّال) أي العبد الكثير التوبة ، وذلك بتركه كل وقت بعض الذنوب ، وقيل ذلك لله تعالى لكثرة قبوله توبة العباد حالاً بعد حال[1].

وقد وردت لفظة (التوابين) في سياق محبّة الله مرة واحدة في **قوله تعالى** ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ **البقرة:٢٢٢** ، التوّابون والمتطهّرون صنفان من الخلق استحقّا محبّة الله وعظيم عنايته ، والوحدة الجامعة بينهما هو أنّ التوبة طهور للمذنب ، إذ إنّ الآية ابتدأت باعتزال النساء في المحيض وعدم مقربتهنّ ، وفي ذلك إشارة إلى ارتكاب الذنب وذكرُ الذنب يمهّد لذكرِ التوبة ، ولذلك ذكر التوبة ابتداءً .

ويمكن أن تشير مسألة التوبة هنا إلى "أنّ بعض الناس يصعب السيطرة على الغريزة الجنسية فيتلوثون بالذنب والإثم خلافاً لما أمر الله تعالى ، ثمّ يعتريهم الندم على عملهم ويتألمون من ذلك ، فالله سبحانه فتح لهم طريق التوبة كيلا يصيبهم اليأس من رحمة الله ، أمّا اقتران الطهارة بالتوبة فيُمكن أن يكون إشارة إلى أنّ الطهارة تتعلّق بالطهارة الظاهريّة ، والتوبة إشارة إلى الطهارة الباطنيّة زيادة على دلالة المبالغة في التوبة والتطهّر وتكرار الحالين والبقاء عليهما" [2] .

المتوكلون :

التوكُّلُ في اللغة : إظهارِ العَجْزِ والاعتمادِ على غيرك وتجعلُهُ نائباً عنك وتفوضُهُ أمرك [3]، والتوكل على الله هو تفويض الأمر إليه للثقة به بحسن تدبيره ، "وأصلُهُ الاتكال ، وهو الاكتفاء في فعل ما يحتاج إليه بمن يسند إليه ، والوكيل هو المتكل عليه بتفويض الأمر كله" [4].

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) قال : سألت جبرائيل ما هو التوكّل ؟ قال : العلم بأنّ المخلوق لا يضرّ ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ، واستعمال اليأس من الخلق فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله ولم يطمع في أحد سوى الله فهذا هو التوكّل[5]، وقد عرّف الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)التوكّل بأنّه موطن العزّة وعدم الحاجة للآخرين ، أما حدُّ التوكّل فقد بينه الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) فقال إنّ حدّ التوكّل هو أن لا تخاف مع الله أحداً [6].

١- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ١٦٩ ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٧ : ١٠ .
٢- الأمثل ٢ : ١٣٦ ، وينظر : نظم الدرر ١: ٤٢١ .
٣- ينظر : العين ٦ : ٢٠٠ (وكل)، ومجمل اللغة : ٧٠٧ (وكل)، ومفردات ألفاظ القرآن : ٨٨٢ .
٤- التبيان في تفسير القرآن ٣ : ٢٩ ، وينظر : التحرير والتنوير ٤ : ١٥١ .
٥- بحار الأنوار ١٥ : ١٤ .
٦- ينظر : الأمثل ١٧ : ٢٣٤ .

وحقيقة التوكّل الاعتماد ، وهو مجاز في الشروع في الفعل مع رجاء السداد فيه من الله ، وهو شأن أهل الإيمان ، فالتوكل كما يراه ابن عاشور " انفعال قلبي عقلي يتوجّه به الفاعل إلى الله تعالى راجياً الإعانة ومستعيذاً من الخيبة والعوائق ، وربّما رافقه قول لساني وهو الدعاء " [١].

وقد جاءت صفة (المتوكلين) في سياق محبّة الله مرة واحدة في قوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ **آل عمران : ١٥٩** ، أي الواثقين به والمعتمدين عليه والمنقطعين إليه الواكلين أمرهم إلى لطفه وتدبيره ، أما محبّتهم فهي إرادة ثوابهم على توكّلهم وإسنادهم أمورهم إلى الله تعالى [٢].

وسياق الآية يشير إلى أنّ لفظة (المتوكّلين) جاءت لبيان لين ورفق الرسول الكريم مع قومه ورحمته وعطفه عليهم ، وذلك كلّه مخصوص برحمة الله وفضله ، ثمّ جاء الأمر له بالعفو عنهم والاستغفار لهم ومشاورتهم في الأمور ثمّ اتخاذ القرار بعد التوكل على الله والاعتماد عليه ، فإنّه يحبّ المعتمدين عليه المفوضين أمورهم إليه مع مباشرة الأسباب التي شرعها لهم لكي يصلوا إلى مطلوبهم[٣].

وقوله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) لأنّ التوكّل علامة صدق الإيمان ، وفيه ملاحظة عظمة الله وقدرته ، واعتقاده الحاجة إليه وعدم الاستغناء عنه وهذا أدب عظيم مع الخالق يدلّ على محبّة العبد ربّه فلذلك أحبّه الله وأثابه على توكّله وإسناده أمره إلى الله تعالى [٤] .

أمّا تكرار لفظ الجلالة من دون ذكر الضمير وذلك لإدخال الروعة والمهابة في القلوب ، نظراً إلى أنّ لفظ الجلالة يجمع صفات كمال الله تعالى كلّها بوصفه اسماً علماً للذات العليّة ، وما هو اسم علم للذات يكون جامعاً لكل صفات الكمال ، زيادة على إرادة تقوية الدافع إلى تنفيذ الأمر وتحقيق الطاعة [٥].

ومن الجدير بالتأمّل هو أنّ مسألة المشاورة ذكرت في الآية بصيغة الجمع بقوله (وشاورهم) ولكن اتخاذ ، القرار الأخير جُعل من وظيفة الرسول الكريم خاصّة إذ جاء بصيغة المفرد بقوله (عزمت) ، وإن هذا الاختلاف في التعبير القرآني إشارة إلى أنّ تقليب وجوه الأمر تكون بصورة جماعيّة أمّا اتخاذ القرار النهائي والتنفيذ فيكون بإرادة واحدة إرادة القائد مقترنة بالتوكّل على الله على أنّ التوكّل لا يعني تجاهل الأسباب الماديّة والوسائل العاديّة للنصر [٦] .

١- التحرير والتنوير ٤ : ١٥١ .
٢- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٣ : ٣٢ ، ومجمع البيان ٢ : ٥١١ .
٣- ينظر : التحرير والتنوير ٤ : ١٥١ .
٤- التحرير والتنوير ٤ : ١٥٢، وينظر : التبيان في تفسير القرآن ٣ : ٣٢ .
٥- ينظر : البلاغة أسسها وعلومها وفنونها : ٥٧ .
٦- ينظر : الأمثل ٢ : ٣٢٤ .

المتّقون :

وقى في **اللغة** ووقاهُ اللهُ وَقْياً وَوِقايةً وواقِيةً صانَه ، وَقَيْتُ الشيء أَقِيه إذا صُنْتَه وسَتَرْتَه عن الأذى ، والتقوى الخشية والخوف وتقوى الله خشيته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ووَقاهُ الله وِقايَةً، أي حَفِظه[١].

قال الراغب : "الوِقايةُ حِفظُ الشيءِ ممّا يُؤذيه ويضُرُّه ، والتقوى جَعْلُ النفسِ في وِقايةٍ ممّا يخاف ، ثمّ يُسمّى الخوفُ تارةً تقوى ، ثمّ صار التقوى في تعارفِ الشرعِ حِفظَ النفسِ عمّا يُؤثمُ وذلك بترك المحظورِ ، ويتمُّ ذلك بترك بعض المُباحات" [٢].

جاءت لفظة (المتقين) في مقام محبّة الله ثلاث مرات ، ولعلّنا نقف على السياقات التي وردت فيها هذه اللفظة لنرى الأسباب التي استحقّ المتّصفون بها وجوب محبّة الله تعالى زيادة على دلالات تلك اللفظة ، ومن مقامات ورودها **قوله تعالى** ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ **آل عمران : ٧٦** ، والملاحظ أنّ هذه الآية مرتبطة ارتباطا وثيقاً بسابقتها لأنّها جواب لإنكار اليهود أداء الأمانات والإيفاء بالعهد مع المسلمين أو مع الله تعالى وهم يعلمون أنّ هذا كذبٌ على الله لأنّهم أنكروا وجوده في التوراة ، وذلك مُبيّنٌ في **قوله تعالى** ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ **آل عمران : ٧٥** .

وقوله (وَاتَّقَى) معناه تجنّب الخيانة ونقض العهد ، ومن هنا نرى أنّ الوفاء بالعهد جاء رديفاً للتقوى ، وهذا التعبير يدلّ على أنّ الوفاء بالعهد هو أحد الفروع المهمّة للتقوى ، وهو من باب ذكر خصوص المعنى اللغوي تماشياً من سياق الآية ، أمّا قوله (الْمُتَّقِينَ) في (فَإِنَّ اللَّهَ يُحِب الْمُتَّقِينَ) فهو عدول إلى ذكر الصفة العامّة التي تجب بها محبّة الله ، وهي من قبيل ذكر العام بعد ذكر الخاص إيثاراً للإيجاز ، والتقدير: فإنّ الله يُحبُّهُ لأنّه متّقٍ والله يُحبّ المتقين أي المؤمنين ، أي أنّ كرامة الله لعباده المتقين حبّه لهم لا ما زعمتموه من نفي سبيل[٣]، وفي خروج الشرط على تعميم المتقين إشارة إلى تشريف التقوى والحضّ عليها [٤].

وأشار المفسرون[٥] إلى أنّ الضمير في لفظة (بعهده) له مرجعان ، الأول أنّه يعود على الله تعالى فيكون العهد بين العبد وربّه ، والثاني أنّه يعود على الإنسان فيكون العهد بينه وبين العباد ، وهو ما أوجبه الله على العبد من حقّه وحقّ العباد ، وبهذا يكون التعبير القرآني بذكر لفظة (الْمُتَّقِينَ) على التعميم يتناسب تماماً وتعدد مرجعيات الضمير الذي أفاد التعميم أيضاً ، زيادة على ذلك فإنّ اسم الشرط (من) يفيد عموم من قام بالوفاء والتقوى ، فلذلك كان التناسب مع المتقين [٦].

١- لسان العرب ١٥ : ٣٧٨ (وقي)، المعجم الوسيط ٢ : ١٠٢٩ (وقي).
٢- مفردات ألفاظ القرآن : ٨٨١ .
٣- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٢ : ٤٨٠ ، والميزان ٣ : ٣٠٣ .
٤- ينظر : المحرر والوجيز ١ : ٤٥٩ .
٥- ينظر : الكشّاف ١: ٤٠٢ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان : ١٣٥ ، والدر المصون في علم الكتاب المكنون ٣:٣٢ ، وفتح القدير ١ : ٣٤٣ .
٦- ينظر : البحر المحيط ٣: ٢٢٥ ، وروح المعاني ٤: ٢٨٣ .

وتأتي لفظة (الْمُتَّقِينَ) في سياق الحديث عن الوفاء بالعهد في سورة التوبّة مرتين ولكنها هنا مع المشركين ، في قوله تعالى ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة : ٤ ، فالمُراد بـ(الْمُتَّقِينَ) الذين يتّقون نقض العهد من غير سبب ، وذلك أن التقوى بمعنى الورع عن محارم الله عامّة ، ومحصّل الآية البقاء على العهد مع بعض المشركين الذين استثناهم الله تعالى باستهلال الآية لوفائهم بالعهد ، أمّا الجملة التأكيديّة (إِنَّ اللَّهَ يُحِب الْمُتَّقِينَ) فهي في مقام التعليل لوجوب الوفاء بالعهد ما لم ينقضه المعاهد المشرك ، ولأنّ الإخبار بمحبّة الله المتقين عقب الأمر كناية عن كون المأمور به من التقوى [١].

والموضع الثاني الذي وردت فيه هو قوله تعالى ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة : ٧ ، والآية تبدأ باستفهام في مقام الإنكار والاستبعاد ونفي حفظ المشركين لعهودهم ، ويُلمحُ أيضاً إنكار دوام ذلك العهد في المستقبل وذلك باستعمال الفعل المضارع (يكون) المستعمل في معنى الدوام ، كما توحي للمسلمين بأن يكونوا واعين حذرين من معاهدتهم ، وجاء الاستثناء بعد ذلك ليكشف عن أولئك الذين عاهدهم المسلمون عند المسجد الحرام من الذين حافظوا على العهد ، فأمر تعالى المسلمين أن يحافظوا عليه بقدر محافظتهم وذلك من لوازم التقوى الواردة في سياق محبّة الله وتنبيهاً على أنّ الوفاء بالعهد من التقوى [٢] .

أمّا لفظة (الاستقامة) الواردة في السياق فتعني الحفاظ على العهد ، والسين والتاء في الصيغة للدلالة على المبالغة في فعل الوفاء ، وهي من موجبات التقوى ، ولذلك جاءت عبارة (إِنَّ اللَّهَ يُحِب الْمُتَّقِينَ) المؤكَّدة بمحبّة الله تعليلاً للأمر بالاستقامة[٣] .

ويرى المفسّر الطبري أنّ لفظة (الْمُتَّقِينَ) جاءت بمعناها العام ، وإنّ الوفاء بالعهد هي صفة من صفات المتقين فقال : " إنّ الله يُحبُّ من اتقى الله وراقبه في أداء فرائضه ، والوفاء بعهده لمن عاهده ، واجتناب معاصيه ، وترك الغدر بعهوده لمن عاهده "[٤] .

ويلحظ ممّا سبق أنّ صفة (الْمُتَّقِينَ) في سياق محبّة الله جاءت في مواضعها الثلاث مقترنة بالوفاء بالعهد وعدم نقضه ، وكأنّ الوفاءَ بالعهد رديفٌ للتقوى ، وهذا يدلُّ على الوفاء بالعهود – حتى مع غير المسلمين – قد نال أهميّة بالغة في القرآن الكريم .

١- ينظر : الميزان ٩: ١٥٤ ، والدر المنثور ٤: ١٢٠ ، والتحرير والتنوير ١٠: ١١٣ . وقد صرّح القرآن بنظائر لهذه الآية منها : المائدة : ٢ ، ٨ .
٢- ينظر : الكشّاف ٢: ٢٣٦ ، والبحر المحيط ٥: ٣٧٥ – ٣٧٦ ، والميزان ٩: ١٦١ .
٣- ينظر : التحرير والتنوير ١٠: ١٢٣.
٤- جامع البيان ٦: ٣٢٤ .

المقسطون :

القُسُوط في اللغة الميلُ عن الحَقِّ ، وقَسَطَ يَقْسِطُ فهو قاسِطٌ ... ، والإقساطُ العَدْلُ في القِسْمةِ والحكم ، وتقول : أقسَطْتُ بينهم وأقسَطْتُ إليهم [١]، وقال الراغب : القَسْطُ هو أن يأْخُذَ قِسْطَ غيره ، وذلك جَورٌ ، والإقْسَاطُ أنْ يُعطِيَ قِسْطَ غيره ، وذلك إنصافٌ ، ولذلك قَسَطَ الرجُلُ إذا جارَ ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ الجن : ١٥ ، وأَقْسَطَ إذا عَدَلَ ، ومنه قوله تعالى ﴿ ... وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الحجرات : ٩ [٢]، فحين ترد صيغة الفعل الثلاثي قسط على زنة ضرب تعني الظلم والتجاوز على حصّة الآخرين ظلماً ، إلاّ أنّه حين تأتي ثلاثية مزيدة فيقال (أقسط) فإنّها تعني إعطاء الحصّة عدلاً ، وهمزته للسلب أي إزالة القسط وهو الجور [٣].

وردت محبّة الله للمقسطين في مواضع ثلاثة في القرآن ولعلّها كلها تعني ما عَنيه المعنى اللغوي للفظة وهو العدل في القول والفعل والمعاملة ، وإنّ للسياق القرآني دوراً كبيراً في تحديد الفروق الدقيقة في المعاني ، ومن ذلك ما جاء بمعنى الحقّ وهو حدّ الزنا الموافق لشريعة الإسلام ، كما جاء في **قوله تعالى** ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ **المائدة : ٤٢** ، أي بالحقّ وهو حكم الإسلام بالحدِ ، فقد نزلت الآية في اليهود الذين طلبوا من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) التحكيم بينهم في حدّ الزنا، لعلّهم يجدون في تحكيم النبي ما يعتضدون به ، وقد مالت أهواؤهم إلى تغيير حكم التوراة فيه بالتأويل أو الكتمان ، وظاهر الجملة الشرطيّة أنّ الله أعلمَ رسوله باختلافهم في حكم حدّ الزنا ، وبعزمهم تحكيمه قبل أن يصل إليه المستفتون ، وهذا من دلائل النبوّة ، فأظهر الله تعالى صفاتهم الرديئة ثمّ خيّر رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) في الحكم بينهم أو الإعراض عنهم ، وكان ابتداء التخيير بالحكم بينهم إشارة إلى أنّ الحكم بينهم أولى ، ويؤيد ذلك الجملة الشرطيّة في قوله تعالى (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين) ، أمّا الجملة الشرطيّة في قوله (وإن تُعرض عنهم فلن يضروك شيئاً)، ففيها طمأنة للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) لأنّه تعالى عصمه من الناس ، وإشارة إليه بأنّهم لا طمع في إيمانهم في كلّ حال [٤].

أمّا محبّة الله للمقسطين أي العادلين والقاضين والعاملين بحكم الله بين الناس ، فهو حفظهم وتعظيم شأنهم وإظهار النعمة عليهم ، وهي نتيجة حتميّة وتشجيعيّة لفعل العدل وبيان الحقّ في أيّ ظرفٍ أو حال يتعرّض له الإنسان وإن كان الخطاب خاصّاً بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) .

ومن بدائع الأسلوب القرآني ما رأيناه في هذه الآية من تعاضد الجمل الشرطيّة وتواصلها فيما بينها ، إذ إنّ لكل جملة دورها المتمّم للأخرى ، فقد بيّنت الجملة الأولى مجيء اليهود وبيان الحكم لهم أو الإعراض عنهم ، وبيّنت

١- العين ٣: ١٥٤(قسط)، وينظر : مجمل اللغة : ٥٤٩(قسط) .
٢- مفردات ألفاظ القرآن : ٦٧٠ .
٣- ينظر : الكشّاف ٤: ٣٦٨ ، والأمثل ١٦ : ٣٤٣ .
٤- ينظر : التحرير والتنوير ٦: ٢٠٢ – ٢٠٣ .

الثانية عدم ضررهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) في حال إعراضه عنهم ، و بيّنت الثالثة الحكم بالقسط فيما حكّموا النبي به .

وفي سياق آخر تأتي لفظة (المقسطين) في مقام محبّة الله تعالى للدلالة على إبراز العدالة في القول والفعل بين طوائف المؤمنين في **قوله تعالى** ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ **الحجرات: ٩**، فالإقساط إعطاء كل ما يستحقّه من القسط والسهم وهو العدل ، وقوله (إنّ الله يحبُ المقسطين) تعليل يفيد تأكيداً على تأكيد ، فكأنّه قيل : أصلحوا بينهما بالعدل وأعدلوا دائماً لأنّ الله يحبّ العادلين لعدالتهم ، زيادة على حضّ المؤمنين [١]، ولعلّ مجيء لفظة (أقسطوا) بعد لفظة (العدل) " يفيد أنّ (العدل) كان فيه تخصيص بحال من دون حال فعمّمَ الأمر بقوله (وأقسطوا) أي في كلّ أمر مفضٍ إلى أشرف درجة وأرفع منزلة وهي محبّة الله "[٢].

ولكن السؤال هنا هو أيكون القسط والعدل بمعنى واحد أم لا ؟ والجواب إنّ للعدل مفهوماً واسعاً يشمل جميع الأعمال الصالحة ، لأنّ حقيقة العدل هي استعمال كل شيء في مجاله ووضع كل شيء في محلّه ، ثمّ إنّه وإن كان بين (العدالة) و(القسط) تفاوتاً ، إذ تطلق (العدالة) ويراد منها إعطاء كل ذي حقٍ حقّه ، ويقابلها (الظلم) ، وهو منع ذوي الحقوق من حقوقهم ، في حين يعني (القسط) أن لا تعطي حقّ أحد لغيره ، وبعبارة أخرى أن لا يُرضى بالتبعيض ، ويقابله أن يعطي حقّ أحد لغيره ، ولكن المفهوم الواسع لهاتين الكلمتين اللتين قد تستعملان منفصلتين متساوٍ تقريباً ، وهما يعنيان رعاية الاعتدال والتوازن في كل شيء وفي كل عمل ، وبالتالي وضع كل شيء في مكانه[٣] .

ويبرز الإقساط مقترناً بالإحسان في سياق المحبّة لبيان أخلاق المسلمين في حُسن المعاملة حتى مع مخالفيهم وذلك من باب الوفاء بالعهد لأنّ مخالفيهم لم يقاتلوهم ولم يخرجوهم من ديارهم في**قوله تعالى** ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ **الممتحنة : ٨** ، أي العادلين بوفاء العهد ، فتعدلوا فيهم بالإحسان و لا تغلوا في مقاربتهم ولا تسرفوا في مباعدتهم ، أو أن تقضوا إليهم بالعدل وتعاملوهم بمثل معاملتهم لكم ، ولا تجوروا عليهم في حكم من الأحكام ، وقيل هم العادلون في أقوالهم وأفعالهم وأحكامهم ، الذين ينصفون الناس ويعطونهم العدل من أنفسهم ويحسنون إلى من أحسن إليهم[٤].

١- ينظر : الميزان ١٨: ٣١٩ ، وينظر : إرشاد العقل السليم ٨: ١٢٠ ، والتفسير الوسيط ٢٦: ٢١٠ . ربّما يؤدي قتال الفئة الباغية إلى الضغينة والحقد فقد يكون الصلح بالظلم والحيف على أحد الخصمين وهذا ليس هو الصلح المأمور به ، فيجب أن لا يراعى أحدهما لقرابة أو وطن أو غير ذلك من المقاصد والأغراض التي توجب العدول عن العدل ، لأنّ ذلك يكون شديداً على النفوس لما تحملت من الضغائن ، لذلك قال (وأقسطوا) أي أزيلوا القَسط وهو الجور. ينظر : نظم الدرر ٥: ٢٧٦ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان :٨٠٠ .

٢- مفاتيح الغيب ٢٨: ١١٨، وينظر : النكت والعيون ٢٥: ٣٦٤ .

٣- ينظر : الأمثل ٥ : ٣٠ .

٤- ينظر : مفاتيح الغيب ٢٨: ٢٨١ ، ومجمع البيان ٩: ٥٠٥ ، وبحر العلوم ١٦: ٢٣٢ ، وإرشاد العقل السليم ٩: ٢٣٨ .

وهذا ما أجمع عليه أغلب المفسرين فجعلوا الإقساط أمراً معنوياً ، وقد جعله بعضهم أمراً حسيّاً من أنّ الإقساط هو في الإنفاق والإطعام على من كان بينكم وبينهم صلة من قرابة أو مصاهرة أو غير ذلك[١]. ويلمس من الآية دعوة ترغيب للمؤمنين بحسن المعاملة وتأليف القلوب بالإحسان والعدل والإنصاف حتى مع غير المسلم .

الصابرون :

الصَّبْرُ في **المفهوم اللغوي** : نقيض الجَزَع ، يقال صَبَرْتُ نفسي على ذلك الأمر، أي حَبَسْتُها [٢]، والصبرُ الإمساكُ في ضيقٍ ، وهو حبسُ النفسِ على ما يقتضيه العقلُ والشرعُ ، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه ، فالصبرُ لفظٌ عامٌ ، وربّما خُولف بين أسمائهِ بحسب اختلاف مواقعه ، فإن كان حبسُ النفسِ لمصيبةٍ سُميَ صبراً لا غير ، ويُضادّهُ الجزعُ ، وإن كان في مُحاربةٍ سُميَ شجاعةً ، ويضادّه الجُبنُ ، وإن كان في نائبةٍ مُضجرةٍ سُميَ رَحْبَ الصدرِ ، ويضادّهُ الضجرُ ، وإن كان في إمساك الكلامِ سُميَ كتماناً ، ويضادّهُ المَذلُ ، وقد سمّى الله تعالى كل ذلك صبراً ، ونبّهَ عليه في قوله ((وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ البقرة : ١٧٧[٣].

وتأتي هذه الصفة مفعولاً لفعل المحبّة مرة واحدة في القرآن لتُشير إلى أولئك الذين استحقّوا تعظيم الله وتكريمه بفضل محبته لهم وذلك بعد أن عُرضت حوادث معركة أُحد في الآيات السابقة جاء **قوله تعالى** ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ **آل عمران : ١٤٦**، ليحثّ المسلمين على التضحية والثبات ويُشجّعهم ويثبّتهم بذكر تضحيات من سبقوهم من أصحاب الرسل الماضين وأتباعهم المؤمنين الصادقين الأبطال ، ويؤدّب ويوبّخ ضمناً الذين فرّوا في معركة أُحد[٤].

وإنّ هذه الصفة عبّرت بصورة خاصة عن حال أنصار الأنبياء الذين واجهوا المصاعب والجراحات والشدائد في قتالهم الأعداء ، فمن البدهيّ أن الله تعالى يُحبُّ مثل هؤلاء الثابتين الصابرين في القتال ، إذن فالصبر هنا يعني الثبات والصمود ولهذا جاء في مقابل الضعف والاستكانة [٥]، ممّا يؤيّد ذلك أنّ الصبر جاء مقترناً بالجهاد وخصوصيّته في سياق الآيات السابقة لهذه الآية ومنها بشكل مباشر **قوله تعالى** ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ **آل عمران : ١٤٢** .

وقوله تعالى (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) جملة مستأنفة لإظهار أنّ مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره والصبر عليها في طريق الله تعالى ولم يظهر العجز ، من الأمور التي تستحقّ تعظيم الله وإكرامه وإعزازه ونصره ، والحكم له بالثواب والجنّة [٦].

١- ينظر : النكت والعيون ٥: ٥٢٠ .
٢- العين ٢ : ٣٦ (صبر)، و الصحاح في اللغة ١:٣٧٨ (صبر) .
٣- مفردات ألفاظ القرآن : ٤٧٤ .
٤- ينظر : روح المعاني ٥:٤٧ .
٥- ينظر : الأمثل ٢ : ٣٤٢ .
٦- ينظر : مفاتيح الغيب ٩: ٢٥ .

المقاتلون :

ومن الذين يحبّهم الله ويريد إكرامهم وإثابتهم ونصرتهم (المقاتلون) الذين يداومون على الجهاد في إعلاء كلمة الله ، وجاء هذا اللفظ على شكل الاسم الموصول وصلته الفعلية (الذين يقاتلون) وذلك في **قوله تعالى** ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ **الصف : ٤**، وهؤلاء المقاتلون مميزون بدوامهم وحبّهم للقتال في سبيل الله بدلالة الفعل المضارع الدال على التجدد والاستمرار ، فضلاً عن كونهم صافيّن أو مصفوفين متلاصقين كأنّهم في تراصّهم كالبنيان لا فرجة بينهم ولا خلل ، منتظم مظهرهم متناسق مكانهم ، وقد جاءت كلمة (صفاً) مصدراً بمعنى اسم الفاعل ، وهي حال من ضمير الفاعل في (يقاتلون) والمعنى : يقاتلون في سبيله حال كونهم صافيّن ، ومجيء الحال مصدراً يدلُّ على أنّ الوصف بالمصدر المجرّد من الذات والمقتصر على الحدث أكثر مبالغة وقوة في المعنى والتعبير من الوصف الذي يدل على الحدث مقرونا بالذات الفاعلة فقد قال (صفّاً) ولم يقل (صافين) ، ثمّ أردف هذا الحال بحال أخرى على التشبيه أي حال كونهم مرصوصين من غير فرجة ولا خلل ، لتكون الصورة أعمق بياناً وأدقّ تبياناً [١] .

ومن روعة البيان القرآني ما تحمله هذه الآية من إشارات ودلالات ، فمن دلالاتها أنّها تُشير إلى الحث والترغيب والتشجيع على الجهاد لأنّ الله تعالى يُحبُّ هذه الصفة فضلاً عن تعليمهم خطط الحرب والانتظام في المعركة والمقاتلة عن تدبّر بجعلهم صفوفاً متراصيّن ، لأنّ في ذلك تعاضد المسلمين وإنّ فيه إرهاباً للعدوّ ، وفيها أيضاً دلالة التوبيخ ، فبعد النظر في سياقها ، أي إلى الآيات السابقة وهي قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف : ٢-٣ ، تلحظ الإشارة إلى توبيخ الذين أُعلموا بأنّ أحبَّ الأعمال إلى الله هو الجهاد ، فلمّا نزل فرض الجهاد تثاقلوا عنه ، أي أنهم لم يفوا بما قالوا وانهزموا في معركة أُحد فعُيّروا بهذه الآية[٢] .

المتطهرون :

الاطّهارُ في اللغة : الاغتِسال وهو : الاستِنْجاء بالماء ، والتَّطَهُّر أيضا : التَّنَزُّه والكفُّ عن الإثْمِ[٣]، والطهارةُ كما يقول الراغبُ "ضربان طهارةُ جسم وطهارةُ نفسٍ" [٤].

جاءت هذه الصفة بهذه الصيغة مرة واحدة في سياق المحبّة في **قوله تعالى** ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ البقرة:٢٢٢، وهي في سياق أمر الرجال عن مقاربة النساء في المحيض ، ولمّا كانت المخالطة على الوجه الذي نهى الله عنه وقذّره جداً أشار بقوله (ويحبّ) فكررها مع المتطهرين ، ولمّا كانت شهوة النكاح وشدّة الشبق جديرة بأن تغلب الإنسان إلاّ بمزيد مجاهدة منه أظهر تاء الافتعال ، فقال (المتطهرين) ، أي

١- ينظر : البحر المحيط ١٠: ١٦٤ - ١٦٥، وإرشاد العقل السليم ٩: ٢٤٣ ، وبحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ٧٧ .
٢- ينظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٣٩٧ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان : ٨٥٨ ، وقيل إنّها نزلت في المنافقين ، وخطابهم بالإيمان تهكّم بهم وبإيمانهم وهذا من أفصح الكلام وأبلغه كما يقول الزمخشري . ينظر : الكشاف ٤: ٥٢٣ .
٣- تهذيب اللغة ٢ : ٢٩٦ (طهر) ، والصحاح في اللغة ١: ٤٣١(طهر)، ولسان العرب ٤ : ٥٠٤(طهر) .
٤- مفردات ألفاظ القرآن : ٥٢٥ .

الحاملين أنفسهم على ما يشقّ من أمر الطهارة من هذا وغيره ، وهم الذين يبالغون ورعاً في البعد عن كل مشتبه ، أي يفعل معهم من الإكرام فعل المحبّ ، وكذا كل ما يحتاج إلى طهارة حسيّة أو معنويّة [١]، ويقول الزمخشري إنّ من المجاز التطهر من الإثم أي التنزه منه[٢].

ويرجح الفخر الرازي المعنى الحسّي للفظة (المتطهرين) وهو عدم إتيان النساء في زمان الحيض ولا يأتيها في غير المأتى ، وعلل ذلك بأنّه يتناسب مع سياق الآية من النهي عن مقاربة النساء ، بعد أن ذكر وجهين آخرين لهذه اللفظة الأوّل منها معنوي أي التنزيه عن الذنوب والمعاصي ، وذلك لأنّ التائب هو الذي فعله ثمّ تركه ، والمتطهّر هو الذي ما فعله تنزها عنه ، والذنب هنا نجاسة روحانية بدليل قوله تعالى﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ التوبة : ٢٨ ، والثاني حسّي والمراد منه التطهّر بالماء [٣].

وإنّ اقتران الطهارة بالتوبة في الآية يمكن أن يكون إشارة إلى "أنّ الطهارة تتعلّق بالطهارة الظاهرية والتوبة إشارة إلى الطهارة الباطنية ، ويحتمل أيضاً أنّ الطهارة هنا عدم التلوث بالذنب ، يعني أنّ الله تعالى يحبّ من لم يتلوث بالذنب ، وكذلك يحبّ من تاب بعد تلوثه"[٤]، فالآية مطلقة غير مقيدة فتشمل مراتب التوبة والطهارة جميعها ، ولا يبعد استفادة المبالغة من لفظ (المتطهرين) ولفظ (التوابين) فينتج استفادة الكثرة في التوبة والطهارة من حيث النوع ومن حيث العدد جميعا ، والمعنى أن الله تعالى يحبّ جميع أنواع التوبة سواء أكانت بالاستغفار أم بامتثال أوامر الله ونواهيه ، ويحب جميع أنواع التطهر سواء أكان بالاغتسال والوضوء والغسل أو التطهر بالأعمال الصالحة ، ويحب تكرار ذلك [٥].

ونلحظ في اللفظتين الواقعتين في سياق محبّة الله تعالى قوّة في الأداء والمعنى ، ويكون هذا الأمر بنقل اللفظ من صيغة إلى أخرى أكثر منها حروفاً ، فلأجل ذلك يقوى المعنى لأجل اللفظ ، وإلاّ كانت زيادة الحروف لغواً لا فائدة منه ، ويكون ذلك في أقسام الكلم كلّها ، فإنّ فعّالاً أبلغ من فاعل ، ومتطهّر أبلغ من طاهر ، لأنّ التواب هو الذي تتكرر منه التوبة مرة بعد أخرى ، وهكذا المتطهّر ، فإنّه الذي يكثر من فعل الطهارة مرة بعد أخرى [٦]، وهكذا القول فيما كان مشتقاً من الفعل ، فإنّ زيادة لفظه دالة على زيادة معناه .

وجاء لفظ الطهارة بصيغة مقاربة من الصيغة السابقة وهي (المطّهرين) بإدغام التاء مع الطاء في **قوله تعالى** ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ **التوبة : ١٠٨**، الآية مرتبطة بسابقتها والتي سيقت لبيان حال المؤمنين إزاء حال المنافقين الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله ، وقد أمر الله رسوله بترك هذا المسجد ،

١- ينظر : نظم الدرر ١: ٤٢١ .
٢- ينظر : أساس البلاغة ٤٧٣ .
٣- ينظر : مفاتيح الغيب ٦: ٦٦ .
٤- الأمثل ٢ : ١٣٥-١٣٦ .
٥- ينظر : الميزان ٢: ٢١٦ ، والبلاغة القرآنية في آيات صفات المؤمنين ١ : ١٥١ .
٦- ينظر : الطراز : ٢: ٨٧ .

وعدم القيام فيه ، وطلب منه القيام فيما أُسس على التقوى ، ثم ذكر بإزاء أولئك المنافقين أصحاب القلوب الدنسة رجالا آخرين ، وهم أصحاب القلوب الطاهرة المنيبة إلى ربها ، أي التاركين للذنب والعاملين للصلاح [١] .

وفي مقام هذه الآية يرى الفخر الرازي أنّ المراد من الطهارة أمران ، أحدهما : الطهارة المعنوية من الذنوب والمعاصي ، لأنّ التطهّر من الذنوب هو المُؤثّر في القرب من الله تعالى واستحقاق ثوابه ومدحه ، وكون أهل قباء بالضد من صفات أصحاب مسجد الضرار ، أي أنهم مبرؤون من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنية ، والآخر: هو الطهارة بالماء بعد الحجر [٢].

والذي يبدو أنّ للطهارة هنا معنى واسعاً يشمل كل أنواع التطهير ، سواء أكان التطهير الروحي من آثار الشرك والذنوب ، أم التطهير الجسمي من الأوساخ والنجاسات بالماء ، استنادا إلى ما ذكره أغلب المفسرين من أنّ أهل قباء كانوا يستنجون بالماء [٣]، وتُشير الآية إلى ثناء الأنصار الذين تطهّروا من الذنوب والآثام ومدحهم ، فضلاً عن عنايتهم بنظافة أبدانهم وتُشير إلى تكريم روّاده ، أي إنّ في المسجد رجال أتقياء الظاهر والباطن ، إذ هم يحبون الطهارة من كل رجس حسّي ومعنوي ، ويبالغون في طهارة الروح والجسد ، لأنّ فيه الكمال الإنساني ، وتشير إلى توبيخ المنافقين على فعلهم .

ونرى في لفظة (المطّهرين) قوّة في المعنى والأداء ، إذ حصل فيها إبدال وإدغام ، وهذا ما جعل المعنى يقوى ، فضلا عن خصوصية اللفظة ، أي أنّ الله سبحانه يحبّ الذين يبالغون في التطهّر ، فالآية في سياقها نزلت في المنافقين الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله ، وقد أمر الله رسوله بترك هذا المسجد ، وعدم القيام فيه ، وطلب منه القيام فيما أُسس على التقوى ، ثم ذكر بإزاء أولئك المنافقين أصحاب القلوب الدنسة رجالا آخرين ، وهم أصحاب القلوب الطاهرة المنيبة إلى ربها [٤] ، وخصّت الآية أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) الخلّص ، وبذلك جاءت لفظة (المطّهرين) لتدل على الطهارة القلبية فضلاً عن الطهارة البدنية .

١- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٥٢٥ ، وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني : ٥٠ .
٢- ينظر : مفاتيح الغيب ١٦: ١٦٦ .
٣- ينظر : الكشّاف ٢: ٢٩٦ ، والدر المنثور ٤: ٢٦٣ ، والتبيان في تفسير القرآن ٥ : ٣٠٠ ، والأمثل ٦ : ١٣٧، والتحرير والتنوير ١١: ٣٣ .
٤- ينظر : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : ٥٠ .

المبحث الثاني : الألفاظ الدالّة على أصناف المحبّة

توطئة :

المحبّة في القرآن الكريم على ضربين ماديّة ومعنويّة ، منها على ما ركز في الطبع من الميل الجبلي إلى مشتهيات النفس الأمّارة بالسوء ، وهي محمودة إذا وظّفت بشكلها الصحيح في طاعة الله ، ومذمومة إذا انساق لها الإنسان نحو ملذّاته الباعثة لمعصيّة الله تعالى ، ومنها ما جُبِلَ عليه العقل ونشأ من الإيمان والاعتقاد ، ومن ذلك حبّ الله ورسله وملائكته وأوليائه إلى غير ذلك من مقتضيات النفس المطمئنّة التي فطر الناس عليها ، وهي محمودة لكونها توجب للإنسان العاقبة الحسنة ، فالحبّ من المعاني الوجدانيّة ، يأتي ليتعلّق بأشياء ماديّة ويكون معنويّاً في أحيان كثيرة ، جاء في موارد كثيرة كحبّ المال والجاه والنساء والأولاد والعلم ، ونحن إذ نتتبّع تلك الأصناف نميّز ما كان ماديّاً منها أو معنويّاً ونقف على القيم الدلالية لتلك العلائق التي تربط المُحِبّ بتلك المحبوبات التي مثلتها تلك الأنواع ، فالمحبوبات المعنويّة يستشعرها الإنسان إمّا زيادة في يقينه واطمئناناً لقلبه ، وإمّا تبياناً لنفسه السقيمة ، والمحبوبات الماديّة حسيّة يتلمسها الإنسان ويشهدها إمّا تقرّباً لله تعالى بها ، وإمّا انغماساً في ملذّاتها ، ولنا أن نقف على تلك الأصناف .

حبّ الله سبحانه وتعالى :

يتجسّد حُبّ الله تعالى في نفوس العباد في مواضع كثيرة في القرآن الكريم إذ إنّها أعلى مراتب المحبّة وأسماها ، وإنّ محبة العبد لربّه هي تعظيم الله تعالى والتقرب إليه بطاعته وطلب الزلفى لديه والرضا بشرائعه ، والاستجابة لتعاليمه برغبة وشوق ، والتحرّز من معصيته(١) ، ولكنّ الله تعالى يختبر هذه المحبّة والطاعة ، فإنّ من ادّعى حبّه لله يكون عرضةً لاختبارات عديدة من أهمّها اتباع الرسول وطاعته ، قال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ آل عمران : ٣١ ، نلاحظ أنّ الآية نزلت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) يخاطب بها وفد نجران ، لأنّهم ادّعوا أنّهم أبناء الله وأحبّاؤه ، ومع ذلك فالخطاب عام ، وهو حجّة على كل من يدّعي ذلك في كل الأزمنة ؛ لأنّ الإدعاء يجب أن يصدقه العمل باتباع ما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) من الوحي والسنّة ، وتُعدّ هذه الآية حاكمة على من ادّعى محبّة الله وليس هو على الطريقة المحمديّة فإنّه كاذبٌ في دعواه حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله(٢) ، ولمّا كان الرسول حبيب الله فكلّ من يدّعي محبّة الله لزمه محبّة الرسول ؛ لأنّ محبوب المحبوب محبوب ، ومحبّة الرسول إنّما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولاً وعملاً وخلقاً وحالاً وسيرةً وعقيدةً ، وتفيد هذه الآية أيضاً "أنّ الحبّ ليس بالعلاقة القلبيّة فحسب ، بل يجب أن تظهر آثاره في عمل الإنسان ، فإنّ من ادّعى حبّ الله فعليه اتباع رسوله" (٣) والذي يلحظ أنّه تعالى ذكر الحبّ أولاً والغفران ثانياً ، والواو بينهما تقتضي الترتيب ، ليُعلم أنّ المحبّة حالة سابقة على الغفران ، أولاً يحبّهم ويحبّونه ، وبعده يغفر لهم ويستغفرونه ، فالمحبّة توجب الغفران ؛ لأنّ العفو يوجب

١- ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ١٣٣ ، ومعجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ١ : ٣٦٢ .
٢- ينظر : تفسير القرآن العظيم ١: ٥٠١ ، وإرشاد العقل السليم ٢ : ٢٤ ، وبحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٨٠ .
٣- التفسير الأصفى ١ : ١٦٩ ، وينظر : الأمثل ٢ : ٢٢٩ .

المحبّة ، وعليه فإنّ محبة الله تعالى في ذلك تقتضي المتابعة ، وهذه المتابعة توجب حب الله تعالى لعباده [1]، وخير مصداق لهذه المتابعة قوله تعالى على لسان نبيّه ﴿ ... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ... ﴾ الشورى : ٢٣، وعليه فإنّ محبّة الله للعباد ومحبّة العباد لله مشروطتان باتّباع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) .

ثمّ وُصِف حبّ الله تعالى بالأشد والأقوى عند المؤمنين المخلصين عندما جعل بعض الناس حبّهم للأنداد مساوياً وموازياً لحبّهم لله في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ البقرة : ١٦٥، وهو مدح للمؤمنين بأنّهم أشدّ حبّاً لله سبحانه ، فدلّ التقابل بين الفريقين على ذمّهم ، وإنّ ذمّهم إنّما هو لتوزيعهم المحبّة الإلهيّة بين الله وبين الأنداد الذين اتخذوهم أنداداً[2]، وجاءت المحبّة بصيغة "المصدر ليفسّر الشيء الأقوى والأشدّ الذي رسخ في قلوب المؤمنين وثبت ، ولذا حققت هذه اللفظة وظيفتها التركيبيّة أنّها تفسير وتمييز" [3].

وفي موضع آخر يتوجّه كلام الله تعالى للذين آمنوا ويحذرهم عن الارتداد عن دينه ، ويُبيّن أنّه سوف يختص من عبادة قوماً يحبّهم ويحبّونه وذلك في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة : ٥٤ ، الكلام في الآية عن المرتدين الذين تنبّأ القرآن بارتدادهم عن الدين الإسلامي ، وتُشير إلى إنذار جميع المسلمين ، فإنّ المحبتين هنا تتّبعان تغيّر أحوال ، فمحبّة الله عبده رضاه عنه وتيسير الخير له وهي سابقة لمحبّة العبد ، ومحبّة العبد ربّه انفعال النفس نحو تعظيمه والأُنس بذكره وامتثال أوامره والدفاع عن دينه ، فهي صفة تحصل للعبد من كثرة تصوّر عظمة الله تعالى ونعمه حتى تتمكّن في قلبه[4]، وجاءت المحبّتان بصيغة المضارع لما تفيده من تجدد المحبّة ودوامها ، ولهذه المحبّة علامات وثمرات ، أنّهم متواضعون مبالغون في الرفق ولين الجانب للمؤمنين ، ومبالغون في الشدّة على الكافرين ، مجاهدون في سبيل الله ، وإنّ تقديم محبّة الله على محبتهم لشرفها وسبقها ، إذ لولا محبّته لما وصلوا إلى طاعته [5].

حب التطهّر :

للطهارة معنى واسع يشمل كل ما تعلّق به من أنواع التطهير ، سواء أكان التطهير روحياً من آثار الشرك والذنوب ، أم جسدياً من الأوساخ والنجاسات ، وقد وردت إشارات كثيرة في حبّ الطهارة والتطهّر في القرآن الكريم بوصفها حالة ملازمة للمسلمين المخلصين ، وقد جاء ذلك صراحةً في قوله تعالى ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ التوبة : ١٠٨، ذهب كثير من المفسرين إلى أنّ التطهير في الآية يشمل الروحي منها والجسمي ، لأنّ اجتزاءه يخلّ بالمعنى المؤدي إلى كمال التطهّر المُراد من الآية ، وإن فسّره بعضهم بالتطهّر الجسدي لما تناقلته بعض الروايات من أن النبي (صلى الله

١- ينظر : تأويل القرآن – النظرية والمعطيات - : ١٦٣ .
٢- ينظر : الميزان ١ : ٤٠٤ - ٤٠٥ .
٣- بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٨٩.
٤- ينظر : التحرير والتنوير ٦: ٢٣٦ ، والأمثل ٤ : ٤١ .
٥- ينظر : البحر المحيط ٤: ٢٩٦ - ٢٩٧ ، مفاتيح الغيب ١١: ١٧ .

عليه وآله وسلّم) قال لأهل قباء : ماذا تفعلون في طهركم ، فإنّ الله قـد أحسن لكم الثناء ، قالـوا : نغسل أثر الغائط ، والحقيقة أنّ مثل هذه الروايات لا تدلّ على انحصار مفهوم الآية في هذا المصداق [١] .

الذي يلحظ أنّ التطهّر جاء على صيغة المصدر المؤوّل ، وقد تشكّل هذا المصدر المؤوّل (أن يتطهروا) مفعولا به ، أي : التطهّر ، وقد عُبّر بصيغة المصدر المؤول لما فيه من دلالة فعل التطهّر وحدوثه وتجددهُ منهم ، فهم يُزاولون فعل التطهّر ويداومون على فعله ، أمّا تذييل الآية بقوله (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ)، إشارة إلى المبالغين في الطهارة الظاهرة والباطنة ، أي الذين يبالغون بطهارة الروح والجسد ، لأنّ فيهما الكمال الإنساني ، وإشارة إلى أنّ نفوسهم وافقت خُلقاً يحبّه الله تعالى ، وهي مسوقة لتكريم رواد هذا المسجد ومديحهم ، فعُبِّر عن التطهير بالصيغة الاسمية (الْمُطَّهِّرِينَ) لثبات ذلك من المؤمنين الصادقين وهو آكد في التعبير[٢].

حب المهاجرين :

أمرت الشرائع السماويّة السَّمحة الإنسانَ أن يحبّ أخاه الإنسان محبّة خالصة لوجه الله تعالى ، وذلك لتكوين مجتمع قائم على إنسانية التحابّ والتوادّ وصفاء السريرة والتسامح ، ويضرب لنا القرآن الكريم أروع مثال على المحبّة الخالصة من خلال ما جرى بين الأنصار والمهاجرين وذلك في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الحشر :٩ ، تشير الآية إلى استقبال الأنصار المهاجرين ، فقد تهيّأ للمهاجرين الأرضيّة المناسبة للهجرة ، فالأنصار لم يُهيّئوا بيوتهم فحسب ، بل أنهم فتحوا قلوبهم ونفوسهم وأجواء مجتمعهم للتكيّف مع الوضع الجديد ، وهذا ملاحظ في الآية من خلال سماتهم المذكورة التي ابتدأت بالمحبّة الشديدة التي مُلئت بالإيمان ، ثمّ عدم الحاجة أي الرغبة الناشئة عن التطلّع إلى الفيء الممنوح من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) إلـى المهاجرين من دونهم ، ثمّ الإيثار المُعزز بالإكرام والإحسان ، فهذه كلّها كانت تشكّل خصوصيّة الأنصار المميزة[٣] .

ويُعدّ الحبّ هنا خصوصية مستمرّة لهم ، فلذلك جاء الفعل بصيغة المضارع على سبيل الاستمرار والتجديد ، وزادهم محبّة فيهم وعطفاً عليهم بقوله (إليهم) ؛ لأنّ القصد إلى الإنسان يوجب حقّه عليه ، لأنّه لولا كمال محبته له ما خصّه بالقصد إليه ، والدليل على ما أخبر الله عنهم به من المحبّة أنّهم شاطروا المهاجرين في أموالهم وعرضوا عليهم أن يشاطروهم نساءهم على شدّة غيرتهم بأن يطلّقها وتنتهي عدّتها فيتزوجها المهاجر ، فأبى المهاجرون المشاطرة في النساء وقبلوا منهم الأموال ، ثمّ أنّه لمّا أخبرهم بالمحبّة ورغّبهم في إدامتها عطف على هذا

١- ينظر : الكشاف ٢: ٢٩٦ ، والبحر المحيط ٥: ٥٠٢ ، و الدر النثور ٤: ٢٦٣ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣: ٩٨ ، و الأمثل ٦: ١٣٧

٢- ينظر : مجمع البيان ٥: ١٣٧ ، والتحرير والتنوير١٠: ٣٢-٣٣ ، وصفوة التفاسير ١:٥٦٢ ، وبحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٨٦.

٣- ينظر : الأمثل ١٨ : ١٢٥-١٢٦ ، والتفسير الوسيط ٢٨: ١٣٥ .

الخبر ما هو من ثمرته ، فقال (ولا يجدون) أصلاً (في صدورهم حاجة ، أي طلباً أو حزازةً وغيظاً وحسداً)، التي هي مساكن القلوب فتصدر منها أوامر القلوب [١] .

وجملة (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ) حال أو خبر من (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ) ، وهذا ثناء عليهم بما تقرر في نفوسهم من أخوّة الإسلام إذ أحبّوا المهاجرين ، وشأن القبائل أن يتحرجوا من الذين يهاجرون إلى ديارهم لمضايقتهم ، ومن آثار تلك المحبّة أنهم قاسموهم كلّ شيء[٢].

حب النصر :

النصر أو الانتصار في الحياة من الأمور التي يرغب فيها الإنسان ويتشوّق لتحصيلها ، لأنها متعلقة بالفطرة البشرية ، فكيف إذا كان ذاك النصر هو من الأرباح والفيوضات الدنيويّة التي يهبها الله تعالى نتيجة المتاجرة معه بالطاعة والإيمان والجهاد ، وقد جاءت المتاجرة وفوائدها في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصف : ١٠– ١٣، بيّنت الآيات ابتداءً نِعَم الله – الآجلة – على المؤمنين نتيجة إيمانهم بالله ورسوله ونتيجة جهادهم في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم ، ثمّ يُبشرهم الله تعالى بنعمة – عاجلة – يرغبون بتحصيلها رغبة في الدنيا ويتشوقون لإنجازها تأييداً للدين قد علم الله أنّها مكنونة في دواخلهم ،وهي النصر من الله والفتح القريب وهو فتح مكّة[٣]، وتقدير الكلام : ونعمة أو خصلة أو تجارة أخرى محبوبة عندكم ، ومعنى ذلك أن النصر لا يأتي من دون جهاد ، ولمّا قال في أول السورة ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ ...﴾ الصف : ٤ ، فكأنه قال : افعلوا ما يحبه الله يعطكم ما تحبون ، وهو النصر والفتح القريب [٤].

ونقفُ على تعبيرٍ قرآنيّ غاية في الروعة والجمال والدقّة والكمال ، فعلى الرغم من أنّ الإيمان والجهاد من الواجبات المفروضة وكان الأولى أن تأتي بصيغة الأمر والوجوب ، نجد أنّ التعبير هنا لم يوردها بصيغة الأمر ، بل قدّمها بصيغة الإخبار على شكل عرض تجاري مقترن بتعابير تحكي اللطف اللامتناهي للبارئ عزّ وجلّ ، زيادة بالترغيب ، أي كأنّها متاجرة مع الله ، وممّا لاشكّ فيه أنّ المتاجرة مع الله تعالى تربي وتنمو [٥].

وزيادة على ذلك التعبير اللطيف فإنّ في تركيب الآية لطائف ودلالات منها أنّها ابتدأت بالجملة الاسميّة في قوله (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) للدلالة على إفادة الثبـوت والتحقق ، ثمّ وصفها بالجمة المضارعية (تُحِبُّونَهَا) الدالة على التجدد والاستمرار ، إشارة إلى الامتنان عليهم بإعطائهم ما يحبون في

١- ينظر : نظم الدرر ٧: ٥٢٥ ، ومجمع البيان ٩: ٤٨٦ .
٢- ينظر : البحر المحيط ١٠: ١٤٣ ، والتحرير والتنوير ٢٦: ٩١ ، والميزان ١٩: ٢١٣ ، وروح المعاني ٢٧: ٣٤ ، إرشاد العقل السليم ٨: ٢٢٨ .
٣- ينظر : صفوة التفاسير ٣ : ٣٧٤ ، وتفسير الكاشف ٧ : ٣١٩ ، ومجمع البيان ٩ : ٢٤٥ .
٤- ينظر : على طريق التفسير البياني ١ : ٢٣١ .
٥- ينظر : الأمثل ١٨ : ١٩٦ - ١٩٧ .

الحياة الدنيا قبل إعطاء نعيم الآخرة ، لأنّ الله تعالى يعلم أنّ نفوسهم متعلقة بشيء قريب في الأرض يناسب تركيبهم البشري المحدود [١]، والضمير (ها) المتصل بفعل المحبّة الذي يعود على "الخصلة التي يرغب بها أولئك المؤمنون إشارة إلى التعريض بأنّهم يؤثرون العاجل على الآجل"[٢] .

وفي آية أخرى لم يُصرَّح بحبّ النصر مباشرة وإنّما يُلمحُ مفهوم النصر من السياق وذلك في **قوله تعالى** ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ **آل عمران : ١٥٢**، تتحدث الآية عن معركة أُحد وأحداثها وسبب الهزيمة ، وتصوّر حال الرُماة عند مخالفتهم أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وتركهم أماكنهم وخسران المعركة ، فقد وفى الله تعالى بما وعدهم به من النصر في بداية المعركة ، فهو محققٌ ما أطاعوا أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وبرحوا في أماكنهم ، حتى إذا جبنتم واختلفتم وخالفتم أمر نبيكم في حفظ المكان خسرتم وفقدتم حلاوة النصر من بعد ما أراكم ما تحبونه[٣] .

ويرى ابن عاشور أنّ معنى (ما تحبون) هو الغنيمة فإنّ المال محبوب ، " فعدل عن ذكر الغنيمة باسمها إلى الموصول تنبيهاً على أنهم عجّلوا في طلب المحبوب "[٤] ، ولعلّه كان صائباً فيما ذهب إليه من أنّ الرماة لمّا رأوا أنّ المسلمين شرعوا بجمع الغنائم بعد أن ظهرت تباشير النصر نزلوا من على للضفر بالغنيمة ، ولكنّ سياق الآية يشير إلى أنّ الله تعالى صدقهم وعده ولا أظنّ أنّ وعد الله يكون غير النصر ، ولأنّ النصر تتبعه الغنائم لمن كان في قلبه شيء من الدنيا ، وتتبعه الآخرة لمن كـان فـي قلبه حبّ الآخرة .

والآية تنبّه المسلمين من وقت لآخر إلى أخطائهم وأغلاطهم ، وتُحذرهم من معاودتها والوقوع فيها ، وإشارة إلى التشديد عليهم في الملام والتنديم والتوبيخ في أولها ، والعفو عنهم والتلطّف بهم في آخرها وهذه عادة القرآن في تقريع المسلمين[٥] .

حب الغفران :

يقدّم القرآن الكريم دروساً في تربية النفس البشرية لصلاحها وصلاح المجتمع ومن تلك الدروس العفو والصفح عن الناس في مقابل الغفران الموعود من الله تعالى فمن ذا الذي لا يقبل جائزة الله ، وقد جاء ذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ النور:٢٢ ، نزلت الآية لتُشجّع وتُرغّب المسلمين في العفو والصفح الموجب الغفران ، ولتأكيد ذلك فقد خُتمت الآية بصفتين من صفات الله المناسبة لسياقها وهما(الغفور والرحيم)

١- ينظر : التحرير والتنوير ٢٨ : ١٩٦ ، وفي ظلال القرآن ٦ : ٣٥٦٠ .
٢- إرشاد العقل السليم ٩ : ٢٤٥ ، وينظر : بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي :١٨٣.
٣- ينظر : الأمثل ٢ : ٣٤٨ .
٤- التحرير والتنوير ٣ : ١٢٨ . وذهب كثير من المفسرين إلى أنّ المحبّة تعود للظفر والغنيمة معاً . ينظر : الكشف والبيان ٣:٢٤٦ ، وإرشاد العقل السليم ٢:٩٩ ، ومعالم التنزيل ١:٣٤٨ .
٥- ينظر : مفاتيح الغيب ٤ : ٤١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٤ : ١٥٢ .

الدالة على المبالغة[1]، وجاء الغفران بصيغة المصدر المؤوّل لا بصيغة المصدر الصريح ، ليدلّ على الحدوث والتغيّر زيادة على مجيء فعل المحبّة على صورة المضارع الدال على المعنى ذاته .

حب الإنفاق :

يُعدُّ إنفاق المال على حبّه أحد أركان البر التي لا يتمّ إلاّ باجتماعها ، نعم إنّ جَعْل الإنفاق غاية لنيل البرّ لا يخلو عن العناية والاهتمام لما في غريزة الإنسان من التعلّق القلبي بما جَمَعَهُ من المال وعدّه كأنّه جزء من نفسه ، فإذا فقده فكأنّه فَقَدَ جزءاً من نفسه بخلاف باقي العبادات التي لا يظهر معها فوات ولا زوال [2]، وإنّ من مصاديق الوصول إلى مراتب الأبرار هو الإنفاق في سبيل الله ، وقد تجسّد هذا المعنى في قوله تعالى ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ آل عمران : ٩٢، البرّ هو الإحسان وكمال الخير ، وأصله التوسّع في فعل الخير ، يقال : برّ العبد ربّه أي توسّع في طاعته ، ومعنى الآية أنّكم لن تنالوا حقيقة البرّ ولن تبلغوا ثوابه الجزيل الذي يوصلكم إلى رضا الله ، وإلى جنّته التي أعدّها لعباده الصالحين إلاّ إذا بذلتم ممّا تحبونه وتؤثرونه من الأموال وغيرها في سبيل الله ، وما تنفقوا من شيء ، فإنّ الله يعلمه ويحصيه ولو قليلا وسيجازيكم عليه بأكثر ممّ أنفقتم وبذلتم ، لأنّ عطاء الله تعالى كثير [3]. ولعلّ المقصود من الآية هو التحريض على "الإنفاق والتنويه بأنّه من البرّ، والتنويه بالبرّ الذي الإنفاق خصلة من خصاله" [4]، أمّا قوله (فإنّ الله به عليم) فإنّه ترغيب في إنفاق الجيد والتحذير من إنفاق الرديء[5] . ومثلها ما جاء في قوله تعالى ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ البقرة : ١٧٧.

حب الثناء من غير عمل :

إنّ المرتكبين القبائح طائفتان ، طائفة تستحيي من أفعالها في حالة انتباهها إلى قبح ما فعلت ، وهذه الطائفة سهلة النجاة ، لأنّها تتعرض لوخز ضميرها وعتب وجدانها باستمرار ، أمّا الطائفة الثانية فلا تشعر بالندم والحياء ممّا ارتكبت من الإثم ، وهي على درجة من الغرور والإعجاب بالنفس بحيث تفرح بما فعلت ، بل تتبجح وتتفاخر ، فضلاً عن أنّها تريد أن يمتدحها الناس على ما لم تفعله أبداً من صالح الأعمال وحسن الفعال ، وقد تمثلت الطائفة الثانية في قوله تعالى ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ آل عمران : ١٨٨ ، ذكر المحققون والمفسرون أسباباً عديدة لنزول هذه الآية ، منها أنّها في اليهود أو في المنافقين ، وأيّاً كان السبب فإنّ محبّتهم الثناء من غير عمل أو فعل كان هدفهم وغايتهم وإنّ

١- ينظر : مفاتيح الغيب ٢٣: ١٦٩ ، والأمثل ١١ : ٣٩ .
٢- الميزان ٣:٩٣.
٣- ينظر : روح المعاني ٤ : ٣٢٥ ، و التفسير الوسيط ٢ : ٢٣٩ . وقد قيل لِمَ لم يقل الخير بدلاً من البرّ ، فقالوا إنّ البرّ هو النفع الواصل إلى الغير مع القصد إلى ذلك ، في حين يطلق الخير على ما وصل نفعه إلى الآخرين حتى لو وقع عن سهو غير قصد أي أنّه يكون خيراً وإن وقع عن سهو وضد البر العقوق وضد الخير الشرّ ، ينظر : مجمع البيان ٢:٣٠٥ ، والأمثل ٢ : ٣٢٧ .
٤- التحرير والتنوير ٤ : ٦ .
٥- ينظر : إرشاد العقل السليم ٢ : ٥٧ .

فرحتهم ومحبّتهم مستمرة بدلالة الفعل المضارع ، وإنّ العقاب واقع بهم وعذابهم أليم ، وذلك عن طريق التوكيد اللفظي للفظة (لا تحسبنّهم) ، فهو توكيد لقوله (لا تحسبنّ)، لأنّ الكلام قد طال وأراد بهذا التوكيد تقوية الحكم وتمكينه وتقريره في أذهان المخاطبين وقلوبهم [١].

وقد جاء الثناء والحمد على شكل المصدر المؤوّل (أن يحمدوا) ، ولم يأتِ على شكل المصدر الصريح أي (يحبون محمودهم) على الصيغة الاسمية ، وإنّما جاء على التشكّل الفعلي ، وذلك لما في دلالة المصدر المؤوّل من الحدوث والتغيّر وعدم الثبات ، على العكس من الصريح الدال على الثبات والتأكيد ، فجاء التعبير القرآني بما يناسب مقام المنافقين أو حالهم لما يتمتعون به من التحوّل والتغيّر [٢] .

حب نشر الفساد :

من نِعَمِ الله على الإنسان صيانة عرضه كما صان دمه وماله ، وجيء بالوعيد في سياقات قرآنية كثيرة لينذر الناس عن ممارسة الفواحش فضلا عن إشاعتها في المجتمعات لما لها من أضرار مجتمعيّة بالغة ، ومن تلك الإشارات القرآنية المانعة لإشاعة الفاحشة قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النور: ١٩، فلمّا حذّر الله تعالى المؤمنين من العود إلى مثل ما خاضوا به من الإفك على جميع أزمنة المستقبل أعقب تحذيرهم بالوعيد على يصدر منهم في المستقبل بالوعيد على محبة شيوع الفاحشة في المؤمنين ، فالجملة استئناف ابتدائي ، واسم الموصول يعمُّ كلّ من يتّصف بمضمون الصلة فيعمّ المؤمنين والمنافقين والمشركين ، فهو تحذير للمؤمنين وإخبار عن المنافقين والمشركين ، وجُعل الوعيد على المحبّة لشيوع الفاحشة تنبيهاً على أنّ محبّة ذلك تستحقّ العقوبة ، لأنّ محبّة ذلك دالة على خبث النيّة نحو المؤمنين ، فالوعيد هنا على محبّة وقوع ذلك في المستقبل وهو مقتضى قوله (أن تشيع) ؛ لأنّ (أن) تخلص المضارع للمستقبل[٣] ، فإذا كان هذا الوعيد لمجرّد محبّة أن تشيع الفاحشة واستحلاء ذلك بالقلب ، فكيف بما هو أعظم من ذلك من إظهاره ونقله ؟ وسواء أكانت الفاحشة صادرة أم غير صادرة [٤].

وقد عبّر بالحبّ إشارة إلى أنّه لا يرتكب هذا مع شناعته إلاّ محبّ له ، ولا يحبّه إلاّ بعيد عن الاستقامة ، وإنّ ذكر المحبّة من قبيل الاكتفاء عن ذكر الشيء وهو الإشاعة بذكر مقتضيه تنبيهاً على قوة المقتضى ، أي إنّ يظهر الزنى ، وقيل إنّ الكلام على التضمين أي يشيعون الفاحشة مبين شيوعها ، لأنّ كلا المعنيين – المحبّة والإشاعة – مقصودان[٥] .

وعبّر عن الحب بالفعل المضارع (يحبون) الدال على التجدد والحدوث ، لأنّ محبّة هؤلاء المنافقين متجددة حادثة على العموم في إشاعة الفاحشة ، وكذلك نلحظ تركيب (أن تشيع الفاحشة) قيداً غير صريح للفعل

١- ينظر : معاني النحو ٤ : ١٣٠ ، ١٣٢ .
٢- ينظر : بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٨٥ .
٣- ينظر : التحرير والتنوير ١٨: ١٨٤ .
٤- ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٥٦٤ .
٥- ينظر : معاني القرآن – النحاس ٢ : ٧٩٩ ، و الكشاف ٣: ٢٢٥ ، وإرشاد العقل السليم ٦: ١٦٣ ، وروح المعاني ١٨: ٢٧١ .

(يحبون) يشكل وظيفة المفعولية ، ولم يأتِ صريحاً أي (شيوع الفاحشة) ؛ وذلك لأنّ محبّة هؤلاء المنافقين لإشاعة الفاحشة متجددة وحادثة ، فجاء هذا التعبير مناسباً لفعل محبتهم المتجدد [١].

حب الاغتياب :

الغيبة كما هو معلوم هي أن تذكر أخاك الإنسان بما يكره في غيابه ، وقد صوّر القرآن الكريم هذه الحالة بصورة لافتة للنظر في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ الحجرات : ١٢، فهذه الصورة تحتاج إلى التأمّل بها والوقوف عليها ، فالله تعالى يربّي المؤمنين على المحبّة والتصافي بينهم ، وينفّرهم من الصفات الذميمة – كما هو وارد في الآية – ومنها الظنّ بالناس والتجسس عليهم والغيبة التي نحن بصددها كما هو واضح في القول القرآني الذي مثّل لشناعة الغيبة وقبحها بما لا مزيد عليه من التقبيح .

والاستفهام في الآية تقريري كما أقرّه الزمخشري وكثير من المفسرين لتحقق أن كل واحد يقرُّ بأنّه لا يحبُّ ذلك ، أي أنّ عدم المحبّة أمرٌ مسلَّمٌ به عند المخاطب [٢]، وذهب بعضهم إلى أنّه استفهام إنكاري أفاد معنى نفي المحبّـة [٣]، ومن بديع التعبير أيضاً في هذه الآية أنّه جعل ما هو شديد الكراهة للنفس مفعولا به لفعل المحبّة للإشعار بتفظيع حالة ما شبّه به وحالة من ارتضاه لنفسه فلذلك لم يقل : أيتحمّل أحدكم ... بل قال : أيُحبّ أحدكم ، فضلاً عن تلك البدائع التعبيريّة فقد أسند الفعل إلى (أحد) للإشعار بأنّ أحداً من الأحدين لا يحبّ ذلك ، إذ إنّه لم يقل بعضكم ، ليكون النفي أوضح استيعاباً وشمولاً ، لذا أكّده بقوله (فكرهتموه) فنسب الكره إلى الجميع ، ولم يقل فكرهه ، ولتقبيح هذا العمل تناول القرآن الكريم هذا المثل البليغ والتشبيه البديع ، ليبيّن من خلاله أنّ كرامة الإنسان وسمعته كلحم جسده وابتذال ماء وجهه بسبب اغتيابه وإفشاء أسراره الخفيّة كمثل أكل لحمه ، أمّا مجيء لفظة(ميتا) فللتعبير عن أنّ الاغتياب إنّما يقع في غياب الأفراد ، مثلهم كمثل الموتى الذين لا يستطيعون أن يدفعوا عنى أنفسهم [٤].

وقد جاء الفعل (يحبّ) مقيداً بالمصدر المؤول (أن يأكل لحم أخيه) ، "والتعبير بالمصدر المؤوّل بدل الصريح (أكل لحم أخيه) يدلّ على حدوث فعل الأكل ومزاولته شيئاً فشيئاً لما في بنية المصدر المؤوّل من الملمح الفعلي ، أو لأنّ محبّة صاحب الغيبة متجددة في نفسه معجباً بها ، فناسب هذا فعله الحدوثي في تمزيق لحم أخيه وتقطيعه وأكله"[٥].

وبهذه الآية فقد نهى الله تعالى عن رذائل ، يؤدي تركها إلى سعادتهم النفسية والاجتماعية ، وفتحت لهم باب التوبة لكي يقلع عنها من وقع فيها ، لأنّ قوله (تواب رحيم) يدل على أنّ الله تعالى مبالغ في قبول التوبة وإفاضة

١- ينظر : بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٨٦ .
٢- ينظر : الكشاف ٤: ٣٧٦ ، والتحرير والتنوير ٢٦: ٢٥٥، وإرشاد العقل السليم ٨: ١٢٢ ، وروح المعاني ٢٥: ٣٨٣ .
٣- ينظر : مفاتيح الغيب ٢٨: ١٢٤، والميزان ١٨:٣٢٨ .
٤- ينظر : الميزان ١٨ : ٣٢٣ ، والتحرير والتنوير ٢٦: ٢٥٦، والأمثل ١٦ : ٣٥٢ .
٥- بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٨٦ .

الرحمة فهو سبحانه يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يختص ذلك بتائب من دون آخر بل يعمّ الجميع وإن كثرت ذنوبهم[١] .

حب الأنداد :

ومن الحب الحرام الذي يدل على انحراف الفطر الإنسانية حبّ الأنداد لله تعالى وقد جاء ذلك في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ البقرة :١٦٥، ذهب كثير من المفسرين إلى أن المراد بالمحبّة هنا التعظيم والطاعة ، أي أنّهم يسوون بين الله تعالى وبين الأنداد المتّخذة فيعظمونهم ويطيعونهم كما يعظمون الله تعالى ويميلون إلى طاعته[٢] ، وورد أنّ الأنداد تعني الأوثان التي كان بعض الناس يعبدونها ويتقربون إليها وينقادون لها ، وقيل هم رؤساؤهم الذين يطيعونهم طاعة الأرباب ، وفي التعبير بلفظ (يحبّونهم) دلالة على أنّ المُراد بالأنداد كل مُطاع من دون الله [٣]، ولعلّ القول الأخير أدلّ وأنسب للسياق ، لأنّه يبعد أن يحبّوا الأوثان كحبّ الله مع علمهم بأنّها لا تنفع ولا تضرّ [٤].

ويُلحظ من الآية ذمّ المتخذين الأنداد في مقابل مدح المؤمنين بأنّهم أشدّ حُبّاً لله سبحانه فدلّ التقابل بين الفريقين على ذمّهم إنّما هو لتوزيعهم المحبّة الإلهيّة بين الله وبين الأنداد الذين اتخذوهم أنداداً ، ويظهر أنّ هذا الحبّ يجب أن لا يكون لله فيه سهيم وإلاّ فهو الشرك ، واشتداد هذا الحبّ ملازم لانحصار التبعيّة من أمر الله ، ولذلك مدح المؤمنين [٥]، ولذلك كان التصريح بالأشديّة مع الحبّ أبلغ من أن يقال أحبّ لله ، إذ ليس المُراد الزيادة في أصل الفعل ، بل المراد الرسوخ والثبات ، وعليه فقد عدل عن (أحبّ) إلى (أشدّ حبّاً) ، لأنّ حبّ شاع في الأشدّ محبوبيّة فعدل عنه احترازاً عن اللبس ، ولأنّ حُبّ المؤمنين لله متولّد عن أدلّة يقينيّة وعلم تام ، والحب المتولّد عن هذا الطريق أحق أن يكون أشدّ من حبّ المشركين لمعبوداتهم ، لأنّ حب المشركين متولّد عن طريق الظنون والأوهام فهو ينتقل من ربٍّ إلى آخر[٦].

حب العاجلة :

العجلة هي الإقدام على الأمور بسرعة وبأوّل خاطر يخطر على الإنسان من دون تأنّي وتفكّر في عواقبها ، وقد سُميت الدنيا بالعاجلة لقصرها ، وحبّ الدنيا رأس كل خطيئة ، ولعلّ الإشارات القرآنية الواردة في ذم الدنيا ومحبيها كثيرة ، لأنّها دار فناء ولذّتها زائلة ، وقد حذّر الله تعالى المسلمين منها ووعدهم بأفضل منها وهي دار الآخرة [٧]، ومنها ما جاء في قوله تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ، وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾ القيامة : ٢٠ – ٢١، أي أنتم

١- ينظر : إرشاد العقل السليم ٨: ١٢٢.
٢- ينظر : مفاتيح الغيب ٤: ٢٠٠ - ٢٠٤ ، وإرشاد العقل السليم ١: ١٨٥ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢: ٤٧ ، وروح المعاني ٣ : ٧٤ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان : ٨٠ ، ونظم الدرر ١: ٢٩٩ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ١: ٩٥ .
٣- ينظر : الميزان ١: ٤٠٤ - ٤٠٥ .
٤- ينظر : مجمع البيان ١: ٤٩٧ - ٤٩٨ .
٥- ينظر : الميزان ١: ٤٠٥ .
٦- ينظر : مفاتيح الغيب ٤: ٢٠٠ ، وروح المعاني ٣: ٧٤ .
٧- ينظر : المدرسة القرآنية : ١٩١-٢٠٤ .

يا بني آدم لما خلقتم من عَجَل وجُبلتم عليه تعجلون في كل شيء ، ولذا تحبون العاجلة وتفضلونها وتذرون الآخرة ، فكأن الله تعالى يوبّخ بني آدم على حبّ العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة ، ولأن عادة الإنسان الاستعجال ومحبة العاجلة ، فهو يسوّف بتوبته ويغرّه أمله ويؤثر ما بين يديه ويغمس نفسه في شهواته ، ويستحبّ عاجلة حياته ، ولا ينظر فيما وراء ذلك من أمور الآخرة [١] ، وقد ابتدأت الآية بـ (كلاّ) التي هي بمعنى (حقّاً) ، ولم تكن للردع ، وفي ذلك تحقيق وتأكيد لحبّهم العاجلة وتركهم الآخرة ، زيادة معنى التوبيخ ، ودليلهم على أنّـها بمعنى (حقّا) ، لم يجز الوقف عليها ، لأنّها من تمام ما بعدها ، ويجوز ذلك إذا كانت للردع ، لأنها ليست مـن تمام مـا بعدها [٢]. وذكر بعض المفسرين أنّها للردع عن قوله ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ القيامة : ٣ ، أو ردع عن العجلة ، والترغيب في الأناة ، وتكرر (كلا) في قوله تعالى ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ القيامة : ٢٦ لردعهم عن حبّهم العاجلة وإيثارها على الآخرة ، فكأنّه يقول : "ارتدعوا عن ذلك فليس يدوم عليكم وسينزل عليكم الموت فتساقون إلى ربّكم"[٣]

ومن بديع ما يلحظ من تناسق السياق القرآني هو تسمية الدنيا بالعاجلة في هذا الموضع ، وزيادة على إيحاء اللفظ بقصر هذه الحياة وسرعة انقضائها ، ولعلّه هو الإيحاء المقصود ، فإنّ هناك تناسقاً بين ظل اللفظ وظل الموقف السابق المعترض في السياق وقول الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلّم) ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ القيامة : ١٦ ، فهذا التحريك وهذه العجلة هي أحد ظلال السمة البشرية في الحياة الدنيا [٤].

ومنها أيضا قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ الإنسان :٢٧، تؤكد الآية الافتراق بين منهج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) ومنهج الجاهلية بما يقرره من غفلتهم عن رؤية الخير لأنفسهم ، ولعلّ الذي دفع هؤلاء على الكفر والإعراض عن الآخرة ليس هو الشبهة حتى ينتفعوا بالدلائل المذكورة في أول السورة ، بل الشهوة والمحبّة لهذه اللذات العاجلة والراحات الدنيوية[٥] .

وقوله (هؤلاء) إشارة إلى حاضرين في ذهن المخاطب لكثرة الحديث عنهم ، وهي إشارة إلى الكافرين ، أو كفار مكة ومن هو موافق لهم[٦] ، وربّما تكون إشارة إلى تحقيرهم كونهم يفضلون لذائذ الدنيا على الآخرة .

أمّا صيغة المضارع (يحبون) فتدل على تكرار انهماكهم في حبّ الدنيا فهم مستمرون في ذلك ، أي إنّ ذلك دأبهم وديدنهم لا يشاركون مع حبّ العاجلة حبّ الآخرة . ومتعلّق (يحبون) مضاف لموصوف محذوف ، تقديره نعيم أو منافع ؛ لأنّ الحب لا يتعلق بذات الدنيا ، وكذا الفعل (يذرون) فهو يقتضي أنّهم مستمرون على ذلك وأنّ ذلك متجدد فيهم ومتكرر لا يتخلفون عن ذلك الترك ، لأنّهم لا يؤمنون بحلول ذلك اليوم [٧].

١- ينظر : الكشاف ٤: ٦٦٣ ، وروح المعاني ٢٨: ١٠٦.
٢- ينظر : شرح الرضي على الكافية ٤ : ٤٧٨ – ٤٧٩ ، مفاتيح الغيب ٣٠: ٢٠٣ .
٣- الميزان ٢٠: ١٢١ ، وينظر : التحرير والتنوير ٢٩: ٣٥١ ، وفتح القدير ٢ : ١١٤٤ .
٤- ينظر : في ظلال القرآن ٦ : ٣٧٧٠ ، وأمثل البيان لمعارف القرآن ٢٩ : ٣٣٧ .
٥- ينظر : المصدر نفسه ، والتحرير والتنوير ٢٩: ٤٠٧ .
٦- ينظر : المحرر والوجيز ٥: ٤١٤ ، وفتح القدير ٢: ١١٤٤ ، والتحرير والتنوير ٢٩: ٢٠٧ .
٧- ينظر : نظم الدرر ٨: ٢٧٦ ، والتحرير والتنوير ٢٩: ٤٠٨ .

وإنّ في إيثار الدنيا بوصف العاجلة توطئة للمقصود من الذم ؛ لأنّ وصف العاجلة يؤذن بأنّهم آثروها لأنّها عاجلة ، أمّا قوله (ويذرون ...) فهو واقع موقع التكميل لمناط ذمهم وتحميقهم ؛ لأنّهم لو أحبّوا الدنيا مع الاستعداد للآخرة لما كانوا مذمومين ، وصيغة المضارع (يذرون) تقتضي أنّهم مستمرون على ذلك وأنّ ذلك متجدد فيهم لا يتخلفون عن ذلك الترك لأنّهم لا يؤمنون بحلول ذلك اليوم ، أو أنّهم يصرّون على فعلهم (١).

حب المال :

حُبّ الأشياء والمشتهيات ومنها المال وجمعه من الأمور التي جُبل عليها الإنسان وهو محمود إن كان جمعه وإنفاقه بما يرضي الله تعالى وينتفع به الإنسان في تسيير أموره الدينيّة والدنيوية ، أمّا إذا تجاوز الحدّ في حبّه حتى لكأنّه يتعلّق به ويولع بجمعه من دون النظر في مصادر جمعه ويبخل بإنفاقه كان مذموماً ، ويتجسّد ذلك في قولـه تعالى ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ الفجر:٢٠ ، تُشير الآية إلى فئة من الناس تعشق المال لذاته وتهيم بحُبّه من دون أن تتخذه وسيلة إلى سعادة دينيّة أو دنيويّة ، وإنّما تجد أُنسها ومتعها في اكتناز المال فحسب ، ونتيجة ذلك أنّها تبخل به أشدّ البخل ، وقد استنكر القرآن الكريم هذه الحال وأنذر أربابه إنذاراً شديداً ، وتمثّل ذلك في تكرار حرف الردع (كلاّ) الوارد مرتين في سياقها (٢) .

ويُلمحُ من تركيب الآية – فضلاً عن سياقها – الحرص والشره على جمع الأموال حلالها وحرامها ومنع الحقوق " لأنّ الفعل سيق تخصيصاً لبيان طبيعة الإنسان الكافر المتناسي الذي يبطر عند الرخاء ويقنط عند الضرّاء ، وهو يُبيّن حُبّ الناس لهذا المال الذي تشكل في تركيب الآية الكريمة قيداً على جهة المفعولية مؤكداً القول القرآني هذا الحبّ بالمصدر (حُبّاً) "(٣) ثمّ أنّه وصف هذا الحبّ بالجمّ أي الكثير وهو من جمّ الماء في الحوض إذا كثُر وأصل الكلمة من الجمام ، أي الراحة للإقامة وترك تحمل التعب (٤)، ووصف الحُبّ بالكثرة مُراد به الشدّة والإفراط ، أي حُبّاً شديداً مفرطاً ، وذلك محلّ ذمّ حُبِ المال ، لأنّ إفراد حُبّه يوقع في الحرص على اكتسابه بالوسائل غير الحقّ كالغصب والاختلاس والسرقة وأكل الأمانات(٥)، ومن آثار هذا الحُبّ أنّه " يُعطّل الضمير ، ويغشي البصيرة ، ويحجّر القلب"(٦) .

حب الخير :

وردت لفظة (الخير) في سياق الحبّ في القرآن الكريم مرتين ، دلّت في المرّة الأولى على (الخيل) في قوله تعالى ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ص : ٣٢ ، فإنّ (الخير) هنا

١- ينظر : التحرير والتنوير ٢٩: ٤٠٨، ومجمع البيان ١٠: ٢٥٢ .
٢- ينظر : في ظلال القرآن ٦ : ٣٩٠٦ .
٣- بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٨٣ .
٤- مفردات ألفاظ القرآن : ١٨٠ .
٥- ينظر : التحرير والتنوير ٣٠ : ٣٣٣ .
٦- التفسير البياني للقرآن الكريم ٢ : ١٥٦ .

تعني (الخيل) وقد حدث فيها إبدال ، لأنّ من كلام العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض ، فيقولون : مدحه ومدهه ، وسميت الخيل خيرا ، لما يتصل بها من العزّ والمنعة [١].

جاءت الآية في سياق الحديث عن نبيّ الله سليمان (عليه السلام) ، يصوّره القرآن بصورة نبيّ عظيم ، ذي علمٍ وافر ، وتقوى عالية ، عابد زاهد ، أوّاب حليم ، لم يأسره المقام والمال أبداً مع كل ما له من سلطة في حكومة عظيمة ، أمّا حبّه الخيلَ فهو من أجل الله وفي سبيل الاستعداد التام لمجاهدة أعداء الله ، فإنّه شُغل بها عن الذكر المعتاد عليه المستحبّ ، فشُغل بعبادة عن عبادة ، وذكر ابن عاشور أنّ الآية معترضة بين قوله تعالى ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾ ص:٣١، وقوله ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ ص:٣٣ ، وإنّما قدّم للتعجيل بذكر ندمه على تفريطه في بعض أوقات ذكره ، أي إنّه لم يستغرق في الذهول بل بادر الذكرى بمجرّد فوات وقت الذكر الذي اعتاده [٢]، واحتمل أن يكون من حبّ الخير "استعراض الخيل وجريها أمام عيني سليمان (عليه السلام)، وفعله هذا جاء عن أمر الله تعالى لا عن أمره "[٣].

وبهذا يكون (حبّ الخير) قد تشكّل مفعولاً للفعل (أحببتُ) ، وهذا التشكّل يوحي بالوصول إلى غاية المحبّة لأنّ ظاهر اللفظ يبيّن أنّه أحبّ حُبّه للخيل ، فقوله أحببتُ حبَّ الخير بمعنى أحببتُ حُبّي لهذه الخيل ، والذي عليه أكثر المفسرين تغليب معنى المؤاثرة ، أي آثرتُ حبّ الخير منيباً له عن ذكر ربي ، أو أنبتُ حبّ الخير عن ذكر ربي مؤثراً له ، وقوله (حتى توارت بالحجاب) متعلق بقوله (أحببت) بوصفه استمراراً المحبّة ودوامها حسب استمرار العرض ، أي أنبت حبّ الخير عن ذكر ربي واستمرّ ذلك حتى تجاوز وقت الذكر[٤]، و"مغزى القول القرآني أنّ محبّة الله الحقيقيّة تقتضي محبّة مخلوقاته" [٥].

أمّا في المرّة الثانية فدلّت على (المال) في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ العاديات : ٨ ، أي "وإنّه من أجل حبّ المال لبخيل"[٦]، وإن لفظ (الخير) لفظ مطلق يشمل مصاديق كثيرة مذكورة في القرآن ، غير أنّه قُيّد بالمال في هذه الآية [٧]، إي إنّه لحبّ المال لقويٌّ مُجدٌّ في طلبه ، وقيل الشديد بمعنى البخيل ، أي وإنّه بسبب حبّه الشديد للمال ، وشغفه به وتعلقه بجمعه وادخاره وثقل إنفاقه ، لبخيل شديد البخل ، أو أنّه بليغ القوة في حبّه ، ولعلّ وصفه بهذا الوصف اللئيم للإيماء إلى أنّ من جملة الأمور الداعية المنافقين إلى النفاق حبّ المال ؛ لأنّهم بما يظهرون من الإيمان يعصمون أموالهم [٨]، وهذا الانشداد المفرط بالمال والثروة هو سبب هذا البخل والكفران ، "إطلاق الخير على المال في الآية يعود إلى أنّ المال في حدِّ ذاته شيء حسن ، ويستطيع أن يكون وسيلة لأنواع

١- ينظر : البرهان في علوم القرآن ٣ : ٢٤٠ ، وإرشاد العقل السليم ٧ : ٢٢٥ .
٢- ينظر : التحرير والتنوير ٢٣ : ٢٥٥ ، والأمثل ١٣ : ٢٩٨ .
٣- تفسير الكاشف ٦ : ٣٧٩ .
٤- ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ : ١٨٢ ، وروح المعاني ٢٣ : ٢٧١ .
٥- بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ١٧٣.
٦- مغني اللبيب ١ : ٢٣٤ ، وينظر :مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ : ٣٠٧ والإتقان في علوم القرآن ٢ : ٢٢٤ .
٧- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٣٠١ ، وتفسير القرآن بالقرآن : ٥٣ . إنّما سُمي المال هاهنا خيراً تنبيهاً على معنى لطيف ، وهو أنّ الذي يَحسُنُ الوصية به ما كان مجموعاً من المال من وجه محمود ، وعلى هذا قوله تعالى ﴿ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين ﴾ البقرة : ٢١٥ .
٨- ينظر : الكشاف ٤: ٧٩٥ ، و إرشاد العقل السليم ٩: ١٩١ ، ونظم الدرر ٨: ٥١١ ، وأمثل البيان لمعارف القرآن ٢٩ : ١٤٤ .

الخيرات ، لكن الإنسان الكنود يصرفه عن هدفه الأصلي"(١)، إلاّ إنّ في خُلق الإنسان الشُّحّ لأجل حبّه المال ، أي الازدياد منه ، وتقديم (لحبّ الخير) على متعلقه للاهتمام بغرابة هذا المتعلق ولمراعاة الفاصلة .

حب الشهوات :

يمتاز الإسلام بمراعاته للفطرة البشرية وقبولها بواقعها ومحاولة تهذيبها ورفعها لا كبتها وقمعها ، وممّا لاشكّ فيه أنّ الله تعالى خلق الإنسان وجعل فيه الشهوة ، وخلق معه المشتهيات لتسيير الحياة الطبيعية ولتكون محطّ ابتلاء واختبار ، ولكن الحذر كلّ الحذر من اتباعها والسعي إلى تحصيلها ، وقد ورد هذا التنبيه والتحذير في قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ آل عمران : ١٤، فتلك شهوات مستحبّة مستلذّة وليست مستقذرة ولا كريهة ، والتعبير القرآني لا يدعو إلى استقذارها وكراهيتها ، إنّما يدعو إلى ضبطها ووضعها في مكانها الطبيعي وأخذ الضروري منها من غير استغراق ولا إغراق ، ولا تطغى إلى ما هو أكرم وأسمى في الحياة ، ولمّا كانت هذه الرغائب والدوافع طبيعيّة فطريّة ومكلّفة من البارئ كان لابُدّ أن تؤدي للبشريّة دوراً أساسياً في حفظ الحياة وامتدادها ، وصياغة الفعل للمجهول تُشير إلى أنّ تركيبهم الفطري قد تضمّن هذا الميل فهو محبّب ومُزيّن (٢). والشهوات جمع شهوة وهي نزوع النفس إلى ما تريده ، أو توقانها إلى المُشتهى ، والمُراد بها في الآية هي المشتهيات ، وقد عبّر عنها بالشهوات مبالغة في الوصف وإيماءً على أنّهم انهمكوا في محبّتها حتى أحبّوا شهوتها ، أو تحقيراً لها لكونها مسترذلة عند العقلاء (٣).

ويرى ابن عاشور أنّ " تعليق التزيين بالحبّ جرى على خلاف مقتضى الحال ؛ لأنّ المُزَّين للناس هو الشهوات ، أي المشتهيات نفسها لا حُبُّها ، فإذا زُينت لهم أحبّوها ، فإنّ الحبّ ينشأ عن الاستحسان ، وليس الحبّ بمُزيّن ، وذلك إيجاز بليغ يغني عن أن يقال زُينت للناس الشهواتُ فأحبّوها "(٤) .

فكما حرّر القرآن الكريم عقيدة الإنسان من الوثنيّة ، وعقله من الخرافة ، كذلك حرر إرادته من سيطرة الشهوة ، فصار الإنسان المسلم – نتيجة لتربية القرآن له – قادراً على مقاومة شهواته وضبطها والصمود في وجه الإغراء وألوان الهوى المتنوعة ، وتُعدّ هذه الآية وما بعدها أُنموذجاً قرآنياً من نماذج تغذية الصمود وتركيزه في نفوس المسلمين (٥).

حب الآباء والأبناء والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن :

إنّ كلّ ما ذُكر من محبوبات يمثّل حالة طبيعيّة في حياة الإنسان ، ولكنّها تصبحُ سلبيّة في حالة ترجيح هذه المحبوبات على محبّة الله أي طاعته ورضاه وطاعة رسوله والجهاد في سبيل الله ، فذلك يُعدّ نوعاً من

١- الأمثل ٢٠ : ٢٤١ .
٢- ينظر : في ظلال القرآن ١: ٣٧٣ .
٣- ينظر : الكشّاف ١: ٣٧٠-٣٧١ ، والتبيان في تفسير القرآن ٢ : ٤١١ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢: ٨ .
٤- التحرير والتنوير ٣: ١٨٠ .
٥- ينظر : علوم القرآن – السيد محمد باقر الحكيم ٠ : ٧٠ ، والظاهرة الجمالية في القرآن الكريم :٦٠

العصيان البيّن ، وإنّ من تشبّث قلبه بالدنيا وزخرفها غير جدير بهداية الله ، وقد جاء بيان ذلك في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ التوبة : ٢٤، جمعت الآية أصنافاً من العلاقات وذويها ، من شأنها أن تألفها النفوس وترغب في القرب منها وعدم مفارقتها ، فإذا حصل التعارض والتدافع بين ما أراده الله من المؤمنين وبين ما تجرُّ إليه تلك العلائق وجب على المؤمن دحضها وإرضاء ربّه ، وقد أفاد هذا المعنى التعبير بـ(أحبّ) الدال على التفضيل ؛ لأنّ التفضيل في المحبّة يقتضي إرضاء الأقوى من المحبوبين ، وجُعل التفضيل في المحبّة بين هذه الأصناف وبين محبّة الله ورسوله والجهاد ؛ لأنّ تفضيل محبّة الله ورسوله والجهاد توجب الانقطاع عن هذه الأصناف ، فإيثار هذه الأشياء على محبّة الله يفضي موالاة الذين يستحبون الكفر وقد أشارت إليه الآية السابقة (•)، ويفضي إلى القعود عن الجهاد ، وفي التعبير إشارة إلى التحذير من التهاون بواجبات الدين مع الإشارة إلى جعل ذلك التهاون مسبباً عن تقديم محبّة تلك العلائق على محبّة الله ، ففيه إيقاظ إلى ما يؤول إليه ذلك من مهواة في الدين ، كما أنّ الآية لا تمثّل قطع علائق المحبّة بالأرحام ، وإهمال رؤوس الأموال ، والانسياق إلى تجاوز العواطف الإنسانيّة وإلغائها ، بل المُراد مراعاة حدود الله في كل ذلك ، وأن لا ننحرف إلى الأموال والأزواج والأولاد والمقام الدنيوي ، ويحولنا عشقنا الماديّ دون تحقيق الهدف المقدّس (١).

والذي يلحظ من الآية أنّه خصَّ الجهاد بالذكر من عموم ما يحبّه الله منهم ، تنويهاً بشأنه ؛ ولأنّ ما فيه من الخطر على النفوس ومن إنفاق الأموال ومفارقة الإلف ، جعله أقوى مظنّة للتقاعس عنه ، ولاسيّما إنّ السورة نزلت عقب غزوة تبوك التي تخلّف عنها كثير من المنافقين (٢). ثمّ ذُيلت الآية بتهديد أولئك الذين آثروا محبّة الأقارب والأموال والمساكن على محبّة الله ورسوله والجهاد بعدم هدايتهم لكونهم فاسقين .

•- الآية هي قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ التوبة : ٢٣ .

١- ينظر : التحرير والتنوير ١٠: ١٥٣ ، والأمثل ٥ : ٣٥٠ - ٣٥١ .

٢- ينظر : إرشاد العقل السليم ٤ :٥٤ ، والتحرير والتنوير ١٠: ١٥٣ .

الباب الثاني

ألفاظ الكراهة الصَّريحة وغير الصَّريحة

وما تعلّق بها في الاستعمال القرآني

- الفصل الأوّل : ألفاظ الكراهة الصَّريحة
- الفصل الثاني : ألفاظ الكراهة غير الصَّريحة
- الفصل الثالث : ما تعلّق بالكراهة من ألفاظ
  - المبحث الأوّل : ألفاظ المبغوضين في القرآن
  - المبحث الثاني : الألفاظ الدالة على أصناف الكراهة

الباب الثاني

ألفاظ الكراهة الصريحة وغير الصريحة وما تعلّق بها

في القرآن الكريم

– الفصل الأوَّل : ألفاظ الكراهة الصَّريحة

– الفصل الثاني : ألفاظ الكراهة غير الصَّريحة

– الفصل الثالث : ما تعلّق بالكراهة من ألفاظ

– المبحث الأوّل :ألفاظ المبغوضين في القرآن

– المبحث الثاني : الألفاظ الدالة على أصناف الكراهة

الفصل الأول

ألفاظ الكراهة الصّريحة

الفصل الأوَّل

ألفاظ الكراهة الصَّريحة

توطئة :

لم يشغل موضوع الكراهة الحيّز الذي شغله موضوع المحبّة في القرآن الكريم ولم يكن ورود تلك الألفاظ بالقدر الموازي لألفاظ المحبّة إلاّ أنّها تمثّل المقابل الموضوعي لها ، وهي جديرة بالدراسة والتأمّل والوقوف على معانيها ودلالة وقوعها في السياق القرآني ، وقد تعددت ألفاظ الكراهة في الذكر الحكيم وتنوّعت في آياته الألفاظ والصيغ والأساليب والخطابات المتعلّقة بالكراهة ، ولكي نتتبّع تلك الألفاظ والصيغ لابدّ لنا في أوّل الأمر أن نستعين بالمعاجم العربية للتعرّف على الدلالة اللغوية لتلك الألفاظ ، ثمّ ننطلق باحثين عن دلالات تلك الألفاظ في سياقها القرآني ، وقد انحصر البحث في هذا الفصل على تتبّع الألفاظ التي تدلّ صراحة على معنى الكراهة ، مع تعدد ورودها بصيغها المختلفة ، والحق أنّ طبيعة الموضوع فرضت علينا اتباع المنهج نفسه الذي انتهجناه في الباب الأوّل .

١- (كره) في المفهوم اللغوي :-

الكاف والراء والهاء أصلٌ واحد يدلّ على خلاف الرضا والمحبة [١]، والكُره بالضمِّ : المشقّة ، يقال : قمتُ على كُرهٍ ، أي على مشقّة ، ويقال : أقامني فلان على كَرهٍ بالفتح ، إذا أكرهك عليه ، وأكرهتهُ على كذا : حملتهُ عليه كَرهاً ، وكرَّهتُ إليه الشيء تكريهاً : نقيض حبّبْتُهُ إليه [٢]، والكُره : المشقّة من غير أن تُكَلَّفَهَا ، والكَره : المشقّة تُكلّفها فتحملها على كُرهٍ [٣]، فيصير الكَره بالفتح فعل المضطرّ ، والكُره بالضم فعل المختار[٤]، "والإكراه : الإجبار ، وهو الحمل على فعل الشيء كارهاً ، وكَرِهتُهُ أكرههُ كُرهاً بضم الكاف وفتحها ضدُّ أحببتُهُ فهو مكروه" [٥].

وقال الراغب : "الكَره المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يُحتمل عليه بإكراه ، والكُره : ما يناله من ذاته وهو يعافُهُ ، وذلك على ضربين : أحدهما : ما يُعاف من حيث الطبع ، والثاني : ما يُعاف من حيث العقل أو الشرع ، ولهذا يصحّ أن يقول الإنسان في الشيء الواحد : إني أريده وأكرهه ، بمعنى أني أريده من حيث الطبع ، وأكرهه من حيث العقل أو الشرع ، أو أريده من حيث العقل أو الشرع ، وأكرهه من حيث الطبع" [٦]. وقد فرّق أحد الدارسين بين (الكُره والكَره) في الاستعمال القرآني بأن قال إنّ "الكَره يستعمل في مقام الدلالة على المعاناة النفسية ، أمّا الكُره فيستعمل للدلالة على المعاناة النفسية والجسمية معاً"[٧] .

(كره) في الاستعمال القرآني :

تتشكّل هذه اللفظة على صورتين فعلية واسمية ، ومن أجل استجلاء معانيها ودلالاتها لابدّ من النظر إلى سياق اللفظة ومقامها في القرآن ، فضلاً عن ذلك فإنّ اختلاف الصيغ التي تتشكل في التركيب لها خصوصيتها في

١ - مقاييس اللغة ٥: ١٤٠ (كره)، مجمع البحرين ٢: ١١٥ (كره).
٢ - الصحاح ٢: ١١٤ (كره)، العين ٣: ٣٧٦ (كره)، تهذيب اللغة ٢:٢٣٥ (كره).
٣ - المحيط في اللغة ١: ٢٧٩ (كره)، وينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ١٩٨.
٤ - اللسان ١٢ : ٨٠ (كره)، وتفسير غريب القرآن : ٢٦٥ .
٥ - معاني القرآن – الأخفش ١ : ١٨٤ ، المعجم الوسيط ٢: ٤٨٦(كره) .
٦ - مفردات ألفاظ القرآن : ٧٠٧ ، وينظر : إصلاح المنطق : ٩٠ ، ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ٧٦٧ .
٧ - دراسات جديدة في إعجاز القرآن :٤٢ .

بيان الدلالة ، ونحاول في هذا الفصل الوقوف على تنوّع تلك الصيغ لنتبيّن من خلالها ما تنطوي عليه من معانٍ ودلالات ، مبتدئين ببيان دلالات الصور الفعلية منها ثمّ الصور الاسمية .

أولاً : (كره) في صورتها الفعلية :

جاء الأصل كره وما تصرّف منه في أربعين موضعاً في القرآن الكريم ، فقد جاء بصيغة الماضي مجرداً ومزيداً ومبنياً للمعلوم والمجهول سبع عشرة مرّة ، وجاء المضارع في ست مرات للدلالة على التجدد ، أمّا المصدر فجاء في عشرة مواضع ، وقد اختلفت تصاريفها وحركاتها (الكُره ، والكَره ، والإكراه) .

الصورة الماضويّة :

جاءت الكراهة بصيغة الماضي المبني للمجهول ليدلّ على معنى القسر والإجبار في قوله تعالى ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ النحل : ١٠٦ ، والمُراد بالإكراه الإجبار على كلمة الكفر والتظاهر به والقلب لا يقبل الإكراه ، "وهنا استثناء لمن أُجبر على الكفر بعد الإيمان فكفر في الظاهر وقلبه مطمئنّ بالإيمان" [(١)]، نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر فقد أكرهه المشركون على ذلك بأنواع العذاب فتكلّم بكلمة الكفر على وجه التقيّة مُكرهاً [(٢)]، إذن فالإكراه واقعٌ عليه على وجه الفرض والقسر ومن هنا فقد حملت لفظة (أُكْرِهَ) معنى الإجبار على فعل الأشياء ، لا معنى الكراهة والبغض .

والمعنى نفسه يأتي على لسان السحرة الذين أجبرهم فرعون على فعل السحر إذ أظهروا استخفافهم بوعيده وبتعذيبه بعد أن أصبحوا أهل إيمان ويقين بصيغة الماضي المسند إلى جماعة السحرة وذلك في قوله تعالى﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ طه:٧٣، أي "أجبرتنا وقسرتنا على فعله كارهين ، وقيل إنّ فرعون كان أكره السّحرة على تعلّم السّحر"[(٣)]، وأنّه أكرههم على تحدّيهم موسى (عليه السلام) بسحرهم ، ولعلّهم خصّوا السحر بالذكر مع اندراجه في خطاياهم إظهاراً لغاية نفرتهم عنه ورغبة في المغفرة ، وفي ذكر الإكراه نوع من الاعتذار لاستجلاب المغفرة[(٤)] .

والإكراه الذي بمعى القسر نوعان : ما كان بالضرب الذي لا يُطاق يُغفر لصاحبه وما كان لمجرد تهديد ومُطالبة فإنّه لا يغفر إلاّ بالتوبة الصادقة وإكراه السحرة من النوع الثاني ، وقوله (وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ) دليل على أنّهم غير مختارين في عملهم المتقدّم وإنّما أكرههم فرعون إكراهاً [(٥)].

ويأتي (كرّه) على الصورة الماضويّة المضعّفة ليدلّ على الجعل والصيرورة في قوله تعالى ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ الحجرات : ٧ ، أي : صيّره هكذا وجعله مبغضاً ، إذ إنّ من معاني

---

١ - الميزان ١٢: ٣٥٣ ، وينظر : الإمعان في ألفاظ القرآن الكريم : ١٤٣ .
٢ - ينظر : معاني القرآن – النحاس ٢ : ٦٣٧ ، ومجمع البيان ٦: ٢٣٤ .
٣ - معاني القرآن – الفراء ٢ : ١٨٧ .
٤ - يُنظر : الكشّاف ٣: ٧٨ ، ومجمع البيان ٧:٤٢ ، وبحر العلوم ٨: ٣٤٧ ، والتحرير والتنوير ١٦: ٢٦٧ ، إرشاد العقل السليم ٦: ٣٠ ، وينظر : روح المعاني ١٦: ٣٩٥ .
٥- ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان : ٥٠٩ ، و الميزان ١٤: ١٨١ ، ومفاتيح الغيب ٢٢: ٨٥ .

(فعّل) هي الصيرورة ، والتضعيف في الفعل فللتعبير على الشدة والرغبة العميقة في تطبيق الفعل والتحريض على التسليم لما يأمر به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، فضلاً عن ذلك فإنّ أفاد معنى التكثير والمبالغة [١]، وتكريه الكفر وما يتبعه إليهم جعلها مكروهة عندهم تنفر عنها نفوسهم [٢] .

وقوله (وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ) بأن أظهر قبحها في أعينهم فكرهوه في ذات أنفسهم ، فالمؤمن إنّما يطيع الله وهو محبب له الطاعة ، ومن ثم فإنّه يقدم على الطاعة في وداعة وطمأنينة ويسر ، وإنّه يجتنب المعاصي في يسر ، لأنّه عن نفرة لها في نفسه [٣].

ويأتي لفظ (كرّه) بمعنى (بغّض) أي بغّض إليكم هذه الأمور ، وهو يتعدّى بنفسه إلى مفعول واحد فإذا شدّد زاد له آخر ، ولكنّه لمّا تضمّن معنى التبغيض نزل منزلة بغض فعُدّي إلى آخر بـ(إلى)[٤]، وذكر ابن عاشور أنّ "لفظ (كرّه) حمل معنى التبليغ ؛ لأنّه عُدّي بـ (إلى)" [٥].

وجاء الفعل الماضي (كَرِهَ) ليدلّ معناه اللغوي على خلاف المحبّة والرغبة والرضا والإرادة في قوله تعالى ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ الأنفال : ٨ ، والحديث في الآية عن معركة بدر وبيان أنّها معركة تثبيت العقيدة لا تحصيل الغنيمة وهذا ما أراده الله تعالى لها لا كما أرادها بعض المسلمين الذي خافوا القتال وأن تكون لهم غير ذات الشوكة ، ولو كره الذين أجرموا فاكتسبوا المآثم والأوزار من الكفار ، ومجيئ (ولو كره) بصيغة الماضي دليل على أنّ الكراهة واقعة وموجودة وراسخة في قلوبهم[٦]، ومثل هذه الآية ما جاء في سياق الحديث عن المجابهة بين نبي الله موسى (عليه السلام) وفرعون في قوله تعالى ﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ يونس:٨٢ ، ومثلها أيضاً قوله تعالى ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ غافر:١٤، أي لن يرضوا عنكم أبداً ، فدوموا على الإخلاص مع كراهية الكافرين ، لأنّ هذه الكراهية تكون سبباً لمحاولتهم صرفكم عن ذلك بكل وسيلة ، فيُخشى أن يُفتن فريق من المؤمنين [٧]، وقيل إنّ معنى الكراهة الغيظ ، أي " وإنْ غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم ، فدعوهم يموتوا بغيظهم "[٨]، وقيل إنّها بمعنى الإرغام أي " ادعُ الله وحده رغماً على الكافرين "[٩] .

ومثل المعنى السابق أيضاً جاء في الآيتين (٣٢ و٣٣) من سورة التوبة ، وهما قوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ التوبة :٣٢-٣٣ ، وكذلك في الآيتين (٨ و ٩) من سورة الصف وهما قوله

١- ينظر : مباحث في علم الصرف : ٤٠ ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ١:ق٢:٢٥٥ ، وصيغة فعّل في القرآن الكريم :٤٧٧ .
٢- الميزان ١٨: ٣١٧ ، وينظر : الأمثل ١٦:٣٩٣ .
٣- ينظر : التفسير والمفسرون ٦:٢ .
٤- ينظر : البحر المحيط ٩: ٥١٤ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥ : ١٣٥ ، وبحر العلوم ١٣: ٣٢١ .
٥- التحرير والتنوير ٢٦ : ٢٣٧.
٦ - ينظر : جامع البيان ٦: ١٨٨ ، والبحر المحيط ٥: ٢٨٧، في ظلال القرآن ٣ : ١٤٨٢ .
٧ - ينظر : في ظلال القرآن ٥: ٣٠٧٣ ، والتحرير والتنوير ٩: ٢٧٣ .
٨ - الكشّاف ٢: ٣٤٥ ، وينظر : البحر المحيط ٦: ٩٣ ، وإرشاد العقل السليم ٤: ١٧٠ .
٩ - الأمثل ١٥ : ١٤٤ .

تعالى ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ الصف : ٨-٩ ، أي إنّ إرادتهم خالفت إرادة الله تعالى ولم يحبّوا رسالة الإسلام التي شاء الله نشرها ، "ولمّا سمّى الله تعالى الحجج والبراهين نوراً سمّى معارضتهم له إطفاء ، وأضاف ذلك إلى الأفواه ؛ لأنّ الإطفاء يكون بالأفواه وهو النفخ ، وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم وتضعيف كيدهم إزاء قدرة الله تعالى ، لأنّ النفخ يؤثّر في الأنوار الضعيفة من دون الأقباس العظيمة" [١].

والحقيقة أنّه تعالى ناسب بين صورة النفخ وما يقصده السياق من تكذيب اليهود والنصارى للإسلام ، إذ إنّ آلة النفخ وآلة التكذيب واحدة وهي الأفواه ، وإنّ هذا التمثيل في مقاربة الصورة بين الحالتين ما هو إلاّ بيان لعجز أولئك عن طمس الرسالة التي أراد الله إظهارها .

وإنّ وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر دلالة على أنّهم ضمّوا الكفر بالرسول إلى الشرك بالله تعالى ، وظاهر هذا أنّ المُراد بالكفر فيما تقدّم الكفر بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وتكذيبه وبالشرك بالله سبحانه بقرينة التقابل[٢]، ولعلّ "الختم بـ(وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) أبلغ لأنّ الكفر قد لا يكون فيه عناد ، والشرك مبناه على العناد باتخاذ الأنداد ، أي لا بدّ من نصركم خالف من خالف مجرد مخالفة ، أو ضمّ إلى ذلك العناد بالاستعانة بمن أراد" [٣].

وورد أنهم أنكروا الرسول وما أنزل إليه وهو الكتاب وهو من نعم الله ، والكافرون كلهم في كفران النعم ، فلهذا قال (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ، ولأنّ لفظة الكافر أعمّ من لفظ المشرك ، والمراد من الكافرين ههنا اليهود والنصارى والمشركون ، وهنا ذكر النور وإطفائه واللائق به الكفر ، لأنّه الستر والتغطية ، وفي الآية الثانية ذكر الرسول والإرسال ودين الحق ، وذلك منزلة عظيمة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وهي اعتراض على الله تعالى ، والاعتراض قريب من الشرك ، ولما كان النور أعمّ من الدين والرسول ، لا جرم قابله بالكافرين الذين هم جميع مخالفي الإسلام ، والإرسال والرسول والدين أخصّ من النور ، قابله بالمشركين الذين هم أخصّ من الكافرين [٤].

وموضوع محاولة إطفاء نور الله في هذين الموردين هي انتقاد للكفّار ومحاولات أعداء الله اليائسة ، إلاّ أنّ في التعبيرين تفاوتاً يسيراً ، وممّا لا شكّ فيه أنّ هذا التفاوت والاختلاف اليسير في التعبير القرآني لغاية بلاغيّة ، وقد بيّن الراغب هذه الغاية وهذا الفرق في قوله تعالى (أَنْ يُطْفِئُوا) وقوله (لِيُطْفِئُوا) ، إذ إنّ الآية الأولى تُشير إلى محاولة إطفاء نور الله من دون مقدمات ، أمّا الثانية فتُشير إلى محاولة إطفائه بالتوسّل بالأسباب والمقدمات ، فكأنّ القرآن يريد أن يقول : سواء توسّلوا بالأسباب أم لم يتوسّلوا فلن يُفلحوا أبداً وعاقبتهم الهزيمة والخسران[٥]، وعلل ابن عاشور مجيء هذا التركيب في سورة التوبة وذلك لشدّة مماحكة أهل الكتاب وتصلّبهم في دينهم ، ولم يلجأ في سورة الصف إلى ذلك ؛ لأنّ المنافقين كانوا يكيدون للمسلمين خُفية وفي لين وتملّق[٦] .

١ - التبيان في تفسير القرآن ٩: ٥٩٤ ، وينظر : مجمع البيان ٩: ٥٠٤ - ٥٠٥ .
٢ - ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥: ٢٠٩ ، و إرشاد العقل السليم ٨: ٢٤٤ - ٢٤٥ ، وروح المعاني ٢٧: ١١٠ .
٣ - نظم الدرر ٧: ٥٨٤ .
٤ - ينظر : المحرر والوجيز ٥: ٣٠٢ ، ومفاتيح الغيب ٢٩ : ٣١٦ – ٣١٧ .
٥ - ينظر : الأمثل ٦ : ١٠ - ١١ .
٦ - ينظر : التحرير والتنوير ٢٨: ١٩١ .

أمّا مجيء (لو) في السياق فهي لإفادة المبالغة بأنّ ما بعدها أجدر بانتفاء ما قبلها لو كان منفيّاً ، والمبالغة بكراهية الكافرين ترجع إلى المبالغة بآثار تلك الكراهية ، وهي التألّب والتظاهر على مقاومة الدين وإبطاله ، وأمّا مجرّد كراهيتهم فلا قيمة لها عند الله تعالى حتّى يُبالغ بها ، والملاحظ أنّ كل آية ورد فيها قوله (وَلَوْ كَرِهَ) فهي كناية عن المقاومة والصدّ لأنّهما لازمان للكراهية ، لأنّ شأن الكاره أن لا يصبر على دوام ما يكرهه ، و(لو) أداة شرط تفيد أنّ شرطها أقصى ما يكون من الأحوال التي يُراد تقييد العامل بها [١].

وممّا أسلفنا ذكره أنّ محبّة الله تعالى عباده هي إنعامه عليهم وتكريمه لهم ، ورضاه عنهم ، ويتبعه إحسانه إليهم ومثوبتهم ، والمغفرة والرحمة والثناء عليهم [٢]، وعليه فإنّ كراهة الله للعباد التي هي بالضدّ من ذلك لم ترد صراحة في القرآن ، وإنّما وردت هذه الكراهة لأفعالهم بصيغة الفعل الماضي المسند إلى الله تعالى في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ التوبة : ٤٦ ، فقد ذكر أحد المفسرين أنّ لفظ (كره) جاء بمعنى (لم يرد) ، أي لم يرد الله خروجهم معك [٣]، وبذلك فقد كره الله خروجهم لعلمه أنّهم لو خرجوا لكانوا يمشون بالنميمة بين المسلمين وكان الضرر في خروجهم أكثر من الفائدة[٤]، ولعلّ مجيء الفعل بصيغة الماضي للدلالة على أنّ كراهة الخروج ناتجة عن سوء نيّاتهم وهذا واقع بهم حتى قبل هذا الوقت .

أمّا المفسّر الرازي فقد فسّر الكراهة هنا بأنّها إرادة عدم الخروج فقال : " إنّ تفسير الكراهة في حقّ الله بإرادة ضد ذلك الشيء ، فهو تعالى أراد منهم السكون ، فوقع التعبير عن هذه الإرادة بكونه تعالى كارهاً لخروجهم مع الرسول " [٥]، إي أنّهم لم يريدوا الخروج معه ، إذ لو أرادوا لأعدّوا له عُدّته ، فإنّ عدم إعدادهم العُدّة للجهاد دلّ على انتفاء إرادتهم الخروج معه ، وعدم إرادتهم الخروج كان حرماناً من الله تعالى ، وعناية بالمسلمين ، وكراهة الله انبعاثهم مفسّرة في الآية بعدها بقوله ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ التوبة : ٤٧ [٦] .

وذهب ابن كثير إلى أنّ الكراهة هنا البغض ، أي أبغض الله أن يخرجوا معك[٧]، إذ لم يذهب إلى هذا المعنى سواه ، ولا أظنّ أنّ الدقّة البيانيّة تستلزم هذا المعنى ، لأنّ خلاف الإرادة لا يعني البغض ، ومعنى ذلك أنّي عندما لا أريد هذا الشيء أنّي أبغضه ، وورد في مقام هذه الآية أنّه تعالى أوقع في قلوبهم كراهة الخروج أي إنّهم لم يريدوا الخروج قط فلم يعدّوا له العدّة ، إنّما منعتهم كراهتهم الخروج ، فكان إيقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسناً ومصلحة[٨].

---

١ - ينظر : المصدر نفسه .
٢ - ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ١٣٣ ، وجامع البيان ٦ : ٣٨٢ ، ومعجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ١ : ٣٦٢ .
٣ - ينظر : بحر العلوم ٥: ١٥٢ .
٤ - ينظر : مجمع البيان ٥: ٦٨ ، وفي ظلال القرآن ٣: ١٦٦٣ ، والميزان ٩: ٢٩٩ .
٥ - مفاتيح الغيب ١٦: ٦٩ .
٦ - ينظر : التحرير والتنوير ١٠: ٢١٤ .
٧ - ينظر : تفسير القرآن العظيم ٣: ١٣٤٠.
٨ - ينظر : الكشاف ٢: ٢٦٣ ، و نظم الدرر ٣: ٣٢٨ .

أمّا خصال المنافقين فنذكر أنّ من تلك الخصال خصلة التخلّف عن الجهاد وعدم رغبتهم لها جاءت بالفعل (كرهوا) المسند إليهم في قوله تعالى ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ التوبة : ٨١ ، فجملة (وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) إخبار منه تعالى أنّ هؤلاء المخلفين فرحوا بالتأخّر وكرهوا إنفاق أموالهم والجهاد بنفوسهم في سبيل الله ، فكراهتهم للجهاد لا لإيثار الدعة والراحة أو الامتناع عن طاعة الله تعالى بل الكراهة قد تلبّست بهم فهي ثمرة من ثمرات نفاقهم وكفرهم وحقيقة من حقائق نفوسهم السقيمة ونيّاتهم البشعة ، لأنّ إيثار أحد الأمرين لا يصل إلى حدِّ كراهة الآخر ، وإنّما عبّر بالفعل (كَرِهُوا) بصيغة الماضي المسند إلى ضمير المنافقين ليُبيّن حقيقته بواطنهم ، لأنّهم كرهوا الجهاد مع كونه من أجلّ الرغائب وأشرف المطالب ، وفرحوا بأقبح القبائح وهو القعود ، وقد جاء هذا الفعل تأكيداً لحالهم ، لأنّ الفرح بالقعود يدلّ على كراهتهم الخروج ضمناً ، وسمّاهم (الْمُخَلَّفُونَ) مبالغة في وصفهم [١]، فهؤلاء النفر مع ما يحملون من بواطن فاسدة لم يكتفوا بتخلفهم عن الجهاد ، بل " إنّهم سعوا في إضعاف إرادة المسلمين بقولهم (لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ)"[٢].

وفي موضع آخر تأتي الكراهة ليتّضح من خلالها معنى العصيان وهو مخالف للرضا والقبول ، زيادة على معنى الإعراض لما أنزل الله تعالى أو بما فرضه على الناس كما في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ محمد : ٩ ، أي " كرهوا القرآن وسخطوه وبغضوه وخالفوه وأنكروه" [٣]، إذ إنّ نتيجة الكراهة هي الإعراض عمّا أنزل الله من القرآن وعدم رضاهم ، والآية تصوير لما يعتمل في قلوب الكافرين ويختلج في نفوسهم من الكراهية لما أنزل الله من قرآن وشريعة ومنهج واتجاه ، وهذا هو الذي يدفع بهم إلى الكفر والعناد والخصومة والإنكار ، فهناك كثير من النفوس الفاسدة التي تكره بطبعها ذلك النهج السليم القويم ، بحكم مغايرة طبيعتها لطبيعته ، ويحسن منها النفرة والكراهية لهذا الدين وما يتصل به ، وكان جزاء هذه الكراهية أن أحبط الله أعمالهم ، وإحباط الأعمال تعبير تصوري على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير ، فالحبوط انتفاخ بطون الماشية عند أكلها نوعاً من المرعى سام ينتهي بها إلى الموت والهلاك ، وكذلك انتفخت أعمالهم ، ثم انتهت إلى الهلاك والضياع [٤].

وجاء معنى عدم الرضا في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ، فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ محمد:٢٦ – ٢٨ ، أي كرهوا القرآن وكفروا به ولم يرتضوه ، وهذا قول المنافقين لليهود والذين أشركوا الذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في عداوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) ولما جاء به من ربّه ، فبسبب كراهتهم رضوان الله عوقبوا ، أي ما يرضاه من الإيمان والطاعة إذ كفروا بعد الإيمان وخرجوا من الطاعة

١ - ينظر : إرشاد العقل السليم ٤: ٨٨ .
٢ - الأمثل ٦:٩٣ .
٣ - معاني القرآن – الفراء ٣ : ٥٩ ، وينظر : نظم الدرر ٧: ١٥٤ ، والتحرير والتنوير ٢٦: ٨٦ .
٤ - ينظر : في ظلال القرآن ٦: ٣٢٨٩ .

بما صنعوا من المعاملة مع اليهود [١]، أي رسخت أقدامهم في هذا الباب على مرّ الزمان وتطاوله من دون جدوى [٢].

فالسياق يصوّر حال المنافقين ، وسبب توليهم عن الإيمان بعد إذ شارفوه ، ويتبين تآمرهم مع اليهود ، ووعدهم لهم بالطاعة فيما يدبرون ، والتعبير يُبيّن معنى رجوعهم عن الهدى بعد ما تبين لهم ، فاليهود في المدينة هم أول من كرهوا ما نزَّل الله ؛ لأنّهم كانوا يتوقعون أن تكون الرسالة الأخيرة فيهم ، وأن يكون خاتم الرسل منهم ، فلما اختار الله آخر رسله من نسل إبراهيم ، من غير اليهود ، كرهوا رسالته ، حتى إذا هاجر إلى المدينة كرهوا هجرته ، التي هددت ما بقي لهم من مركز هناك [٣].

وقوله : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) ، أي كرهوا سبب رضوانه من الإيمان والطاعات والامتناع من القبائح ، فلم يكن لديهم رغبة فيما تقربهم إليه ولا يدنيهم منه ، وهم الذين كرهوا رضوان الله فلم يعملوا له ، بل عملوا ما يسخط الله ويغضبه (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) التي كانوا يعجبون بها ، ويحسبونها مهارة وبراعة وهم يتآمرون على المؤمنين ويكيدون ، فإذا بهذه الأعمال تتضخم وتنتفخ ، ثم تهلك وتضيع[٤]. ولعلّ مجيء الباء زائدة لتوكيد الكراهة ، زيادة على التعمّد والقصد لها ، والإصرار عليها والترسيخ والتمكين لها لديهم ، وعلى نحو تام كامل ، أي بكل كراهة ، وبكل ما تستطيعون منها .

وفي موضع آخر يتضح لنا معنى الإنكار والنفور بصيغة الفعل الماضي (فَكَرِهْتُمُوهُ) في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ الحجرات : ١٢ ، أي : فنفرتم عنه بطبائعكم وعقولكم لكونه لحم الأخ ، ولكون الأخ ميتا وفي سياق العبارة القرآنية تنبيه على أن أكل لحم الأخ شيء قد جبلت النفس على كراهيته وإن تحرّاه الإنسان [٥]، وقد تلحظ دلالة النهي من سياق الآية ، لأنّ لفظة (فَكَرِهْتُمُوهُ) تعني فلا تفعلوه [٦]، زيادة على ذلك فقد قُرئت فكرهتموه : (فَكَرِّهْتُمُوهُ) بضم الكاف على البناء للمجهول وتشديد الراء[٧] ، والحقيقة أنّ بناء الفعل للمجهول فيه إشارة إلى أنّ الفاعل المجهول هو الذي جعلهم أن يكرهوا هذا الفعل المشين ، "فإذا كان الفاعل هو الله تعالى أو غيره من المؤمنين ، فهذا يعني أنّ هناك أمراً للكفّ عن هذا الفعل ، أمّا تشديد الفعل ففيه دلالة على المبالغة والتكثير في الكره لهذا الأمر . وقيل إنّ الكراهة هنا تعني الاشمئزاز والتقذّر"[٨].

وممّا يُساعد في بيان النفور والإنكار وتحققه دخول الفاء على الفعل ، فتأتي الفاء في بنية التركيب لتؤدّي وظائف عديدة ، ذكرتها كتب اللغة والنحو ، وقد أُختُلف فيها في (فكرهتموه) ، فذهب ابن الحاجب إلى أنّها سببيّة

١ - ينظر : إرشاد العقل السليم ٨: ٩٩ – ١٠٠ ، التحرير والتنوير ٢٦: ١١٦ .
٢ - ينظر : أضواء على القيمة اللغوية والدلالية للأحرف التي قيل بزيادتها في القرآن الكريم : ٧٩ .
٣ - ينظر : في ظلال القرآن ٦: ٣٢٩٨ .
٤ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٩: ٣٠٥ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٨٠١ ، و بحر العلوم ١٤: ٣٥ .
٥ - ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٤٢٩ ، وظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم : ٤٣ ، ومعجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٥: ٥٦
٦ - ينظر : معاني القرآن – الفراء ٣ : ٧٣ ، ومعاني القرآن – الكسائي : ٢٣٦ .
٧ - هي قراءة أبي سعيد الخدريّ وأبي حيوة ، ينظر : البحر المحيط ٨ : ١١٥ .
٨ - التحرير والتنوير ٢٦: ٢٥٥ .

، ودليله على ذلك أنّ معنى (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ) نفي الحبّ ، ولمّا كان المعنى : وما يحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ذكر ما هو مسبب عن هذا المنفي ، وهو تحقق الكراهة وثبوته(١) .

الصورة المضارعية :

أتت الكراهة لتدلّ على الإجبار والقسر بصيغة المضارع المنهي عنه والمضارع المسند إلى جماعة النساء وثالثاً بصيغة المصدر في آية واحدة في قوله تعالى ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ النور : ٣٣ ، نزلت الآية فيمن كان يُكره إماءه على الزنا للتكسّب ، والمعنى : لا تُجبروا إماءكم على الزنى لتكسبوا بذلك المال ، ومن يُجبرهنّ عليه فإنّ الله سبحانه من بعد إجبارهنّ غفور رحيم ؛ لأنهنّ كُنّ مكرهات على فعل الزنى(٢) ، وفي ذلك نهي عن حملهن على ما يُكره ، فظاهر ذلك مشروط بإرادتهن التحصن ، فإن لم يردن ذلك جاز إكراههن ، والحقّ أنّ ذلك لا يجوز سواء أردن التحصّن أم لا (٣)، ثم إنّه تعالى إنما شرط إرادة التحصن لأنّ الإكراه لا يُتصور إلا عند إرادة التحصن ، لأنّ الأمَة إذا لم ترد التحصن فإنّها تزني بالطبع (٤)، ولمّا نهى سبحانه عن الإكراه ، رغّب الموالي فـي التوبة عند المخالفة فيه فقال : (وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ) من دون أن يقول(وإن أكرهن)، "وعبّر بالمضارع إعلاماً بأنّه تعالى يقبل التوبة ممن خالف بعد نزول الآية" (٥).

ويأتي لفظ الكره بمعنى القسر والجبر أيضاً بصيغة المضارع فـي سياق خطاب الله تعالـى لنبيّه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) ليُخفّف عنه ما لحقه من حسرة وحرص واهتمام على إيمان قومه في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ يونس : ٩٩ ، فقد بيّن الله تعالى أنّ من لم يهده الله فلا هادي له ، ولا يمكن لأحدٍ أن يقهر قلب أحدٍ على الانشراح إلى الإيمان إلا إذا أراد الله ذلك ، أي لم يشأ الله تعالى ذلك ولو شاء لفعل لأنّه القادر على فعله ، فلا ينبغي لك أن تطمع فيه ولا أن تجتهد لذلك لأنّك لا تقدر عـلى إجبارهم على الإيمان ، والإيمان الذي نريده منهم هو ما كان عن حسن الاختيار لا ما كان عـن إكراه وإجبار(٦). ولعلّ التعبير بالمضارع يدلُّ على استمرار وتجدد فعل الإكراه من الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، وهذا دليل على حرصه واهتمامه الكبيرين في إيمان الناس .

وإلى ذلك المعنى أشار البيضاوي بقوله : " وترتيب الإكراه على المشيئة بالفاء ، وإيلاؤها حرف الاستفهام الإنكاري ، وتقديم الضمير عـلى الفعل للدلالة عـلى أنّ خلاف المشيئة مستحيل ، فـلا يمكنه تحصيله بالإكراه فضلا عـن الحثّ والتحريض عليه "(٧) .

---

١ - ينظر : الأمالي النحوية ١ : ٩٢ . وهي عنده ليست عاطفة ، فلو كانت كذلك لأحتيج إلى جملة تكون هي عقيبتها .
٢ - ينظر : بحر العلوم ١١: ٣٤٢ ، ومجمع البيان ٧:٢٦٣ .
٣ - ينظر : معاني القرآن – الفراء ٢ : ٢٥١ ، ومعاني القرآن – النحاس ٢ : ٨٠٨ ، والجملة العربية والمعنى : ٥٩ – ٦٠ .
٤ - ينظر : مسائل الرازي وأجوبتها : ٢٤٠ .
٥ - نظم الدرر ٥: ١٧٧ .
٦ - ينظر : مجمع البيان ٥: ٢٥٥ ، والميزان ١٠: ١٢١ .
٧ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣: ١٢٤ .

وفي موضع آخر تأتي الصورة المضارعيّة لتدلّ على خلاف المحبّة والرغبة والرضا والإرادة ، وجاء أنّ الرغبة والمحبّة والإرادة نظائر ولكن بينهم فرق ، ويظهر الفرق بينهم من نقيضهم ، فنقيض الرغبة الرهبة ، ونقيض المحبّة البغضة ، ونقيض الإرادة الكراهية ، وقيل أنّه من أراد الشيء شاءه وأحبّه[١]،إذن فكان ذكرها مجتمعة على سبيل علاقة التقارب المعنوي الذي هو بينها ، وقد جاءت لفظة الكراهة لتحمل هذا المعنى في قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : ٢١٦، فقد جاء لفظ الكراهة بصيغة المضارع المسند إلى الجمع الدالّ على تجدد الحالة واستمرارها في نفوس المسلمين ، والمعنى : عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقّة وهو خير لكم في أنّكم تغلبون وتظهرون وتغنمون وتؤجرون ، وإنّ جميع ما كُلّفوه ، فإنّ النفوس تكرهه وتنفر عنه ولا تريده ، وتُحبّ خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وأنتم لا تعلمون [٢] .

و(عسى) هنا للإشفاق لا للترجّي ، ومعناه الطمع والإشفاق في المخاطب ، ومجيئها للإشفاق قليل[٣]، وقيل هي للترجّي ، وليس من الواجب قيام صفة الرجاء بنفس المتكلّم ، بل يكفي قيامها بالمخاطب أو بمقام التخاطب ، فالله سبحانه إنّما يقول : عسى أن يكون كذا لا لأنّه يرجوه ، بل ليرجوه المخاطب أو السامع ، وتكرارها في الآية لكون المؤمنين كارهين للحرب ، محبين للسلام ، فأرشدهم الله تعالى على خطئهم في الأمرين جميعاً ، أي لا في كرهك أصبت ، ولا في حبّك اهتديت[٤].

وجاء الفعل (كَرِهَ) بصيغتيه الماضية والمضارعيّة ليدلّ معناه اللغوي وهو خلاف الرضا والمحبة والرغبة والإرادة ، ولعلّنا نلاحظ اشتراك هذه المعاني لتكون نقيضاً لكراهة الرجل لامرأته في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء :١٩، أي إنْ سئمتم صحبتهنّ بمقتضى الطبيعة فلا تفارقوهنّ لكراهة الأنفس وحدها ، فربّما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد وأدنى إلى الخير ، وأحبّت ما هو بضدّ ذلك ، فإنّ كراهة الأنفس للشيء لا تدلّ على انتفاء الخير منه ، فربّما تنقلب تلك الكراهة محبّة والنفرة رغبة [٥]، وفي هذا حثّ للأزواج "على حسن الصبر فيما يكرهون من الزوجات وترغيبهم في إمساكهنّ مع كراهة صحبتهنّ"[٦] .

وفي سياق الحديث عن المشركين يأتي الفعل المضارع (يكرهون) ليدلّ على معنى هو خلاف المحبّة والرغبة والإرادة في قوله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴾ النحل:٦٢، فقد أبهم الله تعالى في هذه الآية الكريمة هذا الذي يجعلونه لله ويكرهونه ؛ لأنّه عبّر عنه بـ(ما) الموصولة ، وهي اسم مبهم ، وصلة الموصول لم تُبيّن من وصف هذا المبهم إلاّ أنّهم يكرهونه ، ولكنّه في

١- المعجم الوسيط ١ : ٧٩١ .
٢ - ينظر : الكشاف ١: ٢٨٥، وإرشاد العقل السليم ١: ٢١٦ .
٣ - ينظر : البحر المحيط ٢: ٣٧٩ ، و التبيان في إعراب القرآن ٢: ٢٠٢ .
٤ - ينظر : الميزان ٢: ١٦٨ .
٥ - ينظر : الكشّاف ١: ٥٢٢ ، والبحر المحيط ٣: ٥٦٧ - ٥٦٨ ، و إرشاد العقل السليم ٢: ١٥٧ .
٦ - مجمع البيان ٣: ٥٤ .

آيات سبقت هذه الآية بيّن ذلك فخصّص الموصول بالبنات فقال ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ)) النحل : ٥٧ ، وقوله ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ النحل :٥٨ ، وقد يكون الموصول للعموم فيُشير إلى أنّهم جعلوا لله أشياء يكرهونها لأنفسهم مثل الشريك في التصرّف ، وأشياء لا يرضونها لآلهتهم ونسبوها لله تعالى كما جاء في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الأنعام: ١٠٠ ، وقيل إنّهم يجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها[١].

ثانياً : (كره) في صورتها الاسميّة :

المصدر :

يأتي هذا اللفظ على صيغة المصدر من الثلاثي المزيد ليدلّ على القسر والجبر والإرغام على فعل الشيء[٢] ، ليبيّن احترام إرادة الإنسان وفكره ومشاعره ، وأنّ الدين القائم على مجموعة من العقائد القلبية لا يمكن أن يُفرض بالقسر والإجبار في قوله تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة : ٢٥٦ ، الإكراه هو الإجبار والحمل على الفعل من غير رضا ، والمعنى " أنّه نفى الدين الإجباري ، لما أنّ الدين اعتقاد وإيمان وهما من الأمور القلبية التي لا يحكم فيها الإكراه والإجبار"[٣]، أي " لم يجرِ الله تعالى أمر الإيمان على الإجبار والقسر ، ولكن على التمكين والاختيار"[٤]، والظاهر أنّ معنى الإكراه هنا حمل الشخص على أن يعمل عملا ، وهو كاره له ، والهمزة فيه للجعل ، أي جعله ذا كراهية ، والمُراد من نفي جنس الإكراه هو نفي كونه ابتداءً ونفي أسبابه في حكم الإسلام ، وليس مجرد النهي عن مزاولته ، والنهي في صورة النفي أعمق إيقاعاً وآكد دلالة ، أي لا تُكرهوا أحداً على إتّباع الإسلام قسراً[٥] ، وقيل إنّ ذلك كان في ابتداء الإسلام ، فإنه كان يعرض على الإنسان الإسلام ، فإنْ أجاب وإلا ترك[٦] .

ولا يرى السيد محمد باقر الصدر(قُدّس) أنّ المعنى هو الحريّة في الاختيار بل يرى أنّ القرآن الكريم كان يهدف حين ينفي الإكراه في الدين إلى أنّ الرشد قد تبيّن من الغيّ ، والحقّ تميّز عن الضلال ، فلا حاجة إلى إكراه ما دام المنار واضحا والحجة قائمة ، بل لا يمكن الإكراه على الدين ، لأنّ الدين عقيدة وكيان ومنهج في التفكير[٧]. أي إنّ الذات البشرية تستطيع التمييز بين الرشد والغيّ بعد أن تبيّن واتضح كلٌّ منهما ، فلا حاجة للإكراه في الدين .

ويأتي لفظ الكره على صيغة المصدر من الفعل الثلاثي الواقع موقع الحال ليدلّ على القسر والانقياد لدين الله تعالى وهو الإسلام في قوله تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ

---

١ - ينظر : الكشّاف ٢: ٥٧٢ ، والتحرير والتنوير ١٤: ١٩١ .
٢ - ومعنى القسر جَعْل الإنسان يفعل الشيء مجبرا ، أي حمله على ما يكرهه ، ولمّا كان معنى الإكراه القهر والإرغام تعدّى إلى مفعول واحد .
٣ - الميزان ٢: ٣٤٦.
٤ - الكشّاف ١: ٣٣١ .
٥ - ينظر : في ظلال القرآن ١: ٢٩٦ ، والتحرير والتنوير ٣: ٢٥ .
٦ - ينظر : نهج البيان عن كشف معاني القرآن ١: ٣٢٩- ٣٣٠ ، ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ٧٦٨ ــ ٧٦٩ .
٧ - ينظر : المدرسة القرآنية : ٣٦٤ .

يُرْجَعُونَ ﴾ آل عمران : ٨٣ ، والمراد أنّ كل من في السماوات والأرض قد انقادوا وخضعوا لله تعالى إمّا عن طواعية واختيار وهم المؤمنون لأنّهم راضون في الأحوال كلّها بقضائه وقدره ، ومستجيبون له في العسر واليسر ، وإمّا عن تسخير وقهر وهم الكافرون لأنّهم واقعون تحت سلطانه العظيم وقدرته النافذة ، فهم مع كفرهم لا يستطيعون دفع قضائه سبحانه ، وإذن فهم خاضعون لسلطانه ، لأنّه لا سبيل لهم ولا لغيرهم إلى الامتناع عن دفع يريده بهم ، وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين[١]، وكون وقوع المصدر حالاً أكثر مبالغة وقوّة في المعنى ، وتمكناً في الفعل[٢]، وجاء أنّ "الواو في قوله (طوعا وكرها) للتقسيم ، والمُراد بالطوع والكره رضاهم بما أراد الله فيهم ممّا يحبّونه وكراهتهم لما أراده فيهم ممّا لا يحبّونه كالموت والفقر والمرض ونحوها"[٣].

ونلمح في هذه الآية خصوصية لفظ (الطوع) إذ هو لأولئك الذين أسلموا في أول الإسلام بحسب فطرتهم التي فطرها الله وهم المؤمنون المخلصون ، وعمومية لفظ (الكره) وهو لأولئك الذين أسلموا بعد رؤية الدلائل والحجج والبراهين ، وكذلك الخوف من ضياع الأنفس والممتلكات .

وفي آية أُخرى يأتي الطوع والكَره في الإنفاق ليدلّ على المعنى نفسه في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ التوبة:٥٣ ، تُشير الآية إلى علامة من علامات المنافقين وعواقب إعمالهم ونتائجها ، ولمّا كان من بين الأعمال الصالحة الإنفاق في سبيل الله فقد اهتمّت به الآية لتُبيّن حال المنافقين في إنفاق أموالهم رياءً للدفع عن أنفسهم ، فالطوع الانقياد بإرادة لمن عمل عليها ، والكَره فعل الشيء بكراهة حُمل عليها ، والمعنى : إنْ أنفقتم طائعين أو مُكرهين لن يُتقبّل منكم أي مجبرين[٤]، وقوله(طوعا أو كرها) أي طائعين من غير إلزام من الله ورسوله أو مُلزمين ، وسُمي الإلزام إكراهاً ؛ لأنّهم منافقون ، فكان إلزامهم الإنفاق شاقّاً عليهم كالإكراه ، أو طائعين من غير إكراه من رؤسائكم ، لأنّ رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه ، أو مكرهين من جهتهم[٥] .

ويأتي الكَره في مقابل الطوع ليدلّ على القسر في قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ الرعد :١٥ ، وليُبيّن أنّ السجود وهو الخضوع والتذلل واجب لله ، والعباد كلّهم يسجدون فالمؤمن يسجد لله طوعاً والكافر يُؤخذ بالسجود ، أو إنّه يسجد لله بالسيف[٦]، ويذكر المُفسّر الرازي أنّ المُراد من قوله (طوعا وكرها) أنّ بعض الحوادث ممّا يميل الطبع إلى حصوله كالحياة والغنى ، وبعضها ممّا ينفر الطبع عنه كالموت والفقر والعمى والحزن والزمانة وجميع أصناف المكروهات ، والكل حاصل بقضائه وقدره ، ولا قدرة لأحد على الامتناع والمدافعة ، أي إنّ المقصود من (طوعا) هو التوافق والميل الفطري والطبيعي بين الإنسان والأسباب الطبيعية ، والمقصود من (كرها) هو ما فُرض على الإنسان من الخارج مثل موت أحد

١ - ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ١٤٩ ، ٢ : ١١٠٩ ، والكشّاف ١: ٤٠٢ ، والإتقان في علوم القرآن ٤ : ٢١٨ .

٢ - ينظر : بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ٧٧ .
٣ - الميزان ٣: ٣٨٥ ، وينظر : الأمثل ٢ : ٢٥١ .
٤ - ينظر : الكشّاف ٢: ٢٦٦ ، والتبيان في تفسير القرآن ٥: ٢٣٦ ، و مجمع البيان ٥: ٧٤.
٥ - ينظر : الكشّاف ٢:٢٦٦ ، ومفاتيح الغيب ١٦: ٧٦ ، والبحر المحيط ٥: ٤٣٣ .
٦ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٦: ٢٣٤، ومجمع البيان ٦: ٢٢ .

الأشخاص بسبب المرض أو أي عامل طبيعي آخر [1]، وهذا القول يمكن أن يكون إشارة إلى أنّ المؤمنين خاضعون لله بميلهم وإرادتهم ، وأمّا غير المؤمنين فهم خاضعون كذلك للقوانين الطبيعية التي تسير بأمر الله إن شاءوا وإن أبوا ، والكُره بضم الكاف تعني الكراهية في داخل الإنسان ، وبفتحها ما حُمل عليه الإنسان من خارج نفسه كما هو مذكور في المعنى اللغوي ، "وبما أنّ الأشخاص غير المؤمنين مقهورون للعوامل الخارجية وللقوانين الطبيعية استعمل القرآن (كَره) بفتح الكاف" [2].

ويرى ابن عاشور أنّ المقصود من (طوعاً وكرهاً) تقسيم أحوال الساجدين ، والمراد بالطوع الانسياق من النفس تقرّباً وزُلفى لمحض التعظيم ومحبة الله ، وبالكَره الاضطرار عند الشدة والحاجة ، وليس المراد من الكَره الضغط والإلجاء كما فسّره بعض المفسرين [3].

وفي آية أُخرى يأتي هذا الثنائي لمخاطبة غير العاقل (السماء والأرض) في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فصلت:١١، والمعنى : "أعطيا الطاعة في السير اختيارا أو إجبارا" [4]، والإتيان في قوله (ائتيا) أصله : المجيء والإقبال ولمّا كان معناه الحقيقي غير مراد لأن السماء والأرض لا يتصور أن يأتيا ، ولا يتصور منهما طواعية أو كراهية إذ ليستا من أهل العقول والإدراكات ، ولا يتصور أن الله يكرههما على ذلك لأنه يقتضي خروجهما عن قدرته ، فمعنى (ائتيا) إذن امتثلا أمر التكوين ، وهذا الامتثال مستعار للقبول [5] ، وقوله (طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) جارية مجرى الأمثال ، فهي تمثيل لتحتّم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا إثبات الطوع والكره فيهما ، والمقصود من ذلك تصوير عظمة القدرة الإلهية ونفوذها في المقدورات [6].

وجاء استعمال لفظي (طوعا ، وكرها) في الآيتين على صيغة المصدر للدلالة على الحال ، ولم يأتِ على صيغة المشتقّ ، إذ إنّ الوصف بالمصدر المجرّد من الذات والمقتصر على الحدث أكثر مبالغة وقوة واتساعا في المعنى من الوصف الذي يدل على الحدث مقرونا بالذات الفاعلة ، إذ لو قلت : أقبل أخوك سعياً ، فكأنّ المعنى : أنّ أخاك تحوّل إلى حدث ، أي (سعي) مجرد من الذات الفاعلة ، وفي ذلك التعبير مبالغة في الحالة وقوة في المعنى أكثر مما لو جاء مع الذات الفاعلة ، فضلا عن التوسّع في المعنى ، إذ إنه لو عبّرت بالوصف فقد أردت معنى واحدا ، ولكن إذا عبّرت بالمصدر اتسع المعنى وكسب أكثر من غرض وقصد كالمفعولية المطلقة [7].

ويأتي معنى القسر على صيغة المصدر نفسها الواقعة موقع الحال في سياق الحديث عن إكراه النساء أفعال توارثها الناس في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

---

١ - ينظر : مفاتيح الغيب ١٩: ٣٠ ، والأمثل ٧ : ٢٣٥ - ٢٣٦ .

٢ - الأمثل ٧ : ٢٣٦.

٣ - ينظر : التحرير والتنوير ١٣: ١١٠ .

٤ - النكت والعيون ٥: ١٧٢ .

٥ - ينظر : متشابه القرآن ١ : ١٠٨ ، ٤١٨ ، والتحرير والتنوير ٢٤: ٢٤٨ .

٦ - ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥: ٦٨ ، و روح المعاني ٢٤: ١٤٦ ، والميزان ١٧: ٣٦٥ .

٧ - ينظر : معاني النحو ٢: ٢٤٨ – ٢٥٠ ، وبحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ٧١ .

كَثِيرًا ﴾ النساء :١٩ ، الكَره بالفتح : المشقّة التي تحمل عليه من خارج ، كأن يجبره إنسان آخر على فعل ما يكرهه ، وهذا النوع من القسر والإجبار هو ما يعاف من حيث العقل والشرع ، أي إني أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث العقل والشرع ، فقد كانوا في الجاهلية يعدّون المرأة من التركة ، فيرثونها مع التركة [١]، وقد وقع (كرها) مصدراً منصوباً على أنّه حال من النساء أي حال كونهنّ كارهات لذلك أي غير راغبات ، أو مكروهات على فعل ذلك أي مجبورات عليه[٢] ، ووقوع المصدر حالاً – كما أسلفنا – يفيد تلبّس الحال بصاحبه ويدلُّ على القوّة في المعنى والمبالغة في الفعل .

وفي موضع آخر يأتي لفظ (الكُره) بضم الكاف بمعنى المشقّة والاضطرار على صيغة المصدر في قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : ٢١٦ ،(الكُرْهُ) بالضم إدخال المشقّة على النفس من غير إكراه أحد كما ورد في المعنى اللغوي ، وكما ذكره كثير من المفسرين[٣]، أي : وهو أمر مكروه لديكم غير محبب إليكم ، فأنتم تكرهونه من حيث الطبع ، ولكنه من حيث الشرع واجب عليكم للدفاع عن بيضة الإسلام ، فلا يجب للإنسان أن يعدّ كراهيته للشيء أو محبته له هو في صالحه حتى يعلم حاله ولذلك قال تعالى(وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ) ، أي "إن قُتل كان شهيداً ، وإن قُتل أُثيب وغنم" [٤]، وقيل هو شاقٌّ عليكم تكرهونه كراهية طباع لا على وجه السخط ، وقد يكون الشيء مكروهاً عند الإنسان في طبعه ومن حيث تنفر نفسه عنه وإنْ كان يريده ، لأنّ الله تعالى أمره بذلك ، كالصوم في الصيف ، وقيل معناه أنّه مكروه قبل أن يُكتب عليكم ؛ لأنّ المؤمنين لا يكرهون ما كتب الله تعالى عليهم ، فالكُره أشدّ على النفس ، فقد أعطت حركة الضمّ بُعداً نفسياً قويّاً ، فالنفس بطبعها تكره القتال أصلاً ، فكيف إذا دخلت المعركة ، وكيف إذا ذاقت طعم الهزيمة ؟ فالقتال فيه ألم نفسي ومشقّة جسدية شديدة [٥].

قال الزجاج : " إنّ كل ما في كتاب الله عزّ وجلّ من الكره فالفتح جائز فيه إلا هذا الحرف ، فقد ذكر أبو عبيدة أنّ الناس مجمعون على ضمه "[٦]، ويرى العكبري أنّ "الكاف تُقرأ بالضم وبالفتح ، وهما لغتان بمعنى ، وورد أنّه إذا جاءت بالضم تكون اسماً بمعنى المشقّة ، وإذا كان مصدراً احتمل أن يكون المعنى : فُرض القتال إكراهاً لكم ، فيكون هو كناية عن الفرض والكتب ، ويجوز أنّ يكون كناية عن القتال ، فيكون الكره بمعنى المكروه" [٧].

ويرى الزمخشري أنّ (الكره) هنا بمعنى الكراهة أي خلاف المحبّة إذ يقول : " أمّا قوله (وهو كره لكم) فهو من الكراهة بدليل قوله (وعسى أن تكرهوا شيئاً) ، ثمّ إمّا أنّه بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع

١ - ينظر : معاني القرآن – الفراء ١ : ٢٥٩ ، و معاني القرآن – النحاس ١ : ١٩٨ ، ومعاني القرآن – الكسائي : ١١٢ ، ومجمع البيان ٣: ٥٢ ، وإرشاد العقل السليم ٢: ١٥٧ ، والميزان ٤: ٢٦٠ .
٢ - ينظر : الكشاف ١: ٥٢٢ .
٣ - ينظر : الدر المنثور ١: ٥٤٧ ، النكت والعيون ١: ٢١٧ ، والتحرير والتنوير ٢ : ٣١٩ . وبالفتح إدخال المشقّة على النفس بإكراه غيره له
٤ - معاني القرآن – النحاس ١ : ٦٥ .
٥ - ينظر : مجمع البيان ٢: ٩٩ ، وروح المعاني ٣: ٢٣٢ – ٢٣٣ .
٦ - معاني القرآن – الزجاج – ١ : ٢٨٠ .
٧ - التبيان للعكبري ١ : ٥١ .

الوصف مبالغة ، كأنّه في نفسه لفرط كراهتهم له ، أي جُعل نفس الكراهة ، وإمّا أن يكون فعلاً بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز ، أي الإكراه على طريق المجاز ، كأنّهم أكرهوا عليه لشدّة كراهتهم له ومشقته عليهم ، فإنّ النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحبّ خلافه "[١]، وذهب ابن عاشور إلى تأييد هذا الرأي ، وذكر أنّ الإخبار بالمصدر مبالغة في تمكّن الوصف من المخبر عنه[٢] .

وكون القتال المكتوب كرها للمؤمنين ، إمّا لأنّ القتال متضمن فناء النفوس والأموال وغير ذلك ، فهو لا محالة شاقّ عليهم بالطبع ، وإمّا لأنّ المؤمنين كانوا يرون أنّ القتال مع الكافرين يحتاج إلى القوّة والعدّة ، فلذلك كانوا يكرهون الاستعجال في النزال حتى يتمّ لهم الاستعداد الكامل للغلبة ، وإمّا لأنّ المؤمنين قد تربّوا بتربية القرآن على الشفقة بالخلق والرحمة والرأفة ، فكانوا يكرهون القتال ، ويحبّون دعوتهم إلى الإسلام بالخلق الحسن والمعاشرة الجميلة . ويرجّح المفسّر الطباطبائي الوجه الأول نظراً إلى ما أُشير إليه من آيات العتاب ، على أنّ التعبير بصيغة المبني المجهول يُشير إلى العتاب في كراهة القتال وهو واجب[٣] .

ومن لطائف البيان القرآني في هذه الآية أنّه لم يظهر فاعل (كُتِبَ)، لكون الجملة مُذيلة بقوله (وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ) ، وهو لا يُناسب إظهار الفاعل صوناً لمقامه من الهتك ، وحفظاً لاسمه عن الاستخفاف أن يقع الكتابة المنسوبة إليه صريحاً مورداً لكراهة المؤمنين [٤].

وفي سياق الإحسان إلى الوالدين يأتي لفظ الكره بصيغة المصدر للدلالة على المشقّة التي تتحملها الأمّ وما تُقاسيه في حملها ورضاعها لابنها في قوله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الأحقاف : ١٥ ، أي متحملة المشقة في حمله ووضعه[٥]، ويُصور القرآن هنا تلك التضحية النبيلة الكريمة التي تتقدّم بها الأمومة ، والتي لا يُجازيها أبداً إحسان من الأولاد مهما أحسنوا القيام بوصيّة الله في الوالدين ، والمعنى : أنّها حملته في بطنها متعبة من حمله تعباً يجعلها كارهة أحوال ذلك الحمل ، ووضعته بأوجاع وآلام جعلتها كارهة وضعه ، وفي ذلك الحمل والوضع فائدة له هي فائدة وجوده ، وذكره للحثّ على الإحسان والبرّ بها ، فإنّ الإحسان إليها أوجب ، وأحقّ من الأب و(كرها) حال أي حملته كارهة [٦] .

والجدير ذكره هنا أنّ المصادر تأتي على صورة الحال في أساليب العرب قديمها وحديثها ، نحو : طلع فلان بغتةً ، وجاء محمد ركضاً ، و كلمته شفاهاً ، وغيرها كثير ، إلاّ أنّ النحاة خاضوا في هذا الأمر بين رافضٍ له مؤولٍ له بمشتق أمثال سيبويه وجمهور النحاة والزجاج ، فقالوا أنّها مصادر في موضع الحال مؤولة بمشتق ، ولم

---

١ - الكشاف ١ : ٢٨٥ ، وينظر : البحر المحيط ٢ : ١٤٣ .
٢ - ينظر : التحرير والتنوير ٢: ٣٢٠.
٣ - ينظر : الميزان ٢: ١٦٧ - ١٦٨ .
٤ - ينظر : المصدر نفسه .
٥ - ينظر : معاني القرآن – النحاس ٢ : ١١٨٦ ، ومعاني القر آن – الكسائي : ٢٣٢ ، والكشاف ٤: ٣٠٦ .
٦ - ينظر : التحرير والتنوير ٢٦: ٢٩ ، و الميزان ١٨: ٢٠٥ .

يقرّوا بالقياس لها [١]. ونُقل عن المبرّد أنّه أجاز ذلك على الإطلاق ، وقيل إنّه قصره على المصدر إذا كان من نوع الفعل ، فيجوز عنده : جئته مشياً ، ولا يجوز جئته إعطاءً ، لأنّ المشي من حالات المجيء ، والإعطاء ليس من المجيء [٢].

ومن النحاة من أقرّ بوصفيّة المصدر ، فابن يعيش يصرّح بوصفية المصادر كما يوصف بالمشتقات ، فقال : رجلٌ فضلٌ ورجلٌ عدلٌ ، كما يقال : رجل فاضل ورجل عادل[٣] ، وذهب ابن مالك والأشموني هذا المذهب[٤]، وذهب إلى ذلك من المحدثين الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، فهو يرى أنّ الوصف بالمصدر أمرٌ مطّردٌ يصحّ أن ينتهج سبيله وليس بمقصور على السماع[٥] ، ووافق أستاذنا الدكتور فاخر الياسري ذلك ، اعتماداً على كثرة وروده في الاستعمال القرآني والمأثور العربي [٦].

وقد استعملت العرب المصادر وأوقعتها موقع الحال في الجملة العربية ، ولعلّ ذلك الاستعمال يكسبها دلالة ما ، وكان هذا الاستعمال واضحا وجلياً في القرآن الكريم ، إذ جاءت المصادر أحولاً في الاستعمال القرآني ، ولم يكن ذلك المجيء اعتباطياً ، بل كانت له دلالته المميزة وتعبيره الخاص ، إذ إنّ اللمحة البيانية المستوحاة من ذلك هي المبالغة والقوّة في التعبير ، إذ إنّ الوصف بالمصدر المجرّد من الذات والمقتصر على الحدث أكثر مبالغة وقوة في المعنى من الوصف الذي يدل على الحدث مقرونا بالذات الفاعلة ، إذ لو قلت : أقبل أخوك سعياً ، فكأنّ المعنى : أن أخاك تحوّل إلى حدث ، أي (سعي) مجرد من الذات الفاعلة ، وفي ذلك التعبير مبالغة في الحالة وقوة في المعنى أكثر مما لو جاء مع الذات الفاعلة ، فضلا عن التوسّع في المعنى ، إذ إنه لو عبّرت بالوصف فقد أردت معنى واحدا ، ولكن إذا عبّرت بالمصدر اتسع المعنى وكسب أكثر من غرض وقصد كالمفعولية المطلقة [٧]، فـ" طوعا وكرها مصدران في موضع الحال ، أي طائعين وكارهين" [٨]، فكأنّ الطوع والكراهة تلبست في صاحبها حتى صارت هي هو أو جزءاً منه .

اسم الفاعل :

يأتي لفظ (كارهون) ليدلّ على معنى القسر والإجبار في قوله تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ التوبة:٥٤ ، فأتى لفظ (كارهون) بصيغة اسم الفاعل ليدل على حمل المنافقين على الإنفاق ، أي أنّ الكره واقع عليهم وهم مُجبرون عليه ،

---

١ - ينظر : الكتاب ١ : ٣٧٠ .
٢ - ينظر : المقتضب ٣ : ٢٣٨ ، وهمع الهوامع ١ : ٢٣٨ .
٣ - ينظر : شرح المفصل ٣ : ٥٠ .
٤ - ينظر : شرح ابن عقيل ٢ : ٢٠٠ ، وشرح الأشموني ٢ : ٣٩٧ .
٥ - ينظر : الوصف بالمصدر للدكتور أحمد عبد الستار الجواري (مقال منشور في مجلة المجمع العراقي لسنة ١٩٧٤) ، مجلد (٣٥) ، ج٤:١ .
٦ - ينظر : بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي ٧٠ - ٧٤ .
٧ - ينظر : معاني النحو ٢: ٢٤٨ – ٢٥٠ ، وبحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ٧١ .
٨ - التبيان للعكبري ١:٨ ، وينظر : الكشاف ٤: ٣٠٦ .

والمعنى : لا يُعطون المال إلاّ في حال كراهيتهم للإعطاء ، لأنّهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون بتركها عقاباً ، فهم يعطون ذلك رياءً ، وذكر الكراهية في الإنفاق لإظهار عدم الإخلاص في هذه الخصلة المتحدّث عنها[١] .

والحقيقة أنّ لفظة (كارهون) حملت معنى عدم الرضا والرغبة في الإنفاق في سبيل الله ، وحملت معنى الإكراه والإلزام في الإنفاق ، أي أنّهم كانوا لا يُحبّون إنفاقهم المال فضلاً عن أنّهم كانوا مُجبرين على ذلك لكونهم منافقين ، فكانوا ينفقون الأموال كارهين مُكرهين ، وهذه الدلالة المزدوجة تُبيّن دقّة التعبير القرآني وقوّته ، في بيان طبيعة المنافقين وحالهم[٢] .

والحقيقة أنّ هناك ترابطاً في سياق الآيات لتدلّ على هذا المعنى إذ إنّ الملاحظ أنّ الآية الثالثة والخمسين من سورة التوبة تقول : (أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ) أي أنّها ذكرت الطوع والكره ، مع أنّ الآية التالية لها ذكرت الكره صراحة : (وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ) ، ذلك لأنّ بداية الآية الأولى في صورة القضيّة الشرطيّة ، أي لو أنفقتم طوعا أو كرها فعلى أيّ حال لن تتقبّل منكم ، والمعروف أنّ القضيّة الشرطيّة لا تدلّ على وجوب الشرط ، أي على فرض أن ينفقوا طوعا واختياراً فإنفاقهم لا فائدة فيه ؛ لأنّهم غير مؤمنين ، إلاّ أنّ آخر الآية الأُخرى بيان قضيّة خارجيّة وهي أنّهم ينفقون عن إكراه دائماً ، وأنّ إنفاقهم طوعاً كان عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار [٣].

ويأتي لفظ الكره على صيغة اسم الفاعل ليدلّ على خلاف المحبّة والرغبة والرضا والإرادة في قوله تعالى ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ الأعراف :٨٨ ، للدلالة على معنى هو ضدّ المحبّة أو عدم الرضا والرغبة في الشيء ، فضلاً عن معنى القسر والإجبار الذي يفهم من سياق الآية ، فالمعنى الأوّل يتبيّن لنا من قول نبيّ الله شُعيب (عليه السلام) لقومه : وهل في إمكانكم أن تعيدونا إلى دينكم إذا لم نكن راغبين في ذلك ، أي إنّا مع كراهتنا لذلك لما عرفناه من بطلانه لا نرجع[٤]، أمّا المعنى الآخر وهو القسر والإجبار فقد ذكره كثير من المفسرين ، والتقدير : أتجبروننا على العودة في ملّتكم حتى ولو كنّا كارهين لها لاعتقادنا أنّها باطلة وقبيحة ومُنافية للعقول السليمة والأخلاق المستقيمة ، لا لن نعود إليها بأي حال من الأحوال ، إذ إنّ الدخول في العقائد اختياري محض ولا ينفع فيه الإجبار والإكراه[٥]، أي أنّكم لا تقدرون على ردّنا إلى دينكم على كره منّا ، فعلى هذا تكون كارهين بمعنى مكرهين [٦].

وجاء هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ الأنفال:٥ ، يقول الحقّ جلّ جلاله لنبيّه (صلى الله عليه وآله وسلّم) : قد كره أصحابك قسمتك للأنفال كما كرهوا إخراجك من بيتك لقتال العدوّ ، والحال أنّ فريقاً منهم كارهون خروجك ، وتلك الكراهية من قِبل النفس وطبع البشريّة ، لا

---

١ - ينظر : التحرير والتنوير ١٠: ٢٢٧ .
٢ - ينظر : في ظلال القرآن ٣: ١٦٦٥.
٣ - ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١: ٥٠١ ، و الأمثل ٦ : ٨٣ .
٤ - ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ٣٨٩ ، والكشّاف ٢: ١٢٣ ، والأمثل ٥ : ١١٦.
٥ - ينظر : في ظلال القرآن ٣: ١٣٣١ .
٦ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٤: ٤٦٦ .

من قِبَل الإنكار في قلوبهم لأمر الله ورسوله ، فإنّهم راضون مستسلمون ، غير أنّ الطبع لا يرضاه [1]، وعدَّ "رضاهم ورغبتهم هذه ناتجة إمّا لنفرة الطبع عن القتال أو لعدم الاستعداد" [2].

والحقيقة أنّ قوله (وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) يحتمل الكراهة للأمرين معاً ، أي أنّهم كرهوا القتال كراهة مشقّة ، كما أنّهم كرهوا توزيع الأنفال ، أو أنّهم كرهوا توزيع الأنفال كما كرهوا الخروج للقتال ، لأنّ سياق الآية يتحدّث عن الأنفال ، والآية تُبيّن ضعف الإنسان في رغبته في كل ما لا كلفة فيه ولا مشقّة .

ويأتي السياق في سورة التوبة ليُبيّن أن عدم رضا الكفار وعدم محبّتهم ورغبتهم في ظهور أمر الله وهو الإسلام جاء بصيغة اسم الفاعل (كارهون) في قوله تعالى ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ التوبة : ٤٨ ، أي إنّهم غير راضين بغلبة المسلمين وظهور دينهم فقد ابتغى هؤلاء المنافقون إيقاع الشرور والمفاسد في صفوف المسلمين ، حتى جاء النصر الذي وعد الله عباده به وظهر دينه وشرعه ، والمنافقون كارهون لذلك ، لأنّهم يكرهون انتصار دين الإسلام ، ويحبون هزيمته وخذلاته ، ولكنّ الله تعالى خيّب أملهم وأحبط مكرهم [3]. وقيل إنّ معنى (كارهين) هنا مُكرهين على رغم أنفهم ، أي حتى أخزاهم الله بإظهار الحقّ ، وإعزاز الدين على كُرْهٍ منهم ، أي مُرغمين ، وقد وُصف حالهم بصيغة اسم الفاعل الدالّة على الثبوت والدوام ، أي أنّ كراهتهم ثابتة ودائمة فيهم[4] .

وتأتي لفظة الإكراه بصيغة اسم الفاعل لتدلّ على معنى هو مُضاد لمعناها اللغوي وهو خلاف المحبّة والرغبة والرضا والإرادة في قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ المؤمنون : ٧٠ ، أي أكثر المشركين من قريش لا يريدون الحق ، فتأنف طباعهم الحقّ وهو القرآن الذي يُخالف هواهم ورغباتهم لما تخلّقوا به من فساد الاعتقاد وما يتبعه من الأعمال، إمّا عناداً وإمّا جهلاً وتقليداً ، فلا شكّ في أنّ جنس الحقّ يُجافي هذه الطباع[5]، وورد أنّ الإكراه في الآية جاء بمعنى الإعراض ، " إذ الكره للحقّ ، إعراض عنه " [6]، كما أنّه حمل معنى الجحد ، والمعنى "أنّ الكفّار جاحدون مكذبون" [7].

وإنّما أُسندت كراهية الطباع إلى أكثرهم من دون جميعهم إنصافاً لمن كان منهم ممن علموا بطلان الشرك وكانوا يجنحون إلى الحقّ [8]، أو أنّ "أقلّهم كانوا مستضعفين لا يُعبأ بهم أرادوا أو كرهوا" [9]، وهذا الأمر يشمل ما جاء في سياق الآخرة في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ الزخرف :٧٨ ، أي نفرتهم عن نبيّ الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) والقرآن وشدّة بغضهم لقبول الدين الحق ، فهم لا يقبلونه وينفرون ويشمئزون منه ، والمُراد بكراهتهم الحق كراهة بحسب الطبع المكتسب للمعاصي والذنوب لا بحسب الفطرة التي

---

١ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٥: ٨٧ ، والميزان ٩: ١٣ .
٢ - إرشاد العقل السليم ٤: ٥ .
٣ - ينظر : مفاتيح الغيب ١٦: ٧٢ .
٤ - ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣: ٨٣ ، وإرشاد العقل السليم ٤: ٢٦ ، وروح المعاني ١٠: ٣٦٤ .
٥ - ينظر : نظم الدرر ٥: ١٦٥ .
٦ - لمسات بيانية : ١٢٧ .
٧ - بحر العلوم ١٤: ٤٨١ .
٨ - ينظر : الكشّاف ٣: ١٩٨ .
٩ - الميزان ١٥: ٤٥ .

فطر الناس عليها[١]، وهذه الكراهة هي " التي كانت تحول بينهم وبين اتّباعه ، لا عدم إدراك أنّه الحقّ ، ولا الشكّ في صدق الرسول الكريم ، فما عهدوا عليه كذباً قط"[٢].

وجاء الكره ليحمل في سياقه ضمناً معنى الإنكار والنفور بصيغة اسم الفاعل الدال على الثبوت والدوام في قوله تعالى ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ هود:٢٨ ، الإلزام جعل الشيء مع الشيء بحيث لا يفارقه ولا ينفكّ عنه ، والمراد بإلزامكم الرحمة إجبارهم على الإيمان بالله وآياته والمعنى : إذا كانت الهداية إلى الخير التي جئتكم بها قد خفيت عليكم مع وضوحها وجلائها ، فهل أستطيع أنا وأتباعي أن نجبركم إجباراً ، ونقسركم قسراً على الإيمان بي والتصديق بنبوّتي ، والحال أنّكم كارهون لها نافرون منها جاحدون بها ، لا تؤمنون بي طغياناً واستكباراً ، كلا إنّنا لا نستطيع ذلك لأنّ الإيمان الصادق يكون عن اقتناع واختيار لا عن إكراه وإجبار ، أي إنّ إنكاركم يكون موجباً لعدم انقيادكم للحقّ الذي تزعمون أنّه باطل ، فإذا وصلت الحال إلى هذه الغاية فلا نقدر على إكراهكم على ما أمر الله ، ولا إلزامكم ما نفرتم عنه[٣] .

ولعلّ تسميته لها بالبيّنة إشارة إلى أنّها لم تعمّ ولا خفيت عليهم لقوّة نورها وشدّة ظهورها ، وإنّما هم مُعاندون في نفيهم لفضله وفضل من تبعه ، والتعبير عن ذلك "بالجملة الاسمية واسم الفاعل إشارة إلى أنّ أفعالهم أفعال من كراهته لها ثابتة مستحكمة" [٤] .

وذكر ابن عاشور أنّ الكره هنا هو البغض ، أي وأنتم مبغضون قبولها لأجل إعراضكم عن التدبّر فيها ، ولعلّ هذا البغض هو الذي ولّد الإنكار لرسالة نوح (عليه السلام) ، إذ إنّ رفضها وإنكارها لم يكن عن طريق المحاججة والدليل أو حتى الرفض لأجل المعاندة ، وإنّما ناتج عن بغضاء وكراهة شديدة ملأت قلوبهم واستحكمت عقولهم وأحاطت وجدانهم فكان الإنكار[٥].

اسم المفعول :

وجاء المعنى هنا خلاف المحبّة والرغبة والرضا على صيغة اسم المفعول في قوله تعالى ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ الإسراء:٣٨، أي " كلّ ما تقدّم ذكره ممّا نهى الله سبحانه عنه كانت معصيته له سبحانه يكرهها ولا يريدها ولا يرضاها"[٦]، فالمكروه هنا هو المُبغَض غير المرضيّ أو غير المُراد فلا يُحبّه الله ولا يرضاه ، ووُصِفت هذه بالكراهة للإيذان بأنّ مجرد الكراهة عند الله تعالى كافية في وجوب الانتهاء عنها [٧]، وإنّ هذه الآية هي تعقيب للجمل المتقدمة ابتداءً من قوله تعالى ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ

---

١ - ينظر : الكشّاف ٤: ٢٦٧ ، مفاتيح الغيب ٢٣: ١٠٠ ، والميزان ١٨ : ١٢٥ .
٢ - في ظلال القرآن ٥: ٣٢٠٢ .
٣ - ينظر : الميزان ١٠: ١٩٧ ، و تيسير الكريم المنّان : ٣١٨ ، وبحر العلوم ٩: ٩٦ .
٤ - نظم الدرر ٣: ٥٢٣ .
٥ - ينظر : التحرير والتنوير ١٢: ٥١ .
٦ - مجمع البيان ٦: ٢٨٦ ، وينظر : الميزان ١٣: ٩٥ .
٧ - ينظر : تفسير القرآن العظيم ٣: ١٧٢٣ ، وإرشاد العقل السليم ٥: ١٧٢ ، وفتح القدير ١: ٢٦٤ .

عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ الإسراء:٢٣، بوصفها مشتملة على التحذيرات والنواهي ، فكل جملة فيها أمر هي مقتضية نهياً عن ضده ، وكل جملة فيها نهي هي مقتضية شيئاً منهياً عنه ، فالذي وُصف بالسيئة وبأنّه مكروه لا يكون إلاّ منهياً عنه أو مأمور بضده إذ لا يكون المأمور به مكروها للآمر به [١].

والسيئة صفة مشبّهة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والأثم ، فزال عنها حكم الصفات كما يراها الزمخشري وغيره ، لذلك وصف بـ(مكروهاً) ، فلا اعتبار لتأنيثه ، ولا فرق بين من قرأ سيئاً وسيئة ، ألا تراك تقول : الزنا سيئة والسرقة سيئة ، فلا فرق بين إسنادها إلى مذكر ومؤنث [٢].

وقوله (عند ربّك) متعلّق بـ(مكروها) أي هو مذموم عند الله ، وقوله (عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) جاء تشنيعاً للحالة ، أي مكروها فعله من فاعله ، وفيه تعريض بأنّ فاعله مكروه عند الله[٣].

وممّا سبق يُستدل على أنّ القرآن الكريم بيّن بإيجازه وبلاغته العمق النفسي لدلالة الكراهية ، وأنّ الكره والكراهية انفعال متأصّل في النفس الإنسانية ، وغالباً ما يكون سلبياً ، وقد يكون إيجابياً وهو من الله تعالى كما في قوله تعالى **﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ الحجرات : ٧.**

٢- (بغض)

(بغض) في المفهوم اللغوي :-

البُغضُ : بالضم ضدّ الحبّ ، وبغّضهُ الله إلى الناس تبغيضاً فأبغضوه ، أي مقتوه ، فهو مُبغَض ، والبغضاءُ : شدّة البُغض ، وكذلك البِغْضَةُ بالكسر[٤]، والتبغيضُ والتباغضُ والتبغُّضُ : ضدّ التحبيب والتحابُ والتحبُّب [٥]، ويقال : تشاجر القوم : تباغضوا وتعادوا [٦]، والبغضُ ضدّ الحبّ يلزمه العداوة في الأكثر[٧]، وبغض الشيء بغضاً

---

١ - ينظر : التحرير والتنوير ١٤: ١٠٤ .
٢ - ينظر : الكشاف ٢ : ٦٦٨ ، والبحر المحيط ٦ : ٣٨ ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ق٢ج٤ ، ٧: ٤١ ، ٦٢ ، وق٣ج١ ، ٨:٢٧٢ .
٣ - ينظر : التحرير والتنوير ١٤: ١٠٥ .
٤ - العين ٤: ٣٦٩(بغض) ، وتهذيب اللغة ٣:٤٩ (بغض)، والصحاح في اللغة ١ : ٤٨ (بغض).
٥ - القاموس المحيط ٢: ١٨٢، ٨٢٢ (بغض)، ولسان العرب ٧: ١٢١(بغض) .
٦ - المخصص ٣: ١٨٩ ، وينظر : جواهر الألفاظ : ٣٠ .
٧ - تاج العروس ١: ٤٥٧٨ (بغض).

صار ممقوتاً مكروها ، وأبغضه : مقته وكرهه[1]، وذكر الراغب " أنّ البغض هو نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه ، وهو ضدّ الحبّ فإنّه انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه " [2].

(بغض) في الاستعمال القرآني :

استعملت مفردة (البغض) في القرآن الكريم في خمسة مواضع ، جاءت كُلُّها علــى صيغة (بغضاء) الدالة على المصدر ، لتدلّ على البغض الشديد والنفور عن الشيء ، زيادة على مفهوم العداوة الذي تضمّنته هذه المفردة في سياقاتها ، ومنها ما جاء في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ آل عمران : ١١٨، والبغضاء مصدر كالسرّاء والضرّاء ، وهي البغض الشديد المتمكّن في النفوس ، والثابت في القلوب ، أي قد ظهرت أمارات العداوة لكم من فلتات ألسنتهم ، وطفح البغض الباطن في قلوبهم لكم حتى خرج من أفواههم ، ولاح على صفحات وجوههم ، ومـا تخفي صدورهم من العداوة أكثـر ممّا أظهروا بأفواههم [3]، وذكر الأفواه من دون الألسنة إشارة إلى تشدّقهم وثرثرتهم في أقوالهم[4] .

وذُكِرَ إغراء العداوة والبغضاء في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ المائدة : ١٤ ، أي : ألصقنا بهم ذلك ، وهم اليهود والنصارى ، وقيل في النصارى خصوصاً ، فقد أُغريت بينهم العداوة والبغضاء ، مجازاة على كفرهم ، فافترقوا فرقا عديدة ، وكل فرقة تُعادي الأخرى[5]، وأغرينا أي فألصقنا وألزمنا ، وأصل الإغراء تسليط بعضهم على بعض [6]، وهذه الملازمة دلالة على العقاب الذي فرضه الله تعالى عليهم ، وقيل إنّ حقيقة الإغراء هو حَثّ أحدٍ على فعلٍ وتحسينُه إليه حتّى لا يتوانى في تحصيله ، فاستعير الإغراء لتمكين ملازمة العداوة والبغضاء في نفوسهم واستمرارها[7].

ويُلحظُ أنّ لـفظة (العداوة) المُشتقّة مــن المصدر (عدوّ) هــي بمعنى التجاوز والانتهاك ، أمّـا لــفظة (البغضاء) المُشتقّة من المصدر (بُغْض) فهي تعني النفور والاستياء الشديدين من شيء معين ، إذ إنّ الفرق بين اللفظتين هو أنّ للفظة (بغض) مفهوماً وجدانيّاً أكثر ممّا هو عمليّ ، وإنّ في لفظة (العداوة) مفهوماً عمليّاً ، وبذلك فقد اجتمع الجانب العمليّ والوجداني ، وقد يكون للفظة (البغضاء) مفهومٌ أشمل يستوعب العمليّ منها والوجداني[8]، ولعلّنا نلمح من إرداف العداوة بالبغضاء طابع الاستمرار في العداء بينهم ، إذ إنّ بغضاء القلوب لا تبعث على الصلح فيما بينهم .

---

١ - المعجم الوسيط ١: ١٣٥ (بغض)، وينظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ٥٦ ، ومعجم المترادفات والأضداد : ١٣٠ .
٢ - مفردات ألفاظ القرآن : ١٣٦ .
٣ - ينظر : مجمع البيان ٢: ٤٥٠ ، و الميزان ٣: ٤٤١ .
٤ - ينظر : المحرر والوجيز ١: ٤٩٦ ، والبحر المحيط ٣: ٣١٧ .
٥ - ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ٢٧٧ .
٦- ينظر : معاني القرآن للزجاج ٢ : ١٧٦ ، الكشاف ١ : ٦٥١ ، والتبيان في تفسير القرآن ٣: ٤٧٣ .
٧ - ينظر : التحرير والتنوير ٦: ١٤٧ .
٨ - ينظر : الأمثل ٣ : ٣٩٠ ، ومن أسرار البيان القرآني : ١٧ .

وورد إلقاء العداوة والبغضاء في قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ المائدة : ٦٤، أي "جعل بأسهم بينهم ، فهم متباغضون غير متفقين ، فهم أبغض خلق الله إلى الناس ، وهم اليهود والنصارى" [١]، وتُشير الآية إلى دلالة العقاب الذي ألقاه الله تعالى على هؤلاء ، إذ إنّ الله تعالى عاقبهم في الدنيا على بغضهم المسلمين بأن ألقى العداوة والبغضاء بينهم [٢] .

ولمّا كان الإخبار باجتماع كلمتهم على شقاوة الكفر ربّما يُحدثُ خوفاً من كيدهم ، نفى ذلك بقوله (وألقينا) على اليهود بما لنا من العظمة الباهرة (العداوة) ، ولمّا كانت العداوة تزول بزوال السبب ، أفاد أنّها لازمة لا تنفكّ عنهم بقوله (البغضاء) أي الأمور الباطنة وقعت في قلوبهم وقوع الحجر المُلقى من علوٍ إلى يوم القيامة[٣].

وقيل إنّ العداوة والبغضاء اسمان لمعنى واحد ، وقيل إنّ معناهما مختلف ، فالعداوة معناها المناوأة الظاهرة ، والبغضاء هي الكراهية التي تكون في القلب ، فهما معنيان متغايران وإن كانا متلازمين ، فلا عداوة من غير بغضاء ، وقد يفترقان فتوجد البغضاء من غير إعلان العداوة [٤]، قال أبو حيّان : " العداوة أخصُّ من البغضاء ؛ لأنّ كلّ عدوّ مبغض وقد يُبغض من ليس بعدوّ" [٥].

وفي سياق آخر يأتي الحديث عن الخمر والميسر وتحريمهما لكونهما أداتين للشيطان ليوقع بهما العداوة والبغضاء بين الناس في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ المائدة : ٩٠-٩١، فبعد أن أمر الله تعالى باجتناب الخمر والميسر ذكر أنّ فيهما مفسدتين يحبّهما الشيطان ، إحداهما دنيويّة وهي إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس ، وقصر إيقاع العداوة والبغضاء في الخمر والميسر لكونهما من آثارهما الظاهرة ، والثانية دينيّة هي الصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة ، ولمّا كانت العداوة قد تزول أسبابها ، ذكر ما ينشأ عنها ممّا إذا استحكم تعسّر أو تعذّر زواله ، فقال (والبغضاء في الخمر والميسر) أي تعاطيهما ؛ لأنّ الخمر تزيل العقل ، فيزول المانع من إظهار الكامن من الضغائن والمحاسد ، فربّما إدّى ذلك إلى منازعات طويلة[٦] .

وتظهر العداوة والبغضاء أبداً بين الناس إذا خالفوا أمر نبيّهم ما لم يعدلوا عن غيّهم في قوله تعالى ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ

١ - معاني القرآن – النحاس ١ : ٢٩٦ .
٢ - ينظر : التحرير والتنوير ٦: ٢٥١ ، ومتشابه القرآن ١ : ٦٤ .
٣ - ينظر : نظم الدرر ٢: ٤٩٩ .
٤ - ينظر : التفسير الوسيط ٥: ٩١ .
٥ - البحر المحيط ٤: ٣١٧ .
٦ - ينظر : الميزان ٦: ١٢١ - ١٢٢ ، ونظم الدرر ٢: ٥٣٧ .

مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ الممتحنة : ٤، العداوة : المعاملة بالسوء والاعتداء ، والبغضاء : نفرة النفس والكراهية ، كما مرّ ذكره ، وقد تطلق إحداهما في موضع الأخرى إذا افترقتا ، فذكرهما معاً هنا مقصود به حصول الحالتين في أنفسهم ، حالة المعاملة بالعدوان ، وحالة النفرة والكراهية التي تفيد التأييد والاستمرار ، أي نُسِيءُ معاملتكم ونُظهر لكم الكراهية حتى تؤمنوا بالله وحده من دون إشراك ، إذ إنّهم كاشفوا قومهم بالعداوة ، وأظهروا لهم البغضاء والمقت ، وصرّحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم ليس إلاّ كفرهم بالله ، وما دام هذا السبب قائماً كانت العداوة والبغضاء قائمة ، حتى إذا أزالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة ، والبغضة محبّة والمقت مقة ، فأفصحوا عن محض الإخلاص[١] .

والملاحظ من سياق العبارات القرآنية أن البغضاء هي شدّة البغض ، وهي ضدّ الحبّ ، وهي سجية أو خصلة مذمومة تصيب الكافرين ، فتسبب نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه ، وقد تكون عقابا يلقيه الله تعالى بين المشركين والمنافقين ، وقد تكون شراً يريد الشيطان أن يوقعه بين المسلمين ، لذلك كله تناسب عطف البغضاء على العداوة ، لتناسق دلالتيهما في سياق العبارة القرآنية [٢].

وممّا يُلحظُ أيضاً أنّ هذه اللفظة جاءت في سياقات مختلفة ، فقد جاءت في سياق التنبيه إذا سُبقت بالفعل(بدا) أو الفعل (يوقع) ، وفي سياق العقاب إذا سُبقت بالفعل (ألقينا) أو الفعل (أغرينا) ، أي أنّ ذلك فعل الله تعالى بهم وعقابه لهم على ما أقدموا عليه من الطغيان والكفر ونقض العهود .

ونلحظ أنّ لفظة (البغضاء) أشدّ وأقوى في التعبير عن المعنى من لفظة (البغض) ، ولذلك قالوا إن البغضاء هي شدّة البغض ، والسؤال هنا من أين أتت هذا القوة والشدة ؟ والمعروف أنّ الزيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى ، ولعل زيادة ألف المد مع الهمزة هي أعطت المعنى هذه القوّة ، " لما في الهمزة من الجهد الذي يبذله لسان المزمار في انتحباسه ثمّ انفراجه ثمّ انتاجه "[٣] .

٣- (مقت)

(مقت) في المفهوم اللغويّ :-

قال ابن فارس : الميم والقاف والتاء كلمة واحدة تدلّ على شناءةٍ وقبحٍ [٤]، ويقال : مقته مقتاً : أبغضه ، فهو مَقيت وممقوت ، والمقتُ بغضٌ شديدٌ ناشئٌ عن فعل قبيح [٥]، وتمقّت إليه نقيض تحبّب [٦].

---

١ - ينظر : الكشّاف٤: ٥١٣ ، والتحرير والتنوير ٢٨: ١٤٤ ـ ١٤٥ .
٢ - ينظر : ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم : ٤٢ ، ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ١٢٤ ، والقاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ٥٦ .
٣ - الأصوات اللغوية : ٧٢ ، وينظر : مفهوم القوّة والضعف في أصوات العربية : ٥٧ .
٤ - مقاييس اللغة ٥: ٢٧٣(مقت) .
٥ - العين ٥ : ١٣٢ (مقت)، والمحيط في اللغة ١: ٤٦٧ (مقت)، واللسان ١٣: ١٥٣(مقت) ، والتعاريف ١: ٦٧٠ ، ومفردات ألفاظ القرآن :٧٧٢ .
٦ - تاج العروس ١: ١١٧٦ (مقت).

(مقت) في الاستعمال القرآنيّ :

جاءت لفظة (مقت) في القرآن ست مرات على الصورة الاسميّة فقط بصيغة المصدر ليدلّ على البغض الشديد والكراهة [١]، ومن دلالتها على البغض والكراهة الشديدين الناشئين عن الأفعال القبيحة كجحد الكفار وحدانيّة الله تعالى وإنكار نبوّة نبيّنا (صلى الله عليه وآله وسلّم) ما جاء في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾ فاطر : ٣٩ ، المقت : مصدر بمعنى البغض والكراهية ، والمعنى : لا يزيدهم كفرهم بالله عند الله إلا أشد البغض لأنّ المقت أشد البغض ولا يزيدهم إلا خسارا ، لأنّهم يخسرون الجنّة [٢]، وإنما قُيد المقت بقوله :(عند ربهم) دون الخسار ، "لأنّ الخسار من تبعات تبديل الإيمان كفراً والسعادة شقاء وهو أمر عند أنفسهم ، وأما المقت وشدّة البغض فمن عند الله سبحانه ، ومقت الله يدلّ على إمساك لطفه عنهم وجزاؤهم بأشد العقاب " [٣].

وقيل إنّ معنى (المقت) أشد الاحتقار والبغض والغضب ، واحتقارك الإنسان من أجل معصيته أو ذنبه الذي يأتيه فإذا احتقرت تعسفاً منك فلا يسمى ذلك مقتاً ، ويكون معنى الآية عندها : لا يزيدهم إلا بغضاً شديداً من ربهم لهم ، واحتقاراً لحالهم وغضباً عليهم[٤]، ولعلّ استعمال صيغة المصدر لوصف الكفر بالمقت يدلّ على المبالغة في البغض والكراهة ، حتى كأنه لفرط قبحه هو المقت عينه ، كما يقال : زيدٌ عدْلٌ كأنّه لكثرة عدله جُعلَ نفس العدل [٥].

ويأتي المقت للدلالة على بغض الكافرين الشديد لأنفسهم بعد رؤية حقيقة عذاب الآخرة ، وإنّ بغض الله تعالى لهم أشدّ وأكبر من بغضهم لأنفسهم فيما كانوا عليه من الكفر ، وذلك في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ غافر : ١٠، والمعنى أنهم يُعطَون كتابهم ، فإذا نظروا في سيئاتهم ، مقتوا أنفسهم ، فيُنادَون : لمقت الله إياكم في الدنيا أشدّ وأعظم من مقتكم لأنفسكم مهما بلغ مقتكم لها وكراهيتكم لها اليوم ، بعد معاينة النار ، وقوله (أكبر) بمعنى أشدّ وأخطر أثراً ، فإطلاق الكِبَر على (المقت) مجاز ؛ لأنّ الكبر من أوصاف الأجسام لكنّه شاع إطلاقه على القوة في المعاني [٦] . وممّا يزيد تأكيد وتحقق شدّة بغض الله تعالى للكافرين وعظمته دخول اللام عليه ، فقد أفادت لام الابتداء تحقيق وتأكيد أنّ مقت الله لكم ولفعلكم أكبر من مقتكم أنفسكم لها[٧].

والحقيقة أنّ "مقت الله إيّاهم مجاز أطلق على المعاملة بآثار البغض من التحقير والعقاب فهو أقرب إلى حقيقة البغض ، لأنّ المراد به أثره وهو المعاملة بالنكال ، وهذا الخبر مستعمل في التوبيخ والتنديم"[٨] .

---

١ - ينظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ٥٠٢ .
٢ - ينظر : الكشّاف ٣: ٦٢٦ ، والتبيان في تفسير القرآن ٨ : ٤٣٥.
٣ - الميزان ١٧: ٥٣ ، ويُنظر : التحرير والتنوير ٢٢: ٣٢٣.
٤ - ينظر : مفاتيح الغيب ٢٦: ٢٩ ، والمحرر الوجيز ٤: ٤٤٢ .
٥ - ينظر : بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي : ٧٤ ، ومعجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ٤: ٢٥٩ .
٦ - ينظر : معاني القرآن – النحاس ٢ : ١٠٩٣ ، والخصائص ٢ : ٤٥٩ ، والكشّاف ٤: ١٥٨ .
٧ - ينظر : البحر المحيط ٧ : ٤٥٢ .
٨ - التحرير والتنوير ٢٤: ٩٥ .

وجاء جدال الكافرين في آيات الله تعالى ليكون مبغوضاً أشدّ البغض عند الله وعند الذين آمنوا في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ غافر : ٣٥ ، فالبغض هذا ناشئ عن فعلهم القبيح وهو الجدال ، والمجادلة : تكرير الاحتجاج ، ومن المجادلة في آيات الله المحاجّة لإبطال دلالتها ، ومعنى الآية : الذين يجادلون في آيات الله الدالة على وحدانيته وعلى صدق أنبيائه ، هؤلاء الذين يفعلون ذلك ، كبر بغضاً جدالهم وعظم عند الله تعالى وعند الذين آمنوا [١].

ومجيء (المقت) تمييزاً للكُبْر للدلالة على عِظَم فعلهم الذي يبغضه الله تعالى والمؤمنون ، والتقدير : كبر مَقْتُ جدالهم ، وإنّ الكِبَر مستعار للشدة ، أي مُقِت جدالُهم مَقْتاً شديداً . وجاء المقت الذي هو شدة البغض كناية عن شدة العقاب على ذلك من الله . وكونه مَقتاً عند الله تشنيع لهم وتفظيع ، أمّا اختيار الفعل المضارع (يجادلون) فهو لإفادة تجدد مجادلتهم وتكررها وأنهم لا ينفكون عنها . وهذا صريح في ذمهم وكنايةٌ عن ذم جدالهم الذي أوجب ضلالهم [٢].

وجاءت لفظة (المقت) للدلالة على البغض الشديد في من يقول ما لا يفعل في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف :٢- ٣، المقت البغض الشديد من أجل ذنب أو ريبة أو دناءة يصنعها الممقوت ، وقد نزلت في المنافقين ، ونداؤهم بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم ، وفيه تعريض بهم إذ يظهرون الإيمان بأقوالهم وهم لا يعملون أعمال أهل الإيمان بالقلب ولا بالجسد ، وقصد في (كَبُرَ) التعجب من غير لفظه ، أي كبر ذلك الجدل مقتاً ، ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين ؛ لأنّ التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله ، وقوله (كَبُرَ) بمعنى عظم ، لأنّ الشيء الكبير لا يوصف بهذا الوصف ، إلا إذا كان فيه كثرة وشدة في نوعه ، ونصب (مَقْتاً) على التمييز دلالة على أنّ قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه ، لفرط تمكن المقت منه ، واختير لفظ المقت لأنّه أشد البغض وأبلغه ، ولم يقتصر على أنّ جعل البغض كبيراً ، حتى جعل أشدّه وأفحشه ، وقد زاد المقصود اهتماماً بأنّ وصف المقت بأنّه عند الله ، أي مقتٌ لا تسامح فيه ، وللإشعار بشناعة هذا البغض من الله تعالى لهم ، بسبب مخالفة قولهم فعلهم [٣].

وتتبين دلالة المقت من خلال بيان شكل الصيغة التي سبقتها وهي (كبر) ، فضلا عن ارتباطها بما قبلها وبما بعدها ، فقد ورد أنّ (كَبِر) بكسر الباء تختصّ بالكبر المادي ، فنقول : (كَبِر الرجلُ) ، وأنّ (كَبُر) بضم الباء تختصّ بالكبر المعنوي ، فنقول : (كَبُرَ الأمرُ) ، وبهذا يكون التعبير القرآني خبرياً .

وقد احتمل هذا التعبير عدّة دلالات ، اعتماداً على دلالة لفظة (كبر) ، ومن هذه الدلالات دلالة التعجب المستفادة من تحوّل الفعل إلى صيغة (فَعُل) بضم العين ، وتقدير الكلام : ما أكبره مقتاً ، قال الزمخشري " قُصد

---

١ - ينظر : الكشّاف ٤: ١٧١ ، والتحرير والتنوير ٢٤: ١٤٣ ، و مجمع البيان ٨: ٤٨٤ ، والأمثل ١٥ :١٦٩ .
٢ - ينظر : التحرير والتنوير ٢٤: ١٤٣ .
٣ - ينظر : معاني القرآن – الفراء ٣ : ٨ ، و الكشاف ٤: ٥٢٣ ، والبحر المحيط ١٠ : ١٦٤ ، والتحرير والتنوير ٢٨: ١٧٥ - ١٧٦ ، وروح المعاني ٢٧: ٩٩ - ١٠٠ .

في (كبر) التعجب من غير لفظه ، ... ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين ، لأنّ التعجب لا يكون إلاّ من شيء خارج عن نظائره وأشكاله ، وأسند إلى (أن تقولوا) ونصب (مقتاً) على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه ، وأختير لفظ المقت ، لأنه أشد البغض وأبلغه ، ... ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيراً حتى جعل أشدّه وأفحشه" [1]. ومنها دلالة الذمّ المستفادة من تحول الفعل إلى (فَعُل) الدال على المدح والذمّ ، أي أنّ الفعل يحول إلى باب المدح والذم ، فإذا أُريد به (نعم أو بئس) جيء به على (فعُل) بضم العين ، ومثال ذلك (عَظُم ، وبَخُل ، ...)[2] .

وجاء الفاعل مصدرا مؤولا (أن تقولوا) ولم يأتِ صريحاً ، وذلك لأنّ الصريح (قولكم) يحتمل وقوعه مرّة واحدة ، فيكون المقت الكبير لما حصل ولو مرّة واحدة ، وليس ذلك بالمراد ، والمراد تكرار حصول ذلك المقت ، فجاء بالفعل الدالّ على التجدد والاستمرار [3].

وفي موضع آخر تتخصّص دلالة (المقت) ليدلّ على نكاح الرجل امرأة أبيه ، فقد كان في الجاهلية نوع من أنواع النكاح يسمى نِكاح المقت ، وهو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه [4]، وقد وُصِف ذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ النساء : ٢٢ ، والمقت اسم سَمَّتْ به العرب نكاح زوج الأب فقالوا نكاح المقت ، وسمّوا فاعل ذلك الضيزن ، وسمَّوْا الابنَ من ذلك النكاح مَقيتا ، ولشدّة كراهة هذا النوع من الزواج سميّ مقتاً أو المقتي [5]، وجاء الاستثناء في هذه الآية منقطعا عند أغلب المفسرين[6]، وذلك لبيان أنّ الفاحشة والمقت – وهو نكاح الابن امرأة أبيه – ليس من جنس النكاح المحلل المشرّع سلفاً ، فهو ممقوت طبعاً وعقلاً وشرعاً .

٤– (قلى)

(قلى) في المفهوم اللغوي :–

القِلَى : البغض ، وهو تجافٍ عن الشيء وذَهابٌ عنه[7]، وقلاه كرماه ، قِلىً وقِلاء ومقليةً : أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه ، أو قَلاهُ في الهجر ، وقليهُ في البغض[8]، والقلى : شدّة البغض ، ويقال : قلاه يقليه ويقلوه ،

---

١ ـ الكشاف ٤ : ٥٢٣ ، وينظر : الإتقان في علوم القرآن ٣ : ٢٢٨ .
٢ ـ ينظر : على طريق التعبير القرآني ١ : ٢٠٥ ـــ ٢٠٦ .
٣ ـ ينظر : المصدر نفسه ١: ٢٠٧ .
٤ ـ الصحاح ٢: ١٧٦ (مقت)، وينظر : معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ٨٤١ .
٥ ـ ينظر : الكشّاف ١: ٥٢٤ ، والتحرير والتنوير ٤: ٢٩٣ ، ومن وحي القرآن ٧ : ١١٣ .
٦ ـ ينظر : أحكام القرآن : ١٦٢- ١٦٥ .
٧ ـ مقاييس اللغة ٥: ١٦ (قلا)، وجمهرة اللغة ٢: ٩٧٧ (قلا)، والصحاح ٢: ٩٣ (قلا).
٨ ـ لسان العرب ١١: ٢٩٣(قلا) .

فمن جعله من الواو فهو من القلو ، أي : الرمي ، فكأنّ المقلوّ هو الذي يقذفه القلب من بغضهِ فلا يقبله ومن جعله من الياء ، فمن قليتُ البُسر والسويق على المقلاة [١].

(قلى) في الاستعمال القرآني :

جاء هذا الجذر في موضعين في الاستعمال القرآني ليدلا على البغض والإنكار ، والجفاء والهجر[٢] ، أمّا المعنى الأول فجاء على صيغة اسم الفاعل ، والثاني جاء على صيغة الفعل الماضي .

أولاً : (قلى) في صورتها الفعلية :

الصورة الماضويّة :

يتّضحُ معنى الجفاء والهجر بصورة الماضي المنفي في قوله تعالى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ الضحى : ٣ ، أي ما جفاك ولا هجرك ، إذ من غير المقبول والمعقول أن يكون المعنى هو البغض كما ذكره أغلب المفسرين ؛ لأنّه لا يتناسب والذات الإلهيّة في مخاطبة حبيبه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، لأنّ الحبيب لا يقلي حبيبه ، ولا يجوز أن يقلا الله أحداً من أنبيائه ، لذلك كان المعنى هو الهجر أو التجافي والذَّهاب عنه بحسب ما اقتضاه السياق ، وكما جاء في المفهوم اللغوي ، زيادة على ذلك فإنّ لفظة (قَلَى) سُبقت بلفظة (وَدَّعَكَ) ، أي ما تركك ، إذ دلّ عليه قوله (وما قلى) ، لأنّ الترك ضربٌ من القلى[٣].

وروي أنّه لمّا أبطأ جبريل (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) شقَّ ذلك عليه فأحزنه ، قال الناس لعلّ ربّه قد قلاه ، عندئذٍ نزلت هذه السورة بفيضها المعبّر عن الودّ والمحبّة والرحمة والإيناس والقربى والأمل والرضا والطمأنينة واليقين تسلية للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) لأنّه كان قد اغتمَّ بانقطاع الوحي عنه[٤]، وقيل معناه ما قطعك قطع المودع ، والتوديع : مبالغة في الودع ، وقيل هو تحيةُ من يريد السفر ، واستعير في الآية للمفارقة بعد الاتصال تشبيهاً بفراق المسافر في انقطاع الصلة ، لأن من ودعك مفارقاً فقد بالغ في تركك [٥].

وهذا التعبير هو سكن لقلب النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) وتسلية له ، "ليعلمَ أنّ التأخير في نزول الوحي إنّما يحدث لمصلحة يعلمها الله تعالى ، وليست كما يقول الأعداء لترك الله نبيّه أو لسخطهِ عليه ، فهو مشمول دائماً بلطف الله وعنايته الخاصّة ، وهو دائماً في كنف حماية الله سبحانه"[٦] .

ولعلّ لفظة (قلى) تعني البغض أو شدّة البغض كما هي في المفهوم اللغوي ، وكما يقصده الأعداء ، فلذلك نفى الله تعالى ذلك عنه ليكون المخاطَب بذلك الأعداء ومـا يقصدونه مـن اللفظة لضغائنهم التـي يكنونها للنبيّ

---

١ - مفردات ألفاظ القرآن : ٦٨٣ ، وينظر : معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ٧٣٧ ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ق٢ج٣، ٦:٣٣٨ .

٢ - ينظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ٤٤٠ .

٣ - ينظر : الخصائص ١ :٣٩٠ ، والبرهان في تفسير القرآن ٨ : ٣١٠ – ٣١١ ، والتفسير البياني للقرآن الكريم لمحمود البستاني ٥ : ٣٦٠ .

٤ - ينظر : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ١٢٧ ، والتبيان في تفسير القرآن ١٠ : ٣٦٨ ، وفي ظلال القرآن ٦ : ٣٩٢٦ .

٥ - ينظر : الكشاف ٤ : ٧٧١، والبحر المحيط ٨ : ٤٨٥ .

٦ - الأمثل ٢٠ : ١٦٩ .

(صلى الله عليه وآله) وتهكّمهم ، وعليه فإنّ النفي كان خطاباً رادعاً لأولئك الحاسدين الحاقدين ، ولإبطال مقالتهم ، لذلك كان التفسير : ما صرمك فتركك ، وما أبغضك منذ أحبّك[١] .

ثانياً : (قلى) في صورتها الاسميّة :

اسم الفاعل :

ورد لفظ (القالين) على صورة اسم المفعول ليدلّ على البغض والإنكار ، وليُبيّن أنّ النفوس عندما تنحدر في الرذيلة وتنغمس في المنكر ، تعادي من يدعوها إلى الفضيلة وإلى الطهر والعفاف كما في قوله تعالى ((قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ الشعراء : ١٦٨، أي "من المبغضين غاية البغض والمنكرين له أشدّ الإنكار، فكأنّه يقلي الفؤاد والكبد من شدّته"[٢]، وتشير الآية إلى قصّة لوط النبيّ (عليه السلام) ، والعمل هنا هو إتيان الذكران وترك الإناث ، فكان لوط (عليه السلام) يُنكر على قومه هذا العمل فهو من الأعمال القبيحة ، ويوبّخهم على فعله ، والتعبير بـ(القالين) يدلّ على أنّ جماعة كانوا مثل النبي يرفضون هذا العمل ويعترضون عليه ، على الرغم من أنّ المنحرفين أخرجوهم من قريتهم [٣].

وجاء أنّ لفظة (القالين) تعني العداوة الشديدة التي تترك أثرها في قلب الإنسان ، وهذا التعبير يكشف عن شدّة تنفّر لوط من أعمالهم ، ويُلمحُ من الآية أنّ لوطاً (عليه السلام) يُريد أن يقول لهم : "إنّني لا أعاديكم بأشخاصكم ، بل أعادي أعمالكم المخزية ، فلو ابتعدتم عن هذا العمل الشنيع فأنا محبّ لكم وغير قالٍ لكم"[٤].

وقوله (إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ) قول في غاية البيان ، فهو أبلغ من أن يقول (إِنِّي لِعَمَلِكُمْ قالٍ) ؛ لأنّه يدلل على قبح معصية اللواط وأنّ هناك مشاركين للنبيّ في رفضهم هذا العمل ، ولأنّ قولنا (فلان من العلماء) أبلغ من (فلان عالم) ، لأنّك تشهد بأنّه مساهم لهم في العلم ، وجاءت الآية استخفافاً بوعيدهم بإخراجه من ديارهم[٥] .

٥- (شنأ)

(شنأ) في المفهوم اللغوي :-

يقال : شَنِئَ يشْنَأُ شَنَأً وشِنأً ، البغض ، ومنه الشَّنَآنُ والشَّنْأَةُ والشَّنْءُ [٦]، وشَنِئتُ الرجلَ أشنؤهُ شَنْأً وشَنَآناً وشُنوءاً ومنشأةً إذا أبغضتهُ [٧] ، قال الليث : رجلٌ شَنَاءَةٌ ككراهة ، وشَنَائِيَةٌ ككراهية : مبّغضٌ سيّئ الخلق [١]،

١ - ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢ : ٥١٤ ، والتحرير والتنوير ٣٠: ٣٩٥ .
٢ - معاني القرآن – النحاس – ٥ : ٩٩ ، وينظر : تفسير غريب القرآن : ٢٥٧ ، ومفاتيح الغيب ٢٤: ١٤٥ ، و إرشاد العقل السليم ٦ : ٢٦٠ ، والتفسير الوسيط ١٩: ٣١١ ، والتحفة القليبية في غريب القرآن الكريم : ١٢٢ .
٣ - ينظر : الميزان ١٥: ٣١٠
٤ - الأمثل ١١ : ٢٨٤ .
٥ - ينظر : الكشاف ٣: ٣٣٦ ، والبحر المحيط ٨: ١٨٤ ، وروح المعاني ١٩ : ٢٥٨ ، والتحرير والتنوير ١٩ : ١٨٠ .
٦ - المحيط في اللغة ٢:١٨١(شنأ) ، تهذيب اللغة ٤: ١٢٥ (شنأ)، الصحاح ١: ٣٦٩ (شنأ)، لسان العرب ٧: ٢٠٨ (شنأ).
٧ - جمهرة اللغة ٢: ١١٩ (شنأ) ، والاشتقاق : ١٠٤ .

والمَشْنَأُ : القبيح الوجه وإن كان محبباً [٢]، ويقال : شَنِئْتُهُ : تقذَّرتهُ بُغضاً له ، ويقال : شَنَأَهُ وشَنِئَهُ يشنأهُ شَنْأً وشنآناً : أبغضهُ بغضاً شديداً مختلطاً بعداوة وسوء نيّة [٣].

(شنأ) في الاستعمال القرآني :

وكان استعمالها في القرآن الكريم بمعنى البغض والكراهية والعداوة [٤]، ثلاث مرات على الصورة الاسميّة فقط ، مرتين على صيغة المصدر (فعلان) في سورة المائدة ، ومرة على صيغة اسم الفاعل في سورة الكوثر ، ومن المصدر قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ المائدة : ٢، الشنآن بفتح الشين وفتح النون في الأكثر ، وقد تُسكّن إمّا أصالة وإمّا تخفيفاً هو البغض والحقد ، أو شدّة البغض ، وهو من المصادر الدالّة على الاضطراب والتقلّب ، لأنّ الشنآن فيه اضطراب النفس ، والمعنى : لا يحملنّكم أو لا يكسبنّكم شدّة بغضكم أو عداوتكم لهم لكونهم صدوكم عـــن المسجد الحرام عام الحديبيّة على الاعتداء عليهم أو الانتقام منهم [٥].

وفي موضع آخر من السورة نفسها تأتي لفظة (الشنآن) لتدلّ على البغض والحقد والعداء ، وذلك في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المائدة : ٨ ، أي "لا يحملنّكم شدّة بغضكم للمشركين أو بغضهم لكم على أن تتركوا العدل ، فتمنعوهم من حقّهم ، أو تزيدوا في نكالهم تشفّياً وغيظاً ، وقيل : لا يدخلنكم في الجرم" [٦] ، فالله تعالى أمركم بالعدل في كلّ أحوالكم ، لأنّ العدل مع الأعداء ومع غيرهم أقرب إلى اتقاء المعاصي ، وإلى صيانة النفس عن الوقوع في المهالك ، وإلى إقامة الإصلاح في المجتمع الإسلامي .

وقد قرأ أبو بكر وابن عامر وأبو جعفر (الشنآن) في الآيتين بسكون النون ، وقرأ الباقون بفتحها [٧]، والحجة لمن أسكن أنّه "بنى المصدر على أصله قبل دخول الألف والنون عليه"[٨]، ورأى مكي بن أبي طالب أنّ "(شنآن) بالتسكين ، والأشهر أن يكون صفة ، والأكثر في فتح النون في كلام العرب أن يكون مصدرا ، ومعنى الآية : لا يكسبنّكم بُغضُ قوم الاعتداء ، وحكى مكي عن أبي زيد : رجل شَنْآن ، وقال : فهذا يدل على أنّه اسم صفة . وروي عن أبي حاتم أنه لم يُجز إسكان النون ، وأنه رآه غلطا ، لأنّ المصدر لا يأتي على (فَعْلان) بالإسكان ،

---

١ - العباب الزاخر : ٧٤ (شنأ)، تاج العروس ١: ١٤٥ (شنأ).
٢ - ينظر : إصلاح المنطق : ٢٨٤.
٣ - مفردات ألفاظ القرآن : ٤٦٥ ، وينظر : معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن : ٤٨٤ ، والظواهر النحوية والصرفية في شعر المتنبي : ٢٣٠ .
٤ - ينظر : معاني القرآن – الفراء ٣ : ٢٩٦ ، ومعاني القرآن – النحاس ١ : ٢٦٧ ، ٢٧٥ .
٥ - ينظر : الكشاف ١: ٦٣٧، ومعالم التنزيل ٢: ١٣٤ ، والتحرير والتنوير ٦: ٨٦ .
٦ - معاني القرآن – النحاس ١ : ٢٦٧ ، وينظر : التبيان للعكبري ١ : ١٠٣ ، والكشّاف ١: ٦٤٧ ، والبحر المحيط ٤ : ٢٤٥ .
٧ - ينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ١: ٤٠٤ ، والنشر في القراءات العشر ٢: ٢٥٣ ، وإتحاف فضلاء البشر : ١٩٧ .
٨ - الحجة لابن خالويه : ١٠٣ .

إنما يأتي بالإسكان الصفات ، وعلى ذلك تجوز القراءة بالإسكان على أن (شَنْآن) صفة لا مصدر عند أكثر الناس ، ويكون المعنى : بَغيض قومٍ "[١].

"والأظهر في السكون أن يكون وصفا وفي الفتح أن يكون مصدرا ، وقد كثر مجيء المصدر على (فعلان) ، وجوزوا أن يكون وصفا ، والأكثر أن يجيء مصدرا"[٢] ، وقد أنكر أبو عبيدة وأبو حاتم قراءة تسكين النون ، لأنّ المصادر إنما تأتي في مثل هذا متحركة [٣]. وقيل إنّ (شنآن) وصف ليس مضافا للفاعل ولا للمفعول بخلافه إذا كان مصدرا ، فإنّه يحتمل أن يكون مضافا للمفعول ، وهو الأظهر ، ويحتمل أن يكون مضافا إلى الفاعل ، أي بغض قوم إياكم [٤].

وجاءت على صيغة اسم الفاعل في قوله تعالى ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ الكوثر : ٣، والشانئ هو المبغض مع سوء خلق وعداوة ، أي أنّه مبغضك ومُبغض ما جئت به من الهدى والحقّ والبرهان الساطع والنور المُبين ، فقد قطع الله مبغضيك من كل خير كما قطع عقبهم ونسلهم ، فلم يبقَ لهم عقب ولا نسل ولا حسن ذكر[٥] ، وجاء أنّ الشانئ هنا يحمل معنيين " أحدهما المبغض ، والثاني العدوّ"[٦]، وممّا لاشكّ فيه أنّ في البغض عداوة ، وفي العداوة بغض ، وعليه فإنّ المعنيين متداخلان ، وقيل هو المقطوع الذكر ، وذلك أنّهم علموا أنّ النبيَّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلّم) ينقطع ذكره إذا انقطع عمره لفقدان نسله ، فنبّه تعالى أن الذي ينقطع ذكـره هـو الذي يشنؤه [٧].

وذكر الفخر الرازي أنّ وصفه بكونه شانئاً ، "إشارة إلى أنّ الذي يبغضك لا يقدر على شيء آخر سوى أنّه يبغضك ، والمبغض إذا عجز عن الإيذاء ، فحينئذٍ يحترق قلبه غيظاً وحسداً ، فتصير تلك العداوة من أعظم أسباب حصول المحنة لذلك العدو"[٨] .

وقد قُرئ (إنّ شنئك هو الأبتر) على المبالغة ، وشنئ كحَذِر ، فقيل هو مقصور من شانئ ، كما قالوا : برّ وبارّ [٩]، وقراءة الجمهور أولى أي قراءة اسم الفاعل على المبالغة ؛ لأنّ (شنئ) من صيغ المبالغة ، ومعنى ذلك أنّ المبالغ هو الأبتر من دون من لم يبالغ ، في حين أن قراءة الجمهور تدلّ على أنّ شانئه هو الأبتر مهما قلّ بغضه أو كثُر [١٠].

---

١ - الكشف عن وجوه القراءات ١: ٤٠٤ ، وينظر : الحجة في القراءات السبع : ١٠٣ ، ومعاني النحو – النحاس ١ : ٢٦٧ ، ونظرية النحو القرآني : ١١٦ ، ١٦٣ .
٢ - البحر المحيط ٣ : ٤٢٢ .
٣ - ينظر : النشر في القراءات العشر ٢: ٢٥٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٦ : ٧٣ .
٤ - ينظر : الكشف عن وجوه القراءات ١: ٤٠٤ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢ : ١٥٦ ، والبحر المحيط ٣ : ٤٢٢ .
٥ - ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ : ٣١٥ ، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ٢٢٥ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥: ٣٤٢ ، ومفاتيح الغيب ٣٢:١٣٣ ، وروح المعاني ٢٩ : ٣٧٠ ، والنكت في القرآن الكريم : ٥٧٦ ، والإمعان في ألفاظ القرآن الكريم : ٤٢٠ .
٦ - النكت والعيون ٦ : ٣٥٦ .
٧ - مفردات ألفاظ القرآن : ٤٦٥ ، وينظر : البرهان في تفسير القرآن ٨ : ٤٠٥ ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ق٢:ج٤ : ٧:٥٦ ، والأمثل ٢٠ : ٤٩٤ ، والتحرير والتنوير ٣٠: ٤٠٧ .
٨ - مفاتيح الغيب ١٧ : ٢٣٦ .
٩ - ينظر : البحر المحيط ٨ : ٢٥٠ .
١٠ - ينظر : على طريق التفسير البياني ١: ٩٥ .

والملاحظ أنّ التعبير القرآني قد آثر لفظة (الأبتر) من دون (المبتور) مع الشنئ ، وذلك لأنّ الأبتر صفة مشبّهة دالة على الثبوت كالأسمر والأصلع والأعور ، بخلاف المبتور الدالة على الحدوث فإنّه قد يزول عنه هذا البتر[١]، فضلا عن أنّ لفظة الأبتر حملت معنى البتر في الذرية وغيرها من الذكر والمحبّة والنصرة والإعانة ، وجاء إنّ الأبتر هو من ليس له ناصر ولا معين ولا حسن ذكر ولا حبيب [٢]، وتعريف (الأبتر) دلالة على تخصيصه ، فقد ذكر الله تعالى أن مبغضه (صلى الله عليه وآله وسلّم) هو الأبتر ، وإنّ تعريف الأبتر ، والمجيء بضمير الفصل وتوكيده بأنَّ ، يدلّ على أن شانئه هو الأبتر حصراً ، فلم يقل (إن شانئك أبتر) أو (إن شانئك هو أبتر) فيجعله من جملة البُتْر ، بل قال (إنّ شانئك هو الأبتر) ، أي إنه أبتر بكل معنى البتر ، فهو مستأصل الذرية مقطوعها بخلاف ذريتك التي تتسع وتمتدّ إلى يوم القيامة [٣].

ثمّ انظر كيف " أسند الله تعالى إلى ذاته الإعطاء بقوله (إنّا أعطيناك الكوثر) ، ولم يسند البتر إلى ذاته ، فلم يقل (وجعلنا شانئك هو الأبتر) بل أسنده إلى الشانئ نفسه ، فإنّه أبتر من غير جعل جاعل ، وإنّما ذلك وصفه هو، وذلك أذمّ له وأقبح" [٤]، وجاء الوصف مبهماً وذلك لتحقيره بالوصف الناقص[٥] .

---

١ - ينظر : البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات : ٤٤ ، وعلى طريق التفسير البياني ١ : ٩٥ .
٢ - ينظر : مفاتيح الغيب ٣٢ : ١٣٣ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥: ٣٤٢ ، وتفسير القرآن الكريم ، عبد الله شبّر : ٦٥١ .
٣ - ينظر : على طريق التفسير البياني ١ : ٩٣ – ٩٤ .
٤ - على طريق التفسير البياني ١ : ٩٧ .
٥ - ينظر : الإتقان في علوم القرآن ٤ : ٨٠ .

الفصل الثاني

ألفاظ الكراهة غير الصّريحة

الفصل الثاني
ألفاظ الكراهة غير الصريحة

توطئة :

يركّز هذا الفصل في تتبّع بعض الألفاظ التي لا تدلّ صراحة على الكراهة وإنّما تتضمّن هذا المعنى ، إذ بعد استقراء تلك الألفاظ وتحديدها والنظر في أصلها اللغوي تبيّن أنها قد دلّت بشكل أو بآخر على معنى(الكراهة والبغض) أو قرُبت منها ، فضلاً عن تتبّعها في سياقاتها القرآنيّة المختلفة التي أرشدتنا إلى تبيان معنى الكراهة فيها ، والحقيقة أنّ هذا الفصل كان نظيراً للفصل الثاني في الباب الأول إذ إنّ المنهج المتّبع في البحث فرض نفسه على البحث ، وكان النظر والتأمّل الفيصل في بيان معاني ودلالات هذه الألفاظ ، زيادة على تتبعها في كتب اللغة والتفسير التي تشير إليها ، وكان للسياق الأثر الفاعل في ذلك البيان ، أمّا الألفاظ فهي :-

١- أبى :

أبى في **المفهوم اللغوي** الإباءُ وهو بالكسر مصدر يدلّ على الامتناع ، قولك أَبى فلان يأْبى بالفتح فيهما ، أي امتنع ، والإِباءُ أَشدُّ الامتناع ، وأَبى الشيءَ يَأْباه إِباءً وإِباءَةً كَرِهَه [١]، وأبى الشيءَ يَأْبَاهُ ويَأْبِيهِ إِباءٌ وإِباءَةً بكسرهما : كَرِهَهُ ، وأَخَذَهُ أُباءٌ من الطعامِ بالضم : كَرَاهَةٌ[٢].

وتُلحظ العلاقةُ بين الإباءِ والكراهةِ من الفرق بينهما ، فقد ذكر العسكري الفرق بينهما بقوله " أنّ الإباء هو أنْ يمتنع وقد يكره الشيء من لا يقدر على إبائه وقد رأيناهم يقولون للملك أبيت اللعن ولا يعنون أنك تكره اللعن لانّ اللعن يكرهه كل أحد وإنّما يريدون أنك تمتنع من أن تلعن وتشتم لما تأتي من جميل الأفعال ، قال الله تعالى ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ التوبة : ٣٢ ، أي يمتنع من ذلك ولو كان الله يأبى المعاصي كما يكرهها لم تكن معصية ولا عاص"[٣].

والذي يلحظ من المعنى اللغوي أنّ أبى بمعنى امتنع ، ولكنّها تضمّنت معنى الكراهة ، ولذلك قال العكبري : " يأبى بمعنى يكره ، ويكره بمعنى يمنع" [٤]، والكراهة كما مرَّ ذكره هي عدم الإرادة ، وجاء ذلك مواضع عديدة في

---

١ - لسان العرب ١ : ٥٤(أبي)، وينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٥٨ .
٢ - القاموس المحيط :١٦٢٣ (أبي).
٣ - الفروق اللغوية : ٨ .
٤ - التبيان في إعراب القرآن ٢ : ١٨ .

القرآن الكريم بصيغتيها الماضوية والمضارعيّة لتتضمّن معنى الكراهة الناتجة عن الامتناع في كثير من تلك المواضع ومن ذلك في قوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ التوبة : ٣٢، والمعنى "لا يريد الله إلا أن يتم نوره" [١]، و"قد تجري لفظة (أبى) وما تَصَرّفَ منها مجرى النفي" [٢]، فكأنّه أجرى (أبى) مجرى (لـم يرد) ألا ترى كيف قوبل (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ) بقوله :(ويأبى الله) وكيف أوقع موقع ولا يريد الله إلاّ أن يتمّ نوره ، فالإباء والإباية : الامتناع من الفعل ، وهو هنا تمثيل لإرادة الله تعالى إتمام ظهور الإسلام ؛ لأنّهم لمّا حاولوا طمس الإسلام كانوا في نفس الأمر محاولين إبطال مراد الله تعالى ، فكان حالهم في نفس الأمر ، كحال من يحاول من غيره فعلاً وهو يأبى أن يفعله[٣] .

وممّا يؤيد مجيء الإباء بمعنى عدم الإرادة مجيء الاستثناء في الآية مفرّغاً وإن لم يسبقه نفي لأنّه أجري فعل يأبَى مجرَى نفي الإرادة ، كأنّه قال : ولا يريد الله إلاّ أن يتمّ نوره ، ذَلك أنّ فعل (أبَى) ونحوه فيه جانب نفي ؛ لأنّ إباية شيء جحد له ، فقَوِيَ جانب النفي هنا لوقوعه في مقابلة قوله : (يريدون أن يطفئوا نور الله) ، فكان إباء ما يريدونه في معنى نفي إرادة الله ما أرادوه ، وجيء بهذا التركيب هنا لشدّة مماحكة أهل الكتاب وتصلّبهم في دينهم ، ولم يُجأْ به في قوله تعالى ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ﴾ الصف : ٨ ؛ لأنّ المنافقين كانوا يكيدون للمسلمين خُفية وفي لين وتملّق ، والإتمام مؤذن بالريادة والانتشار ولذلك لم يقل : ويأبى الله إلاّ أن يُبْقي نوره[٤] .

ومثل ذلك جاء بصيغة الماضي في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا)) الإسراء : ٨٩ ، أي : كررنا ورددنا على أنحاء مختلفة ، توجب زيادة تقرير وبيان ورسوخ واطمئنان ، من كل معنى بديع ، هو في الحسن والغرابة واستجلاب الأنفس كالمثل ؛ ليتلقوه بالقبول ، فَأَبَى أكثرُ الناس إلا جحودًا وامتناعًا من قبوله ، أي كرهوا اتّباع ذلك . وفي الآية مبالغة في الرفض؛ لأنّ فيه دلالة على أنّهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور والجحود ، وأنّهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الإباء ، والكُفور (بضم الكاف) الجحود ، أي جحدوا بما في القرآن من هدى وعاندوا ، وكل هذا يستدعي الكراهة والبغض[٥] .

ومثل الآية السابقة قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ الإسراء:٩٩، أي : فأبى هؤلاء الظالمون المنكرون البعث ، إلا جحودًا له وعنادًا ونفوراً وكراهة لمن دعاهم إلى الإيمان به ، شأن الجاهلين المغرورين الذين استحبوا العمى على الهدى[٦]، وقد علموا أنّ الذي خلق السماوات والأرض قادر على إعادة الأجسام ومع علمهم أبوا إلا كفوراً ،

١- مغني اللبيب ٢ : ٧٨١ ، وينظر : أوضح المسالك ٢ : ٢٢٢ ، والأشباه والنظائر في النحو ١ : ٢٤٣ .
٢ - شرح الرضي على الكافية ٢ : ٩٥ .
٣ - ينظر : الكشاف ٢: ٢٥٣ ، والتحرير والتنوير ١٠: ١٧٢ .
٤ - ينظر : التحرير والتنوير ١٠: ١٧٣ .
٥ - ينظر : المصدر نفسه ١٥: ٢٠٥ ، ونظم الدرر ٤: ٤٢٥ .
٦ - ينظر : مفاتيح الغيب ٢١: ٥٧ .

"واستثناء الكفور من الإباية تأكيد الشيء بما يشبه ضده ، والكفور : جحود النعمة ، واختار (الكفور) هنا تنبيهاً على أنّهم كفروا بما يجب اعتقاده ، وكفروا نعمة المنعم عليهم فعبدوا غير المنعم" [١].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾ طه :٥٦، أي أَبَى فرعونُ قبول الإيمان والطاعة ، مع ما شاهد على يد موسى (عليه السلام) من الشواهد الناطقة بصدقه جحودًا وعنادًا ونفورا ؛ لعتوه واستكباره [٢]، والإباء هنا "غاية الامتناع ، وإنّه لا يوصف به إلا من يتمكن من الفعل والترك ، ولأنّ الله تعالى ذمّه بأنّه كذّب وبأنّه أبى ولو لم يقدر على ما هو فيه لم يصح"[٣].

ويأتي الإباء بصيغة المضارع ليدل على الكراهة والبغض ضمناً أيضاً في قوله تعالى ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ التوبة :٨، "الإباية الامتناع من شيء مطلوب وإسناد الإباية إلى القلوب استعارة ، فقلوبهم لمّا نوت الغدر شبّهت بمن يطلب منه شيء فيأبى" [٤]، والمعنى : لا يغرنّكم من المشركين ما يعاملونكم به وقت الخوف منكم ، فإنهم (يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ) الميل والمحبة لكم ، بل هم الأعداء حقاً ، المبغضون لكم صدقاً [٥].

وإنّ تقييد الإرضاء بالأفواه إيذان بأنّ كلامهم مجرد ألفاظ يتفوهون بها من غير أن يكون لها مصداق في قلوبهم ، وأكد هذا بمضمون الجملة الثانية فإن الإرضاء بالأفواه حالة إخفاء الكفر والبغض مداراة للمؤمنين ، وإباء القلوب مخالفة ما فيها من الأضغان ، لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل[٦] .

٢- (أفٍ) :

الأفّ في **المفهوم اللغوي** الوسخ الذي حول الظفر ، والتفّ الذي فيها ، وبعدها حدث في الكلمة تطور في الدلالة ، فقيل إن التأفيف صوت إذا صوّتَ به المرء عُلِمَ أنه متضجّر متكرّه [٧] ، وهي من باب الأصوات ، " كأنها تحكي صوت النفخ" [٨]، وقيل " إنّ الأفّ وسخ الأذن ، والتفّ وسخ الظفر ، ثمّ يقال لما يستثقل ويُضجر منه ، أفّ وتفّ له" [٩]، وقيل "إنّ أصل هذا أنّ الإنسان إذا وقع عليه الغبار ، أو شيء يتأذّى به نَفَخَهُ فقال : أفّ"[١٠]، وقيل

---

١ - التحرير والتنوير ١٥: ٢٢٢ .
٢ - ينظر : الكشاف ٣: ٧١ ، و روح المعاني ١٦: ٣٥٦ .
٣ - مفاتيح الغيب ٢٢: ٦٨ .
٤ - التحرير والتنوير ١٠ :١٢٤ .
٥ - ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٣٣٠ .
٦ - ينظر : الكشاف ٢: ٢٣٧ ، روح المعاني ١٠: ٢٣٨ . وجاءت هذه اللفظة في قوله تعالى : البقرة:٣٤، والبقرة:٢٨٢ ، و الكهف:٧٧ ، و طه: ١١٦، والفرقان:٥٠ ، و الأحزاب:٧٢ ، ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٥ .
٧ - ينظر : جمهرة اللغة ١ : ٥٨ (أفف)، والبرهان في علوم القرآن ٤ : ١٥٥ ، والتطور الدلالي : ٨٣ .
٨ - معجم الأدوات النحوية ، الهمزة : ٢٠١ .
٩ - تفسير غريب القرآن : ٨٧ ، وينظر : معجم المترادفات والأضداد : ١٣٧ .
١٠ - معاني القرآن – النحاس ٢ : ٦٥١ .

هو "اسم فعل دالّ على الضجَر، وهو منقول من صورة تنفس المتضجّر لضيق نفسه من الغضب ، أو هو صوت المتضجر من استقذار الشيء" [١].

وقيل إنها كلمة تستعمل عند "التضجّر والتكرّه "[٢]، وجاء في البحر المحيط أنّ " أف : اسم فعل بمعنى أتضجّر ، ولم يأتِ اسم فعل بمعنى المضارع إلاّ قليلا ، نحو أف ، وأوه بمعنى أتوجّع ، وكان حقّه أن لا يبنى ، لأنه لم يقع موقع المبني ، وفي أف لغات تقارب الأربعين " [٣] .

وما جاء من هذا اللفظ في **القرآن الكريم** بمعنى الكراهة ما حكاه أبو البقاء في قوله تعالى ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ الإسراء : ٢٣ ، قولين : "أحدهما : أنّه اسم لفعل الأمر ، أي : لا تقل لهما كفّا واتركا ، والثاني : أنّه اسم لفعل ماضٍ ، أي : كرهت وتضجرّت" [٤]، وحكى غيره : أنّه اسم لفعل مضارع ، أي : أتضجّر منكما [٥] . والمعنى : أنّه لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما أو يستثقل من مؤنهما : أفّ ، فضلاً عما يزيد عليه ، ولقد أكّد سبحانه على التوصية بهما إذ افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته[٦]، أي أنّه نهى عن القليل ، فما فوق هذا القول من الضرب والشتم هو أولى بالنهي[٧]، وورد عن أبي جعفر النحاس قولـه : " أنك لا تستثقلهما ، ولا تغلظ عليهما في القـول ، والنـاس يقولـون لما يستثقلونه (أفٍّ له)"[٨] .

وجاء التعبير القرآني عن النهي عن أيّ نوع من الأذى بشكل موجز بلفظة (أفٍّ) إذ ليس المقصود من النهي عن أن يقول لهما (أفٍّ) بخاصة ، وإنما المقصود النهي عن الأذى الذي أقله الأذى باللسان بأوْجز كلمة ، وبأنّها غير دالة على أكثر من حصُول الضجر لقائلها من دون شتم أو ذم ، فيفهم منه النهي مما هو أشدّ أذى بطريق فحوى الخطاب بالأوْلى [٩].

وجاء هذا اللفظ أيضاً في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ الأحقاف : ١٧ ، فالآية في سياق الوصيّة بالوالدين ، وهي في حق كلّ كافر عاقّ لوالديه منكر للبعث ، ولفظ (أفٍّ) كما ذكرنا اسم صوت ينبئ عن التضجر ، أو اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر ، والمقصود به هنا : "إظهار الملل والتأفف والكراهية لما

---

١ - التحرير والتنوير ١٤: ٧٠ .
٢ - همع الهوامع ٢ : ١٠٦
٣ - البحر المحيط ٦ : ٢٣ ، وينظر : الخصائص ٣ : ٣٧ ، والمقتضب ٣ : ٢٢٢ .
٤ - التبيان في إعراب القرآن ٢ : ١٢٧ ، والبرهان في علوم القرآن ٤ :١٥٦ .
٥ - ينظر : معاني القرآن – الأخفش ١ : ٤٢١-٤٢٢ ، والإتقان في علوم القرآن ٢ : ١٥٥ ، ومعجم الأدوات النحوية ، الهمزة : ٢٠٢
٦ - ينظر : الكشاف ٢: ٦١٥ .
٧ - ينظر : الجملة العربية والمعنى : ٥٥ .
٨ - معاني القرآن – النحاس ٢ : ٦٥١ ، وينظر : أضواء على القيمة اللغوية والدلالية للأحرف التي قيل بزيادتها في القرآن الكريم : ١٤٢ .
٩ - ينظر : التحرير والتنوير ١٤: ٧٠ .

يقوله أبواه من نصح له ، واللام في (لكما) للبيان ، أي لكما أعني التأفيف" [١]، وهو هنا مستعمل كناية عن أقل الأذى فيكون الذين يؤذون والديهم بأكثر من هذا أوغلُ في العقوق الشنيع وأحرى بالحكم بدلالة فحوى الخطاب على ما تقرر في قوله تعالى : (فلا تقل لهما أُفّ) في سورة الإسراء[٢].

أما في سورة الأنبياء في قوله تعالى ((أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)) الأنبياء : ٦٧ ، فمعناها : "بئساً لكم ، أو نتناً لكم أو قذراً ، أو بمعنى أتضجّر أو تضجّرتُ" [٣]، وهي لفظة تقال عند المستقذرات من الأشياء فيستعار ذلك للمكروه من المعاني كهذا وغيره ، إذ لمّا ظهرت الحجة على المعاندين أخذ إبراهيم(عليه السلام) يقرّعهم ويوبّخهم بعبادة تماثيل ما لا تنفع ولا تضر ، ثم أبدى لهم التضجر منهم ومن معبوداتهم ، واللام في(لكم) لبيان المتأفف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف ، ثم نبّههم على مـا به يدرك حقائق الأشياء وهـو العقل فقـال : (أفلا تعقلون) أي قبح ما أنتم عليه وهو استفهام توبيخ وإنكار[٤]، وجاء (أفٍّ) منوناً تنوين التنكير لإرادة التعظيم ، أي ضجراً قوياً لكم ، وإظهار اسم الجـلالة لـزيادة البيان وتشنيع عبادة غيره [٥].

٣- حسد :

الحَسَد في **المفهوم اللغوي** : أن تتمنّى زوال نعمة المحسود إليكَ ، والمصدر حَسَداً [٦]، والحسد كما هو معروف تمني زوال نعمة الآخر، ومن أسبابه العداوة والبغضاء ، وذلك يولد الحقد والحقد يولّد التشّفي والانتقام ، فالحسد من لوازم البغض والعداوة لا يفارقهما ، وقد يفضي إلى الاقتتال والتنازع [٧].

وورد لفظ الحسد في **القرآن الكريم** بصيغة المصدر (حسدا) ليتضمّن معنى الكراهة والبغض في قوله تعالى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة : ١٠٩، يُبيّن الله تعالى أنّ الذي حملهم على هذا الودّ الذميم هو الحقد والحسد ، أي إنّ هذا التمني لم يكن له من سبب أو علة سوى الحسد الذي استولى على نفوسهم ، واستحوذ على قلوبهم فجعلهم يحسدون المؤمنين على نعمة الإيمان ويتمنون التحول عنه إلى الكفر ، وقوله (بَعْدِ إِيمَانِكُمْ) مبالغة في ذمهم بسبب ما تمنوه وأحبّوه إذ ودّ أهل كتاب أن يحلَّ الكفر محل الإيمان ، وفيه إشعار بأن ما تمنوه بعيد الحصول ؛ لأنّ الإيمان متى خالطت بشاشته القلوب ، منع صاحبه من الانتقال إلى الكفر [٨].

---

١ - الكشاف ٤: ٣٠٨ ، وينظر : البحر المحيط ٨ : ٦١ .
٢ - ينظر : التحرير والتنوير ٢٦: ٣٨ ، ونظم الدرر ٧: ١٢٧ .
٣ - تفسير غريب القرآن : ٨٧ ، و ينظر : الإتقان في علوم القرآن ٢ : ١٥٥ ، وارتشاف الضرب ٣: ١٣٦٠ ، وعلم النحو العربي : ١٣٢ .
٤ - ينظر : المحرر والوجيز ٤: ٨٨ ، والبحر المحيط ٦ : ٣٢٦ ، و أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤: ٥٥ .
٥ - ينظر : إرشاد العقل السليم ٦: ٧٨ ، والتحرير والتنوير ١٧: ١٠٤ .
٦ - الصحاح ١ : ١٢٨(حسد) .
٧ - ينظر : مفاتيح الغيب ٣: ٢٣٣ ، والأخلاق في القرآن ٢ : ١١٨ .
٨ - ينظر : التفسير الوسيط ١: ١٨٩ ، والتحرير والتنوير ١: ٦٧٠ .

وفي سياق آخر يأتي هذا اللفظ ليحمل ضمناً معنى الكراهة في قوله تعالى ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ الفلق : ٥، "فالحسد انفعال نفسي إزاء نعمة الله على بعض عباده مع تمني زوالها ، وسواء اتّبع الحاسد هذا الانفعال بسعي منه لإزالة النعمة تحت تأثير الحقد والغيظ ، أم وقف عند حد الانفعال النفسي ، فإن شراً يمكن أن يعقب هذا الانفعال ، وقد يغلب الحسدُ صبرَ الحاسد وأناتَه فيحمله على إيصال الأذى للمحسود بإتلاف أسباب نعمته"[١].

والحاسد اسم فاعل يدلّ على حدوث الصفة في موصوفها ، وتقييده بقوله (إِذَا حَسَدَ) أي إذا ظهر حسده ، وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر والأضرار بالمحسود قولاً وفعلاً ، من بغي الغوائل للمحسود ، لأنّه إذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده ، بل هو الضارّ لنفسه لاغتمامه بسرور غيره [٢] .

٤– نفي الإرادة :

جاء في **المفهوم اللغوي** أنّ من أراد الشيء شاءه و أحبّه ، وجاء أنّ المحبّة هي الإرادة ، فإذا قلت أحب زيداً فالمعنى إنّي أُريد منافعه أو مدحه ، وإذا قلت أحبَّ اللهُ زيداً فالمعنى أنّه يريد ثوابه وتعظيمه ، وإذا قلت أُحبُّ الله فالمعنى أريد طاعته واتباع أوامره ، ومن هنا يمكننا القول أنّ نفي الإرادة تعني نفي المحبّة التي هي البغضة والكراهة ، وورد أنّ نقيض الإرادة الكراهة [٣].

وقد ورد نفي الإرادة أو عدمها في مواضع عديدة من **القرآن الكريم** ولعلها تعني الكراهة ، ومن تلك المواضع قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ التوبة : ٤٦، أخبر الله تعالى أنّ هؤلاء المنافقين لو أرادوا الخروج مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) نصرة له ورغبة في جهاد الكفار كما أراد المؤمنون ذلك وأحبّوه لأعدّوا للخروج عدّة ، ولكن لم يكن لهم في ذلك نية ، معطياً بذلك معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو ، أي كراهتهم لذلك الأمر لما في نفوسهم عداء وبغض للرسالة والرسول ، إلاّ أنّ الله تعالى كره انبعاثهم كونهم منافقين ، فقابلهم بكراهتهم كراهة انبعاثهم ، وإنّ انتفاء إرادة الخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله تعالى انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج[٤] .

وورد نفي الإرادة في قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ القصص:٢٧، وربّما نستشعر أنّ نفي الإرادة تُنبئ عن كراهة شعيب (عليه السلام) أن يصعب تحمل موسى (عليه السلام) إلزامه إتمام العشر والمناقشة في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال ، فإتمامه كان تفضلاً لا إلزاما عليه ، فإنّ ما يصعب عليه يشقّ عليه ، وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام آخذين بالأسمح في معاملات الناس وفي ذلك تلطّف في الخطاب وهو من آداب النبوّة [٥].

---

١ - في ظلال القرآن ٦: ٤٠٠٨ ، وينظر : التحرير والتنوير ٣٠: ٦٣٠ .
٢ - ينظر : الكشاف ٤: ٧٨١ ، وروح المعاني ٢٩: ٤٧٣ . وورد هذا اللفظ في : النساء : ٥٤ ، والفتح : ١٥ .
٣- المعجم الوسيط ١ : ٧٩١ .
٤ - ينظر : الكشاف ٢: ٢٦٣ ، ومجمع البيان ٥:٦٨ ، وروح المعاني ١٠: ٣٥٩ .
٥ - ينظر : مفاتيح الغيب ٢٤: ٢١٥ ، وروح المعاني ٢٠: ١٦١ .

٥- سخط :

السُّخْطُ والسَّخَطُ في **المفهوم اللغوي** ضدّ الرّضا ، وتسخّط الرجل تسخّطاً ، إذا تغضّب وتكرّه الشيءَ ، والشيءُ المسخوط المكروه ، وسَخِط الشيءَ سَخَطاً كرهه [١]، وجاء في لسان العرب أنّ " السَّخَطُ والسُّخْطُ الكراهية للشيء وعدم الرّضا به ومنه الحديث إن الله يَسْخَطُ لكم كذا أي يكرهه لكم ويمنعُكم منه ويُعاقِبُكم عليه "[٢] ، ومن هنا يمكن القول أنّ السخط لفظ ممزوج بين الغضب والكراهة .

وقد فرّق العسكري بين الغضب والسخط إذ قال " إنّ الغضب يكون من الصغير على الكبير ومن الكبير على الصغير والسخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير يقال سخط الأمير على الحاجب ولا يقال سخط الحاجب على الأمير ويستعمل الغضب فيهما "[٣]، وقال أيضاً " إنّ السخط إذا عديته بنفسه فهو خلاف الرضا يقال رضيه وسخطه وإذا عديته بعلى فهو بمعنى الغضب تقول سخط الله عليه إذا أراد عقابه "[٤] .

وفي **القرآن الكريم** وردت لفظة السخط أربع مرات لتتضمن معنى الكراهة ومنها قوله تعالى ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ آل عمران : ١٦٢، الآية تأكيد لبيان أنّه لا يستوي المحسن والمسيء والأمين والخائن ، لذلك جاء الاستفهام إنكارياً بمعنى النفي ، أي ليس من اتبع رضا الله فامتثل أوامره واجتنب مناهيه كمن عصاه فباء بسخطه ، فقد ساق سبحانه هذا الكلام الحكيم بصيغة الاستفهام الإنكاري ، للتنبيه على أنّ عدم المساواة بين المحسن والمسيء أمر بدهيّ واضح لا تختلف فيه العقول ، وجاء أنّ رضوان الله تعالى هو الجهاد ، والسخط هو الفرار ، ورضا الله طاعته ، وسخطه عقابه [٥]، وفي كلّ ما تقدّم يمكن القول أنّ السخط هو ما لا يرضاه الله تعالى ، وفي عدم الرضا كراهة .

ووردت في قوله تعالى ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ المائدة : ٨٠ ، الآية ذمٌّ لهم على موالاتهم للمشركين ومناصرتهم لأعداء الله ، ومحاربتهم لأوليائه ، أي : لبئس ما قدمت لهم أنفسهم من أقوال كاذبة وأعمال قبيحة وأفعال منكرة استحقوا بسببها سخط الله عليهم ، ولعنه إيّاهم كما استحقوا أيضاً بسببها الخلود الدائم في العذاب المهين[٦].

وقوله (أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) مصدر مؤول ، وهو المخصوص بالذمّ ، والتّقدير : لبئس ما قدمت بهم أنفسهم سُخْطُ اللهِ عليهم ، فسُخط الله مذموم ، وقد أفاد هذا المخصوص أنّ الله قد غضب عليهم غضباً خاصّاً لموالاتهم الّذين كفروا ، ويمكن أنْ تجعل المراد بسخط الله هو اللّعنة الّتي في قوله (لُعِنَ الّذين كفروا من بني إسرائيل) المائدة : ٧٨ ، وكون ذلك ممّا قدّمت لهم أنفسهم [٧] .

---

١ - جمهرة اللغة ١ : ٣١٤ (سخط)، والصحاح ١ : ٣٠٧ (سخط)، والعباب الزاخر ١ : ٢٦١ (سخط) .
٢ - لسان العرب ٦ : ٢٠٤ (سخط)، وينظر : جواهر الفاظ : ٣١ ، وتاج العروس : ٤٨٦١ (سخط).
٣ - الفروق اللغوية : ٣٨٦ .
٤ - المصدر السابق .
٥ - ينظر : البحر المحيط ٣: ٤١٣ .
٦ - ينظر : نظم الدرر ٢: ٥٢١ .
٧ - ينظر : التحرير والتنوير ٦: ٢٩٥ .

ووردت أيضاً في قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ التوبة : ٥٨ ، الآية في سياق الحديث عن توزيع الصدقات وهي تخاطب الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) بأنّ هؤلاء المنافقين إن أعطيتهم من تلك الصدقات رضوا عنك ، وإن لم تعطهم سخطوا عليك ، واتهموك بأنّك غير عادل ، حتى ولو كان عدم عطائهم هو الحق بعينه ، ثم وصفهم بأنّ رضاهم وسخطهم لأنفسهم ، لا للدين ، وعبّر عن السخط بصيغة المضارع بدلالة التجدد والاستمرار وهو دليل نفاقهم [١].

ووردت في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ محمد : ٢٨ ، واتّباعهم ما أسخط الله ، هو اتباعهم الشرك أو الكفر والمعاصي ، والسخط دليل على لعدم الرضا ، وكراهتهم رضوان الله ، كراهتهم أسباب رضوانه وهو الإسلام ، والجمع بين الإخبار عنهم باتباعهم ما أسخط الله وكراهتهم رضوانه مع إمكان الاجتزاء بأحدهما عن الآخر للإيماء إلى أن ضرب الملائكة وجوه هؤلاء مناسب لإقبالهم على ما أسخط الله ، وأنّ ضربهم أدبارهم مناسب لكراهتهم رضوانه لأنّ الكراهة تستلزم الإعراض والإدبار [٢].

وممّا سبق يُلحظ أنّ ثلاث آيات من ورود لفظة سخط جاءت في مقابلة الرضا والرضوان ، وهذا يدلّ على أنّ السخط نقيض الرضا والرضوان ، ورضا الله تعالى محبّته ورعايته وثوابه ، وهذا يدعو إلى أنّ السخط وإن كان يحمل معنى الغضب إلاّ إنّه يتضمن معنى الكراهة .

٦- شجر :

تَشاجَرَ القوم في **المفهوم اللغوي** : " تباغضوا وتعادوا" [٣]، ورد هذا اللفظ وتضمن معنى التباغض والكراهة في موضع واحد في **القرآن الكريم** في قوله تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥ ، أي فيما وقع بينهم من المشاجرة وهي المنازعة والاختلاف ؛ لأن المتنازعين تختلف أقوالهم وتتعارض دعاويهم ويختلط بعضهم ببعض ، أو فيما اختلف بينهم من الأمور واختلط ، وسُمِّيَ ذلك مشاجرة ، لتداخل بعض الكلام كتداخل الشجر بالتفافها [٤].

٧- شقق :

الشَّقُّ في **مفهومه اللغوي** مصدر قولك شَقَقْت العُود شَقّاً والشَّقُّ الصَّدْع البائن وقيل غير البائن وقيل هو الصدع عامة ، والشَّقُّ الصدع في عود أَو حائط أَو زُجاجة ، والمُشاقَّةُ والشّقاق غلبة العداوةِ والخلاف ، شاقَّهُ مُشاقَّةَ وشِقاقاً خالَفَه ، والشِّقاقُ العدواةُ بين فريقين والخلافُ بين اثنين سمي ذلك شِقاقاً لأَنّ كلّ فريق من فِرْقَتَي العدواة قصد شِقًّاً أَي ناحية غير شِقِّ صاحبه ، وشَقَّ فلانٌ العصا أَي فارق الجماعة وشَقَّ عصا الطاعة فانْشَقَّت [٥].

---

١ - ينظر : الكشاف ٢: ٢٦٨ ، ومفاتيح الغيب ١٦: ٨٤ .
٢ - ينظر : التحرير والتنوير ٢٦: ١١٩، وروح المعاني ٢٥: ٢٠٦ .
٣ - المخصص ٣: ١٨٩ .
٤ - ينظر : مفاتيح الغيب ١٠: ١٤٢ ، النكت والعيون ١ : ٥٠٣ ، روح المعاني ٦ : ١١٨ .
٥ - ينظر : العين ٥ : ٨ (شقق)، والصحاح في اللغة ١: ٣٦٣ (شقق)، و لسان العرب ٧ : ١٦٤(شقق) .

إذنْ فالشقاق المخالفة والعداوة [1]، ومن ملازمات العداوة الكراهةُ والتباغضُ ، وجاء ذلك في **القرآن الكريم** بصيغة المصدر في قوله تعالى ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ البقرة :١٣٧، والشِقاقِ المناوأة والمعاندة كما ذكر الزمخشري[2]، أي مخالفة لله تعالى أو منازعة ومحاربة أو عداوة ، والمعنى : وإنْ أعرض هؤلاء الذين زعموا أن الهداية ميلهم عن الإيمان الذي تدعوهم إليه ، فاعلم أن إعراضهم سببه المخالفة والمعاندة والمعاداة ، وأفاد التنوين في (شِقَاقٍ) التفخيم أي هم مستقرون في خلاف عظيمٍ بعيدٍ من الحق ، وجاء تنكيرُ الشِقاق للدلالة على امتناعِ الوفاقِ وأنّ ذلك مما يؤدي إلى الجدال والقتالِ لا محالة ، وقد أوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك[3] .

وجاء الشقاق ليدلّ على المخالفة والعداء الموجبة للكراهة والبغض في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ البقرة:١٧٦، الشّقاق كما ذكر الرازي :" التنازع والعداء حتى يكون صاحبه في شقٍّ ومنازعه في آخر ، ووصفه بـ (البعيد) أي يصعب إنهاؤه والوفاق بعده"[4] ، ومعنى قوله : (لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) " أنّ هؤلاء الذين يختلفون في كيفية تحريف التوراة والإنجيل لأجل عداوتك هم فيما بينهم في شقاق بعيد ومنازعة شديدة فلا ينبغي أن تلتفت إلى اتفاقهم على العداوة فإنّه ليس فيما بينهم مؤالفة وموافقة" [5].

وفي سياق الحديث عن الإصلاح بين الزوجين يأتي الخوف من الشقاق بينهما ووجوب بعث الحكمين عند نزاع الزوجين النزاعَ المستمرّ المعبّر عنه بالشقاق في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ النساء:٣٥ ، عبّر القرآن بلفظة الشّقاق عن الخلاف الشديد بين الزوجين المسبب للنفور والكراهة ، ولعلّ التعبير بهذا اللفظ يُنبئُ عن ضرورة تبنّي مبادرة للإصلاح لإبراز ما في ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة [6].

ويجيء الشقاق في موضع آخر ليُلمحُ منه المخالفة والعداوة ولعلّ هذا يستدعي الكراهة والبغض ، وذلك في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الأنفال:١٣، إذ إنّ المشاقّة العداوةُ بعصيان وعناد ، مشتقة من الشّق بكسر الشين وهو الجانب ، هو اسم بمعنى المشقوق أي المفرق ، ولما كان المخالف والمعادي يكون متباعداً عن عدوه فقد جُعل كأنه في شق آخر[7]، والمعنى أنّهم خالفوا وعادوا الله ورسوله وتلبسوا بالكفر ، وأظهر الإدغام في المضارع لأنّ القصة للعرب وأمرهم في عداوتهم كان بعد الهجرة شديداً ومجاهرة ، وأدغم في الماضي لأنّ ما مضى قبلها كان ما بين المساترة والمجاهرة [8] .

وجاء هذا اللفظ بصيغة المصدر ليدلّ على العداوة التي تفضي للكراهة في قوله تعالى ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾ هود : ٨٩ ،

---

١ - ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ٥١٨ ، ومفردات ألفاظ القرآن :٤٥٩ .
٢ - الكشاف ١: ٢٢٢ .
٣ - ينظر : إرشاد العقل السليم ١ : ١٦٧ ، وروح المعاني ٢ : ٤٧١ .
٤ - مفاتيح الغيب ٥ : ٣٣ .
٥ - المصدر نفسه .
٦ - ينظر : الكشّاف ١: ٥٤٠ .
٧ - ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣: ٥٣ .
٨ - ينظر : نظم الدرر ٣: ١٩٤ .

والمعنى : قول شعيب (عليه السلام) لا تحملنّكم عداوتي أن يصيبكم مصير كمصير قوم نوح وأمثالهم من الأقوام المذكورين [١]، "والمقصود نهيهم عن أن يجعلوا الشقاق سبباً للإعراض عن النظر إلى دعوته" [٢]، وقيل "لا تكسبنّكم عداوتي إصابة العذاب " [٣].

٨- اشمأزّ :

اشمأزّتْ في **مفهومها اللغوي** : اقشعرّتْ ، والْمُشْمَئِزُّ المذعور ، وقيل هو النافر الكاره[٤]، والشَّمْزُ : نُفورُ النَّفْسِ مِمّا تكرَه ، واشْمَأَزَّ الشيءَ : كَرِهَه . والمُشْمَئِزّ : الكارِهُ للشيءِ[٥] ، وشمز تقبض و تجمع ونفرت نفسه من الشيء تكرهه ، واشمأز بالأمر ومنه اشمئزازا ضاق به و نفر منه كراهة [٦]، و"يجوز تضمين (تكره) معنى تشمئز وتتقبض"[٧] .

وجاء هذا اللفظ بصيغة الماضي ليدلّ على الكراهة والنفور في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ الزمر:٤٥ ، الاشمئزاز : شدة الكراهية والنفورِ ، وذكر الماوردي لها ثلاثة أوجه الانقباض والنفور والاستكبار[٨]، وإنّ وجود هذه الكلمة في الآية فيها حسّ الكراهة والنفور مع صريح مقابلتها بالاستبشار ، فالاشمئزاز نقيض الاستبشار ، ولا يشمئزّ الإنسان إلاّ ممّا يكره وينفر منه"[٩] ، والمعنى : إذا أفرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزت نفوسهم ، ومعناه تقبضت كبراً أو أنفة وكراهية ونفوراً ، وإذا ذُكرت آلهتهم سواء ذكر الله معهم أو لم يذكر استبشروا ، ومن جميل البيان تقابل الاستبشار والاشمئزاز ، إذ كل واحد منهما غاية في بابه ؛ لأنّ الاستبشار أن يمتلئ قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلّل ، والاشمئزاز : أن يمتلئ غماً وغيظاً حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه[١٠]، والتعبير بالاشمئزاز والاستبشار يُشعر بأنّهم قد بلغوا الغاية في الأمرين ، أي أنّه بالغ في بيان حالتيهم المتقابلتين ، فهم عند ذكر الله تعالى تمتلئ قلوبهم إلى نهايتهم غما وهما وانقباضا وذعرا ، وعند ذكر أصنامهم تمتلئ قلوبهم إلى نهايتها أيضا بهجة وسرورا حتى لتظهر آثار ذلك على بشرتهم[١١].

٩- ضغن :

الضاد والغين والنون في **المفهوم اللغوي** أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تغطية شيءٍ في ميل واعوِجاج ، ولا يدلُّ على خَير، من ذلك الضِّغْن والضَّغْن : الحِقْد[١٢]، والجمع أَضْغانٌ وكذلك الضَّغينَةُ وجَمْعُها الضَّغائن ، والضِّغْنُ

---

١ - ينظر : الأمثل ٧ : ٢٩ .
٢ - التحرير والتنوير ١٢: ١٤٦
٣ - معاني القرآن – الفراء ٢ : ٢٦ ، وينظر : الكشّاف ٢: ٣٩٨ .
٤ - تهذيب اللغة ٤ : ٨٥ (شمز)، ومفردات ألفاظ القرآن :٤٦٤ .
٥ - تاج العروس :٣٧٤١(شمز) .
٦ - المعجم الوسيط : ١٠٢٤(شمز) .
٧ - شرح الرضي على الكافية ٣ : ٥١ .
٨ - ينظر : النكت والعيون ٥: ١٢٩ .
٩ - الإعجاز البياني في القرآن الكريم : ٥٤٥ .
١٠ - ينظر : المحرر والوجيز ٤: ٥٣٤ ، والكشاف ٤: ١٣٢ ، والبحر المحيط ٩: ٢٠٨ ، والإعجاز البياني في القرآن الكريم :
١١- ينظر : نظم الدرر ٦: ٤٥٦ .
١٢ - مقاييس اللغة ٣ : ٢٨٥ (ضغن)، والمحكم والمحيط الأعظم ٢: ٣٩٩ (ضغن) .

الحقد والعداوة والبغضاء ، وامرأة ذات ضِغْنٍ على زوجها إذا أبغضته وضَغِنُوا عليه مالوا عليه واعتمدوه بالجَوْر وتَضَاغَنَ القوم واضْطَغَنُوا انْطَوَوْا على الأَحْقاد[١]، والضِّغْن : الحقد الشديد[٢] .

وبالنظر إلى المفهوم اللغوي يُلمحُ من هذا اللفظ تضمنّه معنى الكراهة والبغض ، وقد جاء في موضعين[٣] في **النص القرآني** من ذلك قوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ محمد:٢٩ ، فالأضغان : جمع ضغن ، وهو الحقد الشديد . يقال : ضَغِن صدر فلان ضَغْنا ، إذا اشتد حقده وغيظه ، والاسم الضِّغْن ، بمعنى الالتواء والاعوجاج الذي يكون في كل شيء ، ويقال : تضاغن القوم ، إذا انطوت قلوبهم على البغض والحقد ، وكان العرب يجعلون القلوب مقر الأضغان .

إذ إنّ معنى الآية : أحسب هؤلاء المنافقون الذين امتلأت قلوبهم بمرض الكفر والضلال ، أنّ الله تعالى غير قادر على إظهار أحقادهم الشديدة لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلّم) والمؤمنين ، فقد كان المنافقون يعتمدون على إتقانهم فن النفاق ، فالقرآن يسّفه ظنّهم ويهدّدهم بكشف حالهم وإظهار أضغانهم وأحقادهم على المسلمين [٤] .

ومن بديع البيان في هذه الآية أنّه استعير المرض إلى الكفر بجامع الإضرار بصاحبه ، ولكون الكفر مقرّه العقل المعبر عنه بالقَلب كان ذكر القلوب مع المرض ترشيحاً للاستعارة لأنّ القلب مما يناسب المرض الخفيّ إذ هو عضو باطن فناسب المرض الخفيّ ، والإخراج أطلق على الإظهار والإبراز على وجه الاستعارة لأنّ الإخراج استلال شيء من مكمَنه ، فاستعير للإعلام بخبَر خفيّ ، وإخراجها : إبرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ، وإظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم ، وكانت صدورهم تغلى حنقاً عليهم [٥].

والموضع الثاني جاء في السورة نفسها في قوله تعالى ﴿ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴾ محمد :٣٧، والضغن هنا العداوة ، والمعنى : أنْ يكلفكم بإخراج جميع أموالكم ، ويبالغ في طلب ذلك منكم ، تبخلوا بها فلا تعطوها ، وبذلك يظهر أحقادكم وكراهيتكم لهذا التكليف ، لأنّ حبّكم الجمّ للمال يجعلكم تكرهون كل تشريع يأمركم بإخراج جميع أموالكم ، فهم يمنعون المال ويظهرون العصيان والكراهية والمقت لدين يذهب بأموالهم [٦].

١٠- عدو :

العدوان والاعتداء والعداء والعدوى والتعدّي في **مفهومها اللغوي** : الظُّلْمُ [٧] ، والعادي : الذي يعدو على الناس ظُلْماً وعُدواناً ، والعُدْوان : الظلم الصُّراح[١]، والعَداءُ أيضاً: تجاوُز الحدّ والظُّلم[٢] ، وفلانٌ عَدوٌّ فلانٍ معناه فلان يعدو على فلان بالمَكْروه ويَظْلِمُه[٣]

---

١ - تهذيب اللغة ٣: ٤٧ (ضغن)، ولسان العرب ٨ : ٦٩ (ضغن)، والصحاح ١: ٤١١ (ضغن).
٢ - مفردات ألفاظ القرآن : ٥٠٩ ، والمعجم الوسيط : ١١٢١ .
٣ - ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم :٥٥٧ .
٤ - ينظر : الكشاف ٤: ٣٢٩ ، و إرشاد العقل السليم ٨ : ١٠٠ ، و روح المعاني ٢٥: ٢٠٧ ، وفي ظلال القرآن ٦: ٣٢٩٨ ، و الأمثل ١٦:٢٤٥.
٥ - ينظر : التحرير والتنوير ٢٦: ١٢٠ .
٦ - ينظر : الكشاف ٤: ٣٣٣ ، ومفاتيح الغيب ٢٨: ٦٩ ، والتحرير والتنوير ٢٦: ١٣٦ ، و مجمع البيان ٩: ١٩٤ .
٧ - العين ٢ : ٢١٣ .

قال الراغب : العدو : التجاوز ومنافاة الالتيام فتارة يعتبر بالقلب له فيقال له : العداوة والمعاداة ، وتارة بالمشي ، فيقال له : العدو ، وتارة بالإخلال بالعدالة في المعاملة فيقال له : العدوان والعدو[٤]، ويرى العسكري أنّ " العداوة إرادة السوء لمن تعاديه ، وأصله الميل " [٥]، والحقيقة أنّ العداوة لا تعني الميل فحسب ، لأنّها في الغالب سلوك ظاهر يتمثّل بتجاوز الآخرين وإلحاق الضرر بهم ، ويحصل بدافع البغضاء والتحدّي[٦] .

ويرى الحسيني أنّ " العداوة أخصّ من البغض ، لأنّ كلّ عدوٍ مبغض ، وقد يبغض من ليس بعدو "[٧]، إذن فالعداوة هي انفعال نفسي عميق ، تحركه دوافع عديدة ، منها حبّ السيطرة على الآخرين ومقدرالتهم ، وقد يتبعه سلوك ظاهري للتحدي ، أو إلحاق الضرر ، وقد يكون هذا السلوك سلبياً أو إيجابياً ، وتكمن إيجابيته في انه ردّ فعلٍ على عدوان سابق .

وجاء هذا اللفظ في **القرآن الكريم** ليتضمّن معنى الكراهة في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾الأنعام : ١٠٨، أي : ظُلْمًا وتجاوزًا عن الحق إلى الباطل ، إذ إنّ وصفُ سبِّهم بأنّه عَدْو تعريض بأنّ سبّ المسلمين أصنامَ المشركين ليس من الاعتداء ، وجعل ذلك السبّ عدواً سواء كان مراداً به الله أم كان مراداً به من يأمر النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) بما جاء به لأنّ الّذي أمر النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) هو اللهُ تعالى[٨]. ونحو قولـه تعالى ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ طه : ١٢٣ ، والعداء هنا يكون لأمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب والتخاصم والتنازع والتدافع على حطام الدنيا[٩]، وممّا لاشكّ فيه أنّ هذا العداء يوجب الكراهة والبغض .

ونلمحُ تضمّن العداوة معنى البغض والكره والمقت في قوله تعالى ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ الزخرف : ٦٧، العدوّ المبغض ، ووزنه فعول بمعنى فاعل ، أي أنّ المتحابوّن في الدنيا على الأمور الذميمة متعادون يوم القيامة ، يبغض بعضهم بعضاً ، فتنقطع في ذلك اليوم كل خلّة كانت لغير الله ، وتنقلب عداوة ومقتاً ، لانقطاع سببها ، وهو الاجتماع على الهوى ، وإنّها لهول مطلعها والخوف المطبق بالناس فيها يتعادى ويتباغض كل خليل كان في الدنيا على غير تقى [١٠].

وجاءت لفظة (العداوة) لتعبّر عن أشدّ البغض الذي يكنّه اليهود والمشركون للمؤمنين في قوله تعالى ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا

---

١ - مقاييس اللغة ٤:٢٠٤
٢ - الصحاح ١: ٤٥٢ (عدا).
٣ - لسان العرب ٩ : ٩٢ (عدا).
٤ - مفردات ألفاظ القرآن : ٥٥٣ ، وينظر : الميزان ٧ : ١٧٥ .
٥ - الفروق اللغوية : ١٤٩ .
٦- ينظر : ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم : ٢٢١ .
٧- الكليات : ٦٤٤ .
٨ - ينظر : التحرير والتنوير ٧: ٤٢٧ .
٩ - ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤: ٤١ ، و إرشاد العقل السليم ٨: ٤٧ .
١٠ - ينظر : الكشاف ٤: ٢٦٥ ، ومفاتيح الغيب ٢٧: ٢٠١ ، والجواهر الحسان في تفسير القرآن ٥: ١٨٨ .

نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ المائدة : ٨٢ ، فالآية توضح وتبيّن حال اليهود والمشركين بأنّهم أعظم الناس معاداة للإسلام والمسلمين ، وأكثرهم سعياً في إيصال الضرر إليهم ، وذلك لشدة بغضهم لهم بغياً وحسداً وعناداً وكفراً ، ولشدّة شكيمتهم وتضاعف كفرهم ، وانهماكهم في إتباع الهوى ، في مقابل حال النصارى الذين هم ألين عريكة وقولاً وأقرب صلةً وآنس قلوباً[1]، وجاء أنّ المُراد من العداوة "البُغض الذي يستصحب التعدّي في العمل ، والبغضاء هو مطلق ما في القلب من حالة النفار وإن لم تستصحب التعدّي ، ويفيد اجتماعهما معنى البغض الذي يوجب الظلم على الغير"[2]، وفرّق ابن عطيّة بين العداوة والبغضاء بقوله : " وأنّ العداوة شيء يُشهَد يكون عن عملٍ وحرب ، والبغضاء لا تتجاوز النفوس " [3]. والمُلاحظ أنّه تعالى قابلَ بين المودّة والعداوة في الآية ، وهذه المقابلة تكشف لنا عن تضمّن العداوة معنى الكراهة والبغضاء .

١١- أعرض :

الإعراضُ عن الشيء في **المفهوم اللغوي** : الصدُّ عنه[4]، ولعلّنا نلمحُ الكراهة من الصدّ والابتعاد عن الأشياء ، إذ لولا كراهتها ما كان الصدّ عنها ، وقد استعمل **القرآن الكريم** هذا اللفظ في مواضع عديدة منها قوله تعالى ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴾ الإسراء:٨٣، أي : وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسان بالصحة والسعة ، أَعْرَضَ عن ذكر الله اشمئزازاً له وتكبراً ، كأنّه مستغن عنه مستبدّ بنفسه ، وقوله (وَنَأَى بِجَانِبِهِ) تأكيد للإعراض والتباعد ، لأنّ الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه ، والنأي بالجانب ، أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره ، وأراد الاستكبار؛ لأنّ ذلك من عادته[5]. ونظير الآية السابقة قوله تعالى ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ فصلت:٥١ .

١٢- عنت :

العَنَت في **المفهوم اللغوي** الحمل على المكروه [6]، والعَنَتُ دُخُولُ المَشَقَّةِ على الإنسان ولقاءُ الشدَّةِ ، قال ابن الأثير العَنَتُ المَشَقَّةُ والفساد والهلاكُ والإثم والغَلَطُ والخَطَأُ والزنا[7] ، ويقال : أعنت الرجل إذا حملت عليه عامداً لما يكره[8] .

إذن فالعنت هو المشقّة المحمولة على الإنسان ، وبذلك فإنّ الكراهة جزء من معناها ، وقد وردت في مواضع كثيرة في **القرآن الكريم** منها قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ آل عمران

---

١ - ينظر : الكشّاف ١: ٧٠١ ، والبحر المحيط ٤: ٣٤٣ ، وروح المعاني ٧: ٣٦٢ .
٢ - الميزان ٦: ٧٩ .
٣ - المحرر والوجيز ٢: ٢٢٥ .
٤ - الصحاح ١: ٤٥٩ (عرض).
٥ - ينظر : الكشاف ٢: ٦٣٩، ومفاتيح الغيب ٢١: ٣٢ ، والبحر المحيط ٧: ٩٦ .
٦ - مقاييس اللغة ٤ : ١٢٢ (عنت)، والمحيط في اللغة ١ : ٨٠ (عنت)، و تهذيب اللغة ١ : ٢٤٥ (عنت).
٧ - لسان العرب ٩ : ٤١٧ (عنت) .
٨ - التبيان في تفسير القرآن ٢: ٥٧٢ .

١١٨: ، أصل العنت المشقة ، والمعنى : أحبّوا مشقتكم الشديدة وضرركم ، وتمنوا ضلالتكم عن دينكم ، وظهرت أمارات العداوة لكم من فلتات ألسنتهم وفحوى كلماتهم لأنهم لشدة بغضهم لكم لا يملكون أنفسهم ولا يقدرون أن يحفظوا ألسنتهم [١]، فيا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ، لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، تُطْلِعونهم على أسراركم ، فهؤلاء يفرحون بما يصيبكم من ضرر ومكروه ، وقد ظهرت شدة البغض في كلامهم ، وما تخفي صدورهم من العداوة لكم أكبر وأعظم .

١٣- **غلّ :**

الغِلُّ في **المفهوم اللغوي** هو الضِّغْن ينْغَلُّ في الصَّدر[٢]، والغِلُّ بالكسر والغَلِيلُ الغِشُّ والعَداوة والضِّغْنُ والحقْد والحسد ، وغَلَّ صدرُه يَغِلُّ بالكسر غِلاًّ إذا كان ذا غِشٍّ أو ضِغْن وحقد[٣]، وقيل هو العداوة والحقد الكامن[٤].

ومن خلال هذه الإشارات اللغوية لمعنى الغلّ التي أشارت إليها المعاجم يُلحظ اقتراب هذا اللفظ لمعنى الكراهة ، إذ إنّه تضمّن معناها ، وإن احتمل عدّة معانٍ كما هو واضح في المفهوم اللغوي ، ولعلّ كلّ تلك المعاني التي احتملها تُشير إلى الكراهة ، وقد استعمل **القرآن الكريم** هذا اللفظ ثلاث مرّات ليدلّ ضمناً على الكراهة والبغضاء ، وفي سياق الحديث عن الجنّة يأتي هذا اللفظ في قوله تعالى ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الأعراف :٤٣، فالغلّ كما يذكر كثير من المفسرين هو الحقد والإحْنَة والضغن التي تحصل عند إدراك ما يسوؤها من عمل غيرها ، والنّزع حقيقته قلع الشيء من موضعه ، ونزع الغلّ من قلوب أهل الجنّة هو إزالة ما كان في قلوبهم في الدنيا من الغلّ عند تلقي ما يسوء من الغير ، بحيث طَهّر الله نفوسهم في حياتهم الثانية من الانفعال بالخواطر الشريّة التي منها الغلّ ، فزال ما كان قلوبهم من غلّ بعضهم من بعض في الدنيا ، أي أزال ما كان حاصلاً من غلّ وأزال طباع الغلّ التي في النفوس البشريّة بحيث لا يخطر في نفوسهم ، وغلّ الصدر من أعظم من يُنغّص عيش الإنسان[٥]، والذي يظهر "أنّ النزع للغلّ كناية عن خلقهم في الآخرة سالمي القلوب طاهريها متوادّين متعاطفين"[٦]، والتعبير بلفظ الماضي عن المستقبل في الفعل (نزعنا) " للتنبيه على تحقق وقوعه ، أي وننزعُ ما في صدورهم من غِلّ" [٧].

وجاء الغلّ في الأصل بمعنى النفوذ الخفي للشيء ، ولهذا يطلق على الحسد والحقد والعداوة التي تنفذ بخفاء في نفس الإنسان ، وهو أيضاً الحقد الكامن في القلب ، ويطلق على الشحناء والعداوة والبغضاء والحقد والحسد والبغض ، وكل هذه الخصال المذمومة داخلة في الغلِّ ، لأنّها كامنة في القلب ، فلذلك له مفهوم واسع يشمل

---

١ - ينظر : الكشاف ١: ٤٣٥ ، وروح المعاني ٤: ٤٠٤ . ورد هذا اللفظ في : البقرة : ٢٢٠ ، النساء : ٢٥ ، التوبة : ١٢٨ ، الحجرات : ٧ .
٢ - مقاييس اللغة ٤ : ٣٠٢ ، وينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٦١٠ .
٣ - لسان العرب ١٠ : ١٠٨ (غلل)، وتاج العروس : ٧٣٨٢ (غلل) .
٤- المعجم الوسيط ٢ : ٢٣١ (غلل).
٥ - ينظر : تفسير القرآن العظيم ٢: ١١٣٥ ، والبحر المحيط ٥: ٥٣ ، والتبيان في تفسير القرآن ٤: ٤٠٤ ، والميزان ٨: ١١٧ ، و الأمثل ٥ : ٣١ .
٦ - البحر المحيط ٥: ٥٣ .
٧ - إرشاد العقل السليم ٣: ٢٢٨ .

الكثير من الصفات الأخلاقية القبيحة[1]، وورد أيضاً في قوله تعالى ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ الحجر : ٤٧ ، والمعنى أنّنا نزعنا عن صدورهم الحسد والحقد والعداوة والخيانة ، وجعلناهم إخواناً تربطهم أقوى صلات المحبّة ، ومن لطيف التعبير في البيان القرآني أنّه جمع كلّ الصفات المانعة للإخوّة والتحابّ كالحقد والحسد والغرور والخيانة في لفظة (الغلّ) ذات المفهوم الواسع [2]، والآية إشارة إلى نفي المضار الروحانيّة دون المضار الجسمانيّة[3].

وجاء في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ الحشر:١٠ ، أي سألوا الله أن يطّهر نفوسهم من الحقد والحسد والبغض للمؤمنين السابقين على ما أعطوه من فضيلة السبق في الإسلام والإيمان ، وصحبة النبي والهجرة [4]، ولعلّنا نرى أنّهم أحسنوا الدعاء للمؤمنين ، ولم يُرسلوا القول إرسالاً ، وهذا من لطيف البيان القرآني .

١٤- غيظ :

الغين والياء والظاء في **المفهوم اللغوي** ، يدلُّ على كَرْبٍ يلحقُ الإنسانَ مِن غيره[5]، والغَيْظُ الغضب وقيل الغيظ غضب كامن للعاجز وقيل هو أَشدُّ من الغضَب وقيل هو سَوْرَتُه وأَوّله [6]، وفلان يغيظني ويغايظني ، واغتاظ على صاحبه وتغيّظ ، وهو مغيظٌ محنق[7]، وقيل إنَّ الغيظ هو الغضب المحيط بالكبد ، ولا يكون الغيظ إلا بوصول مكروه إلى المغتاظ[8] ، وقال الراغب : "الغيظُ أشدُّ الغضب ، وهي الحرارة التي يجدها الإنسانُ من فورانِ دم قلبهِ"[9] .

جاء هذا الجذر بمعنى الكراهة [10] في **القرآن الكريم** في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ الشعراء : ٥٥ ، أي كارهون ، أو داعون بفعلهم إلى الانتقام منهم ، ويفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا من مخالفة أمرنا والخروج بغير إذننا مع ما عندهم من أموالنا المستعارة [11].

وجاء الغيظ بمعنى الغضب الكامن في الصدور للعاجزين والذي يحمل معه البغض والحنق والتشفي[12] في قوله تعالى ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ **آل عمران :١١٩**، أي أنّه إذا خلا بعضهم

١ - ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١: ٤١٢ .
٢ - ينظر : مجمع البيان ٦: ١٣٦ ، والأمثل ٨ : ٨١ .
٣ - مفاتيح الغيب ١٩: ١٦٦ .
٤ - ينظر : التحرير والتنوير ٢٨: ٩٧ ، ونظم الدرر ٥: ٢١٨ .
٥ - مقاييس اللغة ٤ : ٣٢٥ (غيظ) .
٦ - الصحاح ٢ : ٣٠(غيظ) ، و لسان العرب ١٠ : ١٥٧ (غيظ).
٧ - أساس البلاغة : ٣٤١ .
٨ - مجمع البحرين ٤ : ١٨٩(غيظ) .
٩ - مفردات ألفاظ القرآن : ٦١٩ .
١٠ - ينظر : القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم : ٣٧٦ .
١١- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٦١٩ ، ومفاتيح الغيب ٢٤: ١٢٤، وروح المعاني ١٩: ١٨٤ .
١٢- ينظر : فقه اللغة وسر العربية : ١٨٩ ، و التبيان للعكبري ١ : ٨٢ .

ببعض أظهروا شدّة العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين حتى تبلغ تلك الشدة إلى عضّ الأنامل ، والغيظ غضب شديد يلازمه إرادة الانتقام ، وقد وُصِفَ المغتاظ والنادم بعضّ الأنامل والبنان والإبهام .

أمّا قوله (قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ) فدعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به ، والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوّة الإسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزى ، فإنّ الله يعلم ما في صدور المنافقين من العداوة والبغضاء والحنَقِ ، وما يكون منهم في حال خلوّ بعضهم ببعض(١).

وقد يُلحظ من لفظة (الغيظ) استحضار معنى الكراهة وذلك في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران : ١٣٤، فقد أسند الغيظ إلى الفعل (كظم) ، إذ إنّ (الكظم) في اللغة شد رأس القربة عند ملئها ، فيقول كظمت القربة إذا ملأتها ماء ثمّ شددت رأسها ، وقد استعملت كناية عمّن يمتلئ غضباً ولكنّه لا ينتقم ، أمّا لفظة (الغيظ) فتكون بمعنى شدّة الغضب والتوتّر والهيجان الروحي الشديد الحاصل للإنسان عندما يرى ما يكره ، والكاظمين الغيظ تعني المتجرعين للغيظ عند امتلاء نفوسهم منه فلا ينتقمون ممن يدخل عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك (٢)، إذ أنّ الغيظ كما يراه كثير من المفسرين هو ألم نفسي يحدث إذا أوذي المرء في بدنه أو عرضه أو ماله ، وحبس الغيظ : عدم إظهاره على الجوارح بسبٍ أو ضربٍ ونحوهما للتشفي والانتقام ، وقيل إنّ الغيظ هو أصل الغضب ، وكثيراً ما يتلازمان ، ولذلك فسر بعضهم (الغيظ) بالغضب ، إلاّ إنّ بينهما فرقاً فالغيظ فعل النفس لا يظهر على الجوارح ، والغضب حال لها معه ظهور في الجوارح ، ولهذا جاز إسناد الغضب إلى الله تعالى ، إذ هو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم ، ولا يسند إليه تعالى غيظ(٣)، وذكر المفسّر الطوسي فرقاً بين الغيظ والغضب إذ قال " والفرق بين الغيظ والغضب أنّ الغضب ضد الرضا ، وهو إرادة العقاب المستحقّ بالمعاصي ، وليس كذلك الغيظ ، لأنّه هيجان الطبع بكره ما يكون من المعاصي ، ولذلك يقال غضب الله على الكفّار ، ولا يقال اغتاظ منهم " (٤).

وجاءت هذه اللفظة لغير العاقل لبيان غيظ النار وهيجانها وكراهتها لأهل الكفر والعصيان في قوله تعالى ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ الملك : ٨ ، أي ينفصل بعضها من بعض لشدّة اضطرابها ، ويقال : " فلان يتميز من الغيظ ، إذا وصفوه بالإفراط في الغضب" (٥)، أو تكاد النار تتفرق وتنقطع من شدتها ، وسمي شدتها والتهابها غيظا لأنّ المغتاظ هو المتقطّع بما يجد من الألم الباعث على الإيقاع لغيره ، فحال جهنم كحال المغتاظ (٦)، وقد "شبّه اشتعال النار بهم في قوة تأثيرها فيهم وإيصال الضرر إليه باغتياظ المغتاظ على غيره المبالغ في إيصال الضرر إليه"(٧).

---

١ - ينظر : الكشاف ١: ٤٤٤ ، ومفاتيح الغيب ٨: ١٨٦ ، وإرشاد العقل السليم ٢: ٧٦ .
٢ - ينظر : مجمع البيان ٢: ٤٧١، و الأمثل ٢ : ٣١٨ .
٣ - ينظر : المحرر والوجيز ١: ٥٠٩ ، ومفاتيح الغيب ٩ : ٨ ، والبحر المحيط ٣: ٣٤٧ ، وروح المعاني ٤: ٤٤٩ .
٤ - التبيان في تفسير القرآن ٢: ٥٩٤ .
٥ - البحر المحيط ٨ : ٢٩٩ .
٦ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن ١٠: ٦٢ .
٧ - روح المعاني ٢٧: ٢٩٨ .

وتأتي هذه اللفظة لتتضمّن معنى الكراهة والبغض في نفس مَن يفقد ثقته في نصر الله في الدنيا والآخرة ، ويقنط من عون الله له في المحنة حين تشتدّ المحنة وذلك في قوله تعالى ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ الحج : ١٥، والمقصود من الآية بيان أنّ ما قدره الله تعالى من نصر لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) لن يحول بين تنفيذه حائل مهما فعل الكافرون وكره الكارهون ، فليموتوا بغيظهم فإنّ الله ناصر لنبيه لا محالة ، فإنّ ذلك لا يذهب غيظك ولا يشفي كمدك ، وجاء في الكشاف " أنّ قوماً من المسلمين لشدّة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر"[١].

وجاءت هذه اللفظة أيضاً في قوله تعالى ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ الأحزاب : ٢٥، والمعنى أنّه تعالى ردّ الذين كفروا مع غمّهم وحنقهم والحال أنّهم لم ينالوا ما كانوا يتمنونه وكفى الله المؤمنين القتال ، والغيظ الحَنق والغضب والغمّ ، وكان غضبهم عظيماً يناسب حال خيبتهم لأنّهم تجشّموا كلفة التجمّع والإنفاق وطول المكث حول المدينة بلا طائل وخابت آمالهم في فتح المدينة وأكل ثمارها وإفناء المسلمين ، ثمّ غاظهم ما لحقهم من النكبة بالانهزام [٢].

١٥- **قبح :**

القاف والباء والحاء في **المفهوم اللغوي** كلمةٌ واحدة تدلُّ على خلاف الحُسْن[٣]، ويكون في القول والفعل والصورة وما نفر الذوق السوي منه[٤]، وقال الراغب : "هو ما ينبو عنه البصر من الأعيان ، وما تنبو عنه النفس من الأعمال والأحوال" [٥].

ونلحظُ القبح قد تضمّن الكراهة من خلال المعنى اللغوي إذ إنّ نفور النفس عن الأشياء ونبوّها إشارة إلى كراهتها وربّما بغضها ، وجاء هذا اللفظ وصفاً للكافرين في **القرآن الكريم** في قوله تعالى ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ القصص :٤٢ ، الشيء المقبوح : المطرود المبعد عن كل خير ، والمعنى المطرودون المبعدون[٦]، وأما "تقبيح حالهم يوم القيامة فهو دائم معهم ملازم لهم ، فجيء في جانبه بالاسمية المقتضية الدوام والثبات" [٧].

---

١ - الكشاف ٤: ١٤٩ .
٢ - ينظر : التحرير والتنوير ٢١: ٣١٠ ، والميزان ١٦: ٢٩٧، والأمثل ١٣: ١٣٠ . وقد وردت هذه اللفظة في : التوبة : ١٢٠، والتوبة : ١٥، الفتح : ٢٩، والفرقان : ١٢ . ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٦٥٨ .

٣ - مقاييس اللغة ٥ : ٣٨(قبح)، لسان العرب ١١ : ٨ (قبح).
٤ - المعجم الوسيط ٢ : ٣٣٣ (قبح).
٥ - مفردات ألفاظ القرآن : ٦٥١.
٦ - ينظر : الكشاف ٣: ٤٢٠ ، و إرشاد العقل السليم ٧: ١٥ ، ونظم الدرر ٧: ٥٢٨ .
٧ - التحرير والتنوير ٢٠: ١٢٧ .

١٦- كَبُر :

كَبُرَ يَكْبُرُ كِبَراً في **المفهوم اللغوي** عَظُمَ يَعظُم عِظَماً ، والكِبَرُ في السنّ وقد كَبِرَ الرجل يَكْبَرُ كِبَراً، أي أسَنَّ ، والكِبْرُ: العظَمَة ، وكذلك الكِبْرِياءُ ، والتَكْبيرُ: التعظيمُ ، والتَكَبُّرُ والاسْتِكْبارُ : التعظم والكِبَر العظمة والتجبر والإثم الكبير(١) .

ولعلّنا نلمحُ من لفظ (كَبُرَ) معنى الكراهة في **الاستعمال القرآني** في قوله تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ الشورى:١٣، إذ إنّ معنى كبُرَ جلّ وعظم وشق و صعُب وثَقُل حتى ضاقت به صدورهم ، وهو شدة كراهة الكفار لما أنزل الله تعالى ، أيْ إنّهم عجزوا عن قبول ما تدعوهم إليه من وحدانية الله تعالى ونبوّة نبيّه ، وإلى ترك ما ألفوه من شرك ، ومن تقاليد فاسدة ورثوها عن آبائهم ، فالكبر مجاز استعير للشيء الذي لا تطمئن النفس لقبوله ، ولعلّها تنفر منه ، والكِبرُ في الأصل الدّال على ضخامة الذات لأنّ شأن الشيء الضخم أن يعسر حمله ولما فيه من تضمين معنى ثقل عدّي بـ(على) (٢). أي ثَقُل عليهم أمر الإسلام ، وقد أفاد التعبير بلفظ (كَبُرَ) دلالة التعجب المستفادة من مجيئ الفعل إلى صيغة(فَعُل) بضم العين ، قال الزمخشري " قُصد في (كبر) التعجب من غير لفظه ، ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين ، لأنّ التعجب لا يكون إلاّ من شيء خارج عن نظائره وأشكاله " (٣).

١٧- نَبَذَ :

النّبْذُ في **المفهوم اللغوي** : طرحك الشيء من يدك أمامك أو خلفك كما قال الليث(٤)، ونَبَذْتُ الشيء أَنْبِذُه نَبْذاً إذا أَلقيته من يدك ونَبَّذته شدد للكثرة ونبذت الشيء أَيضاً إذا رميته وأَبعدته(٥)، وجاء في المفردات "أنّ أَصْلُ النَّبْذِ طَرْحُ ما لا يُعْتَدُّ به أو لقلّة الاعتداد به ، وغالِبُ النَّبْذِ الذي في القرآنِ على هذا الوَجْهِ"(٦). ولعلّنا نلمحُ للكراهة قرباً من المفهوم اللغوي للفظة (نَبَذَ) .

ولم يحتمل كل ما ورد في **القرآن الكريم** من النبذ معنى الكراهة ، ولكنّنا نلمحُ من النبذ معنى عدم الإرادة والكراهة للشيء المطروح أو المُلقى ، إذ لو أنّهم يُريدوه ما طرحوه وتركوه وألقوه وراء ظهورهم ، ومن وروده في **القرآن الكريم** قوله تعالى ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : ١٠٠ – ١٠١ ، النبذ الأولى إلقاء الشيء من اليد وهو هنا استعارة لنقض عهد التوراة من اليهود ، فقد شبّه إبطال العهد

١ - الصحاح ٢ ، ١٠٥ (كبر)، ولسان العرب ١٢ : ١٢(كبر)، والمعجم الوسيط ٢ : ٤٦٢(كبر) .
٢ - ينظر : النكت والعيون ٥: ١٩٧ ، و نظم الدرر ٦: ٦١٠ ، و التحرير والتنوير ٢٦:٥٤ .
٣ - الكشاف ٤ : ٥٢٣ ، وينظر : الإتقان في علوم القرآن ٣ : ٢٢٨ .
٤ - تهذيب اللغة ٥ : ٦٥ (نبذ).
٥ - لسان العرب ١٤ : ١٨ (نبذ).
٦ - مفردات ألفاظ القرآن : ٧٨٨ ، وينظر : تاج العروس : ٢٤٢٦(نبذ) .

وعدم الوفاء به بطرح شيء كان ممسوكاً باليد ، كما سموا المحافظة على العهد والوفاء به تمسكاً ، وأكثر أولئك الفساق لا يصدّقون أبداً لحسدهم وبغيهم[١].

والنبذ الثانية طرح الشيء من اليد ، وكتاب الله ظاهر في أنّه المراد به القرآن لأنّه الأتم في نسبته إلى الله ، فالنبذ على هذا مراد به تركه بعد سماعه فنزل السماع منزلة الأخذ ونزل الكفر به بعد سماعه منزلة النبذ ، أو جعل النبذ تمثيلاً لحال قلة اكتراث المعرض بالشيء ، أمّا قوله (وراء ظهورهم) فهو تمثيل للإعراض لأنّ من أعرض عن شيء تجاوزه فخلفه وراء ظهره وإضافة الوراء إلى الظهر لتأكيد بُعد المتروك بحيث لا يلقاه بعد ذلك [٢]. ومثل ذلك جاء في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ آل عمران : ١٨٧ ، ليدلّ على الترك المُفضي للكراهة ، والمعنى : تركوه وأخذوا الرشا ، وكرهوا أن يتّبعوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) فتبطل رياستهم[٣].

١٨- نزع :

يأتي هذا اللفظ في **مفهومه اللغوي** لمعانٍ منها المخاصمة والمجادلة [٤]، فالمنازعة في الخصومة : مجاذبة الحجج فيما يتنازع فيه الخصمان[٥]، ونازَعَهُ : خاصَمَهُ وجاذَبَهُ ، والتَّنازُعُ : التَّخاصُمُ [٦]، ولعلّ المخاصمة تبعث على العداوة وهذه تذهب إلى التباغض والكراهة ، وقد وردت هذه اللفظة في **القرآن الكريم** بهذا المعنى في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ النساء:٥٩ ، فأطلق التنازع على الاختلاف الشديد ، لأنّ الاختلاف الشديد يشبه التجاذبَ بين شخصين ، فشمل ذلك تنازع الناس مع بعضهم ، ولفظ (شيء) نكرة متوغّلة في الإبهام ، أي في كلّ شيء ، فيصدق بالتنازع في الخصومة على الحقوق ، ويصدق بالتنازع في اختلاف الآراء عند المشاورة أو عند مباشرة عمل مّا ، كتنازع ولاة الأمور في إجراء أحوال الأمّة . ولقد حسَّن موقع كلمة (شيء) هنا تعميم الحوادث وأنواع الاختلاف[٧]، ومن هنا يمكن القول إنّ النزاع في الأمور قد يصل إلى مرحلة العداء الذي يتضمّن الكراهة والتباغض .

---

١ - ينظر : مفاتيح الغيب ٣: ١٩٦ .

٢ - ينظر : الكشّاف ١: ١٩٧، والتحرير والتنوير ١: ٦٢٦ .

٣ - ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ١٨٠ . وجاء هذا اللفظ في مواضع عديدة في القرآن ليدلّ على معناه اللغوي وهو الطرح والإلقاء ، وهذه المواضع هي : الأنفال:٥٨ ، مريم : ٢٢، وطه:٩٦، و الصافات :١٤٥ ، والقصص : ٤٠ ، والذاريات : ٤٠ ، والقلم : ٤٩ ، والهمزة :٤ ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٨٣٨ .

٤ - مفردات ألفاظ القرآن : ٧٩٨ .

٥ - تهذيب اللغة ١ : ١٩٨ (نزع)، ولسان العرب ١٤ : ٢٠٣ (نزع).

٦ - القاموس المحيط ١ : ٩٩٠ (نزع).

٧ - ينظر : التحرير والتنوير ٥: ٩٩ . وردت هذه اللفظة بمعنى الخصومة والاختلاف في : آل عمران : ١٥٢، الأنفال : ٤٦ ، طه :٦٢ .

١٩- نشز :

النّشَز في **المفهوم اللغوي** يدلُّ على ارتفاعٍ وعُلوّ ، وهو المكان العالي المرتفِع ، والنّشْز والنُّشوز : الارتفاع[١]، ومن المجاز : نشزت إليّ النفس : جاشت من الفزع ، ونشزت المرأة على زوجها ، ونشز عليها نشوزاً ، وامرأة ناشز[٢]، والنُّشوزُ يكون بين الزوجين وهو كراهة كل واحد منهما صاحبه واشتقاقُه من النَّشَزِ ، ونَشَزَت المرأَةُ بزوجها وعلى زوجها تَنْشِزُ وتَنْشُز نُشوزاً وهي ناشِزٌ ارتفعت عليه واستعصت عليه وأَبغضته وخرجت عن طاعته وفَرَكَتْه ، ونَشَزَ هو عليها نُشوزاً كذلك وضربها وجفاها وأَضرّ بها والنُّشوز كراهية كل منهما صاحبه وسُوءُ عشرته له[٣].

وجاء هذا اللفظ في **القرآن الكريم** بصيغة المصدر ليدلّ على معناه المجازي في قوله تعالى ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ النساء : ٣٤ ، قال الراغب : " نشوز المرأة بُغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته ، وعينُها عنه إلى غيره "[٤]، وقد ذكر المفسّرون أنّ النشوز عصيان المرأة زوجها والترفّع عليه وإظهار كراهيته والامتناع من طاعته بغضاً وكراهة ، أي إظهار كراهية لم تكن معتادة منها ، أي بعد أن عاشرته ، فقد يكون ذلك لسوء خلق المرأة ، وقد يكون لأنّ لها رغبة في التزوّج بآخر ، وقد يكون لقسوة في خُلق الزوج[٥].

وقد ورد هذا اللفظ في السياق عينه غير أنّه جاء للرجل دون المرأة في قوله تعالى ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ النساء : ١٢٨، فالنشوز : أن يتجافى عنها ترفُّعاً عليها لبغضها ، بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة ، وأن يؤذيها بسبٍّ أو ضرب ، أمّا الإعراض فهو أن يعرض عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها ، وذلك لبعض الأسباب من طعن في سنّ ، أو دمامة ، أو شيء في خلق أو خُلق ، أو ملال ، أو طموح عين إلى أخرى ، أو غير ذلك فلا بأس بهما في أن يصلحا بينهما[٦].

٢٠- نفر :

النون والفاء والراء في **المفهوم اللغوي** : أصلٌ صحيح يدلُّ على تجافٍ وتباعد ، ومنه نَفَر نِفاراً ، لتَجافِيهِ وتباعِدِه عن مكانِه ومَقرّه[٧]، وقيل هو مأْخوذ من نِفارِ الشيء من الشيء إنما هو تَجافِيهِ عنه وتَباعُدُه منه[٨].

---

١ - مقاييس اللغة ٥ : ٣٤٤ (نشز).
٢ - أساس البلاغة ١ : ٣٦٤ .
٣ - العين ٦ : ٢٣٢ (نشز)، وتهذيب اللغة ٤ : ٨٥ (نشز)، والصحاح ٢: ٢٠٩ (نشز)، ولسان العرب ١٤ : ١٤٠ (نشز) .
٤ - مفردات ألفاظ القرآن : ٨٠٦ .
٥ - ينظر : الكشاف ١: ٥٣٨ ، ومفاتيح الغيب ١٠: ٨٠ ، والنكت والعيون ١: ٤٨٢ ، ونظم الدرر ٢: ٢٥١ .
٦ - ينظر : مفاتيح الغيب ١١: ٥٥ ، وأنوار النزيل وأسرار التأويل ٢: ١٠١ ، وإرشاد العقل السليم ٢:٢٣٩
٧ - مقاييس اللغة ٥ : ٣٦٨ (نفر).
٨ - تهذيب اللغة ٥ : ١٣١ (نفر)، و لسان العرب ١٤ : ٢٣٢ (نفر) .

ولعلّنا تلمحُ في هذا اللفظ معنى الكراهة ، وذلك من خلال التباعد والتجافي الظاهر في المفهوم اللغوي ، وقد ذكرنا في الفصل السابق أنّ من معاني الكره هو النفور أي أنّ الإنسان ينفر من الشيء لكراهته له ، وجاء هذا اللفظ في **القرآن الكريم** متضمناً معنى الكراهة في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ الإسراء : ٤١ ، والآية تصوير بديع لإصرارهم على كفرهم وعنادهم ، وإيثارهم الغى على الرشد ، فبعد أن بيّن القرآن أنواعا من الوعد والوعيد ، ليتذكر هؤلاء الضالون ويتعظوا ويعتبروا ، فما زادهم ذلك إلاّ تباعداً عن الحق وإعراضاً عنه ، و(النفور) عبارة عن شدة الإعراض تشبيهاً بنفور الدابة ، وهو في هذه الآية مصدر ، وجاء بصيغة المصدر وصفاً لثبات حالهم على هذا الأمر، ولكراهتهم السماع زيادة على التذكير(١).

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ الإسراء : ٤٦، أي : وإذا ذكرت أيها الرسول الكريم ربك في القرآن وحده ، من دون أن تذكر معه آلهتهم المزعومة انفضوا من حولك ورجعوا على أعقابهم نافرين شاردين استكبارًا واستعظامًا من أن يوحِّدوا الله تعالى في عبادته(٢).

ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ الفرقان : ٦٠ ، أي : وزادهم الأمر بالسجود تباعداً ونفورا عن الإيمان وعن السجود لله الواحد القهار ، والنفور هو الفرار من الشيء ، وأطلق هنا على لازمه وهو البعد ، وقد تضمّن عدم الرغبة ، فهم كانوا أصحاب نفور من السجود لله فلما أمروا بالسجود للرحمان زادوا بُعداً من الإيمان(٣).

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ فاطر : ٤٢ ، أي : ما زادهم مجيء الرسول لهم إلاّ نفورا عن الحق ، وتباعدا عن الهدى وهرباً منه(٤) .

٢١- نكر :

المُنْكَرُ في **المفهوم اللغوي** ضد المعروف وكلُّ ما قبحه الشرع وحَرَّمَهُ وكرهه(٥)، والتَّنكُرُ: التَّغَيُّرُ عن حالٍ تَسُركَ إلى حالٍ تَكْرَهُها(٦). والملاحظ أنّ إنكار الأشياء دلالة على كراهتها ، أو أنّها احتملت ذلك لتضمنها إيّاه ، "والمنكر كلّ فعلٍ تحكم العقول الصحيحة بقبحه" (٧).

١ - ينظر : مفاتيح الغيب ٢٠: ١٨٢ ، و روح المعاني ١٤: ٥٢٥ ، و في ظلال القرآن ٤: ٢٢٣٠ ، ونظم الدرر ٤: ٣٨٤ ، والتحرير والتنوير ١٥:١١٠ .
٢ - ينظر : التفسير الوسيط ١٧: ٢١١ .
٣ - ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢: ١٩٧ ، و تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٥٨٥ ، والتحرير والتنوير ١٩:٦٣.
٤ - ينظر : روح المعاني ٢٢: ٢٥٣ .
٥ - لسان العرب ١٤ : ٢٨٢ (نكر).
٦ - المحيط في اللغة ٣ : ٤٦ (نكر)، وتهذيب اللغة ٣ : ٣٦٣(نكر) .
٧ - مفردات ألفاظ القرآن : ٨٢٣ .

وجاء هذا اللفظ في **القرآن الكريم** بصيغة اسم المفعول ليُلمح منه معنى الكراهة في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ الحج : ٧٢ ، أي : "يتناولون بالمكروه"[١]، فالمنكر هو الشيء الفظيع من التجهم والبسور الذي تُنكره الأنظار والنفوس فيكون هنا اسماً ، أي دلائل كراهيتهم وغضبهم وعزمهم على السوء ، والمعنى أنهم يلوح على وجوههم الغَيْظ والغضب عندما يُتلى عليهم القرآن ويُدعون إلى الإيمان . وهذا كناية عن امتلاء نفوسهم من الإنكار والغيظ حتى تجاوز أثرُه بواطنهم فظهر على وجوههم[٢]، والمعنى أنّك ترى وجوههم معبسة ، وأبشارهم مكفهرة من بغضها وكراهتها[٣].

٢٢- هجر :

الهَجْرُ في **مفهومه اللغوي** : ضد الوصل ، وهجر تباعد ، ويقال : هجر هجرا وهجرانا تركه وأعرض عنه ويقال هجر زوجه اعتزل عنها[٤] ، وقال الراغب : "الهجرُ والهِجران مفارقة الإنسان غيره ، إمّا بالبدن أو باللسان أو بالقلب"[٥]. ولعلّ ذلك المفهوم يوحي لنا معنى الكراهة والبغض ، وجاءت هذه اللفظة في **سياقها القرآني** لتتضمّن هذا المعنى على لسان آزر يوبّخ فيه إبراهيم (عليه السلام) ويتوعّده ويهدده بسبب تركه آلهته في قوله تعالى ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ مريم:٤٦ ، فالهجر : قطع المكالمة وقطع المعاشرة ، وإنّما أمر أبو إبراهيم ابنَه بهجرانه ولم يخبره بأنّه هو يهجره ليدلّ على أنّ هذا الهجران في معنى الطرد والخَلْع إشعاراً بتحقيره ، وقوله (مليّاً) ، وهذه المادة تدلّ على كثرة الشيء [٦]، ومعنى العبارة "أن تغرب عن وجهي زمنا طويلاً لا أحبُّ أن أراك فيه" [٧].

ومنها قوله تعالى ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ المدّثر :٥ ، والهجر : ترك المخالطة وعدم الاقتراب من الشيء ، "فالأمر بهجر الرجز يستلزم أن لا يعبد الأصنام وأن ينفي عنها الإلهية" [٨]، فضلا عن كراهة عبادة الأصنام التي نلمحها من لفظة الهجر .

وقد تعني لفظة الهجر النفور من الشيء لهذا عبّر بها القرآن في هذا الموضع ليبيّن شدّة الأمر بترك الرجز وهجرانه ، والرجز هو كلمة جامعة للمعاصي والآثام ، فضلا عن تقديمه لشدة الاهتمام بتركه ، وقيل هو اسم للقبيح المستقذر ، فكأنّه قال اهجر الجفاء والسفه وكل شيء مكروه ولا تتخلق بأخلاق هؤلاء المشركين[٩].

---

١ - تفسير غريب القرآن : ٣٣١ .
٢ - ينظر : التحرير والتنوير ١٧: ٣٣٤ .
٣ - ينظر : الكشاف ٣: ١٧٢ ، و مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢: ١٢٤ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٥٣٩ .
٤ - الصحاح ٢ : ٢٤٣ (هجر)، المعجم الوسيط ٢ : ٨٦٨ (هجر) .
٥ - مفردات ألفاظ القرآن : ٨٣٣ .
٦ - ينظر : التحرير والتنوير ١٦: ١١٩ .
٧ - التفسير الوسيط ١٧: ٥٤ .
٨ - التحرير والتنوير ٢٩: ٢٩٨ .
٩ - ينظر : روح المعاني ٢٨: ٥٠ .

ويُلحظُ معنى الكراهة من الهجر في قوله تعالى﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ الفرقان:٣٠ ، أي أنّهم اتخذوا القرآن مهجورا أي : متروكا فقد تركوا تصديقه ، وتركوا العمل والاعتناء به وسماعه ، وتركوا التأثر بوعيده [١].

١ - ينظر : التحرير والتنوير ١٩: ١٧.

الفصل الثالث

ما تعلّق بالكراهة من ألفاظ

المبحث الأول: ألفاظ المبغوضين في القرآن

المبحث الثاني : الألفاظ الدالة على أصناف الكراهة

الفصل الثالث
ما تعلّق بالكراهة من ألفاظ

المبحث الأوّل : ألفاظ المبغوضين في القرآن

المبحث الثاني : الألفاظ الدالة على أصناف الكراهة

المبحث الأوّل : ألفاظ المبغوضين في القرآن

توطئة :

إنّ المقصود بألفاظ غير المحبوبين هي الألفاظ الدالة على صفات أهل الكراهة ، وقد تعددت هذه الصفات في القرآن الكريم وكان التعبير القرآني يميل إلى ذكر لفظة (لا أحبّ) وتصريفاتها بدلاً عن (أكره) ومشتقاتها ، أي أنه لا ينسب لنفسه مثل هذه الصفات – حاشا لله – وهو الرؤوف الرحيم بعباده ، ولأنّ استعمال نفي المحبة في التعبير القرآني أبلغ من اللفظة المقابلة ؛ لأنّها تنفي جميع الصفات التي يتصف بها هذا المنفي ، في حين تدلّ لفظة (يكره) على أن الصفة المحددة هي المكروهة فقط ، وربّما هناك صفات أخرى غير مكروهة ، وإنّ نفي محبّة الله تعالى نفي رضاه وتقريبه عمّن هذا وصفه ، وقيل عدم مغفرته [1]، وهو تعريض بأخلاق أهل الشرك ، لما عرفوا به من الغلطة والجفاء ، فهو في معنى التحذير من بَقايا الأخلاق التي كانوا عليها . وبعد النظر في مثل هذا المقام وجدنا مجموعة من الصفات قد وقعت في سياق نفي محبّة الله تعالى زيادة على وقوعها في سياقات أخرى ، ولكن

١ - ينظر : الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ٢ : ١١١ .

طبيعة البحث جعلتنا نقف عليها فقط لنتعرّف على دلالات وقوعها في سياقاتها المختلفة وطبيعة تلك السياقات ، ولنا أنْ نستعرض تلك الصفات .

المعتدون :

الاعتداء هو تجاوز الحدود التي أمر الله بها أو نهى عنها بشكلها العام ، والمُعْتَدون المُجاوِزون ما أُمِرُوا به [(١)] وقد وردت هذه اللفظة في **القرآن الكريم** في سياق نفي محبّة الله ثلاث مرات ، جاءت الأولى منها في سياق الحروب والقتال توصي المسلمين بضرورة رعاية العدالة حتى في ميدان القتال وفي مقابلة الأعداء ، وتنظيم عمل المقاتلين في ميدان الحروب ، ووجوب رعاية الأصول الأخلاقية بشكلها الخاص ، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ البقرة : ١٩٠ ، جاءت لفظة (المعتدين) في الآية للدلالة على النهي عن الاعتداء في القتال أو الابتداء و المفاجأة به ، أي لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده فإن فعلتم فقد اعتديتم[(٢)] ، وقوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) يفيد العموم ، ولكنّه خصّه هنا في القتال ، أي أنّه يسخط عليهم ، "لأنّه على وجه الذم لهم إذ لا يجوز أن يطلق على من لا ذنب له من الأطفال والمجانين"[(٣)] ، أمّا محبة الله لعباده فهي صفة من صفاته تعالى من أثرها الرعاية والإنعام ، وإذا نفى الله تعالى محبته لطائفةٍ من الناس فهو دلالة عن بغضه لهم ، واستحقاقهم لعقوبته[(٤)].

والذي يبدو أن القرآن الكريم يتجه بتعبيره نحو الحقيقة أكثر من اتجاهه إلى المجاز وهذه الآية تدل على المجاز وهو الجزاء على الاعتداء ، لأنّ الاعتداء غير جائز في الشرائع السماوية جمعاء ، أما قوله تعالى ﴿ ... فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ... ﴾ البقرة : ١٩٤ ، فلا يجوز أن تحمل جملة (فاعتدوا عليه) على الحقيقة ، وذلك لأنّ الآية السابقة تعدّ قرينة تمنع إرادة الحقيقة [(٥)].

أمّا الموضع الثاني فجاءت لفظة المعتدين في سياق الحديث عن تحريم طيبات ما أحل الله تعالى وتجاوز حدود الحلال والحرام في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ المائدة :٨٧ ، إذ إنّ ظاهر السياق أنّ المراد بالاعتداء هو التحريم المذكور في الجملة السابقة ، والآية خطاب للمؤمنين نهاهم الله تعالى من أن يحرموا طيبات ما أحلّ لهم ، ويجاوزوا ما لهم إلى ما ليس لهم ، والمعنى أنّه يبغضهم ويريد الانتقام منهم ، وإنّما ذكره على وجه النفي لدلالة هذا النفي على معنى الإثبات ، وكأنّه قيل يكفيهم في الهلاك ألاّ يحبهم الله [(٦)] .

١ - لسان العرب ٩ : ٩٢ (عدا).
٢ - ينظر : روح المعاني ٣: ١٦٢ .
٣ - التبيان في تفسير القرآن ٢: ١٤٤ .
٤ - ينظر : التفسير الوسيط ١: ١٩٨ .
٥ - ينظر : تفسير القرآن بالقرآن : ٧٥ .
٦ - ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ٣٠٢ ، والتبيان في تفسير القرآن ٤: ٦ ، والميزان ٦: ١٠٨ .

وذكر المفسّر الرازي ثلاثة وجوه للاعتداء في هذا الموضع الأول منها أنّه تعالى جعل تحريم الطيبات اعتداءً وظلماً فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها ، والثاني : الإسراف ، أي أنّه لما أباح الطيبات حرم الإسراف فيها ، والثالث : أنّه لمّا أحلّ لكم الطيبات اكتفوا بهذه المحللات ولا تتعدوها إلى ما حرم عليكم[١] .

أمّا توجيهه سبحانه النداء للمؤمنين بوصف الإيمان ، فإنّ ذلك يؤدي إلى تحريك حرارة العقيدة في قلوبهم حتى يمتثلوا أوامر الله ونواهيه ، وجملة (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) تذييل للّتي قبلها للتحذير من كلّ اعتداء ، فإنّه تعالى لا يحبُّ الذين يتجاوزون حدود شريعته ، وسنن فطرته ، وهدى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) [٢] .

ووردت كلمة (المعتدين) في الموضع الثالث في سياق الحديث عن كيفيّة ممارسة الدعاء في قوله تعالى ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ الأعراف : ٥٥ ، وقد فُسر الاعتداء بمعناه العام ، أي الاعتداء في كل شيء ، وقيل إنّه لا يحبّ المعتدين في الدعاء ، كالذي يسأل ما لا يليق به من منازل الأنبياء ، وقيل إنّ الاعتداء هنا هو رفع الصوت بالصياح في الدعاء ، وقيل الاعتداء هو عدم التضرّع في الدعاء ، وقيل هو الشرك [٣]، ولهذا فإنّ لعبارة (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) "معنى واسعاً يشمل كل نوع من أنواع العدوان والتجاوز ، سواء الصراخ ورفع الصوت عالياً حين الدعاء ، أو التظاهر وممارسة الرياء ، أو التوجّه إلى غير الله حين الدعاء ، والمراد بالمعتدين المشركون"[٤] .

وعليه فالآية تدلّ على أمرين ، أحدهما : محبوب للرب تبارك وتعالى مرضيّ له ، وهو الدعاء تضرعاً وخفية ، والثاني : مكروه له مبغوض مسخوط وهو الاعتداء ، فأمر بما يحبّه الله وندب إليه ، وحذر مما يبغضه وزجر عنه بما هو أبلغ طرائق الزجر والتحذير ، وهو أنه لا يحبّ فاعله ومن لم يحبّه الله فأي خير يناله [٥].

الخائنون :

ورد هذا اللفظ في سياق نفي محبّة الله تعالى مرة واحدة لبيان حال من ينقضون العهد في قوله تعالى ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ الأنفال : ٥٨ ، أي أنّ الخيانة مبغوضة بجميع ضروبها فابتعدوا عنها أيّها المؤمنون ، والآية خطاب للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) تخبره وتأمره بأنّك إن خفت من قوم بينك وبينهم عهد أن يخونوك وينقضوا عهدهم ، أعلمهم إلغاء العهد لتكونوا أنتم وهم على استواء من نقض العهد ، لأنّك إن قاتلتهم قبل إلغاء العهد كان ذلك منك خيانة والله لا يحبّ الخائنين [٦]، لأنّهم متّصفون

---

١ - ينظر : مفاتيح الغيب ١١: ٢٩ ، ونظم الدرر ٢: ٥٢٦ .
٢ - ينظر : التحرير والتنوير ٧: ١٧ .
٣ - ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ٣٨٥ ، وبدائع الفوائد : ٣٥٠ ، ومجمع البيان ٤: ٢٩٧.
٤ - الأمثل ٥ : ٥١ .
٥ - ينظر : بدائع الفوائد : ٣٥٠ .
٦ - ينظر : الميزان ٩: ١١٦.

بالخيانة فلا تستمرَّ على عهدهم فتكون معاهداً لمن لا يحبّهم الله ؛ ولأنّ الله لا يحبّ أن تكون أنت من الخائنين[١] ، والملاحظ من الآية أنّها لم تذكر أنّهم خانوا ، وإنّما خيفت منهم خيانة [٢] .

ومن لطيف التعبير في البيان القرآني أنّ لفظ (الخائنين) في قوله تعالى (إنَّ الله لاَ يُحِبُّ الخائنين) يُحتمل "أن تكون تحذيراً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) عن المناجزة قبل أن ينبذ إليهم على سواء ، ويحتمل أن تكون عائدة إلى القوم الذين تخاف منهم الخيانة" [٣] ، ومعنى (لا يُحبّ الخائنين) أنّه يبغضهم وإنّما عبّر بحرف النفي ، لانّ صفة النفي تدل على الإثبات إذا كان هناك ما يدل عليه ، وهو أبلغ في هذا الموضع لأنّ معناه : أنّهم حرموا محبّة الله بخيانتهم وأوجب ذلك بغضه إيّاهم ، حتى في حق الكافرين ، ومحبّة الله للخلق إرادة منافعهم وبغضه إيّاهم إرادة عقابهم[٤] .

الفَرِحون :

جاءت هذه اللفظة مرة واحدة في سياق نفي محبّة الله لتحذير الناس من البطر من امتلاك النِعم في قوله تعالى ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ القصص: ٧٦ ، والآية حكاية عمّا قال قوم قارون لقارون حين خوّفوه ونهوه عن الفرح بما آتاه الله من المال ، وأمروه بالشكر عليه ، والفرح المرح الذي يخرج إلى الإنس وهو البطر ، وقد فُسّر الفرح بالبطر وهو لازم الفرح والسرور المفرط بمتاع الدنيا ؛ ولذلك قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) ، "لأنّه إذا أطلقت صفة الفرح فهو الخارج بالمرح إلى البطر" [٥]وهي مخاطبة لقارون وكلّ من يصلح له الخطاب للنهي عن الفرح فيما أُعطي من النعم ، و(الفَرِح) هو الذي تخلق دائماً بالفرح ، والفرحون البطرون ، الذين لا يشكرون الله تعالى فيما أعطاهم [٦]. ويُطلق الفرح على السرور ، ويطلق أيضاً على البطر والازدهاء ، وهو الفرح المفرط المذموم ، والفرح المنهيّ عنه هو المفرط منه ، أي الذي تمحّض للتعلق بمتاع الدنيا ولذات النفس به ، لأنّ الانكباب على ذلك يميت من النفس الاهتمام بالأعمال الصالحة ، والفرحين المفرطين في الفرح فإنّ صيغة (فَعِل) صيغة مبالغة ، والمبالغة في الفرح تقتضي شدة الإقبال على ما يفرح به وهي تستلزم الإعراض عن غيره [٧]، ويُحمتل أن تكون هذه صيغة (فَرِح) صفة مشبّهة باسم الفاعل من الفعل الثلاثي اللازم الدال على السرور[٨] ، وبهذا الاحتمال أصبحت صفة الفرح طبيعة وسجيّة له على جهة الثبوت والدوام وهذه الصفة تستلزم الإعراض أيضاً .

وذكر الماوردي للفظ (الفرحين) ثلاثة أوجه ، : "أحدها (البغي) ، أي لا تبغ إنّ الله لا يحبّ الباغين ، والثاني (البخل)، أي لا تبخل إنّ الله لا يحبّ الباخلين ، والثالث (البطر)، أي لا تبطر إنّ الله لا يحبّ

١ - ينظر : التحرير والتنوير ١٠: ٥٣ .
٢ - ينظر : على طريق التفسير البياني ٢ : ٣٣١ .
٣ - فتح القدير ١: ٨٤٤ .
٤ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٥ : ١٤٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٢ : ١٢٨٠ .
٥ - التبيان في تفسير القرآن ٨: ١٧٧ .
٦ - ينظر : معاني القرآن – النحاس ٢ : ٩٠٣ ، وفقه اللغة وسر العربية : ١٩٠ ، والميزان ١٦: ٧٦ .
٧ - ينظر : التحرير والتنوير ٢٠ : ١٧٨ .
٨ - ينظر : الطريف في علم التصريف : ٢٤٨ .

البطرين" [١]. والمراد من أنّه تعالى لا يحبّهم يبغضهم ويهينهم ويبعدهم عن حضرته سبحانه ، وقال المفسّر الآلوسي إنّ "في نفي محبته تعالى إياهم تنبيهاً على أنّ عدم محبته تعالى كافٍ في الزجر عما نهى عنه فما بالك بالبغض والعقاب" [٢] .

المفسدون :

ورد هذا اللفظ في سياق نفي محبّة الله في موضعين : الأول عند الحديث عن اليهود وسعيهم للفساد في قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ المائدة : ٦٤ ، السعي هو السير السريع ، و(فسادا) مفعول له ، أي يجتهدون لإفساد الأرض ، وقد أخبر الله تعالى أنّ اليهود يسعون في الأرض فسادا بمعصيته وتكذيب رسوله ومخالفة أمره ونهيه ، وذلك هو سعيهم بالفساد والله لا يحبّ المفسدين أي لا يحبّ من كان عاملا بمعاصيه في أرضه بل يبغضهم ويمقتهم ، لإيثارهم الضلالة على الهدى ، والشر على الخير ، ومن كانت سجيته هكذا ، كانت على سبيل الدوام الاستمرار [٣]، وقوله (وَيَسْعَوْنَ فِي الأرض فَسَاداً والله لاَ يُحِبُّ المفسدين) "تذييل مقرر لما قبله من الصفات الذميمة التي دمغ الله تعالى بها اليهود" [٤] .

والثاني ورد في سياق الحديث عن قارون واغتراره بما آتاه الله تعالى من نِعَم وأموال فسعى فيها إلى الفساد والإفساد في الأرض في قوله تعالى ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص : ٧٧ ، يخبر تعالى عن حالة قارون ، والآية تصلح لمن يصلح له الخطاب في باب النصح والتحذير من الوقوع في المفاسد ، أي لا تطلب الفساد في الأرض بالاستعانة بما آتاك الله من مال وما اكتسب به من جاه وحشمة إن الله لا يحب المفسدين لبناء الخلقة على الصلاح والإصلاح [٥] ، وجملة (إنّ الله لا يحب المفسدين) علة للنهي عن الإفساد ، لأنّ العمل الذي لا يحبّه الله لا يجوز لعباده عمله[٦] .

فالمفسدون في الآية الأولى خُصّ بها اليهود ، وإن كانت تحمل معنى العموم في توجيه الخطاب ، أمّا (المفسدون) في الآية الثانية فقد تعلّقت بقارون ، ولكنّها حملت معنى العموم أيضاً لكونها جاءت بصيغة الجمع ، زيادة على ذلك فإنّ الآية حملت الخطاب للعموم .

الكافرون :

---

١ - النكت والعيون ٤: ٢٦٧ .
٢ - روح المعاني ٢٠: ٢٥٥ .
٣ - ينظر : الكشاف ١: ٦٨٩ ، والتبيان في تفسير القرآن ٣: ٥٨٣ ، ومجمع البيان ٣: ٤٤٠.
٤ - التفسير الوسيط ٥: ٩٨ .
٥ - ينظر : إرشاد العقل السليم ٧: ٢٥ ، والميزان ١٦: ٧٦ .
٦ - التحرير والتنوير ٣: ٢٢٩ .

وردت هذه اللفظة مرتين في سياق نفي محبّة الله ، الأولى تأتي لبيان حال الذين كفروا بجحد ما عرفوا من الحق ، وأنكروه بعد علمهم ومعرفتهم ويقينهم بما عرفوا ، وذلك في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ آل عمران : ٣٢ ، المُراد بالكافرين هنا المتولين عن طاعة الله ورسوله بعد معرفتهم الحقّ ، فقد أمر الله تعالى رسوله أن يأمر وفد نصارى نجران وغيرهم من أهل الكتاب والمشركين بطاعته وطاعة رسوله إذ هما طريق الكمال والإسعاد في الدنيا والآخرة ، فإن أبوا وأعرضوا فقد باءوا بغضب الله وسخطه عليهم لأنّهم كافرون ، والله لا يحبّ الكافرين ، ونفي محبته عنهم هو بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم أي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم ، وإيثارُ الإظهارِ على الإضمار لتعميم الحكمِ لكل الكفَرَة ، وإنما لم يقل لا يحبّهم لقصد العموم والدلالة على أنّ التولي كفر ، فإنّ سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والإيذان بأنّ التولّيَ عن الطاعة كفرٌ وبأنّ محبتَه عز وجل خاصة بالمؤمنين ، والمعنى : لا يحبّهم ، ثم أعاد الذكر (فإنّ الله) ، ولم يقل : (فإنّه) ، والعرب إذا عظّمت الشيء أعادت ذكره [1].

وقوله (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) فيه دلالة على كفر المتولي عن هذا الأمر ، وفيه أيضاً إشعار بكون هذه الآية كالمبينة لسابقتها إذ ختمت بنفي الحب عن الكافرين بأمر الإطاعة ، وقد كانت الآية السابقة متضمنة لإثبات الحب للمؤمنين المنقادين لأمر الاتباع وذلك في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ آل عمران : ٣١[2].

ومن المعلوم أنّ معنى الشرط أن يقع الشيء لوقوع غيره ، أي أن يتوقف الثاني على الأول ، فإذا وقع الأول وقع الثاني[3]، نحو قوله تعالى ((وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ البقرة : ٢٨٠ ، ولكن قد يخرج الشرط عن ذلك في التعبير القرآني ، فلا يكون الثاني مسبباً عن الأول ، ولا متوقفاً عليه ، كما في الآية التي نحن بصددها ، فالله تعالى لا يحبّ الكافرين سواء تولّوا أم آمنوا ، فليس الثاني مشروطاً بالأول ولا مسببا عنه [4] .

أمّا الموضع الثاني فجاءت في سياق الحديث عن الذين ينقلبون على أنفسهم باقتراف الذنوب ويكفرون بنعم الله ، وذلك في قوله تعالى ﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ الروم :٤٤- ٤٥، فالكافرون هنا هم المنقلبون على نعم الله ، والآية مقابلة بين صنفين من الناس ، صنف الكافرين وصنف الذين يعملون الصالحات وهم المؤمنون ، وفي ذكر أنّه لا يحبّ الكافرين تعريض بأنّه يحبّ المؤمنين وتعريض بأنّه يعاقب الكافرين فإنَّ عدمَ محبتهِ تعالى دلالة على بُغضهِ الموجبِ لغضبهِ المستتبعِ للعقوبةِ لا محالةَ ، وإنما صرح بجزاء المؤمنين لأنّه المقصود بالذات ، وشدّة العناية بشأن

١ - ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ١٣٣ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣: ١٣ ، وإرشاد العقل السليم ٢: ٢٥، وروح المعاني ٤: ١٢٧ - ١٢٨ .
٢ - ينظر : الميزان ٣: ١٨٧ .
٣ - ينظر : المقتضب ٢ : ٤٦ ، والبرهان في علوم القرآن ٢ : ٣٥٤ .
٤ - ينظر : معاني النحو ١ : ٤٥ .

الإيمان والعمل الصالح ، وأنّ الجزاء موفور للمؤمنين فضلاً وأن العقاب مُعيّن للكافرين عدلاً ، وقد فهم من قوله (مِنْ فَضْلِهِ) أن الله يجازيهم أضعافاً لرضاه عنهم ومحبته إياهم [١] .

ومن لطائف التعبير القرآني في هذا المقام أنّه تعالى عندما أسند الكفر والإيمان إلى العبيد قدّم الكافر ، وعندما أسند الجزاء إلى نفسه قدم المؤمن لأنّ قوله تعالى (مَن كَفَرَ) وعيد للمكلف ليمتنع عما يضره لينقذه سبحانه من الشر وقوله تعالى (وَمَنْ عَمِلَ صالحا) تحريض له وترغيب في الخير ليوصله إلى الثواب[٢] .

الظالمون :

وردت هذه اللفظة في سياق نفي محبّة الله تعالى ثلاث مرات ، جاءت في الموضع الأول لبيان حال الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم وتكذيبهم الأنبياء في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ آل عمران :٥٦ – ٥٧، فهذا أجر الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الذين اتبعوا عيسى (عليه السلام) أنّ الله يوفيهم أجورهم ، وأمّا غيرهم فليس لهم من ذلك شيء ، بدليل قوله تعالى (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) ، ومن هنا يظهر السرّ في ختم الآية ، وهي آية الرحمة والجنّة بمثل هذا القول ، مع أنّ المعهود في آيات الرحمة والنعمة أن تختتم بأسماء الرحمة أو بمدح حال من نزلت في حقّه ، وهذه الجملة مسوقة لبيان حال الطائفة الأخرى ممن انتسب إلى عيسى (عليه السلام) بالاتباع وهم غير الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وهي ناظرة إلى أنّ جميع معاني الكفر والأعمال السيئة داخلة في مفهوم الظلم بمعناه الواسع ، ومعنى كونهم ظالمين أنّهم ظلَموا أنفسهم بكفرهم وظلَمَ النصارى اللهَ بأنّ نقصوه بإثبات ولد له وظلموا عيسى بأنْ نسبوه ابناً لله تعالى ، وإنّ اللافت للنظر أنّ الآية الأولى اكتفت بذكر الكفر فقط ، أمّا الآية الثانية فقرنت الإيمان بالعمل الصالح ، وهذه إشارة إلى أنّ الكفر وحده يكون سبباً للعذاب الإلهي ، ولكن الإيمان وحده لا يكفي للنجاة ، بل لابدّ وأن يقترن بالعمل الصالح [٣] .

وجملة (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) قد ارتبطت بالآية السابقة وإنّها مرتبطة بسياق آيتها ، بدليل أنّها تذييل لجملة (فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) ، أي أعذبهم لأنّهم ظالمون والله لا يحبّ الظالمين ، وإنّها تذييلٌ لجملة (وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) إلى آخرها ؛ لأنّ انتفاء محبة الله الظالمين يستلزم أنّه يحبّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلذلك يعطيهم ثوابهم وافياً [٤] .

وجاء في الموضع الثاني لبيان حال الكافرين أو المنافقين في قوله تعالى ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ آل عمران :١٤٠، والمرادُ بالظالمين هنا إمّا غيرُ الثابتين على الإيمان الذين يضمرون خلاف ما يظهرون من حيث إنّ بغضَه تعالى لهم من دواعي إخراجِ المخلِصينَ المصطفَيْنَ للشهادة من بينهم ، وإمّا الكافرون المجاهرون بالكفر ، وهذا ما قررته جملة (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) فهي اعتراضٌ بيّن مضمون ما قبله ، وقد نزلت هذه الآية تسلية

---

١ - ينظر : التحرير والتنوير ٢١: ١١٧ ، وإرشاد العقل السليم ٧: ٦٣ والميزان ١٦: ٢٠٤ .
٢ - ينظر : روح المعاني ٢٠: ٤٧٥ .
٣ - ينظر : الميزان ٣ :٢٤٤، والأمثل ٣: ٢٤٤ ..
٤ - ينظر : التحرير والتنوير ٣: ٢٦٠ .

للمسلمين لما أصابهم في معركة أُحد ، والمعنى أنّه تعالى لا يُحبّ الذين ظلموا أنفسهم بسبب كفرهم ونفاقهم وتخاذلهم عن نصرة الحق ، وإنّما يحبّ المؤمنين الثابتين على الحق ، المجاهدين بأنفسهم وأموالهم في سبيل إعلاء دين الله تعالى ، ونفيُ المحبةِ دليل البغض ، وفي إيقاعه على الظالمين تعريضٌ بمحبته تعالى لمقابليهم [١] .

وذكر لفظ الظالمين في سياق نفي محبة الله عنهم كونهم قوبلوا بالشهداء وهم الذين قتلوا يوم أحد ، وعبّر عن تقدير الشهادة لهم بالاتخاذ ؛ لأنّ الشهادة فضيلة من الله واقتراب من رضوانه ، ولذلك قابلهم بالظالمين ، أي الكافرين [٢] .

والموضع الثالث جاءت في سياق التجاوز على العباد في قوله تعالى ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ الشورى :٤٠، فالظالمون هنا هم المتجاوزون للحدود ، المعتدون على العباد ، الذين يبدؤون بالظلم ، وجاء في البحر المحيط "أنّ الظالمين هنا هم الخائنون"[٣] ، أمّا نفي محبّتهم فجاء لتعليل عظم الأجر لمن عفا ، أي لأنّه تعالى لا يحبّ الظالمين فقد ضاعف الأجر وأجزل المثوبة للمظلوم إذا عفا وأصلح ، وفي الآية بيان أنّه تعالى لم يرّغب المظلوم في العفو عن الظالم ، ولكن ليعرض المظلوم بذلك لجزيل الثواب ، ولحبّه تعالى الإحسان والفضل [٤]، وممّا زاد التعبير القرآني جمالية ولطافة في البيان قوله في الآية نفسها (فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) إذ إنّ الخالق يعدّ نفسه مديناً لمثل هؤلاء الأشخاص ويقول بأنّ أجرهم عليه ، فقد تعهد الخالق بأنْ يعطيهم من فضله الواسع .

وقد خُتمت الآية بعبارة (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) لتحتمل وجوها من التعبير ، ومن هذه الوجوه أنّه قد يكون العفو بسبب أن الإنسان لا يستطيع أحياناً السيطرة على نفسه عند العقاب والقصاص ، وقد يتجاوز الحد ويكون في عداد الظالمين ، ومنها أيضاً أنّ هذا العفو ليس بمعنى الدفاع عن الظالمين ، لأنّ الله لا يحبّ الظالمين أبداً ، بل إنّ الهدف هو هداية الضالين وتثبيت الأواصر الاجتماعية ، ومنها أنّ الذين يستحقون العفو هم الذين يكفون عن الظلم ويندمون على ما ارتكبوه في الماضي ، ويقومون بإصلاح أنفسهم ، وليس للظالمين الذين يزدادون جرأة بوساطة هذا العفو [٥].

ويذكر المفسّر الرازي أنّ في قوله تعالى : (إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظالمين) قولين " الأول : أنّ المقصود منه التنبيه على أنّ المظلوم لا يجوز له استيفاء الزيادة من الظالم ، والثاني : أنّه تعالى لمّا حثّ على العفو عن الظالم أخبر أنّه لا يحبّه ، تنبيهاً على أنّه إذ كان لا يحبّه ومع ذلك فإنّه يندب إلى عفوه ، فالمؤمن الذي هو حبيب الله بسبب إيمانه أولى أن يعفو عنه "[٦].

---

١ - ينظر : البحر المحيط ٣: ٣٥٥ ، وإرشاد العقل السليم ٢: ٨٩ .
٢ - ينظر : التحرير والتنوير ٤: ١٠٤ .
٣ - البحر المحيط ٩: ٣٤٤ .
٤ - ينظر : الميزان ١٨: ٦٥ .
٥ - ينظر : الأمثل ١٥ : ٣٦٢ .
٦ - مفاتيح الغيب ٢٧: ١٦٣ - ١٦٤ .

وقد شملت هذه الآية بموقعها الاعتراضي أصول الإرشاد إلى ما في الانتصار من الظالم وما في العفو عنه من صلاح الأمة ، وقد استفيد من قوله (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) معنى أنّه تعالى يَحبّ العافين إذ إنّ هذا القول " في موضع العلة لكلام محذوف دل عليه السياق فالتقدير : أنّه يحبّ العافين ، ونصْرُه على ظالمه موكول إلى الله ، أي فيؤجر الذين عفوا وينتصر لهم على الباغين فلا يهمل الظالم من دون عقاب "[١] .

المستكبرون :

وردت هذه اللفظة مرة واحدة في سياق نفي محبّة الله للدلالة على من لا يؤمنون بالحقّ وقلوبهم منكرة وجاحدة له عنادا واستكباراً من غير حجة و لا برهان في قوله تعالى ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ، لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ النحل :٢٢ – ٢٣ ، فالاستكبار : طلب الترفّع بترك الإذعان للحق ، والاستكبار على الحق من علامات الجهل بالله تعالى ، وردت كلمة الاستكبار في آيات كثيرة من القرآن بوصفها إحدى الصفات الذميمة الخاصّة بالكفار ولتعطي معنى التكبر في قبول الحق ، والمستكبرون في الآية هم المتعظمون الذين يأنفون أن يكونوا أتباعاً للأنبياء[٢].

وقوله (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) متممة ومبينة لقوله (وهم مستكبرون) المبنية على الاسمية للدّلالة على تمكّن الاستكبار منهم ، وبُني الاستكبار هنا على الإطلاق أي أنّه لا يُحبّ جنسَ المستكبرين ، وأنّه لا يُحبّ الاستكبار في جميع وجوهه ، فضلاً عن ذلك فإنّه لا يُحبّ الذين استكبروا عن توحيده واتّباع رسوله ، وأنّها موضحة لسياق التهديد والوعيد الذي ابتدأت به الآية في قوله (لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) ، وهي تعليلٌ لما تضمنه الكلامُ من الوعيد ، إذ إنّ هذا القول كناية عن الوعيد بالمؤاخذة بما يخفون وما يظهرون من الإنكار والاستكبار وغيرهما مؤاخذةَ عقاب وانتقام وكناية عن التهديد بالجزاء السيئ أي إنّه يعلم ما يخفونه من أعمالهم و ما يظهرونه فسيجزيهم بما عملوا و يؤاخذهم على ما أنكروا ، والمراد من نفي الحبّ البغض وهو عند بعضهم مؤول بنحو الانتقام والتعذيب ، ويُفهم من العبارة أيضاً أنّه تعالى يحبّ المتواضعين الخاضعين للحق ، ولمن جاء به ، وهم المؤمنون[٣] .

المسرفون :

ورد هذا اللفظ في سياق نفي محبّة الله تعالى مرتين في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ الإنعام : ١٤١، الإسراف نقيض الاقتصاد ، وهو مجاوزة الحق وهو إفراط وغلو ، وضدّه تقصير وإقتار ، وقيل إن السرف يكون في التقصير كما يكون في الزيادة ، وقيل هو تجاوز حدِّ الاعتدال في كل فعل يفعله الإنسان[٤]، وقال ابن عاشور إنّ " الإسراف هو تجاوز الكافي من إرضاء النّفس

١ - التحرير والتنوير ٢٥: ١١٦ .
٢ - ينظر : مجمع البيان ٦: ١٧٠، والأمثل ٨ : ١٠٦ - ١٠٧ .
٣ - ينظر : الميزان ١٢: ٢٢٧ - ٢٢٨ ، والتحرير والتنوير ١٤: ١٢٩ ، وروح المعاني ١٤ : ٧٥ .
٤ - ينظر : العين ٢ : ٦١ ، و لسان العرب ٩ : ١٤٨ .

بالشّيء المشتهى ، والإسراف إذا اعتاده المرء حمله على التّوسّع في تحصيل المرغوبات ، فيرتكب لذلك مَذمَّات كثيرة " [١] .

والمسرفون الذين لا يحبّهم الله تعالى في هذه الجملة يمكن أن يكون إسرافهم في الأكل ، أو يكون إسرافهم في الإنفاق والبذل بناءً على ما جاء في سياق الآية ، لأنّ بعضهم قد يسرف في البذل والإنفاق إلى درجة أنّه يهب كل ما عنده إلى هذا وذاك ، فيقع هو وأبناؤه وأهله في عسر وفقر وحاجة وحرمان [٢]، وقيل إنّ لفظ المسرفين لإفادة العموم ، ونفي المحبّة جاء لقصد تعميم حكم النهي عن الإسراف لذلك أُكّد بـ(إنّ) لزيادة تقرير الحكم ، أمّا وجه عدم محبّة الله تعالى إيّاهم فيأتي من أنّ الإفراط في تناول اللّذّات والطّيّبات ، والإكثار من بذل المال في تحصيلها ، يفضي غالباً إلى استنزاف الأموال والشّره إلى الاستكثار منها[٣] .

وورد أيضاً في سياق تجاوز الحدود في الأكل والشرب في قوله تعالى ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ الأعراف : ٣١، أي كلوا من المآكل الطيبة ، واشربوا المشارب الحلال ولا تسرفوا في زينتكم ولا في مأكلكم أو مشربكم ، لأنّه سبحانه يكره المسرفين ويبغضهم ولا يرتضي فعلهم ، والآية نهي لهم عن الإسراف وهو الخروج عن حد الاستواء في زيادة المقدار ، والنهي عن الإسراف يدلّ على التحريم [٤]، وكلمة الإسراف كما يراها أحد المفسرين هي " كلمة جامعة تشمل كل إفراط في الكم والكيف ، وكذا الأعمال العابثة والإتلاف ، وهذا أسلوب قرآني خاص ، فهو عند الحث على الاستفادة من مواهب الحياة والطبيعة يُحذّر فوراً من سوء استخدامها ويوصي برعاية الاعتدال "[٥] ، وقد ذكر القرآن الكريم أكثر من عشرين موضعا يشير إلى مسألة الإسراف ويذمّه .

الفساد :

وردت هذه اللفظة في سياق نفي المحبّة مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ البقرة : ٢٠٥ ، الفساد ضد الصلاح ، ومعنى الفساد : إتلاف ما هو نافع للناس ، ومعنى نفي المحبّة نفي الرضا بالفساد ، وإلاّ فالمحبّة وهي انفعال النفس وتوجه طبيعي يحصل نحو استحسان ناشئ عن رغبة ، وهي مستحيلة على الله تعالى فلا يصح نفيها فالمراد لازمها وهو الرضا ، ولا شك في أنّ القدير إذا لم يرضَ بشيء يعاقب فاعله ، وإنّما كان الفساد غير محبوب عند الله لأنّ في الفساد تعطيلاً لما خلقه الله في هذا العالم لحكمة صلاح الناس فإن الحكيم لا يحبّ تعطيل ما تقتضيه الحكمة [٦].

---

١ - التحرير والتنوير ٨: ١٢٣ .
٢ - ينظر : البحر المحيط ٤: ٦٧٠ ، والتبيان في تفسير القرآن ٤: ٢٩٦ ، الأمثل ٤ : ٢٩٤ .
٣ - ينظر : التحرير والتنوير ٨: ١٢٣ .
٤ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٤: ٣٨٦ ، مجمع البيان ٤: ٢٦٩، وإرشاد العقل السليم ٣: ٢٢٤ ، والبحر المحيط ٥: ٤١ .
٥ - الأمثل ٥ : ٢٢ .
٦ - التحرير والتنوير ٢: ٢٧٩ .

وأنّ الله لا يرتضي هذا الفعل ويُبغضه ويحاسب عليه ، والصحيح أنّه ليس المراد حقيقة المحبّة بل الذم على ذلك ، والله يذم الفساد ويُعاقب على فعله [١]، و إهلاك الحرث والنسل كناية عن اختلال ما به قوام أحوال الناس ، وكانوا أهل حرث وماشية فليس المراد خصوص هذين بل المراد ضياع ما به قوام الناس ، وهذا جار مجرى المثل ، وهو مستحق للعقاب في الآخرة ولذلك عقب بجملة التذييل وهي (والله لا يحب الفساد) تحذيراً وتوبيخاً ، وقيل لا يُحبّ العمل بالفساد ، وقيل أهل الفساد[٢] .

المختال الفخور :

المُختالُ هو المتكبر المعجب بنفسه ، سُمي بذلك لأنّه يتخيل لنفسه من السجايا والصفات والأفعال ما ليس فيه ، فيستعلى على الناس ولا يلتفت إليهم ، والاختيال من الخيلاء ، وهو التبختر في المشي كبرا ، والمختال الصلف المتباهي الجهول المعجب بنفسه ، والفخور : هو الشديد الفخر بما يقول أو يفعل ، المكثر من ذكر مزاياه ومناقبه ، والمحب لأن يحمد بما لم يفعل [٣].

ورِد هذان اللفظان مجتمعين في الاستعمال القرآني ثلاث مرات وفي سياقات مختلفة ، جاء الأوّل منها في سياق الأمر بعبادة الله وعدم الإشراك به ومن ثمّ الإحسان إلى الوالدين وغيرهم وذلك في قوله تعالى ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ، الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ النساء : ٣٦- ٣٧ ، أي إنّ الله لا يحبّ من كان متكبراً معجبا بنفسه ، ومن كان كثير الفخر بما يقول أو يفعل لأن من هذه صفاته برعاية حقوق الناس بل إن غروره ليجعله يستنكف عن الاتصال بهم وإن فخره ليحمله على التطاول عليهم .

وإنّما ذكر المختال هنا وذمّه ؛ لأنّه أراد بذلك من يختال فيأنف من قراباته وجيرانه إذا كانوا فقراء ، لكبره وتطاوله ، والفخور هو الذي يُعدد مناقبه كبرا وتطاولاً ، وإنّما ذكر اللفظين معاً في هذا الموضع لأنّهما ينافيان الإحسان المأمور به ، لأنّ المراد الإحسان في المعاملة وترك الترفّع ، لأنّ المتصف بهما يأنف من أقاربه وجيرانه إذا كانوا فقراء ، ولكنّ هاتين الصفتين تكونان ممدوحتين في مواقف أخرى ، فالاختيال ممدوح في مقام الحرب ؛ لأنّ في ذلك تطاولاً على العدو واستخفافا به ، والفخر ممدوح إذا كان اعترافاً بالنعم وشكراً لله تعالى[٤]. وهذان الوصفان من لوازم التعلّق بالمال والجاه والإفراط في حبّهما ، "ولذلك لم يكن الله ليحبّ المختال الفخور لتعلّق قلبه بغيره تعالى"[٥]، ونفي المحبّة عمن هذه صفته ضرب من التوعّد ، وخصّ هاتين الصفتين هنا إذ مقتضاهما العجب والزهو ، وذلك هو الحامل على الإخلال بالأصناف الذين تقدّم أمر بالإحسان إليهم [٦]، وذكرهما معاً "أنّ المختال

---

١ - ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ : ١٣٣ .
٢ - ينظر : مجمع البيان ٢: ٨٠ ، والميزان ٢: ٩٨ .
٣ - لسان العرب ١١: ٢٢٦ .
٤ - ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ٢١٠ – ٢١١ ، والتبيان ، العكبري ١ : ١٠٠، والتبيان في تفسير القرآن ٣: ١٩٥ ، ومجمع البيان ٣ : ٩٦ .
٥ - الميزان ٤: ٣٦٢ .
٦ - ينظر : مفاتيح الغيب ١٠: ٨٦ ، والتبيان في تفسير غريب القرآن : ١٣٩ .

إشارة إلى تخيلات الكبر في مجالها الذهني والفخور يرد به الأعمال الصادرة عن كبر في المجال الخارجي"[1]، أمّا ذكرهما معاً في هذا المقام فلمناسبة ما تقدّمها فلمّا أمر تعالى بعبادته وتوحيده وبالإحسان إلى المذكورين في الآية ومن الإحسان إليهم خفض الجناح ولين المقال والإنصاف بما وصف الله به من يحبّهم ، والاختيال والفخر مضادّة لهذه الأوصاف مانعة منها ولا يمكن معها الإحسان المطلوب[2] .

والموضع الثاني جاء في سياق وصايا لقمان لابنه في قوله تعالى ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ لقمان :١٨، أي : لا تعرض بوجهك عن الناس تكبراً ولا تمشِ في الأرض مشية من اشتدّ فرحه فإنّ الله لا يحبّ كل من تأخذه الخيلاء وهو التكبر بتخيل الفضيلة ، ويكثر من الفخر ، وعلى هذا فإنّ لقمان الحكيم يشير هنا إلى صفتين مذمومتين جداً وأساس توهين وقطع الروابط الاجتماعية إحداهما التكبّر وعدم الاهتمام بالآخرين ، والأخرى الغرور والعجب بالنفس [3]، ومعنى (إن الله لا يحب كل مختال فخور) أنّه "لا يرضى عن أحد من المختالين الفخورين على وجه العموم"[4].

والمختال : اسم فاعل من اختال بوزن الافتعال وصيغة الافتعال فيه للمبالغة في الوصف ، زيادة على ذلك فإنّ لفظ (الفخور) صيغة مبالغة ، وكلاهما يدلّ على المبالغة في الفعل ، "وإنّ تأخير (الفخور) مع كونه بمقابلة المصعّر خدّه عن المختال وهي بمقابلة الماشي مرحاً رعاية للفواصل"[5] .

أمّا الموضع الثالث فجاء اللفظان مجتمعين في سياق تنبيه الناس وتحذيرهم من نِعَم الدنيا والاغترار والفرح بها في قوله تعالى ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ الحديد :٢٣ ، أي متباهٍ بما عنده ، متكبّر على الخلق كثير الفخر عليهم ، والوصفان (مختال وفخور) يدلان على المبالغة في ذمّ من يتصف بهما ، فجاء (الاختيال) ليعبّر عن السلوك ، و(الفخر) ليعبّر عن القول ، فذمّ السيئ من الصفات في القول والسلوك ، وذكر هذين الوصفين بعد قوله (ولا تفرحوا بما آتاكم) ، لأنّ النعم قد تؤدي إلى الاختيال والفخر ، فالإنسان قد تبطره النعمة ويدعوه الفرح الزائد بها إلى الاختيال والفخر ، وذكّره ربه بأن الله هو الذي آتاه ذاك فلا ينبغي أن يختال ويفخر عليهم ، فإنّ الله الذي آتاه الخير لا يحبّ ذاك [6]، وقيل اختال من خال ، يقال خال الرجل واختال إذا تكبّر ، و(اختال) أبلغ من (خال) في التكبّر والإعجاب بالنفس ، لأنه على وزن (افتعل) ، وإن من معاني (افتعل) المبالغة في معنى الفعل ، فالمختال هو المبالغ في التكبّر والتباهي والإعجاب بالنفس وفي سائر معاني الوصف ، زيادة على ذلك فإنه أردف بوصف (الفخور) الذي هو من الفخر وهو تعداد ما أعطى من مال أو غيره والمباهاة في ذلك ، والفخور من صيغ المبالغة للدلالة على الإكثار من

---

١ - الأمثل ٣ : ١٤٢ .
٢ - ينظر : لمسات بيانية : ١١٨ .
٣ - ينظر : الميزان ١٦: ٢٢٤، والأمثل ١٣ : ٣١ .
٤ - التحرير والتنوير ٢١: ١٦٧ .
٥ - إرشاد العقل السليم ٧: ٧٣ .
٦ - ينظر : على طريق التفسير البياني ١: ٢٨٩ .

إظهار ذلك والمبالغة فيه (١)، وفي الآية إشارة إلى تهديد كلّ من يتصف بهذه الصفات المذمومة ووعيده ، فإنّه ذمّ الفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر ، وأمّا الفرح بنعمة الله والشكر عليها فغير مذموم (٢).

الخوّان الأثيم :

ورد هذان اللفظان متلازمين مرة واحدة في سياق نفي محبّة الله تعالى على صيغتي (فعّال و فعيل) اللتين للمبالغة للدلالة على المبالغة في فعل الخيانة والإثم في قوله تعالى ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ النساء : ١٠٧ ، فالخوّان صيغة مبالغة ، اقتضى السياق مجيء هذه الصيغة لأنّه قال (يختانون) على وزن (يفتعلون) الدالة على المبالغة في الخيانة ، فجاء بلفظة (خوّان) الدالة على المبالغة أيضاً ، فناسب بين اللفظين ؛ لأنّ هؤلاء خوّانون أي مبالغون في الخيانة (٣)، "والأثيم المبالغ في اقتراف الآثام" (٤)، وقيل هو القاصد الخيانة المبالغ فيها المصرّ عليها (٥). وذكر ابن فارس أنّ "الهمزة والثاء والميم تدل على أصل واحد ، وهو البطء والتأخّر ، يقال : ناقة آثمة أي متأخرة ، والآثم مشتق من ذلك ؛ لأنّ ذا الإثم بطيء عن الخير متأخّر عنه"(٦) ، وجاء في اللسان أنّ "الإثم الذنب ، وقيل : هو أن يعمل ما لا يحلُّ له"(٧) .

والخطاب في قوله : (ولا تجادل) للرسول ، والمراد نهي الأمّة عن ذلك ، لأنّ مثله لا يترقّب صدوره من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، أي : ولا تخاصم وتدافع عن هؤلاء الذين (يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ)، أي يخونونها بشدة وإصرار ، وإنّ الله تعالى لا يحبّ ولا يرضى عمن كانت الخيانة وصفا من أوصافه ، وخلقا من أخلاقه ، وكذلك لا يحب ولا يرضى عمن كان الانهماك في الإثم والمعصية عادة من عاداته ، فهو لا يحبّ من هو فعّال الخيانة أي من كان كثير الخيانة وقد ألفها واعتادها ، و(يختانون) بمعنى يَخونون ، وهو افتعال دالّ على التكلّف والمحاولة لقصد المبالغة في الخيانة ، ومعنى خيانتهم أنفسهم أنّهم بارتكابهم ما يضرّ بهم كانوا بمنزلة من يخون غيره ، أي الذين يختانون ناساً من أهلهم وقومهم (٨) ، أمّا تأكيد الآية بـ(إنّ) ؛ "فلأنّ خيانة النفس تنتشر مواقعها ، فتارك الطاعة قد خان نفسه وفاعل المعصية كذلك وأفعال الطاعة كثيرة لا تنحصر وكذلك المخالفات فناسب الكثرة التأكيد" (٩) .

وفي قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا) دلالة على استمرار هؤلاء الخائنين في خيانتهم ، و يؤكده قوله (أثيما) فإنّ الأثيم آكد في المعنى من الإثم وهو صفة مشبهة تدل على الثبوت ، زيادة على ذلك فإنّ لفظ (يختانون) لا تخلو من دلالة الاستمرار ، والمعنى : ولا تدافع في قضائك عن المصرّين على الخيانة المستمرين

١ - ينظر : روح المعاني ٢٦ : ٤٤٥ ، والمحرر والوجيز ١١ : ٥٠٣ ، وعلى طريق التفسير البياني ٢ : ٣٣٠ .
٢ - ينظر : مفاتيح الغيب ٢٩ : ٢٤٠ ، و التحرير والتنوير ٢٧ : ٤١٢ .
٣ - ينظر : على طريق التفسير البياني ٢ : ٣٣١ .
٤ - الكشاف ٣ : ٥٠٩
٥ - ينظر : معاني القرآن – الفراء – ٣: ٤٣ ، وتفسير غريب القرآن : ٤٠٣ والجامع لأحكام القرآن ١٩ : ٢٥٩ ، ١٦: ١٤٨ ، المحرر والوجيز ٢ : ١١٠ ، وينظر : صيغة فعيل في القرآن الكريم :٧٥ .
٦ - مقاييس اللغة ١ : ٦٠(أثم)، وينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ١٠ .
٧ - اللسان ١ : ٧٥ (أثم)، وينظر : الصحاح ٥: ١٨٥٧ (أثم).
٨ - ينظر : التحرير والتنوير ٥ : ١٩٤ .
٩ - ملاك التأويل ١: ٣٥٨ .

عليها ، فإنّ الله لا يحبّ الخوّان الأثيم ، و كما أنّه تعالى لا يحبّ كثير الخيانة لا يحبّ قليلها ، ولو أمكن أن يحبّ قليلها أمكن أن يحبّ كثيرها وإذا كان كذلك فالله ينهى أن يدافع عن قليل الخيانة كما ينهى عن أن يدافع عن كثيرها ، وإنّ صيغة المبالغة هنا ليست للتخصيص حتى لا يتوهم متوهم أنّ الله تعالى يحبّ من عنده أصل الخيانة والإثم ، وأمّا من خان في أمر ثم نازع في أمر آخر وهو محق في نزاعه ، فالدفاع عنه دفاع غير محظور ولا ممنوع منه ، ولا ينهى عنه [١]

والأمر الآخر في الآية أنّها لا تخص الذين يرتكبون الخيانة لمرّة واحدة ثمّ يندمون على ما فعلوا ، "إذ لا ضرورة لاستعمال العنف والشدة مع هؤلاء ، بل هم بحاجة إلى الرأفة أكثر ، والشدّة يجب أن تطبق على أولئك الذين يحترفون الخيانة وتكون جزءاً من حياتهم" [٢] .

الخوّان الكَفُور :

ورد هذان اللفظان متلازمين في مقام نفي محبّة الله تعالى في موضع واحد في القرآن في سياق الذمّ لمن اتصف بهما ، وإنّ الآية في سياق البشارة للمؤمنين ، وتقوية عزائمهم حتى يقبلوا على ما شرعه الله لهم من جهاد أعدائهم ، بثبات لا تردد معه ، وبأمل عظيم في نصر الله وتأييده ، وذلك في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ الحج : ٣٨ ، خصّ تعالى المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم ، وجعل العلة في ذلك أنّه لا يحبّ أضدادهم ، وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله[٣]، والخوّان : الشديد الخَوْن ، وهو كالخيانة التي هي الغدْر بالأمانة ، والمراد بالخوّان الكافر ، لأن الكفر خيانة لعهد الله الذي أخذه على المخلوقات بأن يوحدوه فجعله في الفطرة وأبلغه الناسَ على ألسنة الرسل فنبه بذلك ما أودعهم في فطرتهم ، والكفُور : الشديد الكفر ، وقيل إنّ كل شيء في القرآن كفور يعني به الكفار ، والخوان صيغة مبالغة من الخيانة وكذا الكفور من الكفران وصيغة المبالغة فيهما ؛ لبيان أنهم كذلك فيهما ، لا لتقييد بعضهم بغاية الجناية ؛ فإن الخائن والكفور ممقوتان مطلقًا ، والمُراد بكل خوان كفور المشركون ، وإنّما كانوا مكثرين في الخيانة والكفران ، وأفادت (كلّ) في سياق النفي عمومَ نفي مَحبة الله عن جميع الكافرين إذ لا يحتمل المقام غير ذلك ، وجملة (إن الله لا يحب كل خوان كفور) تعليل لتقييد الدفاع بكونه عن الذين آمنوا ، بأنّ الله لا يحبّ الكافرين الخائنين ، فلذلك يَدفع عن المؤمنين لردّ أذَى الكافرين[٤] .

والمدافعة مبالغة وقوّة في الدفع ، وصيغة المفاعلة : إمَّا للمبالغة ، أو للدلالة على تكرير الدفع ، فإنها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين ، فيبقى تكرره من جانب واحد ، وجاء التعبير بصيغة المفاعلة ، للمبالغة في الدفاع والدفع ، أو للدلالة على أن ذلك حاصل للمؤمنين كلما حصل من الكافرين عدوان عليهم ، أي : يبالغ في دفع ضرر المشركين وشوكتهم ، أو يدفعها عنهم مرة بعد أخرى ، بحسب تجرد قصد الإضرار بالمسلمين ، وبذلك فقد ناسب المبالغة في المدافعة المبالغة في الخيانة والكفر[٥]. وجاء أنّه أتى بالصفتين على صيغة المبالغة "لأنّ

---

١ - ينظر : الميزان ٥: ٧٥، وروح المعاني ٦: ٢٧٣ .
٢ - الأمثل ٣ : ٢٢٣ .
٣ - ينظر : الكشّاف ٣ : ١٦١ .
٤ - ينظر : التحرير والتنوير ١٧ : ٢٧٢ ، والميزان ١٤ : ٣٨٤ ، والدر المنثور ٦ : ٥٤ .
٥ - ينظر : الكشاف ٣ : ١٦١ ، والميزان ١٤: ٣٨٥ ، ومن أسرار البيان القرآني : ٣٢ .

نقائص الإنسان لا يمكنه أن يفعلها خالية عن المبالغة ، ولما كانت الخيانة منبع النقائص ، كانت المبالغة فيها أكثر "(١).

وإنّما نفيُ المحبَّةِ يعني البُغضِ فهو ضدّه ، أي إنَّ اللَّهَ يُبغضُ كلَّ من اتصف بهذه الصفات ، وقد أُوثر التعبير بقوله (لاَ يُحِبُّ) على قوله (يبغض أو يكره) للإشعار بأنّ المؤمنين هم أحبّاء الله تعالى ، وللتعريض بهؤلاء الكافرين الذين تجاوزوا كلَّ حدٍّ في كراهيتهم لأهل الحقِّ (٢) .

الكفّار الأثيم :

وقع هذان اللفظان متلازمين في مقام نفي محبّة الله تعالى في موضع واحد في القرآن في سياق النهي عن الربا إذ يبلغ القرآن ذروة التهديد في حرص المُرابي على النماء الفاحش للأموال الربويّة والتكثير المحرّم وذلك في قوله تعالى ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ البقرة : ٢٧٦ ، وقد جاء اللفظان بصيغة (فعّال و فعيل) الدالين على المبالغة "للدلالة على تغليظ أمر الربا" (٣)، والله لا يحبّ كل مُصرٍّ على الكفر بربّه ، مقيم عليه ، مستحِلّ أكل الربا وإطعامه ، متماد في الإثم ، فيما نهاه عنه من أكل الربا والحرام وغير ذلك من معاصيه (٤)، أمّا مجيء هذين الوصفين في هذا الموضع لمناسبة ما تقدّمها ، فقد وصفهم الله تعالى بأكل الربا حتى أعقبهم ذلك تخبطهم في قيامهم كفعل المجانين وأنّهم سووا بين البيع والربا الممنوع وذلك كفر وتكذيب فوصفوا بما يقتضي المبالغة في مرتكبهم من منع حبّ الله تعالى إيّاهم فقال تعالى (وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) وفعّال وفعيل أبنية للمبالغة وهو وصف مناسب لحالهم ، فقد جاءا للتنبيه على فظاعة آكل الربا ومستحله (٥).

وذكر الطوسيّ أنّه لم يقل كلّ كافر مع دخول الكَفّار في الكافر لأنَّ كلّ كَفّار كافر وليس كل كافر كَفّار للدلالة على أنّ مستحل الربا مع أنّه كافر كَفّار ، ويجوز للدلالة على صفات الذم إذ قد يتوهم أن الكَفّار من استكثر من كفر نعمة إنسان لا يبلغ به استحقاق العقاب ويجوز أن يكون من باب الاختصاص لعظم المنزلة في الأمر الذي تعلق به الذكر ، والأثيم هو المتمادي في ألاثم ، والإثم : الفاعل للاثم(٦)، وجاءت لفظة (أثيم) في القرآن الكريم بمعنى (الفاجر) ، في مواضع ذكرها الدارسون ، وجاءت بمعنى القاصد للخيانة والمبالغ فيها في مواضع أخرى(٧)منها ما يتعلّق بصفات أهل الكراهة في القرآن كما في قوله تعالى السابق ، وقال الزمخشري : "الأثيم المبالغ

---

١ - نظم الدرر ٥: ١٢٣ .
٢ - ينظر : روح المعاني ١٧: ٣٣٧ .
٣ - النهر الماد ٢ : ٣٣٦ .
٤ - ينظر : جامع البيان ٢: ٣٤ ، ونفحات قرآنية : ١٩ .
٥ - ينظر : تفسير القرآن العظيم ١: ٤٦٣ ، وروح المعاني ٣: ٤٨١ - ٤٨٢ .
٦ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٢: ٣٦٣ .
٧ - ينظر : معاني القرآن – الفراء – ٣: ٤٣ ، وتفسير غريب القرآن : ٤٠٣ ، المحرر والوجيز ٢ : ١١٠ .

في اقتراف الآثام" [١]، وقيل إنّ الأثيم فعيل بمعنى فاعل ، وهو الآثم ، وهو أيضاً مبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام ، وذلك لا يليق إلا بمن ينكر تحريم الربا فيكون جاحداً [٢].

والحقيقة أنّ نفي المحبّة عن الموصوف بهذين الوصفين يدلّ على إثباتهما لمن لم يتصف بهما ، وإنّ فائدة هذا التركيب " أنّ الله لا يحبّ أحداً من الكافرين الآثمين لأنّ (كلّ) من صيغ العموم ، فهي موضوعة لاستغراق أفراد ما تضاف إليه وليست موضوعة للدلالة على مجموعة ، فإذا أضيفت (كل) إلى اسم استغرقتْ جميع أفراده ، سواء ذلك في الإثبات وفي النفي ، فإذا دخل النفي على (كل) كان المعنى عموم النفي لسائر الأفراد "[٣].

الجهر بالسوء :

وردت هذه اللفظة في سياق نفي محبّة الله تعالى مرة واحدة في القرآن الكريم في سياق الترخيص للمظلوم بأن يجهر بشكوى الظالم في قوله تعالى ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ النساء : ١٤٨، نزلت هذه الآية ترخيصاً للمظلوم أن يجهر بشكوى الظالم ، أي الذين يجهرون بالسوء ، والسوء هنا الشدّة كما ذكر السيوطي [٤] ، والمعنى : "لا يحبّ الله أن يجهر بالسوء من القول إلا المظلوم ، ورخّص له أن يذكر الظالم بالسوء بما فعل ؛ لأنّه منعه حقّهُ" [٥]، وقال قطرب في معنى (إلا من ظُلم) ، إنّما يريد المُكرَه ، لأنّه مظلوم ، والجهر بالسوء موضوع عنه [٦].

جاءت هذه الآية عقب الآيات التي قبلها من أنّ الله تعالى لمّا بيّن حال المنافقين وشهّر بفضائحهم ، كان الكلام السابق بحيث يثير في نفوس السامعين نفوراً من النفاق وأحواله ، بعد أن وصفهم باتّخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، وأنّهم يستهزئون بالقرآن ، ونَهى المسلمين عن القعود معهم ، فحذّر الله المسلمين من أن يغيظهم ذلك ، فيجاهِروهم بقول السوء ، ورخّص الله للمظلوم الجهر بالقول السيّئ ليشفي غضبه ، حتّى لا يثوب إلى السيف أو إلى البَطش باليد ، ففي هذا الإذن توسعة على من لا يمسك نفسه عند لحاق الظلم به ، وصيغة (لا يحبّ) صيغة نفي الإذن ، والأصل فيه التحريم ؛ لأنّ (لا يحبّ) يفيد معنى يكره ، وهو يرجع إلى معنى النهي[٧].

والآية نهي للمؤمنين عن الاسترسال في الجهر بالسوء إلا عندما يوجد المقتضى لهذا الجهر ، ونفي محبته سبحانه لشيء كناية عن غضبه على فاعله وعدم رضاه عنه وكناية عن الكراهة وهي أعمّ من التحريم ، والجهر

---

١ - الكشاف ١: ٣٤٩ .
٢ - ينظر : مفاتيح الغيب ٧: ٩١ .
٣ - التحرير والتنوير ٣: ٩١ .
٤ - ينظر : الإتقان في علوم القرآن ٢ : ١٢٤ .
٥ - معاني القرآن – الفرّاء ١ : ٢٩٣ .
٦ - ينظر : معاني القرآن – النحاس ١ : ٢٥٦ .
٧ - ينظر : التحرير والتنوير ٦: ٦ ، ومن وحي القرآن للسيد محمد حسين فضل الله ٧ : ٣٦٦ ، ومن أسرار اللغة : ٣١٦ .

بالقول معناه : النطق به في إعلان ، ونشره بين الناس ، وإذاعته فيهم فهو يقابل السر والإخفاء ، والقول السوء : هو الذي يسوء من يقال فيه ويؤذيه في شرفه أو عرضه أو غير ذلك مما يلحق به شرا ، والمراد بالجهر ما يبلغ إلى أسماع الناس إذ ليس السرّ بالقول في نفس الناطق ممّا ينشأ عنه ضرّ . وتقييده بالقول لأنَّه أضعف أنواع الأذى فيعلم أنّ السوء من الفعل أشدّ تحريماً [١].

---

١ - ينظر : الميزان ٥: ١٢٥ ، والتفسير الوسيط ٤: ٣٢٠ .

المبحث الثاني : الألفاظ الدالّة على أصناف الكراهة

ممّا لا شكّ فيه أنّ الألفاظ الدالة على أصناف الكراهة غير قليلة في القرآن الكريم ، منها ما تعلّق بكراهة الله تعالى الأشياء أو الأفعال التي تصدر عن العباد ، ومنها – وهو الغالب – ما تعلّقت بكراهة الكافرين أو المنافقين لهذه الأشياء أو الأفعال ، وبعض تلك الألفاظ تعلّقت بإكراه الناس بعض الأعمال كإكراه النساء على البغاء مثلا ، ويمكننا بيان تلك الأصناف من خلال متابعة متعلقات لفظة (كره).

كراهة نور الله (الإسلام) :

نور الله كما ذكره المفسرون هو الإسلام ، وورد بيان كراهة الكافرين للإسلام في مواضع كثيرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ التوبة: ٣٢ ، الكافرون في الآية هم اليهود والنصارى كما يشير إليه سياق الآية ، ونور الله القرآن والإسلام ، لأنّه يُهتدى بهما كما يُهتدى بالأنوار ، وقد شُبِّه الدين دين الله وهو الإسلام في هذه الآية وفي القرآنُ بالنور ، والنّور أساس الحياة ، كما شُبّه اجتهاد الكافر بالنفخ بالأفواه ، وهو يحاول إطفاء نور عظيم كنور الشمس مثلاً بنفخة ، ولا تعبير أبلغ من تعبير القرآن لتجسيد هذه المحاولات اليائسة[1]، إذ إنّ أعداء الله الكافرين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، وأنْ يقضوا على دين الإسلام ، وأنْ يطمسوا تعاليمه السامية التي جاء بها نبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) عن طريق أقاويلهم الباطلة الصادرة عن أفواههم من غير أن يكون لها مصداق من الواقع تنطبق عليه ، أو أصل تستند إليه ، وإنما هي أقوال من قبيل اللغو الذي لا وزن له ولا قيمة ، والحال أنّ الله تعالى لا يريد إلا إتمام هذا النور ، ولو كره الكافرون هذا الإتمام ، من دون أن يقيم لكراهتهم وزنا .

ورد موضوع محاولة إطفاء نور الله في القرآن في موضعين : أحدهما في الآية محل البحث ، والآخر في الآية الثامنة من سورة الصف التي سنأتي لبيان الكراهة فيها ، وفي الآيتين انتقاد للكفار ومحاولات أعداء الله اليائسة ، إلاّ أنّ بين تعبيري الآيتين تفاوتاً يسيراً ، إذ جاء التعبير في الآية محل البحث (يريدون أن يطفئوا) أمّا في سورة الصف فجاء فيها التعبير (يريدون ليطفئوا) ، وممّا لا شك فيه أنّ هذا الاختلاف اليسير في التعبير القرآني كان لغاية إبلاغية ، يقول الراغب في مفرداته موضحاً الفرق بين الآيتين ، فالآية الأُولى تشير إلى محاولة إطفاء نور الله من دون مقدمات ، أي أنّهم يقصدون إطفاء نور الله ، أمّا الآية الأُخرى فتشير إلى محاولة إطفائه بالتوسل بالأسباب والمقدمات ، أي يقصدون أمرا يتوصلون به إلى إطفاء نور الله ، فالقرآن يريد أن يقول : سواء توسّلوا بالأسباب أم لم يتوسلوا فلن يفلحوا أبداً ، وعاقبتهم الهزيمة والخسران [2].

ووردت هذه الكراهة في قوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ الصف:٨ ، لقد شمل لفظ (الكافرون) هنا جميع الكافرين بالإسلام من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم ، وقيل هم الراسخون في صفة الكفر المجتهدون في المحاماة عنه ، ولكن غلب اصطلاح القرآن على تخصيص وصف الكافرين بأهل الكتاب ومقابلتهم بالمشركين أو الظالمين ، وأنّهم يريدون إذهاب نور الإسلام والإيمان بفاسد الكلام ،

---

١ - ينظر : مفاتيح الغيب ١٦: ٣٤ ، والتبيان في تفسير القرآن ٥: ٢٠٩ ، والأمثل ٦ : ١١ .
٢ - ينظر : الميزان ٩: ٢٥٥ ، والأمثل ٦ : ١١ .

والله تعالى متمّ نوره ومظهر كلمته ومؤيد نبيّه ومُعلن دينه وشريعته ويبلغ غايته وإن كره ذلك الكفار الجاحدون لنعم الله [١].

وإضافة نور إلى اسم الجلالة إضافة تشريف ، أي نور أوقده الله تعالى ، أي أوجده وقدَّره ، وجملة (والله متم نوره) جملة الاسمية تفيد ثبوت هذا الإتمام ، أي والله متمّ نورَه على فرض كراهة الكافرين ، ولمّا كانت كراهة الكافرين إتمام هذا النور محققةً كان سياقها في صورة الأمر المفروض تهكماً[٢]، وهذا ما بيّنه الزمخشري بقوله " وإطفاء نور الله بأفواههم : تهكم بهم في إرادتهم إبطال "[٣]، والتعبير بقوله (وَلَوْ كَرِهَ الكافرون) يعني "إرغاماً لهم"[٤].

واللافت للنظر أنّه تعالى ختم الآيتين التي نحن بصددها (وَلَوْ كَرِهَ الكافرون) وختم في الآيتي اللاحقتين لهما بقولها (وَلَوْ كَرِهَ المشركون) في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ التوبة :٣٣ ، الصف :٩ ، ولعلّ الغاية البيانية من الفرق بين التعبيرين هو أنّهم أنكروا الرسول ، وما أنزل إليه وهو الكتاب ، وذلك من نعم الله ، والكافرون كلهم في كفران النعم ، فلهذا قال (وَلَوْ كَرِهَ الكافرون) ولأنّ لفظ الكافر أعمّ من لفظ المشرك ، والمراد من الكافرين ههنا اليهود والنصارى والمشركون ، وهنا ذكر النور وإطفاءه ، واللائق به الكفر لأنّه الستر والتغطية ، والكافر هو الذي يستر الشيء ويغطيه ومنه سُمي الليل كافراً ؛ لأنّه يستر الأشياء ولأنّ من يحاول الإطفاء إنّما يريد الزوال ، وللإشعار بأنّ هؤلاء قد جمعوا بسبب قولهم الباطل بين رذيلتى الكفر والشكر ، وأنّه سبحانه سيظهر أهل دينه على جميع أهل الأديان الأخرى ، وفي الآية الثانية ذكر الرسول والإرسال ودين الحق ، وذلك منزلة عظيمة للرسول ، وهو اعتراض على الله تعالى ، والاعتراض قريب من الشرك ، ولأنّ الحاسدين للرسول كان أكثرهم من قريش وهم المشركون ، ولمّا كان النور أعمّ من الدين والرسول ، لا جرم قابله بالكافرين الذين هم جميع مخالفي الإسلام والإرسال ، والرسول والدين أخصّ من النور قابله بالمشركين الذين هم أخصّ من الكافرين [٥].

كراهة الرسول أو إظهار الدين :

لا شكّ في أنّ توحيد الله تعالى يتمّ بإظهار دينه ، وهذا يتطلّب إرسال الرسل والأنبياء ليبيّنوا ذلك ويظهروا دينه الذي ارتضاه للناس ، وهذا أمر يغيظ كثيراً من الذين كانوا يشركون بالله ، ولكنّه تعالى يظهر دينه ورسوله رغماً عنهم وجاء ذلك في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ التوبة : ٣٣ ، "المشركون هم المعاندون في كفرهم الراسخون في تلك المعاندة" [٦]، والآية تأكيد لوعده تعالى بإتمام نوره ، وبيّن كيفية هذا الإتمام بهذه الآية ، وفيها زيادة تحدٍّ للمشركين وأحلافهم من أهل الكتاب ، والمراد

---

١ - ينظر : مفاتيح الغيب ٢٩: ٢٩٠ ، والتبيان في تفسير القرآن ٩: ٥٩٥ ، ومجمع البيان ٩: ٥٢٠ ، نظم الدرر ٧: ٥٨٤ .
٢ - ينظر : التحرير والتنوير ٢٨: ١٩١ .
٣ - الكشاف ٤: ٥٢٦ .
٤ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥: ٢٠٩ .
٥ - ينظر : مفاتيح الغيب ١٦: ٣٥ .
٦ - نظم الدرر ٣: ٣٠٤ .

بالهدى القرآن الكريم ، والمراد بدين الحقّ دين الإسلام الذي هو خاتم الأديان ، والإظهار الإعلاء والغلبة بالحجة والبرهان ، والضمير في قوله (لِيُظْهِرَهُ) يعود على الدين الحق أو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم)، ولذلك كان المعنى : هو الله سبحانه الذي أرسل رسوله محمدا (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، بالقرآن الهادي للتي هي أقوم ، وبالدين الحق الثابت الذي لا ينسخه دين آخر [١] .

والآية نفسها تكرر في سورة الصف في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ الصف : ٩، إذ إنّ إتمام نور الله هو إرسال الرسول وهو محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وإنّ التعبير بـ(أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ) هو بيان لغلبة الإسلام وانتصاره ، لأنّ طبيعة الهداية ودين الحق تنطوي على هذا الانتصار ، ذلك أنّ الإسلام والقرآن هما النور الإلهي الذي تظهر آثاره أينما حلّ ، وكراهية الكفار والمشركين لن تستطيع أن تغيّر من هذه الحقيقة شيئاً [٢] ، وخصَّ المشركين بالذكر هنا "إتماماً للذين يكرهون إتمام هذا النور ، وظهور هذا الدين على جميع الأديان ، ويُعلمُ أنّ غير المشركين يكرهون ظهور هذا الدين لأنّهم أرادوا إطفاء نور الدين لأنهم يكرهون ظهور هذا الدين"[٣] .

كراهة إحقاق الحقّ :

إحقاق الحقّ سنّة إلهية تطبّق على الخلق شاءوا أم أبوا ، وقد وردت هذه السنّة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى ﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ يونس : ٨٢، الآية تأكيد لسنّة الله تعالى في تنازع الحق والباطل ، والصلاح والفساد وهي في سياق الحديث عن قصة موسى (عليه السلام) وأنّه (عليه السلام) إنّما ذكر هذه الحقيقة لقومه ليوقفهم على سنّة إلهية حقّة غفلوا عنها ، و ليهيئ نفوسهم لما سيظهره عملا من غلبة الآية المعجزة على السحر و ظهور الحق على الباطل ، و لذا بادروا إلى الإيمان حين شاهدوا المعجزة ، وإظهار اسم الجلالة في هذه الجملة مع أنّ مقتضى الظاهر الإضمار ، وذلك لقصد تربية المهابة في نفوسهم ، وأنّه سبحانه يثبت الحقّ ويقويه ويؤيده بِكَلِمَاتِهِ النافذة ، وهو تعبير عن توجه المشيئة ، ذلك لأنّ كراهية المجرمين لإحقاق الحق وإبطال الباطل ، لا تعطل مشيئة الله ، ولا تحول بين تنفيذ آياته وكلماته ، وذكر الإجرام من بين أوصافهم لأنّ فيه معنى القطع فكأنّهم قطعوا سبيل الحق على أنفسهم و بنوا على ذلك بنيانهم فهم على كراهية من ظهور الحق ، و لذلك نسب الله كراهة ظهور الحق إليهم بما هم مجرمون ، لأنّ الإجرام معهود لديهم وهم المجرمون من آل فرعون ، لأنّه تعالى ذكره في أول الآيات في قوله ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ يونس : ٧٥ [٤] .

---

١ - ينظر : الكشّاف ٢: ٢٥٣ ، ومفاتيح الغيب ١٦: ٣٥ ، والأمثل ٦ : ١٣ .
٢ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٩: ٥٩٦ ، و الأمثل ١٨ : ١٩٢ .
٣ - التحرير والتنوير ٢٨: ١٩٣ ، و ينظر : الميزان ١٩:٣٦٥ .
٤ - ينظر : الميزان ١٠: ١٠٥ ، وإرشاد العقل السليم ٤: ١٧٠ ، وروح المعاني ١١: ٢٤٦ .

كراهة بعض الأعمال :

يُقصد بهذه الأعمال تلك التي سبقت قوله تعالى ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ الإسراء : ٣٨، والآية تحصيل للجمل المتقدمة ابتداء من الآية الثالثة والعشرين[١] من السورة نفسها بوصفها ما اشتملت عليه من التحذيرات والنواهي ، فكلّ جملة فيها أمرٌ هي مقتضية نهياً عن ضده ، وكل جملة فيها نهي هي مقتضية شيئاً منهياً عنه ، فالذي وصف بالسيئة وبأنّه مكروه لا يكون إلا منهياً عنه أو مأموراً بضده إذ لا يكون المأمور به مكروهاً للآمر به ، وبهذا تظهر معاني اسم الإشارة في قوله (كُلُّ ذَلِكَ) ، وإنّما ذكر ما في المذكورات من معاني النهي لأنّ الأهم هو الإقلاع عما يقتضيه جميعها من المفاسد بالصراحة أو بالالتزام ، ولأنّ درء المفاسد أهم من جلب المصالح وإنْ كانا متلازمين في مثل هذا ، ومعصية ذلك مذموم عند الله يكرهه ولا يريده ولا يرضاه ، والكراهة في حقه تعالى محمولة إما على النهي أو على إرادة العدم[٢] .

والضمير في (سَيِّئُهُ) عائد إلى (كُلُّ ذَلِكَ) ، و(كُلُّ ذَلِكَ) هو السيئ نفسه ، فإضافة (سيئ) إلى ضميره إضافة تفيد قوة صفة السيئ حتى كأنّه شيئان متّحدان يضاف أحدهما إلى الآخر ، أي كلّ ما نهى عنه من ذلك مكروهاً عند الله[٣]، ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع أنّ أكثره من الكبائر "للايذان بأنّ مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الكف عن ذلك"[٤] .

كراهة البِغاء :

البِغاء مصدر ، وباغت الجارية ، إذا تعاطت الزنى بالأجر حرفة لها ، فالبغاء الزنى بأجر ، وتسمى المرأة المحترفة به بَغياً بوزن فعول بمعنى فاعل ولذلك لا تقترن به هاء التأنيث [٥]، وجاءت كراهة البغاء عن طريق النهي عنه وذلك بقسر الإماء على فعله في قوله تعالى ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ النور : ٣٣ ، جاءت هذه الكراهة بصورة النهي الموجب للإلزام ، أي لا تكرهوا فتياتكم اللائى تملكوهن على الزنا إن كرهنه وأردن العفاف والطهر ، أمّا التعبير بصورة الشرط في قوله (إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً) فليس المقصود منه أنّهن إنْ لم يردن التحصن يكرهن على ذلك ، وإنّما المراد منه بيان الواقع الذي نزلت من أجله الآية ، وهو إكراههم لإمائهم على الزنا مع نفورهن منه ، ولأنّ الإكراه لا يتحقق في من لا يردن التحصّن ولا يتصور عند رضاهنّ بالزنا واختيارهنّ له ، وإنما يتصور عند كراهتهنّ له ، وعدم رضاهنّ عنه [٦]، زيادة على ذلك فإنّ التعبير بلفظ الماضي (أَرَدْنَ) يفيد "التقبيح لحالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح" [٧].

---

١ - وهذه الأعمال شملتها الآيات من ٢٣ إلى ٣٧ من سورة الإسراء .

٢ - ينظر : مفاتيح الغيب ٢٠: ١٧٨ ، والميزان ١٣: ٩٥ .
٣ - ينظر : التحرير والتنوير ١٥: ١٠٥ .
٤ - روح المعاني ١٤: ٥١٤ .
٥ - ينظر : اللسان ١: ٤٥٧ (بغى) ، والتحرير والتنوير ١٨: ٢٢٢ .
٦ - ينظر : الميزان ١٥: ١١٤ .
٧ - روح المعاني ١٨: ٣٤٦ - ٣٤٧ .

والتعبير بالمضارع في قوله (وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ)، إعلام بأنّه تعالى يقبل التوبة ممن خالف بعد نزول الآية ، وعبر بالاسم العلم في قوله (فَإِنَّ اللَّهَ) إعلاماً بأن الجلال غير مؤيس من الرحمة ، ولعله عبّر بلفظ (بعد) إشارة إلى العفو عن الميل إلى ذلك الفعل عند مواقعته إنْ رجعت إلى الكراهة بعده ، فإنّ النفس لا تملك بغضه حينئذ[١]، والجملة الشرطيّة في قوله (وَمَن يُكْرِههُنَّ فَإِنَّ الله مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) لتقرر النَّهي وتؤكّد وجوبِ العملِ به ببيان خلاص المُكرهاتِ عن عقوبة المُكره عليه ، ولتبين مظهر من مظاهر فضل الله تعالى ورحمته بعباده ، وإنَّ الإكراه مصدرٌ من المبنيّ للمفعولِ وإنّ توسيطَه بين اسمِ إنَّ وخبرِها للإيذانِ بأنَّ ذلك هو السببُ للمغفرةِ والرَّحمةِ [٢].

وأمّا فائدة استعمال (إنْ) الشرطية مكان (إذا) فهي الدلالة على التشنيع في النهي عن إكراه الإماء على البغاء عند مجرّد احتمال إرادتهنّ التحصّن ، ولو استعمل (إذا) ، لأشعر ذلك بأنّه لا يتعيّن إلاّ عند التحقّق من إرادتهنّ ذلك ، قال أبو السعود : " وإيثار كلمة (إنْ) على (إذا) مع تحقّق الإرادة في مورد النص حتماً للإيذان بوجوب الانتهاء عن الإكراه عند كون إرادة التحصّن في حيّز التردّد والشكّ ، فكيف إذا كانت محقّقة الوقوع ، كما هو الواقع "[٣] .

ويُلاحظ تكرار لفظ الإكراه في الآية ولعلّ الأمر الداعي لهذا التكرار هو لغايةِ تهويلِ أمرِ الزّنا وحثّ المكرهاتِ على التثبت في التَّجافي عنه ، والتَّشديد في تحذيرِ المُكرهين ببيانِ أنهنَّ حيثُ كنَّ عرضةً للعقوبة لولا أن تدارَكَهنّ المغفرةُ والرَّحمةُ مع قيام العُذر في حقهنَّ فما حالُ من يكرههنَّ في استحقاقِ العذاب .

كراهة الإيمان :

وتكون هذه الكراهة ناتجة عن قسر الناس على أن يؤمنوا بالله تعالى وجاء ذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ يونس : ٩٩، أي إنّ الكراهة على الإيمان لا ينبغي قسرها على الناس ، إذ إنّ الآية خطاب للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) تخبره بأن لا يجتهد لذلك لأنك لا تقدر على إكراههم و إجبارهم على الإيمان ، والإيمان الذي نريده منهم هو ما كان عن حسن الاختيار لا ما كان عن إكراه و إجبار ؛ ولذلك أعقب المشيئة باستفهام إنكاري ليبيّن أنّ مشيئة الله هي النافذة إذ لو شاء الله لجعل مدارك الناس متساوية منساقة إلى الخير ، ولا يمكن لك أن تجبر الناس على الإيمان ؛ لأنّه محلّ اختيار ، والآية بمجملها تسلية للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) والتخفيف عنه مما يلحقه من التحسر والحرص على إيمانهم ، ودفع لما يضيق به صدره ، من إعراض بعض الناس عن دعوته[٤].

---

١ - ينظر : نظم الدرر ٤: ٣٨١ .
٢ - ينظر : إرشاد العقل السليم ٦: ١٧٣ .
٣ - إرشاد العقل السليم ٦ : ١٧٣ ، وينظر : نظرات لغوية في القرآن الكريم : ٢٣٩ .
٤ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٥: ٤٣٥ ، والميزان ١٠: ١٢١ ، والتحرير والتنوير ١١ : ٢٩٣ .

قال المفسّر البيضاوي : " وترتيب الإكراه على المشيئة بالفاء ، وإيلاؤها حرف الاستفهام الإنكاري ، وتقديم الضمير على الفعل ، للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل ، فلا يمكنه تحصيله بالإكراه زيادة على الحثِّ والتحريض عليه ، إذ روي أنّه عليه الصلاة والسلام كان حريصاً على إيمان قومه ، شديد الاهتمام به "[١] .

كراهة السحر :

وردت كراهة السحر على لسان السحرة الذين أجبرهم فرعون على فعله في مواجهة موسى (عليه السلام) في قوله تعالى ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ طه:٧٣ ، أي أنّه بعد ما انكشف بطلان سحرهم أحسوا بالندم على كراهتم هذا الفعل وطلبوا المغفرة ، فالإكراه نوعان : ما كان بالضرب الذي لا يطاق يُغفر لصاحبه ، وما كان لمجرد تهديد ومطالبة فإنّه لا يغفر إلا بالتوبة الصادقة ، وإكراه السحرة كان من النوع الثاني ، أي " أنّ فرعون أكرههم على تحدّيهم موسى بسحرهم فعلموا أنّ فعلهم باطل وخطيئة لأنّه استعمل لإبطال إلهيّة الله ، فبذلك كان مستوجباً طلب المغفرة "[٢] .

وقد عطف الإكراه على السحر على الخطايا ، والتقدير : ليغفر لنا خطايانا – كالكفر وغيره من المعاصي – ويغفرَ لنا السحرَ الذي عمِلناه في معارضة موسى (عليه السلام) بإكراهك وحشرِك إيانا من المدائن[٣]، وقد " خصّوا السحر بالذكر مع اندراجه في خطاياهم إظهاراً لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته ، وبكثرة كراهيتهم له بعد أن هداهم الله إلى الإيمان ، وذكرُ الإكراه للإيذان بأنّه مما يجب أن يُفرَد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالإكراه ، وفيه نوعُ اعتذارٍ لاستجلاب المغفرةِ "[٤] .

كراهة الحمل والوضع :

هذه الكراهة متعلقة بالأمهات وجاءت مقحمة في وصيّة الإنسان بوالديه ، ويصور القرآن تلك التضحية النبيلة الكريمة الواهبة التي تتقدم بها الأمومة ، والتي لا يجازيها أبداً إحسان من الأولاد مهما أحسنوا القيام بوصية الله في الوالدين[٥]، في قوله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الأحقاف : ١٥، وهذه الكراهة التي تعني المشقّة وهي في سياق الوصيّة بالوالدين ، وخصّ الأمّ بالذكر إشارة إلى ما قاسته الأمّ في الحمل والوضع والفصال ، وإشعاراً بهذا الحكم وتهيجاً لعواطفه وإثارة لغريزة رحمته ورأفته ، وتنبيهاً للحث على الإحسان إليها والبرور بها ، أمّا تركيب الألفاظ وجرسها في قوله (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) فيكاد يُصوّر ويجسّم حالة العناء والجهد

---

١ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣: ١٢٤ ، وينظر : الكشاف ٢ : ٣٥٤ .
٢ - التحرير والتنوير ١٦: ٢٦٧ .
٣ - ينظر : الميزان ١٤: ١٨١ .
٤ - إرشاد العقل السليم ٦: ٣٠ ، وينظر : روح المعاني ١٦: ٣٩٥ .
٥ - وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من المشقة التي تعانيها الحامل ، دلت عليه آية أخرى ، وهي قوله تعالى في سورة لقمان ﴿ وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً على وَهْنٍ ﴾ لقمان : ١٤، أي تهن به وهناً على وهن أي ضعفاً على ضعف ، لأن الحمل كلما تزايد وعظم في بطنها ، ازدادت ضعفاً على ضعف .

والضنى والكلال التي تمرّ بها الأمّ في أثناء الحمل والوضع ، ما يجعلها كارهة لأحوال ذلك الحمل فقد حملته حملا ذا كره أي مشقّة لما في حمله من الثقل ، ووضعته بأوجاع وآلام جعلتها كارهة لوضعه لما عند الوضع من ألم الطلق وغيرها[١] .

كراهة السجود :

أصلُ السجودِ هو الميلُ والتطأطؤ ، يُقال : سجد البعير وأسجده صاحبه إذا طأطأه ليركبه ، وشبه السجود في الصلاة بذلك وعلى هذا يحمل سجود الظلال وسجود الكفار، ويراد بذلك حركاتهم وتصاريفهم ، فإنّ ذلك أجمع يدل على أن الله الخالق لهم والمدبر لمعايشهم ، والطوع الانقياد للأمر الذي يدعا إليه من قبل النفس وهو نقيض الكره ، والكَره الجر إلى الأمر على إباء النفس ، وأصله الكراهة ضد الإرادة ، إلا أنّه جعله نقيض الطوع[٢] في قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ الرعد : ١٥ ، وهذه الكراهة المقابلة للطوع جاءت في سياق سجود الكائنات لله تعالى ، فالكراهة اختصّت بالكافر لأنّ سجوده يكون بالقوّة ، والمؤمن يسجد طوعاً ، فعبارة (طوعاً وكُرهاً) يمكن أن تكون إشارة إلى أنّ المؤمنين خاضعون لله بميلهم وإرادتهم ، وأمّا غير المؤمنين فهم خاضعون كذلك للقوانين الطبيعيّة التي تسير بأمر الله إن شاؤوا وإن أبوا ، وقد استعمل القرآن (كَره) بفتح الكاف لأنّ الأشخاص غير المؤمنين مقهورون للعوامل الخارجية وللقوانين الطبيعيّة ، ويحتمل أن يكون المقصود من (طوعاً) هو التوافق والميل الفطري والطبيعي بين الإنسان والأسباب الطبيعيّة ، والمقصود من (كَرهاً) هو ما فُرض على الإنسان من الخارج[٣]، وذهب ابن عاشور إلى أنّ (الكَره) هو "الاضطرار عند الشدّة والحاجة ، وليس المراد منه الضغط والقهر والإلجاء ، أمّا (الطوع) فهو الانسياق من النفس تقرّباً وزُلفى للتعظيم ومحبّة الله تعالى"[٤] .

ولعلّ دلالة السجود هي التي تُحدد معنى الطوع والكره ، فإن كان المراد بالسجود معناه الحقيقي ، وهو وضع الجبهة على الأرض للتعظيم مع الخضوع والتذلل ، فذلك ظاهر في المؤمنين والملائكة ومسلمي الجن ، وأمّا في الكفار فلا يصح تأويل السجود بهذا في حقهم ، ويكون قد عبّر بالطوع عن سجود الملائكة والمؤمنين ، وبالكره عن سجود من ضمه السيف إلى الإسلام فيسجد كرهاً وإما نفاقاً ، وإنْ كان المراد بالسجود الانقياد فإنّ الكفار وإن لم يسجدوا لله سبحانه فهم منقادون لأمره ، وحكمه فيهم بالصحة والمرض والحياة والموت والفقر والغنى ، فإنّ الكفار ينقادون كرهاً كما ينقاد المؤمنون طوعاً ، ويرى أبو حيّان " أنّ مساق هذه الآية إنّما هو أنّ العالم كله مقهور لله تعالى ، خاضع لما أراد منه ، مقصور على مشيئته ، لا يكون منه إلا ما قدر تعالى "[٥].

---

١ - ينظر : الميزان ١٨: ٢٠٥ ، وفي ظلال القرآن ٦: ٣٢٦٢ .
٢ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٦: ٢٣٥ .
٣ - ينظر : مجمع البيان ٦: ٢٦ ، والأمثل ٧ : ٢٣٦ .
٤ - التحرير والتنوير ١٣: ١١٠ .
٥ - البحر المحيط ٦: ٣٦٩ .

كراهة القرآن :

المراد بما أنزل الله هو القرآن والشرائع والأحكام التي أنزل الله تعالى على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم) وأمر بإطاعتها والانقياد لها فكرهوها واستكبروا عن اتباعها ، وذلك واقع في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ محمد: ٩ ، والآية إخبار عن الكافرين بأنّهم بغضوا وخالفوا وأنكروا ما أنزل الله تعالى من القرآن والأحكام وأمرهم بالانقياد لها فتوعّدهم الله بضلال أعمالهم ، لأنّهم قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشقّ عليهم ذلك وتعاظم عليهم[١] وهي تعليل مضمون الآية السابقة التي جاءت لقصد التحقير والتفضيع في قوله تعالى ﴿ والذين كَفَرُواْ فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ محمد :٨ ، فالدعاء بالتعس قضاء من الله سبحانه بالتعاسة والخيبة والخذلان وإضلال الأعمال ضياع بعد ذلك وفناء [٢].

والآية تصوير لما يعتمل في قلوب الكافرين ويختلج في نفوسهم من الكراهية لما أنزل الله من قرآن وشريعة ومنهج واتجاه ، وهذا هو الذي يدفع بهم إلى الكفر والعناد والخصومة ، وهي حالة كثير من النفوس الفاسدة التي تكره بطبعها ذلك النهج السليم القويم ، وهي بيان للأسباب التي أدت بهم إلى الخسران والضلال ، أي إنّ ذلك الذي حلّ بهم من التعاسة والإضلال بسبب أنّهم كرهوا ما أنزله تعالى على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلّم) من هداية إلى الرشد ، فكانت نتيجة هذه الكراهية أنْ أحبط الله أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا كالإطعام وصلة الأرحام وغيرها ، لأنّ هذه الأعمال لم تصدر عن قلب سليم ، يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وإحباط الأعمال كما يراه سيد قطب " تعبير تصوري على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير ، فالحبوط انتفاخ بطون الماشية عند أكلها نوعاً من المرعى سام ، ينتهي بها إلى الموت والهلاك ، وكذلك انتفخت أعمالهم وورمت ثمّ انتهت إلى الهلاك والضياع ، إنّها صورة وحركة ونهاية مطابقة لحال من كرهوا ما أنزل الله ثم تعاجبوا بالأعمال الضخام " [٣].

كراهة دعوة الدين :

جاءت هذه الكراهة من الكافرين لدين الله في قوله تعالى﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ غافر: ١٤، الآية خطاب للموحدين يأمرهم تعالى بالاستمرار على توحيد الله في عباداته والإخلاص لله تعالى في كل أعمالهم ، وإنْ غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم وشقّ عليهم[٤]، وقوله (فَادْعُوا اللَّهَ) لزم أن يقول (فادعوه) بناءً على سياق الآيات السابقة لكنّه " وضع الظاهر موضع المضمر للتمكّن وليشعر بأنّه تعالى هو المعبود بحقّ وهو الذي يقتضي أن يُعبد وحده "[٥]، وهي أمرٌ من الله تعالى للمكلفين يأمرهم بأنْ يوجّهوا عبادتكم إليه تعالى وحده ، رغماً على الكافرين ، والدعاء هنا ذكر الله وَنداؤه وسؤال الحاجة ، ويطلق الدعاء على العبادة أيضاً ، والمعنى : دوام حال العبادة والدعاء على ذلك ولو كره الكافرون ، لأنّ كراهية الكافرين ذلك من المؤمنين تكون سبباً لمحاولتهم صرفهم عن ذلك بكل وسيلة يجدون إليها سبيلاً فيُخشى ذلك أن يفتن فريق من المؤمنين ،

---

١ - ينظر : الكشاف ٤: ٣٢٢ .
٢ - ينظر : الميزان ١٨: ٢٣٣ .
٣ - في ظلال القرآن ٦: ٣٢٨٩ .
٤ - ينظر : الكشاف ٤: ١٦١ ، والبحر المحيط ٩: ٢٤٣ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥: ٥٣ ، والميزان ١٧: ٣١٨ .
٥ - روح المعاني ٢٤: ٤٠ .

فالكراهية كناية عن المقاومة والصدّ لأنّهما لازمان للكراهية ولأنّ شأن الكاره أن لا يصبر على دوام ما يكرهه ، والشرط في الجملة بـ(لو) يفيد أقصَى ما يكون من الأحوال التي يراد تقييد عامل الحال بها ، أي اعبدوه في كل حال حتى في حال كراهية الكافرين ذلك لأنّ كراهية الكافرين ذلك والمؤمنُون بينهم وفي بلاد فيه سلطان الكافرين مظنّة لأنْ يصدّهم ذلك عن دعاء الله مخلصين له الدين[١].

كراهة الحقِّ :

للحقّ معانٍ كثيرة وردت في السياقات القرآنية منها الحقّ الذي هو ضدّ الباطل ، ومنها الحقّ وهو الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) فهم يكرهون مجيئه بما ينافي عاداتهم ، ولأنّه لم يوافق أهواءهم ، ومنها الحقّ الذي جاءهم به النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وأوله إثبات الوحدانية لله تعالى وإثبات البعث وما يتبع ذلك من الشرائع النازلة في القرآن الكريم ، وتمثّل ذلك في قوله تعالى﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ المؤمنون : ٧٠ ، الآية إضراب عمّا يدل عليه ما سبق من اتهامات باطلة دارت على ألسنة المشركين ، أي : ليس الأمر كما زعموا من أنّه (صلى الله عليه وآله وسلّم) به جنة أو أنّه أتاهم بما لم يأت آباءهم الأولين ، بل الأمر الصدق ، وأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) جاءهم بالحق الثابت ، ولكن هؤلاء القوم أكثرهم كارهون للحق ، لأنّه يتعارض مع أهوائهم ، أي جاءهم بالقرآن المشتمل على التوحيد وما به النجاة في الآخرة والدنيا[٢] . وتكرار الحقّ هنا وإظهاره في موضع الإضمار دليل على الاهتمام والتأكيد وبيان أنّ الحق الثاني عين الحق الأول ، وأظهر في مقام الإضمار لأنّه أظهر في الذم[٣] .

وظاهر تناسق الضمائر يقتضي أنّ ضمير (أكثرهم) يعود إلى القوم المتحدَّث عنهم في الآيات السابقة وهم مشركو قريش ، فيكون المعنى : "أكثر المشركين من قريش كارهون للحق ، وهذا دليل على أنّ طباعهم تأنف الحق الذي يخالف هواهم لما تخلقوا به من الشرك وإتيان الفواحش والظلم والكبر وغيرها ، فلا جرم كانوا بذلك يكرهون الحق لأنّ جنس الحق يجافي هذه الطباع" [٤].

وإنّ التعبير بالأكثريّة وإسناد كراهية الحق إلى أكثرهم دليل على أن أقلّهم ما كان كارهاً للحق بل كان تاركاً للإيمان به ، أنفةً واستنكافاً من توبيخ قومه ، والخوف من تعبير قوامه له بأنّه فارق دين آبائه وأجداده ، أو لقلة فطنته وعدم تفكره ، أو لأنّ فيهم مستضعفين لا يعبأ بهم أرادوا أو كرهوا [٥].

وجاءت كراهة الكفار للحق أيضاً في سياق المحاججة معهم وهم في نار جهنّم وذلك في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ الزخرف : ٧٨ ، والخطاب هنا للكفار وهم في النار وهو خطاب توبيخ وتقريع ، وقد سمّاهم المجرمين بدليل قوله ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ الزخرف: ٧٤ ، وقد خاطبهم بصفة المجرمين ، والمراد بالمجرمين : المتلبسون بالإجرام الذين اتخذوا سبيل الكفر سبيلاً لهم ، بقرينة ذكر مسألة

---

١ - ينظر : التحرير والتنوير ٢٤: ١٠٥ .
٢ - ينظر : البحر المحيط ٧: ٥٧٤ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤: ٩٢ ، وإرشاد العقل السليم ٦: ١٤٤ .
٣ - ينظر : روح المعاني ١٨: ١١٦ .
٤ - التحرير والتنوير ١٨: ٩٠ - ٩١ .
٥ - ينظر : البحر المحيط ٧: ٥٧٤ ، والميزان ١٥: ٤٥ .

الخلود والعذاب الخالد في السياق ، فيكون ذلك الخطاب أعمّ من الكفار ، ويؤيد ذلك إيراده في مقابلة المتقين و هو أخصّ من المؤمنين .

والتعبير بالحق يعني مطلق الحق فهم يكرهون أيّ حق كان وينفرون منه ، وأمّا الحق المعهود الذي هو التوحيد أو القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه ، والتعبير بكراهتهم الحق الكراهة بحسب الطبع المكتسب بالمعاصي و الذنوب لا بحسب الفطرة التي فطر الناس عليها إذ لو كرهوه بحسبها لم يكلفوا بقبوله ، وكراهية هؤلاء الحق واشمئزازهم منه ، هي مناصرتهم الباطل والتمسك به [١] .

وإنّما نسب كراهة الحق إلى أكثرهم من دون جميعهم لأنّ المشركين فريقان أحدهما سادة كبراء لملّة الكفر وهم الذين يصدون الناس عن الإيمان بالإرهاب والترغيب ، وثانيهما عامة الناس وهم تبع لأئمة الكفر ، والفريق الأول هم المعنيون بالكراهة ، وأولئك إنّما كرهوا الحق لأنه يرمي إلى زوال سلطانهم وتعطيل منافعهم وانتقاص من شهواتهم وتصادم مع أهوائهم [٢] .

كراهة رضوان الله :

وردت كراهة الكافرين رضوان الله في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ محمد : ٢٨ ، ورضوان الله هو الطاعة والإيمان برسوله ، ونصر المؤمنين ، وكراهتهم رضوانه أي سبب رضوانه من الإيمان والطاعات والامتناع من القبائح باتباعهم ما أسخط الله تعالى من أهواء النفس وتسويلات الشيطان المستتبعة للمعاصي والذنوب الموبقة ، فحكم على أعمالهم بالإحباط والبطلان فلا تستحق الثواب[٣]، وجاء ذكر اتباع مَا أسخط الله وكراهة رضوانه للمضادة بين السخط والرضوان ، والاتباع والكراهية ، والجمع بين الإخبار عنهم باتباعهم ما أسخط الله وكراهتهم رضوانه مع إمكان الاجتزاء بأحدهما عن الآخر للإيماء إلى أنّ ضرب الملائكة وجوه هؤلاء مناسب لإقبالهم على ما أسخط الله ، وأنّ ضربهم أدبارهم مناسب لكراهتهم رضوانه لأنّ الكراهة تستلزم الإعراض والإدبار[٤]، زيادة على ذلك فإنّه " لما كان فعل ما يسخط قد يكون مع الغفلة عن أنّه يسخط ، بيّن أنّهم ليسوا كذلك فقال تعالى (وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) فهم لما دونه بالقعود عن سائر الطاعات أكره ، لأنّ ذلك ظاهر غاية الظهور في أنه مسخط " [٥].

وهذه الآية جاءت نتيجة للآية السابقة لها وهي قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ محمد : ٢٧، ومن بدائع التعبير في الذكر الحكيم فيها أنّه تعالى ذكر أمرين : ضرب الوجه ، وضرب الأدبار ، وذكر بعدهما أمرين آخرين اتباع ما أسخط الله وكراهة رضوانه ، فكأنّه تعالى قابل الأمرين فقال : يضربون وجوههم إذ أقبلوا على سخط الله ، ويضربون أدبارهم لأنّهم تولوا عما فيه رضا الله ، ولما كان اتباع ما

---

١ - ينظر : الميزان ١٨: ١٢٥ ، وإرشاد العقل السليم ٨: ٥٥ ، وروح المعاني ٢٤: ٤٢٦ ، والأمثل ١٦ : ٦٥.
٢ - ينظر : ومفاتيح الغيب ٢٧: ٢٠٥ ، والتحرير والتنوير ٢٥: ٢٦١ .
٣ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٩: ٣٠٥ ، ومجمع البيان ٩: ١٩١ ، والميزان ١٨: ٢٤٦ .
٤ - ينظر : التحرير والتنوير ٢٦: ١١٩ .
٥ - نظم الدرر ٧: ١٧٣ .

أسخط الله تعالى مقتضياً للتوجه ناسب ضرب الوجه ، وكراهة رضوانه سبحانه مقتضياً للإعراض ناسب ضرب الدبر[١] .

كراهة القتال :

القتال لما فيه من مشقّة وإزهاق النفوس وفناء الأموال مكروه عند الناس، وذكر الله تعالى ذلك في قوله ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : ٢١٦ ، فالآية تدل على فرض القتال على المؤمنين كافّة لكون الخطاب متوجها إليهم أي فرض عليكم الجهاد في سبيل الله وهو شاقٌّ عليكم ، وكراهته كما بيّن كثير من المفسرين أنّها كراهة طباع لا على وجه السخط والرفض ، ومعلوم أنّ كراهية الطبع لا تنافي تلقي التكليف به برضا ؛ لأنّ أكثر التكليف لا يخلو عن مشقة ، وكون القتال المكتوب كرها للمؤمنين ذكر المفسرون دلالات لهذه الكراهة ، منها أنّ القتال إنّما كان مكروها للنفوس لما فيه من التعرض للجراح وإزهاق الأرواح والإنسان ميال بطبعه إلى الحياة ، وأيضاً لما فيه من إخراج المال ومفارقة الوطن والأهل ، ومنها أنّهم كانوا يكرهون الإقدام على القتال والاستعجال فيه حتّى اكتمال العدّة والعدد ، ومنها أنّ كره المسلمين للقتال ليس سببه ما فيه من شدائد ومخاطر وتضحيات بدليل أنهم كانوا يتنافسون خوض غمراته ، وإنما السبب في كراهيتهم له هو أن الإسلام قد غرس في نفوسهم رقة ورحمة وسلاما وحبا ، وهذه المعاني جعلتهم يحبون مصابرة المشركين ويكرهون قتالهم أملا في هدايتهم ، ومنها أيضاً أنّ القتال مكروه لهم قبل أن يكتب عليهم ؛ لأنّ المؤمنين لا يكرهون ما كتب الله عليهم [٢]، والمتأمّل لهذه الدلالات يرى غزارة التعبير للفظة القرآنية فهي تحمل في سياقها كلّ هذه الدلالات .

ومن بدائع التعبير القرآني في هذه الآية مجيء الفعل(كُتِبَ) مبنياً للمجهول إذ لم يظهر فاعله ؛ وذلك لأنّ جملته مذيلة بقوله (وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ) " وهذا لا يناسب إظهار الفاعل صونا لمقامه عن الهتك ، و حفظا لاسمه عن الاستخفاف أن تقع الكتابة المنسوبة إليه صريحا موردا لكراهة المؤمنين " [٣]، ولدفع الاستغراب الناشئ عن الكراهة في قولـه (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ) فقد ذيلها بقوله(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) فهو "تذييل احتيج إليه لدفع ذلك الاستغراب ، ولأنّه إذا كان مكروهاً فكان شأن رحمة الله بخلقه ألا يكتبه عليهم فذيل بهذا لدفع ذلك"[٤].

كراهة الدِين :

وردت هذه الكراهة في قوله تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة : ٢٥٦ ، الإكراه هو حمل الآخر على قول أو فعل لا يريده عن طريق التخويف أو التعذيب أو ما يشبه ذلك ، وكراهة الدين تظهر حين يحملُ الإنسان على

---

١ - ينظر : مفاتيح الغيب ٢٨: ٦٣ ، و روح المعاني ٣: ٢٣٣ .
٢ - ينظر : مجمع البيان ٢: ٩٩، والميزان ٢: ١٦٧ .
٣ - الميزان ٢: ١٦٧.
٤ - التحرير والتنوير ٢: ٣٢١ .

اتباعه ، فقوله تعالى (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدين) ينفى الإجبار على الدخول في الدين ، لأنّ هذا الإجبار لا فائدة من ورائه ، إذ التدين إذعان قلبي ، واتجاه بالنفس والجوارح إلى ربِّ العالمين بإرادة حرة مختارة فإذا أكره عليه الإنسان ازداد كرهاً له ونفوراً منه ، فالإكراه والتدين نقيضان لا يجتمعان(١)، وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله الإنسان ، واحترام إرادته وفكره ومشاعره ، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله ، والتعبير هنا يرد في صورة نفي الجنس أي النفي المطلق وجيء به لقصد العموم ، أي نفي جنس الإكراه ، وليس مجرد نهي عن مزاولته ، "والنهي في صورة النفي للجنس أعمق إيقاعاً وآكد دلالة"(٢).

كراهة نبوّة نوح (عليه السلام) :

وتأتي هذه الكراهة في قوله تعالى ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ هود:٢٨ ، الآية خطاب نوح (عليه السلام) يخاطب قومه في سماحة ومودة بندائهم ونسبتهم إليه ، ونسبة نفسه إليهم ، وهذا تلطّف في الخطاب ، يقول لهم : أخبروني إن كنت على برهان من ربي في النبوّة يوجب عليكم قبولها (٣).

فالبينة البرهان الساطع ، وزاد ترغيباً فيها بقوله (مِنْ رَبِّي) أي الذي أوجدني وأحسن إليّ بالرسالة وغيرها ، والرحمة الإكرام بالرسالة بعد النبوة ، وعظمها بقوله (مِنْ عِنْدِهِ)، والمعنى : منحني بفضله وإحسانه النبوة التي هي طريق الرحمة لمن آمن بها ، وذكر بعض المفسرين أنّ البينة في نفسها هي الرحمة ، ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة ، وبالرحمة النبوّة (٤)، وجاء أنّ البينة من الرحمة ؛ لذلك وحد الضمير في قوله (فَعُمِّيَتْ) أي : فأخفيت عليكم هذه الرحمة ، لأنّكم ممن استحبّ العمى على الهدى ، والتعبير بعميت مخففة ومشددة أبلغ من التعبير بخفيت وأخفيت ، لأنّه مأخوذ من العمى المقتضى لأشد أنواع الخفاء(٥)، وتسميتها بـ (البينة) إشارة إلى أنّها لم تعم ولا خفيت عليهم لقوة نورها وشدة ظهورها ، وإنّما هم معاندون في نفيهم لفضله وفضل من تبعه(٦).

والإلزام جعل الشيء مع الشيء بحيث لا يفارقه و لا ينفك منه ، والكراهة مع الإلزام لا تجوز في الهداية كما جاء في ذيل الآية قوله (أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) وهذه من جملة المواقع النافية للإكراه في الدين(٧)، والتعبير عن ذلك بالجملة الاسمية واسم الفاعل إشارة إلى أن أفعالهم أفعال من كراهته لها ثابتة مستحكمة فيهم(٨)، أي إذا كانت الهداية إلى الخير التي جئتكم بها قد خفيت عليكم مع وضوحها وجلائها ، فهل استطيع أنا واتباعى أن نجبركم إجبارا ، ونقسركم قسرا على الإيمان بي ، وعلى التصديق بنبوتى ، والحال أنّكم كارهون لها نافرون منها(٩).

١ - ينظر : التحرير والتنوير ٣: ٢٥ - ٢٦ .
٢ - في ظلال القرآن ١: ٢٩٦ .
٣ - ينظر : الميزان ١٠: ١٩٧.
٤ - ينظر : الكشاف ٢: ٣٦٩ ، وإرشاد العقل السليم ٤: ٢٠١ ، النكت والعيون ٢: ٤٦٦ ، وبحر العلوم ٩: ٣٦٧ .
٥ - ينظر : التفسير الوسيط ٩: ٢٤٨ .
٦ - ينظر : الكشاف ٢: ٣٦٩ ، ونظم الدرر ٣: ٥٢٣ .
٧ - ينظر : الميزان ١٠: ١٩٧ .
٨ - ينظر : نظم الدرر ٣: ٥٢٣ .
٩ - ينظر : التفسير الوسيط ٩: ٢٤٨ .

ولتصوير قوة الإكراه وعمقه في نفوس الكارهين في الآية جاء خلال المؤثرات الصوتية للفظ كالإيقاع الموسيقي ، والظلال الذي يشغله اللفظ ، ومن الكلمات التي تصور جرسها معناها لفظة (أنلزمكموها) التي توحي الإكراه والعناء حين نطقها ، وتحسّ أنّها تصوّر جو الإكراه باندماج كل هذه الضمائر في النطق وتواليها من المتكلّم إلى المخاطب إلى الغائب ، وشدّ بعضها إلى بعض ، كما يدمج الكارهون مع ما يكرهون ، ويشدون إليه وهم منه نافرون [١] .

كراهة الجهاد :

اتضحت كراهة الجهاد في قوله تعالى ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ التوبة : ٨١ ، وتكون هذه الكراهة للمنافقين الذين يظهرون الإسلام ويضمرون الكفر ، وكراهيتُهم الجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله خصلة أخرى من خصال النفاق ؛ لأنّ الله أمر بذلك في الآية المتقدمة ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ التوبة :٤١ ، ولكون كراهة الجهاد خصلةً أخرى جُعلت جملتها معطوفة ولم تجعل مقترنة بلام التعليل مع أنّ فرحهم بالقعود سببه هو الكراهية للجهاد[٢]، وكرههم هذا للجهاد هو ثمرة نفاقهم وكفرهم ، والتعبير بقوله (الْمُخَلَّفُونَ) غاية في الدقّة والبيان ؛ "لأنّه تحقير لهم ، حتى لكأنّهم شيء من سقط المتاع الذي يخلف ويترك و يهمل ؛ لأنّه لا قيمة له ، أو لأنّ ضرره أكبر من نفعه"[٣].

وجاءت الآية إخباراً منه تعالى أنّ هؤلاء المخلفين فرحوا بالتأخر وكرهوا إنفاق أموالهم والجهاد بنفوسهم في سبيل الله ، وإنّ التعبير بالماضي في (فرح وكرهوا) للدلالة على أنّ فرحهم وكراهيتهم راسخة في نفوسهم حتى قبل أن يُسنّ الجهاد ، والله تعالى يعلم سرائرهم ، فكان ذلك التعبير بالفعل الماضي .

والحقيقة أنّ الفرح بالقعود يتضمن الكراهة للخروج إلا أنّه تعالى أعاده للتأكيد ، وبينهما مقابلة معنوية ، لأنّ الفرح من ثمرات المحبة ، فكأنّ الفرح بالقعود هو لمثل الإقامة ببلده لأجل الألفة والإيناس بالأهل والولد ، وكراهة الخروج إلى الغزو لأنّه تعريض بالنفس والمال للقتل والتلف[٤] .

ووردت هذه الكراهة للمؤمنين في قوله تعالى ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ الأنفال : ٥ ، إشارة إلى أنّها كراهة طباع لا مخالفة أمر ، والآية خطاب الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلّم) يُبيّن له كراهة أصحابه للخروج للجهاد ، فحالهم في كراهية ما رأيت من تزيع الأنفال ، مثل حالهم في كراهية خروجك ، وتلك الكراهية من قِبل النفس وطبع البشرية ، لا من قِبل الإنكار في قلوبهم لأمر الله ورسوله ، فإنّهم

---

١ - ينظر : التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب : ٩٢ ، والتصوير الفني في القرآن ، د. جبير صالح حمادي : ٨٨ . وقد ذكر الزمخشري أنّ الضمائر إذا اتصلت فينبغي أن يقدّم منهما ما للمتكلّم على غيره ، وما للمخاطب على الغائب . ينظر المفصّل في صنعة الإعراب : ١٦٦ .
٢ - ينظر : التحرير والتنوير ١٠: ٢٨١ .
٣ - التفسير الوسيط ١٢: ٨٥ .
٤ - ينظر : مفاتيح الغيب ١٦: ٧٨ ، والبحر المحيط ٥: ٤٧٤ .

راضون مستسلمون ، أي والحالُ أن فريقاً منهم كارهون الخروج إمّا لنفرة الطبعِ عن القتالِ أو لعدم الاستعدادِ ، [١]، والآية قائمة على التشبيه فقد شبيهُ حال بحال ، ويرى ابن عاشور أنّ هذا الحال كحال ما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، ووجه الشبه هو كراهية المؤمنين في بادئ الأمر لما هو خير لهم في الواقع أي حال بعض المسلمين في بدر في كراهة قسمة الغنيمة بالسوية بينهم ، مثل حال فريق منهم في كراهة الخروج للقتال ، مع أنّه قد ثبت أنّ هذه القسمة وكذا القتال ، وقيام الآية على التشبيه وذلك لتقريب حال الكراهة التي هم عليها [٢]، أمّا التعبير بالحقّ إشارة " إلى أنّ أمر الخروج كان طبقاً للوحي الإلهي وللدستور السماوي " [٣].

والذي يلحظ في الآية أن التعبير بقوله (وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) جاء مؤكداً بتأكيدين ، أي أنّ هذه الكراهة واقعة منهم على سبيل التأكيد على لا على سبيل الإخبار بما يعتمل في نفوسهم ، ويلمحُ منها أيضاً التوبيخ والتعنيف لمن كان في إيمانه ضعف .

كراهة الإنفاق :

أمر الله تعالى في مواضع كثيرة من القرآن بالإنفاق وهو لاشكّ أمرُ محبوب ، ولكنّه مكروه عند المنافقين واتضحت كراهة الإنفاق عندهم في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ، وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ التوبة : ٥٣-٥٤ ، تشير الآيتان إلى قسم آخر من علامات المنافقين وعواقب أعمالهم ونتائجها ، وتبيّن بوضوح كيف أنّ أعمالهم لا أثر لها ولا قيمة ، ولا تعود عليهم بأيّ نفع ، فـ(طَوْعاً أَوْ كَرْهاً) مصدران وقعا حالاً موقعَ الفاعل للمبالغة أي طائعين أو كارهين وهو أمرٌ في معنى الخبر ويحمل معنى التهديد والتوبيخ ، والمعنى طائعين من غير إلزام من الله ورسوله أو ملزمين ، وسمي الإلزام إكراهاً ، لأنّهم منافقون ، فكان إلزامهم الإنفاق شاقاً عليهم كالإكراه ، أو طائعين من غير إكراه من رؤسائهم ، لأنّ رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه ، أو مكرهين من جهتهم ، أي إنفاقكم في أي حال من الأحوال (لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ)، فانقسام الإنفاق على طوع وكره إنّما هو بالاخذ بالظاهر ، وكأنّه عبّر بالتفعل إشارة إلى قبوله منهم ظاهراً ، ولمّا كان غير مقبول باطناً على حال من الأحوال علل بقوله (إِنَّكُمْ كُنتُمْ) أي في طبعكم (قَوْمًا فَاسِقِينَ) أي عريقين في الفسق ، فقوله (طوعاً) إدماج لتعميم أحوال الإنفاق في عدم القبول فإنّهم لا ينفقون إلاّ كرهاً وما طوعهم ذاك إلاّ عن كراهية واضطرار ، لا عن رغبة واختيار بدليل قوله تعالى بعد هذا (وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ)، ونظمُ الكلامِ على الأمرِ للمبالغة في بيان تساوي الأمرين في عدم القَبولِ ، ونفيُ التقبُّلِ يحتمل أن يكون بمعنى عدم الأخذِ منهم وأن يكون بمعنى عدمِ الإثابةِ عليه[٤].

وقد ارتبطت الآية الثانية بالأولى بالعطف ، لأنّ هذا بيان للتعليل لعدم قبول نفقاتهم بزيادة ذكر سببين آخريْن مانعين من قبول أعمالهم هما من آثار الكفر والفسوق ، وهما : (وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى) و(وَلَا يُنْفِقُونَ

١ - ينظر : الكشاف ٢: ١٩٠ ، وإرشاد العقل السليم ٤ : ٥ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣: ٥٠ .
٢ - ينظر : التحرير والتنوير ٩: ٢٦٤ .
٣ - الأمثل ٥ : ٣٦٥ .
٤ - ينظر : الكشاف ٢: ٢٦٦-٢٦٧ ، مفاتيح الغيب ١٦: ٧٨ ، وإرشاد العقل السليم ٤: ٧٤ ، ونظم الدرر ٣: ٣٣٣ .

إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ) ، والكفر وإن كان وحده كافياً في عدم القبول ، إلاّ أنّ ذكر هذين السببين إشارة إلى تمكّن الكفر من قلوبهم وإلى مذمّهم بالنفاق الدالّ على الجبن والتردّد ، فذكر الكفر بيان لذكر الفسوق ، وذكر التكاسل عن الصلاة لإظهار أنّهم متهاونون بأعظم عبادة فكيف يكون إنفاقهم عن إخلاص ورغبة؟ ، وذكر الكراهية في الإنفاق لإظهار عدم الإخلاص في هذه الخصلة المتحدّث عنها ، وقد اكتفى من أعمال البرّ بهذين العملين الجليلين وهما الصلاة والنفقة ، لأنّ الصلاة أشرف الأعمال البدنية ، والنفقة في سبيل الله أشرف الأعمال المالية ، وهما وصفان المطلوب إظهارهما في الإسلام ، ويستدل بهما على الإيمان[١]. وقد جاءت جملتا الكسل في إتيان الصلاة والكراهة في الإنفاق اسميتين للدلالة على ثبوت هذين الوصفين في نفوسهم وأنّهم ثابتون على هذا الحال ، زيادة على ذلك أنّهما جاءتا مؤكدتين بالحصر فلا مناص من نفاقهم .

كراهة مجيء الحقّ وظهور أمر الله :

وردت هذه الكراهة من المنافقين في قوله تعالى ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ التوبة : ٤٨، ذكر المفسرون أنّ الحقّ في الآية هو النصرُ والتأييدُ الإلهي ، وأمر الله هو غلب دينُه وعلا شرعُه ، وسُمي النصر حقّاً ؛ لأنّ المراد بذلك زوال ضعف المسلمين وانكشاف أمر المنافقين ، وسُمي دين الله (الإسلام) أمر الله ؛ لأنّ المراد بذلك نصر المسلمين بفتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجاً ، والآية خطاب للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) وهي بيان لحال المنافقين فقد قاموا بإيقاع الشرور والمفاسد في صفوف المسلمين قبل هذا الوقت وجاء ذلك بصيغة الماضي ، حتى علا دين الإسلام وجاء النصر والضفر الذي وعد الله به على رغمهم في حال كراهيتهم لذلك ؛ لأنّهم يكرهون انتصار دين الإسلام ، ويحبون هزيمته ، ولكن الله تعالى أحبط مكرهم [٢]، وجملة (وَهُمْ كَارِهُونَ) الاسميّة " تنبيه على أنّه لا أثر لمكرهم وكيدهم ومبالغتهم في إثارة الشر ، فإنّهم منذ كانوا في طلب هذا المكر والكيد ، والله تعالى ردّه في نحرهم وقلب مرادهم وأتى بضد مقصودهم "[٣] .

كراهة الحرب :

جاءت هذه الكراهة مسندة إلى الله تعالى لأولئك المنافقين في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ التوبة : ٤٦، ولعلّها الكراهة الوحيدة التي تُسند إلى الله تعالى صراحة ولعلّه أمر عظيم ، فبعد أن أمر تعالى بالخروج إلى القتال في قوله ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ التوبة : ٤١، أخبر الله تعالى أنّ هؤلاء المنافقين لو أرادوا الخروج مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) إلى تبوك نصرة له ورغبة في جهاد الكفار كما أراد المؤمنون ذلك لأعدّوا للخروج عدّة ، ولكن لم يكن لهم في ذلك نية ولو خرجوا لأفسدوا عليك وأفسدوا قلوب أصحابك ، فكراهة الله

---

١ - ينظر : البحر المحيط ٥: ٤٣٣ - ٤٣٤ .
٢ - ينظر : أنوار التنزيل وإسرار التأويل ٣: ٨٣ ، وإرشاد العقل السليم ٤: ٧١ . وذكر المفسر الرازي أنّ المُراد بالحقّ هنا هو القرآن ودعوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، والمُراد بأمر الله الأسباب التي أظهرها الله تعالى وجعلها مؤثرة في قوة شرع محمد عليه الصلاة والسلام . ينظر : مفاتيح الغيب ١٦: ٧٢ .
٣ - مفاتيح الغيب ١٦: ٧٢ .

خروجهم لعلمه أنّهم لو خرجوا لكان الضرر في خروجهم أكثر من الفائدة فكسّلهم وخذّلهم وضعّف رغبتهم عن الخروج الذي عزموا عليه لا عن الخروج الذي أمرهم به ، لأنّ الأول كفر والثاني طاعة [1]، وكراهة الله انبعاثهم مفسّرة في الآية بعدها بقوله ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ التوبة : ٤٧ .

ولما كان الشرط بـ(لو) معطياً معنى النفي أي نفي خروجهم واستعدادهم للغزو استدرك بـ (لكن) على ما دلّ عليه شرط (لو) من فرض إرادتهم الخروج تأكيد لانتفاء وقوعه بإثبات ضدّه ، وعبّر عن ضدّ الخروج بتثبيط الله إيّاهم لأنّه في السبب الإلهي ضدّ الخروج فعبّر به عن مسبّبه ، فكأنه قيل : ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم ، ومن ثمّ جُعل إلقاء الله تعالى في قلوبهم كراهة الخروج أمراً بالقعود ، فكان إيقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسناً ومصلحة [2].

كراهة إحقاق الحق وإبطال الباطل :

اندمج في هذه الكراهة أمران هما إحقاق الحقّ وإبطال الباطل وهذا حاصل من الله تعالى رغماً عن الكافرين ، وجاء ذلك في قوله تعالى ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ الأنفال : ٨ ، وفي هذا الاندماج دفع لمظنّة المشركين المجرمين في تحصيل الأمرين ، فالمراد من تحقيق الحق وإبطال الباطل ، بإظهار كون ذلك الحق حقاً ، وإظهار كون ذلك الباطل باطلاً ، وذلك تارة يكون بإظهار الدلائل والبينات ، وتارة بتقوية رؤساء الحق وقهر رؤساء الباطل[3]، ويرى الآلوسي أنّ المراد بالمجرمين هنا " المشركون لا من كره الذهاب إلى النفير من المنافقين ، لأنّ كراهتهم ذلك جرم منهم"[4].

والآية بيان الحكمة في اختيار ذات الشوكة لهم ، ونصرتهم عليهم في الآية السابقة ، أي أنّه تعالى فعل ما فعل من النصرة والظفر على الأعداء ، ليثبت الدين الحق دين الإسلام ، ويمحق الدين الباطل وهو ما عليه المشركون من كفر وطغيان ، أمّ كراهة المجرمين فلبيان نفاذ إرادته سبحانه ، أي اقتضت إرادته أن يعزّ الدين الحق وهو دين الإسلام ، وأن يمحق ما سواه رغماً عنهم ؛ لأنّ كراهيتهم لا وزن لها [5].

ويلاحظ في سياق الآية وارتباطها بأخواتها أنّ هناك تكريراً في قوله (يحقّ الحقّ) إذ ذكر تعالى في الآية السابقة (وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ)الأنفال:٧، والحقيقة أنّه لا تكرير في هذا السياق كما ذكر أكثر المفسرين ، لأنّ المراد بإحقاق الحق في قوله تعالى (وَيُرِيدُ الله أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) إعلاؤه وإظهاره ونصرته عن طريق قتال المؤمنين المشركين ، والمراد بإحقاق الحقّ في قوله بعد ذلك في الآية الثانية (لِيُحِقَّ الحق وَيُبْطِلَ الباطل) تثبيت دين الإسلام وتقويته وإظهار شريعته يوم بدر ، ولهذا السبب قرنه بقوله

---

١ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٥: ٢٣٠ ، ومجمع البيان ٥:٦٨ .
٢ - ينظر : الكشاف ٢: ٢٦٠ .
٣ - ينظر : مفاتيح الغيب ١٥: ١٠٩ .
٤ - روح المعاني ١٠: ٣٦ .
٥ - ينظر : التفسير الوسيط ٧: ١٠ .

(وَيُبْطِلَ الباطل) الذي هو الشرك ، وذلك في مقابلة (الحق) الذي هو الدين والإيمان ، فكان ما اشتملت عليه الآية الأولى هو الوسيلة والسبب وما اشتملت عليه الآية الثانية هو المقصد والغاية [١] .

كراهة إرث النساء :

كان أهل الجاهلية يعدّون نساء الموتى من التركة فيرثونهنّ مع التركة وفي ذلك كراهة وقد ردت في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء : ١٩، لمّا نهى الله فيما تقدم عن عادات أهل الجاهلية في أمر اليتامى والأموال أعقبه بالنهي عن ميراث النساء ، فخوطب الذين آمنوا ليعمّ الخطاب جميع الأمّة ، والكراهة ناتجة عن الإكراه ، والمعنى : يأيّها الذين آمنوا وصدقوا بالحق الذي جاءهم من عند الله ، منهيّ ومحرّم عنكم أنْ تأخذوا نساء موتاكم بطريق الإرث وهنّ كارهات لذلك أو مكرهات عليه [٢].

والملاحظ أنّ التقييد بالكره لا يدل على الجواز عند عدمه ، لأنّ تخصيص الشيء بالذكر لا يدلّ على نفى ما عداه فيكون نفي الوراثة في حال الطوع والكراهة ، لا جوازها في حال الطوع استدلالاً بالآية ، فخرج هذا الكره مخرج الغالب ، لأنّ غالب أحوالهنّ أنْ يكنّ مجبورات على ذلك [٣] .

كراهة النساء :

جاءت هذه الكراهة في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء : ١٩ ، برع الأسلوب القرآني في تخفيف حدّة كراهة النساء والصبر عليهنّ ، ولأهميّة هذا الأمر في بناء الأسرة فقد جاءت الكراهة بصيغة الشرط ، وجاء الجواب مصدراً بـ(عسى) التي تفيد الرجاء معطوفاً عليه تأكيد ذلك التخفيف بجعل الله تعالى تلك الكراهة خيراً ، فبعد أن جاء النهي عن إكراه النساء والإضرارِ بهنّ أعقب بالأمر بحسن المعاشرة معهنّ ، لأنّ حسن المعاشرة جامع لنفي الإضرار والإكراه ، أي لا تحملكم الكراهة على سوء المعاشرة ، فإنّ كراهة الأنفس للشيء لا تدل على انتفاء الخير منه ، ولعلّ ما كرهت النفس يكون أصلح في الدين وأحمد في العاقبة ، وما أحبته يكون بضد ذلك[٤]، وفي الآية حثّ للأزواج على حسن الصبر فيما يكرهون من الأزواج و ترغيبهم في إمساكهن مع كراهة صحبتهن إذا لم يخافوا في ذلك من ضرر على النفس أو الدين أو المال [٥] .

ومن بديع البيان في هذه الآية عود الضمير في (فِيهِ) إلى أمرين ، الأول : الإمساك والمعاشرة ، فيكون المعنى أنّكم إن كرهتم صحبتهن فأمسكوهن بالمعروف فعسى أن يكون في صحبتهن الخير الكثير ، والثاني :

---

١ - ينظر : مفاتيح الغيب ١٥ : ١٠٩ ، والبحر المحيط ٥: ٢٧٧ ، وروح المعاني ١٠ : ٣٦ .
٢ - ينظر : الكشاف ١ : ٥٢٢ ، والتبيان في تفسير القرآن ٣ : ١٤٩ ، و مجمع البيان ٣ : ٥٢ .
٣ - ينظر : البحر المحيط ٣ : ٥٦٧ ، والتحرير والتنوير ٤ : ٢٨٧ .
٤ - ينظر : البحر المحيط ٣ : ٥٦٧ .
٥ - ينظر : الكشاف ١: ٥٢٢ ، ومجمع البيان ٣: ٥٤ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢: ٦٦ .

المفارقة ، فيكون المعنى إن كرهتموهن ورغبتم في مفارقتهن ، فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا ، وذلك بأن تتخلص تلك المرأة من هذا الزوج وتجد زوجا خيراً منه[1] .

كراهة العودة إلى ملّة الكفر أو كراهة الخروج :

جاء هذا النوع من الكراهة على لسان شُعيب (عليه السلام) ومن معه في قوله تعالى ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ الأعراف : ٨٨ ، إذ كره شُعيب (عليه السلام) وجماعته أمرين العود إلى ملّة الكفر بعد أن هدى الله تعالى به بعض أفراد قومه ، والخروج من قريتهم المقيمين فيها بعد أن نبذهم قومهم ، وهذا قول المستكبرين الجبارين أصحاب القوّة ، ولأنّهم كانوا يظنّون اختياره العود إلى ملّتهم ، أكّدوا هذا العود بالقسم للإشارة إلى أنّه لا مَحيد عن حصوله عوضاً عن حصول الإخراج لأنّ أحد الأمرين مُرضٍ للمقسمين ، وأيضاً فإنّ التوكيد مؤذن بأنّهم إنْ أبوا الخروج من القرية فإنّهم يكرهون العود إلى ملّة القوم ، ولمّا كان المقام للتوعّد والتّهديد كان ذكر الإخراج من أرضهم أهم ، فلذلك قدموا القسم عليه ثم أعقبوه بالمعطوف بحرف (أوْ) ، وجيء بالاستفهام للدلالة على شنعة المعصية بما أقسموا عليه من الإخراج عن مواطنهم ظلماً أو الإقرار بالعود في ملتهم[2].

وجاءت الكراهة بصيغة الإنكار عليهم في قوله (أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) أي أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا للعود إليها ، أو أتخرجوننا من قريتكم في حال كراهتنا للخروج منها ، أو في حال كراهتنا للأمرين جميعاً ، والمعنى : إنّه ليس لكم أن تكرهونا على أحد الأمرين ، ولا يصحّ لكم ذلك ، فإنّ المكره لا اختيار له ، ولا تعدّ موافقته مكرها موافقة ، ولا عوده إلى ملتكم مكرهاً عوداً[3]، ففي كلامه هذا تعريض بحماقة خصومه إذ يحاولون حمله على ملّتهم أو الخروج بالإكراه ، فالهمزة لإنكار الوقوع ونفيه ، و(لو) تفيد أنّ شرطها هو أقصى الأحوال التي يحصل معها الفعل الذي في جوابها ، فيكون ما بعدها أحرى بالتعجب ، أي التعجب من أحوالهم الغريبة في الإجبار أو الإكراه ، فعلى هذا تكون كارهين بمعنى مكرهين[4] .

وجاء الإكراه والكراهة للكفر أيضاً – كما ذكره أغلب المفسرين – على لسان عمّار بن ياسر عندما أجبره كفّار قريش على النطق بالكفر وهو كاره له ، وبيان ذلك في قوله تعالى ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ النحل : ١٠٦ ، فالمراد بالإكراه هنا الإجبار على كلمة الكفر و التظاهر به ، أو هو الإلجاء إلى فعل ما يُكْرَه فِعلُه ، وإنما يكون ذلك بفعل شيء تضيق عن تحمّله طاقة الإنسان من إيلام بالغ أو سجن أو قيد أو نحوه ، كما بيّنا ذلك في الفصل الأول من هذا الباب ، والآية مقارنة بين صنفين من الناس من كفر بالله تعالى وهو كاره أو مُكرهٌ عليه فلا حرج عليه ، ومن كفر بمحض إرادته فعليه غضب من الله ، والاستثناء في الآية ترخيص ومعذرة لِمَا صدر من عمار بن ياسر

---

١ - ينظر : مفاتيح الغيب ١٠: ١٠ .
٢ - ينظر : البحر المحيط ٥: ١١٢ ، وإرشاد العقل السليم ٣: ٢٤٩ ، وروح المعاني ٩: ٢٤٣ .
٣ - ينظر : فتح القدير ١: ٧٥٠ .
٤ - ينظر : التحرير والتنوير ٩: ٦ ، ومجمع البيان ٤: ٣٣٢ .

وأمثاله إذا اشتدّ عليهم عذاب من فتنوهم ، وهو استثناء من عموم الشرط (من كفر) لئلا يقع حكم الشرط عليه ، أي إلا مَن أكرهه المشركون على الكفر ، أي على إظهاره فأظهره بالقول لكنه لم يتغير اعتقاده ، أمّا قوله (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا) فهو استدراك على الاستثناء ، وهو احتراس من أن يفهم من الاستثناء أنّ المكره مرخّص له أن ينسلخ عن الإيمان من قلبه ، وفي مجموع الاستثناء و الاستدراك بيان كامل للشرط ، و هذه هي الغاية البيانية من اعتراض الاستثناء بين الشرط و الجزاء و عدم تأخيره إلى أن تتم الشرطية [١] .

كراهة الإسلام :

وردت تلك الكراهة في قوله تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ آل عمران : ٨٣، ودين الله هو الإسلام ، لأنّ من في السماوات والأرض مسلمون له منقادون لأمره ، فإن رضوا به كان انقيادهم طوعاً من أنفسهم ، وإن كرهوا ما شاءه وأرادوا غيره كان الأمر أمره وجرى عليهم كرها من غير طوع ، ومن هنا يظهر أنّ الواو في قوله (طوعا وكرها) للتقسيم ، وأنّ المراد بالطوع والكره رضاهم بما أراد الله تعالى فيهم ممّا يحبّونه ، وكراهتهم لما أراده فيهم ممّا لا يحبّونه كالموت والفقر والمرض ونحوها [٢] .

والمراد أنّ كلّ من في السموات والأرض قد انقاد وخضع لله تعالى إمّا عن طواعية واختيار وهم المؤمنون لأنّهم راضون في كل الأحوال بقضائه وقدره ، ومستجيبون له في العسر واليسر ، وإما عن تسخير وقهر وهم الكافرون لأنّهم واقعون تحت سلطانه العظيم وقدرته النافذة ، فهم مع كفرهم لا يستطيعون دفع قضائه سبحانه وإذن فهم خاضعون لسلطانه عزّ وجلّ ، لأنّهم لا سبيل لهم ولا لغيرهم إلى الامتناع عن دفع ما يريده بهم[٣] .

وقيل إنّ معنى (طوعاً وكرهاً) "أنّ من العقلاء من أسلم عن اختيار لظهور الحق له ، ومنهم من أسلم بالجبلّة والفطرة كالملائكة ، أو الإسلام كرهاً هو الإسلام بعد الامتناع أي أكرهته الأدلة والآيات أو هو إسلام الكافرين عند الموت ورؤية سوء العاقبة ، أو هو الإكراه على الإسلام قبل نزول آية لاَ إكراه في الدين"[٤] .

كراهة البنات :

ويُقصد بكراهة البنات أنّ الناس كانوا يكرهون أن تكون لهم بنت ويضيفون ذلك إلى الله تعالى كذباً وافتراءً ، ووردت تلك الكراهة في قوله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴾ النحل : ٦٢، يُبيّن القرآن هنا استنكاره بدع المشركين وخرافاتهم في الجاهلية حول كراهية المولود الأنثى والاعتقاد بأنّ الملائكة إناث ، فنسبوها إلى الله تعالى كذباً وافتراءً ، وادّعوا لأنفسهم أحسن الثواب بقوله(الحسنى)، واحتمل بعض من المفسرين أنّ الحسنى تعني نعمة الأولاد الذكور ؛ لأنّهم يعدّون البنات سوءاً وشرّاً ، والبنين نعمة وحسنى[٥] .

---

١ - ينظر : الميزان ١٢ : ٣٥٣ .
٢ - ينظر : الميزان ٣: ٣٨٥ .
٣ - ينظر : إرشاد العقل السليم ٢: ٥٤ ، وروح المعاني ٤: ٣٠٦ .
٤ - التحرير والتنوير ٣: ٣٠١ .
٥ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٦: ٣٩٧ ، والميزان ١٢: ٢٨٢ ، والأمثل ٨ : ١٥٠.

وقيل إنّ هذه الآية جاءت لتفيد إضافتهم الأشياء المكروهة عندهم إلى الله ممّا اقتضته كراهتهم البنات ، فكانَ ذلك الجعل ينطوي على خصلتين من دين الشّرك ، وهما : نسبة البنوّة إلى الله ، ونسبة أخسّ أصناف الأبناء في نظرهم إليه ، فخصّت الأولى بالذكر بقوله ويجعلون لله البنات مع الإيماء إلى كراهتهم البنات ، وخصّت هذه بذكر الكراهية تصريحاً ، ولذلك كان الإتيان بالموصول والصلة (ما يكرهون) في هذا المقام لبيان تفظيع قولهم وتشنيع استئثارهم[١]، أي أنّ هؤلاء المشركين لا يكتفون بإنكارهم البعث وبجحود نعم الله تعالى بل أضافوا إلى ذلك أنّهم يثبتون له سبحانه وينسبون إليه كذبا وزورا ما يكرهونه لأنفسهم ، فهم يكرهون البنات ومع ذلك ينسبونهن إليه سبحانه . فالجملة القرآنيّة الكريمة توبيخ لهم على أنانيتهم ، وسوء أدبهم مع خالقهم عزّ وجلّ[٢]، والبديع في الآية أنّه تعالى أبهم هذا الذي يجعلونه لله ويكرهونه ؛ لأنه عبرّ عنه بـ(ما) الموصولة ، وهي اسم مبهم ، وصلة الموصول لم تبيّن من وَصْفِ هذا المبهم إلا أنّهم يكرهونه ، ولكنه بيّن في مواضع أُخرى[٣] أنّه البنات والشركاء وجعل المال الذي خلق لغيره ، وبهذا يكون الموصول للعموم وقد ذكر ذلك الزمخشري فأشار إلى أنّهم جعلوا لله أشياء يكرهونها لأنفسهم مثل الشريك في التصرّف ، وأشياء لا يرضونها لآلهتهم ونسبوها لله تعالى[٤]، ويذكر ابن عطيّة "أنّ (ما) هنا تستعمل للعاقل فيريد بها صنف البنات لا غير"[٥] .

كراهة المغتاب والغيبة :

وردت كراهة الغيبة والمغتاب في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ الحجرات : ١٢، وممّا لاشكّ فيه أنّ الإنسان بطبعه السليم ينفر من هذه الصفة فضلاً عن المتّصف بها ، ولشدّة كراهتها ولما فيها من فساد الفرد والمجتمع صوّرها القرآن الكريم بهذه الصورة البشعة ، وذكر ابن الحاجب أنّه لمّا نهى عن الغيبة شبّهها بما هو مكروه من معتادهم وهو أكل لحم المغتاب ميتاً ، وأتى به على صيغة الإنكار تنبيهاً على أنّه ممّا لا يفعلونه ، ثمّ كان ذلك التشبيه سبباً لذكر تحقيق الكراهة ، فقال بعد ذلك (فكرهتموه) فكان تحقيق ذكر الكراهة وثبوتها مسبَّباً عن هذا التشبيه الذي قُصِد به تأكيد كراهة ما نُهِيَ عنه ، إذ به يتحقق توبيخهم في وقوعهم في الغيبة المشبهة ما يأبونه ويكرهونه [٦].

---

١ - ينظر : التحرير والتنوير ١٤: ١٩١ .
٢ - ينظر : روح المعاني ١٤: ١٧٣ ، ونظم الدرر ٤: ٢٨٢ ، وفي ظلال القرآن ٤: ٢١٧٧ .
٣ - ومن هذه المواضع ، قوله في البنات (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ البنات) النحل : ٥٧ ، ثم بين كراهيتهم لها في آيات كثيرة منها : النحل : ٥٨ ، وقال في الشركاء (وَجَعَلُواْ للَّهِ شُرَكَآءَ) الأنعام : ١٠٠ ، وبين كراهيتهم للشركاء في رزقهم في : الروم : ٢٨ ، الأنعام : ١٣٦ ، النحل : ٥٦ .
٤ - ينظر : الكشاف ٢: ٥٧٣ .
٥ - المحرر والوجيز ٣: ٤٠١ .
٦ - ينظر : الأمالي النحوية ١ : ٩٢ ، والتفسير البياني للقرآن الكريم لمحمود البستاني ٤ : ٣٣١ .

كراهة الكفر والفسوق والعصيان :

جاءت هذه الكراهة في قوله تعالى ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ الحجرات : ٧ ، أي : صيّره مكروهاً وجعله مبغضاً ، بأنْ أظهر قبحها في أعينهم فكرهوه في ذات أنفسهم ، فالمؤمن إنّما يطيع الله وهو محبّب له الطاعة ، ومن ثم فإنّه يقدم على الطاعة في وداعة وطمأنينة ويسر ، وإنّه يجتنب المعاصي في يسر ، لأنّه عن نفرة لها في نفسه [١]. ولشدّة كراهة هذا الأشياء وشناعتها فقد أسندت إلى الله تعالى ، أي أنّه تعالى هو الذي قام بفعل التحبيب ، ثمّ إنّه هو الذي قام بفعل التكريه .

وجاءت الكراهة في الآية للكفر والفسوق والعصيان ، فإن قيل إن كان الفسوق والعصيان بمعنى واحد ، فما فائدة الجمع بينهما ، وإن كان العصيان أعمّ من الفسوق ، فذكره مغنٍ عن ذكر الفسوق لدخوله فيه ، فما فائدة الجمع بينهما ؟ ، ولعلّ الجواب يكمن في أنّ المراد بالفسوق الكذب ، وبالعصيان باقي المعاصي [٢].

---

١ - ينظر : التفسير والمفسرون ٦:٢ .
٢ - ينظر : مسائل الرازي وأجوبتها : ٣٢١

الباب الثالث

فنيّة التعبير لبعض ألفاظ المحبّة والكراهة

الفصل الأوّل : فنيّة التعبير في ضوء بعض مباحث علم المعاني

الفصل الثاني : فنيّة التعبير في ضوء بعض مباحث علمي البيان والبديع

لباب الثالث
فنيّة التعبير لبعض ألفاظ المحبّة والكراهة

الفصل الأوّل : فنيّة التعبير في ضوء بعض مباحث علم المعاني

الفصل الثاني : فنيّة التعبير في ضوء بعض مباحث علمي البيان والبديع

الفصل الأوّل

فنيّة التّعبير في ضوء بعض مباحث علم المعاني

الفصل الأوّل

فنيّة التعبير في ضوء بعض مباحث علم المعاني

الفصل الأوّل : فنيّة التعبير في ضوء بعض مباحث علم المعاني

التقديم والتأخير :

يُعرّف التقديم والتأخير بأنّه جعل اللفظ في رتبةٍ قبلَ رتبته الأصلية أو بعدها لعارض ، وهو أحد دعائم تأليف الكلام ونظمه ، ويدخل التقديم والتأخير في مجال الأسلوبية بوصفه اختياراً في التعبير ، أو بوصفه انحرافاً عن

النمط المألوف وهذا ما كان عليه الأسلوب القرآني ، وهو من مباحث علم المعاني المهمّة الذي يُعنى في بناء الجمل وصياغة العبارات والتراكيب ويبحث عن أسرارها ومزاياها البلاغية ، وقد شغل هذا المبحث حيّزاً واسعاً في القرآن الكريم وأظهر الدارسون قدامى ومحدثون أهميته ومزاياه وبلاغته وأغراضه ، ولبيان أهميته يقول فيه عبد القاهر الجرجاني " هو باب كثير الفوائد ، جمّ المحاسن ، واسع التصرّف ، بعيد العناية ، لا يزال يفترّ لك عن بديعه ، ويفضي بك إلى لطيفه ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك ، ولَطُفَ عندك ، أن قُدّمَ فيه شيء ، وحُوّلَ اللفظ عن مكانٍ إلى مكان ... "[١]، في حين قال فيه الزركشي " هو أحد أساليب البلاغة ، فإنّهم أتوا به دلالة على تمكّنهم في الفصاحة ، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم ، وله في القلوب أحسن موقع ، وأعذب مذاق "[٢]، وأطلق عليه بعض المعاصرين الانزياح الموضعي الذي يحقّق أمرين : توليد تركيب جديد مُغاير للتركيب السابق نسقاً ، وتحقيق مستوى دلالي جديد[٣] ، ويصفه الدكتور فاضل السامرائي بأنّه " فنٌّ من رفيع معرفة أهل البصر بالتعبير ، والذين أوتوا حظاً من معرفة مواقع الكلام ، وليس ادعاءً يدعى أو كلمة تقال ، وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن كما في غيره الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقّه في التعبير بحيث تستقرّ في مكانها المناسب "[٤] .

وقد تحدّث المهتمون بهذا المبحث عن أغراضه البلاغية وجعلوا العناية والاهتمام بالمتقدّم هو الغرض الرئيس لهذا الفنّ ، وهذا سيبويه يتحدّث عن غرض العناية والاهتمام فيقول " فمن ثمّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدّماً ، وهو عربيّ جيد كثير ، كأنّهم إنّما يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى وإن كان جميعاً يهمانهم ويعنيانهم "[٥]، والحقيقة أنّ هذا الغرض أصل كلّ تقديم ، إلاّ أنّه ينبغي أن يمتدّ تأملنا إلى أبعد من هذا ، فنعرف سبب العناية ، ونقف على دواعي الأهميّة وهذا ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني وأسّس له[٦] .

يرى عبد القاهر الجرجاني أنّ التقديم يكون على وجهين " أحدهما تقديم يقال إنّه على نيّة التأخير ، وذلك في كل ما أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه ، كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل ، والثاني تقديم لا على نية التأخير ولكن تنقل اللفظ عن حكم إلى حكم وتجعله في باب غير بابه وإعراب غير إعرابه ، وذلك يجيء على اسمين يحتمل كل واحد منها أن يكون مبتدأ والآخر خبرا له ، فتقدم تارة هذا

---

١ - دلائل الإعجاز : ١٢٧ .
٢ - البرهان ٣ : ٣٢٥ .
٣ - ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٠٧ ، والبيان في روائع القرآن ١ : ٦٧ ، ونظرية النظام اللغوي للقرآن الكريم : ٥٣ .
٤ - التعبير القرآني : ٥١ .
٥ - الكتاب ١ : ٣٤ .
٦ - ينظر : دلائل الإعجاز : ١٣٩ ، وعلم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق : ١١٧ ، ودراسات بلاغية : ٥١ . ومن تلك الأغراض التي ذكرتها كتب البلاغة (التشريف والتخصيص والسبق والتشويق والشيوع والاهتمام والتفضيل وغيرها) ينظر : البلاغة العربية – مقدمات وتطبيقات : ١١٢ وما بعدها ، والمباحث البلاغية في مواهب الرحمن : ٨٦ .

على ذاك وأخرى ذاك على هذا "[١]، أمّا ابن جني فيرى أنّ التقديم والتأخير على ضربين : أحدهما ، ما يقبلهما القياس ، والآخر ، ما يسهله الاضطرار [٢].

وينظر الدكتور محمد عبد المطلب إلى التقديم والتأخير من زاوية أسلوبيّة ، فيرى أنّه يقوم على عنصرين أساسيين هما الثابت والمتغير ، يتمظهر الثابت في أطراف الإسناد وما يتعلق بهما ، ويتمظهر المتغير في تحريك بعض هذه الأطراف أو المتعلقات من أماكنها الأصلية التي اكتسبها من نظام اللغة إلى أماكن جديدة [٣].

ونحن إذ ندرس هذا الفنّ بما يتعلّق بألفاظ المحبّة والكراهة فنقف على فنيّة التعبير التي تبرزها هذه الألفاظ ومزاياها والأغراض التي تخرج إليها ، فضلاً عن بيان أثرها النفسي والوجداني في المتلقي ، ولعلّنا نقف على تلك المواضع دون النظر إلى نوع التقديم أمعنوياً كان أم لفظياً [٤] ، ومن مواضع التقديم والتأخير في الاستعمال القرآني ، ما ورد في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ، وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ، وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ النساء : ٧١ – ٧٣ ، فقد تقدم الخبر الظرف (بينكم) على (مودّة)، وكثيراً ما يتقدم خبر كان وأخواتها على اسمها وجوباً إذا كان نكرة ، وفي ذلك دلالة الاهتمام بالمتقدّم إي أنّ المودة موصولة بين الطرفين لا انقطاع لها ، وكأنّه بتقديم قوله (بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ) يُريد إظهار مدى قوّة المودّة بين الطرفين وتحققها على سبيل التقارب النوعي ، هذا ما فرضه تجرّد العبارة ، أمّا سياق الآية فيُشير إلى أنّ التقديم أفاد التهكّم كما بيّن الزمخشري بقوله " والظاهر أنّه تهكم لأنّهم كانوا أعدى عدوّ للمؤمنين وأشدهم حسداً لهم ، فكيف يوصفون بالمودّة إلا على وجه العكس تهكماً بحالهم "[٥]، وزيادة في قبح فعلهم ؛ لأنّه لم تكن بينه وبين المخاطبين محبّة أو صحبة حقيقية ، لأنّ المنافقين لا مودّة لهم ، وذكر المودة هنا لأنّ المنافقين كانوا يبالغون في إظهار الودِّ والشفقة والنصيحة للمؤمنين .

ومن مواضع التقديم في الجملة العربية التقديم بين الألفاظ المتعاطفة ، إذ من المعلوم لدى الدارسين أنّ العطف بالواو لا يقتضي ترتيبا أو تعقيبا ، فالواو لمطلق العطف ، فيجوز التبادل في المواقع بين المعطوفين أو المعطوفات

---

١ - دلائل الإعجاز : ١٣٧ .
٢ - الخصائص ٢ : ٣٨٢ .
٣ - ينظر : البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب : ٢٥٢ .
٤ - فالتقديم المعنوي : هو ما كان على نيّة التأخير ، ويكون الانتقال في اللفظة مؤقتاً ، تقديم خبر كان وأخواتها على اسمها ، تقديم الجار والمجرور على ما شابه الفعل ، والتقديم اللفظي : وهو الذي يكون ليس على نيّة التأخير ، ويكون الانتقال في اللفظة دائماً ، ويرد التقديم هنا لعلّة يذكرها النحويون وأصحاب البيان ، ومن هذه العلل العناية بالأهم ، والمنزلة ، والزمان والمكان وغيرها ، وتدل على براعة التعبير القرآني في استعمال الكلمة في سياقها ، ومنه التقديم بين المعطوفات ، والتقديم في النعت المتعدد ، التقديم في الخبر المتعدد . ينظر : دلائل الإعجاز : ١٣٧ ، والبلاغة والتطبيق : ١٤٥ ، وبلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم :٧١ ، ١٠٦، وسورة الكهف - دراسة نحوية وصرفية - : ٣١٢ .

٥ - الكشاف ١: ٥٦٥ .

، ولعل تقديم أحدهما على الآخر يعود إلى ما ترغبه النفس ، وهذا الكلام لا ينطبق على النظم القرآني ، إذ إنّ الآية القرآنية تجمع بين المعطوفات بنظام وترتيب دقيقين ، وقد حرصت الجملة القرآنية على أن يكون التقديم والتأخير بين المعطوفات مشيراً إلى مغزى ودالاً على هدف[1]، وممّا ورد من ذلك في الاستعمال القرآني قوله تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ البقرة:٢٢٠، التوّابون والمتطهّرون صنفان من الناس استحقّا محبّة الله ، فما الوحدة الجامعة التي جمعتهما في سياق واحد وتقدّم محبّة الله تعالى للتوّابين على محبّته للمتطهّرين ؟ ، ولعلّ الجواب يكمن في أنّ الآية ابتدأت بذكر التطهير والتنزّه وفي ذلك إشارة إلى الذنب ، وذكر الذنب يمهّد لذكر التوبة ، فتقدّمت التوبة على التطهير .

والظاهر أيضاً أنّ التوبة هي سبب التطهير من دنس الآثام كلها ، ومهيئة له ؛ لذلك جاء الترتيب بين المتعاطفين على أساس علاقة السبب بالمسبب ، فقدّم السبب وأخّر المسبب [2]، فالطهر طهران ، طهر بالماء من الأحداث والنجاسات ، وطهر بالتوبة من الشرك والمعاصي ، وهذا الطهر أصل لطهور الماء ، وطهر الماء لا ينفع بدونه بل هو مكمل له مهيء بحصوله ، فكان أولى بالتقديم ، لأنّ العبد أول ما يدخل في الإسلام فقد تطهّر بالتوبة من الشرك ثمّ يتطهّر بالماء من الحدث [3].

ومن ذلك أيضاً تقديم بعض المحبوبات على بعضها في قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ آل عمران:١٤ ، فحصل التقديم بين المعطوفات الدالة على الشهوات المحبوبة فقد تعددت المعطوفات هنا ، وكل كلمة منها صالحة للنقل تقديما وتأخيرا ، ولعلّ الأمر يتضح عندما نعرف أنّ العطف بـ(الواو) ، فالترتيب بين المعطوف والمعطوف عليه ، أو بين المعطوفات ليس لازما ؛ لأنّ الواو لمطلق العطف [4]، فمن الناحية التركيبية يصحّ التبادل في المواقع بين المعطوفات ، ولكن من الناحية البلاغية يكون التقديم لاعتبارات نفسية ، فيكون التقديم للأفضل وللأهم[5] .

لقد جاءت الآية في سياق الإخبار بما زُين للناس من الشهوات ، وتصدرت بذكر الحبّ ، وكانت المحبوبات مختلفة المراتب اقتضت حكمته تعالى تقديم الأهم فالأهم ، فقدّم النساء على البنين – المتولدين من النساء – لما يظهر منهن من قوة الشهوة ونزوع الطبع وإيثارهن على كل محبوب ، وهذا التقديم تنبيه على أنّه لا مشتهى يغلب

---

١ - ينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن : ٣٢٣ ، ومن بلاغة القرآن، أحمد بدوي : ١١٢ .
٢ - ينظر : الطراز ٣:٣٤، والبرهان ٣:١٥٣ ، وبدائع الفوائد ١:٥٢ ، والإتقان ٣: ٣٩ .
٣ - ينظر : بدائع الفوائد : ٥٩ .
٤ - ينظر : معاني الحروف : ٥٩ .
٥ - ينظر : بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم :١١٢، والتعبير القرآني والدلالة النفسية : ٣٠٩ .

على العقول مثلهنّ ، وقدّم البنين على الأموال لتمكّنهم في النفوس واختلاط محبّتهم بالأفئدة ، وهم ممّا يلي النساء في الرقّة والرحمة والشفقة والحنو مع المشاكلة في الخلقة والصورة ، وهكذا القول في سائر المحبوبات ، فالنساء والبنين أحبّ من الأموال ؛ لأنّ الشهوة الجِبِلية فيهنّ أقوى من المال ، والذهب أحب من الفضة ، والخيل أخصُّ محبّة من الأنعام ، والمواشي أدخل من الحرث ، فالتقديم جاء متصلا بالنفس عاكسا مراتب محبوباتها [١]، وأطلق على هذا النوع من التقديم بالسبق في الأهمية [٢].

ويعارض عالم سبيطي النيلي فكرة تقديم الأولاد على الأموال في قوله تعالى السابق ، ويرى أنّه لو كان الأمر كذلك لقدّم الأولاد على الأموال في قوله تعالى ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ الأنفال : ٢٨ [٣]، والحقيقة أنّ سياق الآيتين فرض ذلك التقديم إذ إنّ الآية الأولى جاءت في سياق الأمور المحبوبة والمشتهيات لدى الإنسان ، أما الآية الثانية فقد وردت في سياق الفتنة ، والأموال أشدّ فتنة من الأولاد .

وذكر صاحب البرهان مقتضى آخر من مقتضيات التقديم في هذه الآية ودلالة من دلالاته ، وهي التحذير من الأشياء والتنفير منها ، فقدّم النساء لأنّهنّ أعظم محنة من الأولاد والأموال ، وفي ذلك تحذير وتنفير[٤]، واستدلّ بحديث للرسول الكريم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أورده مسلم في صحيحه ، إذ قال ((**ما تركت بعدي في الناس فتنة أضرّ على الرجال من النساء**))[٥] .

ويلتفت أيضاً التفاتة لطيفة بيّن بها براعة القرآن في بلاغة تقديم الألفاظ فقال إنّه " من الحكمة العظيمة أنّه بدأ بذكر النساء في الدنيا ، وختم بـ (الحرث) وهما طرفان متشابهان ، وفيهما الشهوة والمعاش الدنيوي ، ولمّا ذكر بعد ذلك ما أعدّه للمتقين أخّر الأزواج كما يجب في الترتيب الأخروي وختم بالرضوان " [٦] .

ومن مواضع التقديم ما نلحظه في الاستعمال القرآني من تقديم النعوت بعضها على بعضها الآخر ، فهي إمّا أن تكون من نوع واحد أي مفردة ، أو أشباه جمل أو جملاً ، أو تكون مختلفة ، فإذا كانت من نوع واحد جاز تقديم بعضها على بعض من غير ترتيب معين ، وهذا يعود إلى أهمية المتقدم ، أمّا إذا اختلفت أنواعها فالأغلب تقديم المفرد على شبه الجملة وشبه الجملة على الجملة [٧] ، فمن النحاة من يوجب التقديم على الترتيب ، ومنهم من

١ - ينظر : الطراز ٢: ٣٦ ، والبرهان في علوم القرآن ٣ : ١٥٩ ، ونتائج الفكر : ١١٢ ، وبدائع الفوائد : ٦٦ .
٢ - ينظر : بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ١٨٨
٣ - ينظر : الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية : ١٨٠ .
٤ - ينظر : البرهان في علوم القرآن ٣ : ١٧٣ .
٥ - صحيح مسلم ٤ : ٢٩٨ .
٦ - البرهان في علوم القرآن ٣ : ١٧٣ .
٧ - ينظر : النحو الوافي ٣: ٤٩٦ – ٤٩٧ . وبلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم :١١٥.

يجوّز ذلك ، ويجوّز غير الترتيب[١]، ومنهم من قدّم الجملة الفعلية على الاسمية لاعتقادهم بأنّ الوصفَ بها أقوى منه بالجملة الاسمية لثبوته في الموصوف وعدم تجدده وتغيّره [٢] .

فهذا ما أقرّته القواعد النحوية على حين يأتي الأسلوب القرآني ليقدّم لنا صوراً وأنماطاً متعددة للتقديم والتأخير في أنواع النعوت فرضتها السياقات القرآنية وما تحمله من دلالات [٣]– و فيما يتعلق بمفردات موضوعنا – فيقرّر تقدم الوصف بالجملة على الوصف بالمفرد في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة : ٥٤ ، فتقدم الوصف بالجملة (يحبّهم) على نظيره (يحبّونه) وعلى الوصف بالمفرد (أذلة ، أعزة) [٤]، فتقدّمت محبّته لهم على محبّتهم له ، لشرفها وسبقها ، ولأنّها أصل كلّ سعادة ، إذ لولا محبّته لهم لما وصلوا إلى طاعته[٥] ، ثمّ جاء وصفهم بالمفرد ليبيّن أنّ هؤلاء القوم الذين تربطهم بالله تعالى وشائج المحبّة الخالصة هم أرقّاء على المؤمنين ، عاطفون عليهم ، تفيضُ قلوبهم حنّواً وشفقة بهم ، وأنّهم في الوقت نفسه أشدّاء على الكافرين ، ينظرون إليهم نظرة العزيز الغالب . ولعلّ المعتبر في ترتيب الأوصاف هو الأهمية ، إي إنْ لم يكونوا قد أحبّهم الله وأحبّوه ، لم يكونوا أذلّة وأعزّة ، وإن تقديم المحبّة فيها من الدلالة على الرعاية والعناية الإلهية ، زيادة على معنى التقارب والتماسك .

ولعلّنا نجد في تعليل أبي حيّان لهذا التقديم ما ينطوي على براعة في البيان إذ نظر إلى نوع الوصف فقال " جاءت هذه الصفة بالاسم الذي فيه المبالغة ؛ لأنّ أذلّة جمع ذليل وأعزّة جمع عزيز ، وهما صفتا مبالغة ، وجاءت الصفة قبل هذا بالفعل في قوله (يحبّهم ويحبونه)؛ لأنّ الاسم يدلُّ على الثبوت ، فلمّا كانت صفة مبالغة ، وكانت لا تتجدّد بل هي كالغريزة ، جاء الوصف بالاسم ، ولمّا كانت قبل تتجدّد ، لأنّها عبارة عن أفعال الطاعة والثواب المترتّب عليها ، جاء الوصف بالفعل الذي يقتضي التجدد" [٦]، ثمّ نظر إلى طبيعة الوصف وعلل التقديم بقوله " ولمّا كان الوصف الذي بين المؤمن وربّه أشرف من الوصف الذي بين المؤمن والمؤمن ، قدّم قوله (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) على قوله (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)" [٧].

---

١ - ينظر تفصيل ذلك في : النعت في التركيب القرآني ٢: ٢٣٨ – ٢٤٠ .
٢ - ينظر : همع الهوامع ٥: ١٨٥ ، وارتشاف الضرب ٢: ٥٩٥ .
٣ - ينظر : النعت في التركيب القرآني ٢: ٢٤١ – ٢٤٧ .
٤ - هناك مواضع عدّة في القرآن الكريم تراتبت بحسب ما أقره النحويون في مثل قوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾غافر:٢٨، ومواقع أخرى مخالفة لرأي النحويين، منها قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ﴾ البقرة:٨٩ .
٥ - ينظر : مفاتيح الغيب ١١: ٢١ ، ونظم الدرر ٢: ٤٨٣ .
٦ - البحر المحيط ٤ : ٢٩٩ .
٧ - البحر المحيط ٤ : ٢٩٧ .

ومن التقديم والتأخير في الاستعمال القرآني أيضاً ما نلحظه في الأخبار المتعددة ، فقد تتعدد الأخبار في الجملة العربية ويتقدّم بعضها على بعض لأهمية المتقدّم ولدواعٍ أخرى يفرضها السياق ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ هود : ٩٠، ولفظة (ودود) صيغة مبالغة مشتقّة من الودّ ، ومعناه المحبّة ، وذكر هذه اللفظة بعد لفظة (رحيم) إشارة إلى أنّ الله تعالى يلتفت بحكم رحمته إلى المذنبين التائبين ، بل هو فضلاً عن ذلك يُحبّهم كثيراً ، لأنّ رحمته ومحبّته هما الدافع لقبول الاستغفار وتوبة العباد [١]، فذكر الرحمة تناسباً مع السياق إي أنّه عظيم الرحمة فيرحم من يستغفر الله تعالى ويتوب إليه ، ويزيد في ذلك بمحبّته ، فهو سبحانه كثير الودّ والمحبّة لمن يستغفر ويتوب ، وفي ذلك زيادة ترغيب في الاستغفار والتوبة .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى ((إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ، وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ البروج ١٣-١٤، فقد ذكر الغفران قبل المودّة ، وهما صيغتا مبالغة يشيران إلى منتهى الغفران والودّ ، فذكر هذه الأوصاف بعد ما تضمنته الآيات السابقة من تهديد ووعيد ، فبيّن بذلك أنّ طريق العودة إلى الله سالك وأنّ باب التوبة مفتوح لكلّ من ولغ في الذنوب ، " فبعد أن ذكر الوعيد والتهديد ذكر من صفاته ما تعلُّقه بمخلوقاته بحسب ما يستأهلونه من جزاء"[٢]، فهو واسع المغفرة لمن تاب وآمن ، وهو الكثير المحبّة والودّ لمن أطاعه واتّبع هداه ، واقتران لفظ الودود بلفظ الغفور ليدلّ ذلك على أنّ أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا ، غفر لهم ذنوبهم وزادهم في ذلك ودّه البالغ المتواصل .

والملاحظ من تأخير لفظة (الودود) في الآيتين السابقتين أنّ المخاطب لا يكتفي بالرحمة والمغفرة من دون المودّة ، فهو طامع بالمزيد ، وإنّ ذكر المودّة خلقت جوّاً من السكينة والاطمئنان لديه ، ومن ذا الذي لا يشعر بذلك وهو مُحاط بألطاف الله تعالى من عناية ورعاية وثواب؟ .

وفي موضع آخر يأتي متعلّق الخبر متقدماً على لفظ الكراهة الذي احتلّ موقع الخبريّة في قوله تعالى ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ هود : ٢٨ ، ويأتي ذلك كثيراً في القرآن الكريم ولأغراض بلاغية متعددة [٣]، فقد تقدم متعلق الخبر (لها) على الخبر (كارهون) وذلك للعناية والاهتمام ، أي " الاهتمام من جهة الحثّ على التأمل والحضّ على اختيار الدعوة وقبولها لا كرهها وتركها " [٤]، إذ إنّ الخطاب موجه من نبيّ الله نوح (عليه السلام) إلى قومه إذ خاطبهم في غاية التلطف أن اخبروني إن كنت على بينة أو حجة ظاهرة من ربّي وأعطاني نبوة من عنده فأخفاها عليكم أأجبركم على قبولها

---

١ - ينظر : الأمثل ٧ : ٣١ .
٢ - التحرير والتنوير ٣٠ : ٢٤٩ ، وينظر : ودراسات قرآنية في جزء عمّ : ١٨٧ .
٣ - ينظر : بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ٣٦٢ - ٤٤٥.
٤ - المصدر نفسه : ٣٦٨ .

والإيمان بها والحال أنّكم كارهون منكرون لها ، لا استطيع ذلك بل لا قدرة لي إلاّ على البلاغ [١]، وزيادة على العناية والاهتمام بشأن المتقدّم قيل إنّ رعاية الفاصلة هو أحد أسباب هذا التقديم وهو غرض لفظي [٢].

ولا يمكنا أن نغفل دور الاستفهام في تحقق الإكراه الحاصل منهم ، إذ جاء الاستفهام الإنكاري[٣] ليُبيّن لنا حالة تكذيب قوم نوح لادعائهم الاهتداء على الإكراه ، فضلا عن ذلك فقد أفاد الاستفهام " بعثهم على إعادة التأمل في الآيات وتحضيض نفوسهم واستنزالهم إلى الإنصاف وليس المقصود معذرتهم بما صنعوا ولا العدول عن تكرير دعواهم " [٤]، وعليه فقد صوّرت لفظة (أَنُلْزِمُكُمُوهَا) مع الاستفهام جوَّ الإكراه باندماج كل هذه الضمائر في النطق ، كما يندمج الكارهون مع ما يكرهون ، ويشدون إليه وهم منه ينفرون [٥].

وقد تقدم متعلّق الخبر(للحقّ) على الخبر (كارهون) أيضاً في قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ، وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ المؤمنون :٧٠ – ٧١ ، وفي ذلك التقديم اهتمام بذكر الحقّ حتى يعي السامع ما بعده فيقع من نفسه حسن سماعه موقع العجب من كارهيه ، ويحملُ هذا التقديم دلالة التوبيخ ، "أي توبيخهم على كراهة الحقّ ، والتعجب من هذا الصنيع" [٦]. فكراهية الحقّ تدعو إلى التعجيب وتستدعي التقريع والتوبيخ ، فضلا عن ذلك فإنّ تقديم المتعلقّ وتأخير الخبر قد حققا التناسب برعاية الفاصلة في السورة .

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ الزخرف : ٧٨، والخطاب هنا لأهل النار ، فقد كرهوا مطلق الحقّ في الدنيا ، فكانت النار جزاءهم ، وتقديمه على الخبر (كارهون) لداعي الاهتمام والتنويه به إذ يعكس تقديم الحقّ كراهيتهم المطلقة له واشمئزازهم منه ، ولا يكتفي بذلك بل يعكس مناصرتهم للباطل والتمسّك به ، فهؤلاء الذين يكرهون الحقّ لا يجهلون أنّه الحقّ ، وإنّما يكرهونه لأنّه يقف في طريق أهوائهم وشهواتهم .

والملاحظ أنّ لفظة (الكارهون) الواقعة خبراً جاءت متأخرة عن متعلقها(الحقّ) الذي جاء متوسطاً بين المبتدأ والخبر ، وذلك إشارة إلى أنّ كراهتهم للحقّ قد أصبحت حائلاً تحول بينهم وبين اتّباعه ، ففي ظل هذا المشهد المخيف يُخاطَبُ الكارهون للحقّ ، ويُعجبُ من أمرهم على رؤوس الأشهاد ليتحسّس الناظرين لهذا المشهد

---

١ - ينظر : حاشية الصاوي على الجلالين ٢: ٢١٣ ، والتقديم والتأخير في القرآن الكريم بلاغة وإبلاغ : ٩٣ .
٢ - ينظر : البحر المحيط ٦: ١٤٢ ، والتحرير والتنوير ١٢: ٥٢ ـ ٥٣ .
٣ - منها دلالة التوبيخ ودلالة السخرية ودلالة التحقير ودلالة التجهيل وغيرها ، لم يتعرض لها البحث ؛ لأنها لا تتعلق بمفردات البحث ، ينظر في ذلك : بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم :٢٣٨ – وما بعدها .
٤ - التحرير والتنوير ١٢:٥٣ .
٥ - ينظر : التصوير الفني في القرآن : ٧٦ ، والظاهرة الجمالية في القرآن الكريم :٢٥ .
٦ - التحرير والتنوير ١٨: ٩١ .

حالة التحذير والتعجيب[1]. ونستطيع القول إنّ إقامة الفاصلة بهذا التقديم كانت من الدواعي اللفظية التي تشكلت عليها فواصل هذه السورة .

وغالباً ما يكون الاهتمام والتوكيد من الدلالات التي يفيدها تقديم متعلّق الخبر على الخبر ، وجاءت هذه الدلالة في قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ الشعراء:١٦٨ ، فالكلام هنا على لسان لوط (عليه السلام) وإنّ المقدم المتعلّق وهو (لعملكم) الملحق بضمير الجمع يعود على قومه قد تقدّم على لفظ الكراهة (القالين) الواقع خبراً ، وأشار صاحب البحر المحيط إلى أنّ الجار والمجرور (لعملكم) متعلق بـ(القالين) وإنْ كان فيه (أل) ، لأنّه يسوّغ في المجرورات والظروف ما لا يسوّغ في غيرها وذلك من باب التوسع والتساهل[2]، وهذا يُشعرنا بأنّ الغرض من التقديم هو إبداء الاهتمام من جهة تزايد الكره والازدراء والاشمئزاز لعظم وقبح المعصية ، وتوكيد ترك المقدم وهو فعل قومه السيئ وذمّه واحتقاره [3]، لأنّ النفوس عندما تنحدر في الرذيلة وتنغمس في المنكر ، تعادى من يدعوها إلى الفضيلة وإلى الطهر والعفاف ، إذن ففي هذا التقديم تأكيد واهتمام على بيان شدّة البغض لهذا العمل لما فيه من عِظَم المعصية . وإنّ رعاية الفاصلة والتناسب الصوتي والإيقاعي من الأمور التي أفادها التقديم والتأخير في تركيب الآية الكريمة ، فتحقق ذلك مع فواصل الآيات المتواصلة في السورة .

ومن ذلك التقديم قوله تعالى ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النور:٣٣ ، فقد تقدم (مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ) وهو متعلّق الخبر على الخبر (غَفُورٌ رَحِيمٌ) وذلك لغرض الاهتمام والتوكيد ورعاية الفاصلة ، إي الاهتمام بأمر الإكراه على فعل الذنب والتأكيد عليه ، والتنبيه على أنّ مغفرة الله تعالى ورحمته حاصلة للمُكرهات ، فالأظهر أنّ المعنى لهنّ ، لأنّ المُكرَه لا يؤاخذ بما يكره عليه ، بل يغفره الله له ، لعذره بالإكراه ، فالموعود بالمغفرة والرحمة هو المعذور بالإكراه من دون المُكْرِه – بكسر الراء – لأنّه غير معذور بفعله القبيح ، " فإنّ توسيطَه بين اسمِ إنَّ وخبرِها للإيذانِ بأنَّ ذلك هو السببُ للمغفرةِ والرَّحمةِ "[4]، إذ لو لم يذكر هذا المقدّم ولو لم يتقدّم على الخبر لشملت المغفرة والرحمة المُكرَهين ، وهذا ما أفاده هذا التقديم ، وهذا ما قرره الرازي بقوله " فإنّ الله غفور رحيم بهنّ ، لأنّ الإكراه أزال الإثم والعقوبة ، ولأنّ الإكراه عذر للمكرهة ، أمّا المكره فلا عذر له فيما فعل"[5].

---

١ - ينظر : في ظلال القرآن ٥: ٣٢٠٢ .
٢ - ينظر : البحر المحيط ٦: ٣٢١ ، والنحو الوافي ٣:٢٦٣ ، والفتوحات الإلهية ٣:٢٩٠ .
٣ - ينظر : الكشاف ٣: ٣٣٦ ، وبلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ٥٤٦ .
٤ - إرشاد العقل السليم ٦: ١٧٢ - ١٧٣ .
٥ - مفاتيح الغيب ٢٣: ٢٠٠ .

ومنه أيضاً ما أفاد غرض الاهتمام والتخصيص ورعاية الفاصلة من تقديم متعلّق لفظ المحبّة (راغبون) ، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ التوبة:٥٩ ، فقد تقدم الجار والمجرور (إلى الله) وهو متعلق الخبر (راغبون) ، وفيه اهتمام باسم الله الجليل للتعظيم ، وللتنبيه على أنّ ما فعله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) كان بأمره سبحانه ، وفيه إفادة القصر أيضا ، أي : إلى الله راغبون لا إلى غيره ، والرغبة منّا إلى ما قسمه الله لنا لا إلى دونه ، أي انحصار الرغبة فيه تعالى وحده دون سواه [١]، ولعلّنا نلحظ إعادة لفظ الجلالة في الآية لثلاث مرات ، ولربّما هو الذي دعا إلى ذكره للمرة الرابعة لتناسق السياق ، أو لأنّ الأمور جميعها عائدة إلى الله تعالى فكان ذكره للتخصيص .

ومثل ذلك التقديم جاء في قوله تعالى ﴿ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ القلم : ٣٢ ، فأفاد التقديم العناية بالمتقدّم ، وكون سياق الآية يُشير إلى التوجّه والاعتماد على الله تعالى ، ذكر المتقدّم بصيغة الربوبيّة ، فقد جاءت (إلى) للدلالة علــى انتهاء الرغبة إلى الله تعالى[٢]، زيادة علــى تضمنه معنى الإقبال والتوجّه [٣] .

ومنه قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ العاديات : ٨ ، ذكر الفرّاء أنّ الآية فيها تقديم وتأخير ويعود ذلك إلى الاهتمام وكذلك رعاية الفاصلة ، والمعنى عنده : "وإنّه للخير لشديد الحبّ ، أو : وإنّه لشديد الحبّ للخير ، والخير هو المال ، وكأنّ الكلمة لما تقدّم فيها الحبّ ، وكان موضعه أن يضاف إليه شديد حَذَفَ الحبّ من آخره لمّا جرى ذكره في أوّله ولرؤوس الآيات" [٤]. وتقديم (لِحُبِّ الْخَيْرِ) على متعلقه للاهتمام بغرابة هذا المتعلق ، لأنّه إشارة إلى الانشداد المفرط بالمال والثروة وإلى الامتناع من إعطاء حقّ الله تعالى ، فضلاً عن مراعاة الفاصلة ، وتقديمه على عامله المقترن بلام الابتداء وهي من ذوات الصدر لأنّـه مجرور كمـا جرى السياق فـي الآيـة السابقة [٥].

ويُفرز هذا التقديم عدّة دلالات منها دلالة التوبيخ ، فحُبّ المال حقيقة في نفس الإنسان حين يفرغ قلبه من دوافع الإيمان ، زيادة على دلالة التنبيه والتحذير ، فالشديد الذي تعلّق بحبّ المال أو الشحيح الذي يظلم الناس بمنعه الحقوق ، ولمّا كان المال فانياً لا ينبغي لعاقل أن يعلّق أمله به فضلاً عن أن يؤثره على الباقي نبّه الله الإنسان

---

١ - ينظر : روح المعاني ١٠: ٣٧٩ ، والتحرير والتنوير ١٠:٢٣٤ .
٢ - ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥ : ٢٣٦، وروح المعاني ٢٧: ٣٥٤ .
٣ - ينظر : التحرير والتنوير ٣٠: ٥٠٥ .
٤ - معاني القرآن – الفراء ٣ : ٢٨٦ .
٥ - ينظر : التحرير والتنوير ٣٠: ٥٠٣ .

محذّراً إيّاه من الانشداد المفرط بالمال والثروة لأنّه سبب البخل والكفران ، وحبّ المال الذي يبعث على منع المعروف [1].

وقد يتقدم الجار والمجرور على فعل المحبّة العامل فيه في القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ الشرح: ٨ ، فقد تقدم الجار والمجرور (وإلى ربك) على فعله العامل فيه (فارغب) ، وفائدته تخصيص الرغبة إلى الله ، أي "واجعل رغبتك إليه خصوصا ، ولا تسأل إلاّ فضله متوكلا عليه ، فإنّ صفة الرسالة أعظم صفات الخلق فلا يليق بصاحبها أن يرغب غير الله تعالى"[2]، ولا تسأل غيره فإنّه القادر وحده على إسعافك [3]، وفي ذلك يقول الطبري " اجعل رغبتك إلى ربّك دون من سواه من خلقه إذا كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم في حاجاتهم إلى الآلهة والأنداد "[4]. ولمّا أفاد التقديم هنا التخصيص نشأ منه معنى الاشتراط والتقييد ، وتأتّى ذلك من الفاء الرابطة للفعل ، ولعل من بديع ما استعملت به الفاء في هذا الموقع ، لأنّها تأتي عاطفة أو في جواب شرط أو في صلة الموصول الفعلية ، وهي هنا خارجة عمّا وضعت له [5] .

وفي ذلك التقديم تلفت الدكتورة بنت الشاطئ أنظارنا إلى ارتباط الآية بنسقها العام فتقول : " إنّ ذلك أسلوب بلاغي يفيد القصر والتخصيص ، وقد رُبطت الآية بما قبلها بواو العطف فلزم أن يكون هذا التخصيص في (وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) مرتبطا بما قبله ، متصلا به ، وهو ما لم يذكره المفسرون ولم يصلوا الآية بما قبلها ، وهو الذي يطّرد به النسق وتتم وحدة السياق كلّها ، إذ يكون اتجاه الرغبة إلى الله وحده الذي افرغ بال رسوله مما كان يشغله من ضيق الصدر ، ووضع الوزر عنه الذي أنقض ظهره ، وبشّره بيسر قريب على وجه اليقين الذي لا شكّ فيه " [6] .

وممّا نلحظه في هذا المسلك الأسلوبي كثرة تقدّم متعلقات الخبر ، وجاء ذلك في قوله تعالى ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ الإسراء : ٣٨ ، فالآية بيان لكراهة بعض الأمور التي ذُكرت في السياق ، وقد تقدّم المتعلق (عِنْدَ رَبِّكَ) على الخبر (مَكْرُوهًا) لبيان شدّة كراهة تلك الأعمال وقبحها عند الله تعالى ، وقبح من عمل بها ، فالذي وصف بالسيئة وبأنّه مكروه مذموم عند الله لا يكون إلاّ منهياً عنه أو مأموراً بضده ، وتقديم هذا الظرف

١ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن ١٠ : ٣٩٧، والميزان ٢٠: ٣٩٨ ، الأمثل ٢٠ : ٢٤١ ، والتحرير والتنوير٣٠ : ٥٠٥ ، ونظم الدرر ٨: ٥١١.
٢ - الكشاف ٤:٧٧٧ ، وينظر : التحرير والتنوير ٣٠: ٤١٨ .
٣ - ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥:٣٢٢ .
٤ - جامع البيان في تأويل القرآن ٣٠ : ١٥٢ .
٥ - ينظر : التحرير والتنوير ٣٠: ٤١٨ .
٦ - التفسير البياني للقرآن الكريم ١ : ٧٥ - ٧٦ .

على متعلقه للاهتمام بالظرف إذ هو مضاف لاسم الجلالة ، وجاء لتشنيع الحالة ، أي مكروهاً فعلُه من فاعله ، وفي ذلك تعريض بأنّ فاعله مكروه عند الله[١].

ونلحظ في هذا المسلك تأخرّ لفظ من ألفاظ المحبّة عن فعله وتقدّم الجار والمجرور عليه في قوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الروم:٢١، هذه آية فيها عظة وتذكير بنظام الناس العام وهو نظام الازدواج وكينونة العائلة وأساس التناسل ، وهو نظام عجيب جعله الله مرتكزاً في الجبلة لا يشذ عنه إلا الشذاذ ، وفيها تقدم الظرف (بَيْنَكُمْ)على المفعول (مَوَدَّةً) للاهتمام بتلك العلاقة البينيّة الكريمة والتواد والرحمة الحاصلة فيها ، فجعل في ذلك التزاوج أنساً ، وجعل بين كل زوجين مودة ومحبة فالزوجان يكونان قبل التزاوج متجاهلين فيصبحان بعد التزاوج متحابين ، وجعل بينهما رحمة فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما فيصبحان بعده متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة [٢].

وورد ذلك في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ مريم : ٩٦ ، أي : "يحبّهم الله ويحببهم إلى أوليائه ، ويجعل بينهم ألفة ، ويجعل لهم في قلوب العباد محبة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم" [٣]، وهنا تقدّم الجار والمجرور (لَهُمُ) المُعيّن للمُخاطَب على الفاعل والمفعول (الرَّحْمَنُ وُدًّا) للعناية بذلك الجعل وتخصيصه لأولئك المخصوصين بالإيمان والعمل الصالح ، أي أنّه خصّهم بالرضا بعد أن عمّهم بالنعمة جزاءً على انقيادهم له ، ويوضح ذلك قوله تعالى ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ طه : ٣٩ ، وأراد بذلك أنّه حبّبه إلى القلوب وقرّبه إلى النفوس ، والذي يبدو أنّ الآية الثانية فسّرت الأولى ، ففسّر الودّ بالمحبة [٤]، وهنا تقدّم الجار والمجرور (عَلَيْكَ) على المفعول (مَحَبَّةً) للعناية بالمخاطب ولبيان شدّة وقوّة وفخامة وعظمة المحبّة التي ألقاها الله تعالى على موسى (عليه السلام)، وزاد في عظمتها قوله (منّي) ، فضلا عن ذلك فإنّ هذا التقديم عيّن خصوصية هذه المحبّة به (عليه السلام) دون غيره ، لذلك نكّرها ، فكأنّ المحبّة الإلهيّة استقرّت عليه فلا يقع نظر ناظر إلاّ تعلّقت المحبّة بقلبه وجذبته إليه لما جبلتك عليه من الخلال الحميدة والشيم السديدة[٥] .

وجاء هذا التقديم في قوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الروم : ٢١، فقد تقدّم الظرف (بَيْنَكُمْ) على المفعول(مَوَدَّةً) للاهتمام بهذه العلاقة البينيّة المقدسة ، وليصورها بهذا التعبير اللطيف الرقيق تصويراً موحياً ، وكأنما يلتقط الصورة

١ - ينظر : المحرر والوجيز ٣: ٢٥٧ ، والتحرير والتنوير ١٤: ١٠٥ .
٢ - ينظر : الكشّاف ٣: ٤٧٩ ، وروح المعاني ٢٠: ٤٣٣ ، والتحرير والتنوير ٢١: ٧١ .
٣- الكشاف ٣ : ٤٩ .
٤- ينظر : تأويل مشكل القرآن : ٧٩ ، وتفسير القرآن بالقرآن : ١٦ .
٥- ينظر : الميزان ١٤: ١٤٩ ، ونظم الدرر ٤: ٥٥٩ .

من أعماق القلب وأغوار الحسّ ، فالمودّة هنا : المحبّة والألفة[١]، فالمودّة والرحمة دليل على الألفة والمحبة بين الزوجين وفي ذلك اطمئنان نفسي وهدوء قلبي ووجداني ، "فكأنّ المودّة هي الحبّ الظاهر أثره في مقام العمل ، فنسبة المودة إلى الحبّ كنسبة الخضوع الظاهر أثره في مقام العمل إلى الخشوع الذي هو نوع تأثر نفساني عن العظمة والكبرياء" [٢].

وجاء هذا التقديم في قوله تعالى ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الممتحنة : ٧، تقدّم الظرف (بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ) على المفعول (مَوَدَّةً)، لبيان ذلك الجعل وتأكيده ، فالله تعالى قادر على أن يغرس في قلوب الكافرين من أهلهم وأقربائهم مَحبّة الإسلام ، فتضيق دائرة العداء ، ويتمّ بناء جسور التوادّ والتصافي والمحبّة والألفة والإخاء بينهم وبين الذين كانوا يعادونهم ويقاطعونهم في الدين ، وبذلك تتحوّل البغضة محبّة والنفرة مودّة والفرقة أُلفة [٣]، وقد تقدّمت (عسى) التي هي من الله تعالى واجبة الوقوع وللتأكيد وقد ذكرها كثير من المفسرين .

وهذه الآية صورة جِدُّ رائعة تبيّن قرب دخول بعض الكفّار في الإسلام الذي يمحو كلّ العداوات السالفة ، والكفر الشديد من قلوب المسلمين لأعدائهم عند دخولهم في الإسلام ؛ لأنّه كان نهى عن موادّتهم وعن اتخاذهم أولياء حين كانوا في الكفر ، ولا سبيل إلى إعادة المودّة بينهم إلاّ بهدايتهم للإسلام ، ليصيروا إخواناً لهم في الدين ، يربط بينهم رباطه الوثيق محبّة ومودّة لا تنفصم عُراها ، ولا ينقطع مداها[٤] .

ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ الممتحنة : ١، فقد تقدّم الجار والمجرور (إِلَيْهِمْ) على المفعول (الْمَوَدَّةِ) في موضعين في الآية ، وكلا الموضعين بيان للتوبيخ والتقريع والزجر عن موالاة أعداء الله تعالى ، وأشار البقاعي إلى ذلك المعنى إذ قال " أمّا قوله (إِلَيْهِمْ) في الموضعين ففيها دلالة على التوبيخ أيضاً وإشارة إلى بُعدهم عنهم بدلالة فرض عدم اتخاذ الكافرين أولياء ، لأنّك مهما بذلت لهم من النصيحة فإنهم يكنون لك العداوة والبغضاء "[٥]، فقد نزلت الآية في بعض المؤمنين من المهاجرين الذين كانوا يسرون المودّة إلى بعض المشركين من أهليهم بمكة ، وهي مسوقة لبيان أنّه لا ينفعهم الإسرار بالمودّة

١- ينظر : معاني القرآن – النحاس ٢ : ٩٢٤ ، والبحر المحيط ٨: ٣٨٢ ، وإرشاد العقل السليم ٧: ٥٥ ، وروح المعاني ٢٠: ٤٣٣ ، وقيل هي عطف قلوب بعضهم على بعض ، وورد إن معنى المودّة في الآية الكريمة هو الجماع ، والرحمة هي الولد ، وبذلك جُعلت المودّة والرحمة بين الزوجين آية من آيات الله تعالى ودليل من دلائل قدرته . ينظر : معاني القرآن – النحاس ٢ : ٩٢٤ .
٢- الميزان ١٦: ١٧١ ، و ينظر : الحبّ في القرآن : ٦٠ .
٣- ينظر : الكشّاف ٤: ٥١٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٥: ٣٠١٢ ، والنكت والعيون ٥: ٥١٩ ، وروح المعاني ٢٧: ٧٩ .
٤ - ينظر : نظرات لغوية في القرآن الكريم : ٢٧٤ .
٥- نظم الدرر ٧: ٥٤٨ – ٥٤٩ .

للمشركين في جلب محبّتهم ورفع عداوتهم شيئاً وأنّ المشركين على الرغم من إلقاء المودّة إليهم أن يدركوهم ويضفروا بهم يكونوا لهم أعداء من دون أن يتغير ما في قلوبهم من العداوة [١].

١- ينظر : الميزان ١٩: ٢٣٥ - ٢٣٦ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢: ٦٧١ .

الحذف :

ويقصد بالحذف هنا ما كان في باب البلاغة الذي يعدّ مسلكاً أسلوبياً رائعاً ، إذ يؤدي الوظيفة الفنية المناطة به إذا ما قورن بالذكر ، فهو باب من أبواب الإيجاز ، فقد عدّه ابن جني من شجاعة العربية ، فقال " إنّ العرب حذفت الجملة والمفرد والحركة وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه وإلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته " [١] ، وهو عند عبد القاهر الجرجاني " باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتكون أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبنْ "[٢] ، وحدّ الحذف كما ذكره الرماني " هو إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها في الحال أو فحوى الكلام ، وهو أبلغ من الذكر ، وإنّما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر ، لأنّ النفس تذهب إليه كل مذهب "[٣]. وكان الاهتمام بالحذف واضحاً جلياً عند الدارسين قديمهم وحديثهم ، فقد يرجع حسن العبارة في كثير من التراكيب إلى ما يعمد إليه المتكلم من حذف لا يغمض به المعنى ولا يلتوي وراء القصد ، وإنما هو تصرّف تصفو به العبارة ويشتدّ به أسرها ، ويقوى حبكها ويتكاثر إيحاؤها ويمتلئ مبناها ، والقرآن الكريم يميل كثيراً إلى لغة الإيجاز، وفي تلك اللغة يُترك لذهن المتلقّي العنان لتقدير المحذوف لفكّ رموز النص [٤].

وحذف المضاف كان من أهمّ مواضع حذف المصدر (حُبّ) في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة : ٩٣ ، فالعرب تحذف المضاف إذا دلّ على ما يريدون ، وذلك بدلالة القرائن الدالة عليه ، وقد ذُكرت أغراض لذلك الحذف ، من أهمها التجوّز في الكلام والاتساع ، وتقدير الحذف (أشربوا في قلوبهم حبّ العجل)، ويُشير هذا الحذف إلى "أنّ قلوبهم كأنّما أشربت عجل الذهب حقيقة فكان في تكوينها وتركيبها" [٥]، وقيل إنّهم سقوا حبّ العجل [٦]، فأضمر الحب لأنّ المعنى معلوم ، ولأنّ الذي يشربه القلب المحبّة لا نفس العجل [٧]. والعجل ليس موضع ذلك ، بل المراد : حبّ العجل ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه ، للدلالة على هذه الحقيقة الثابتة ، إذ أنزل العجل منزلة الحبّ لملابسته لهم في قلوبهم ، وتشرّب قلوبهم بهذا الحبّ الأعمى

---

١ - الخصائص ٢: ١٤٠. ٣٦٠ .
٢ - دلائل الإعجاز : ١٤٦ ، وينظر : العمدة ١ : ١٦٧ .
٣ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ٧٦ .
٤ - ينظر : خصائص التركيب ، د. محمد أبو موسى : ١٥٣ ، وعلم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي إبراهيم الفقيّ ٢ : ٢٤٠ .
٥ - معاني النحو ٣ : ١٢٣ .
٦ - ينظر : الجمل في النحو ، الفراهيدي : ١٠٣ ، ومعاني القرآن للفراء ١: ٦١ ، وإعراب القرآن للنحاس ١: ١٩٩ .، والنحو الكوفي ، مباحث في معاني القرآن للفراء : ٤٠ . وقيل إن الحذف للمصدر المضاف إلى مفعوله .
٧ - ينظر : التبيان في إعراب القرآن ١: ٧٩ ، وتفسير غريب القرآن : ٨٥ ، وغريب القرآن لابن قتيبة : ٥٨ ، والصناعتين : ١٦٣ ، ونهج البيان عن كشف معاني القرآن ١: ١٤١، ١٧٥ ، وبدائع الفوائد : ٢٠٣ ، والجمان في تشبيهات القرآن : ٩٦ .

حتى عاد ذلك سمة من سماتهم ، وحقيقة تكشف عن واقع حالهم في الهوى والضلال [١]. إذ إنّ القرينة العقلية المتضحة من المنطق العقلي هي التي حددت طبيعة هذا الحذف ، فإنّ العجل لا يُشرب في القلوب ، وإنّ المعنى ، أُشربوا حبّ عبادة العجل [٢]، وضعّف بعضهم تقدير : حُبّ عبادة العجل ، والأولى تقدير الحُبّ فقط [٣]، وذهب أبو حيان إلى تقدير حبّ عبادة العجل ، إذ "يقال : أشرب قلبه حبّ كذا ، أي حلّ محلّ الشراب ومازجه"[٤]، وقيل (بكفرهم) أي "مختلطا بكفرهم" [٥]، ونلاحظ في هذا التركيب قوة في المعنى ، لأنّ إصرارهم على الكفر أدى إلى حبهم العميق للعجل حتى صار مختلطا كأنه الشراب لا يمكن الفصل بينه ، وسقوا هذا الشراب حتى صار جزءا لا يتجزّأ منهم ، وقد "عُدّ هذا الحذف مجازاً يقع في ملابسة واقع الحال للشيء حتى عاد جزءاً منه ، ومندمجاً فيه اندماجاً تاماً" [٦].

ولمسنا الحذف في بعض متعلقات تلك الألفاظ ، وهذا الحذف يؤدي إلى بيان حالة المحبّة أو حالة الكراهة ومن ذلك حذف حرف الجر المتعلّق بفعل المحبّة (يرغبون) ، ولعلّ من أهم دلالات هذا الحذف الجمع بين إيجاز العبارة ووفرة معانيها ، ما جاء في قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ النساء : ١٢٧ ، هذا اللفظ يحتمل الرغبة والنفرة ،" فالمعنى في الرغبة ، في أن تنكحوهن لمالهن أو لجمالهن ، والنفرة : عن أن تنكحوهن لقبحهنّ" [٧]، فحذف حرف الجر بعد الفعل (ترغبون) ؛ وذلك لدلالة التعميم ، لأنّ النساء يشتملن على وصفين ، وصف الرغبة فيهنّ ، ووصف الرغبة عنهنّ ، وقيل معناه : ترغبون في نكاحهنّ لمالهن وجمالهنّ ، وقيل معناه : عن نكاحهنّ لزمانتهنّ وقلّة مالهنّ ، والكلام يحتمل الوجهين [٨].

إذن فمن جماليات التركيب القرآني حذف حرف الجر في هذا الموضع ، وذلك لاحتمالية تعدد الأوجه التفسيرية ، ولا يُعدّ ذلك لبساً ، بل يُعدّ من باب الإجمال والإيجاز البليغ ، لأنّ الآية الكريمة صالحة لتقدير كلّ من الحرفين ، لأنّ الفعل (رغب) يتعدّى بحرف (في) للشيء المحبوب ، وبحرف (عن) للشيء غير المحبوب [٩]،

١ - ينظر : مجاز القرآن ، محمد حسين الصغير : ١٤٧ .
٢ - ينظر : الجملة العربية والمعنى : ٥٤ – ٥٥ .
٣ - ينظر : مغني اللبيب ٢ : ٧٠٦ ، والأشباه والنظائر في النحو ١ : ١٥٤ .
٤ - البحر المحيط ١ : ٢٠٨ – ٣٠٩ .
٥ - التبيان في إعراب القرآن ١: ٧٩ .
٦ - مجاز القرآن ، محمد حسين الصغير : ١٤٧ .
٧ - البحر المحيط ٣ : ٣٦٢ .
٨ - ينظر : البرهان في علوم القرآن ٣ : ٧٤ ، والصاحبي : ٣٨٩ ، والكشاف ١:٤٢٧ ، وشرح شذور الذهب : ٢٩٨ ، والإتقان في علوم القرآن ٣ : ٥٣ .
٩- ينظر : التفسير الوسيط ٤: ٢١٠ .

ومنع ابن مالك الحذف في هذا الموضع لإشكال المراد بعد الحذف ؛ لأنّ شرط الحذف في حرف الجر هو أمن اللبس ، وحذف الحرف هنا لا يُعدُّ لبساً بل إجمالاً [١].

ويرى ابن عاشور أنّ حذف حرف الجرّ قد أثرى دلالة الآية ووسّع في معانيها ، إذ جاز أن تكون الرغبة في نكاح بعضهم أو تكون الرغبة عن نكاح بعضهم ، ولو ذكر حرف الجرّ لحُدد المعنى في أحد الطرفين من دون الآخر ، إذ قال : إنّ " لحذف حرف الجرّ بعد (ترغبون) هنا موقع عظيم من الإيجار وإكثار المعنى ، أي ترغبون عن نكاح بعضهن وفي نكاح بعض آخر ، فإنّ الفعل (رغب) يتعدى بحرف (عن) للشيء الذي لا يحبّ ، وبحرف (في) للشيء المحبوب ، فإذا حذف حرف الجرّ احتمل المعنيين إن لم يكن بينهما تنافٍ " [٢].

فهذه الجملة القرآنية من الجمل ذات الدلالات المتضادّة التي تحتوي على فعل يتعدّى بحرف جرٍ وهو (ترغب) ، وقد حذف حرف الجر للإبهام أو التوسع في إطلاق المعنى ، والمعنى فيها يحتمل الرغبة في النكاح والرغبة عنه [٣].

كما يُلحظ حذف مفعول فعل الكراهة (قلى) في قوله تعالى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ الضحى:٣ ، إذ إنّ في حذف المفعول في العربية لطائف بيانية كثيرة ذكرتها كتب البلاغة واللغة ، وإنّ خير ما مثل العربية ذلك الكتاب العظيم ، ففيه من اللطائف ما أُبهرت به العقول وحارت في كنهه الأذهان ، وعمّ فيها البيان ، وقال في حذفه عبد القاهر الجرجاني : " فإنّ الحاجة إليه أمسّ ، وهو ما نحن بصدده أخصّ ، واللطائف كأنّها فيه أكثر ، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أنجب وأظهر " [٤] .

وإنّ التقدير: "وما قلاك ، فحذفت الكاف واكتفى بالكاف الأولى من إعادة الأخرى ، ولأنّ رؤوس الآيات بالياء فاجتمع ذلك فيه"[٥]، قال الزمخشري : " إنّه اختصار لفظي لظهور المحذوف"[٦]، وعلل الطبري في تفسيره هذا الحذف بقوله : " إنّه اكتفاء بفهم السامع لمعناه ، إذ كان قد تقدم ذلك قوله (ما ودعك) فعُرف بذلك أنّ المخاطب به نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) " [٧]، ولعلّ قول الطبري قريب من قول الزمخشري ، وذهب أبو حيان في تعليله الحذف إلى السبب نفسه[٨]، وذهب بعضهم إلى أنّ سبب الحذف كان لفظياً ، القصد منه هو رعاية الفاصلة [٩]،

١- ينظر : روح المعاني ٦: ٣١٦ .
٢ - التحرير والتنوير ٥: ٢١٣ ، وينظر : أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور : ٧٨٢ .
٣ - ينظر : الجملة العربية والمعنى : ٨٢ ، ١٦٠ .
٤ - دلائل الإعجاز : ١١٨ .
٥ - معاني القرآن – الفراء ٣ : ٢٧٤ ، وينظر : أوضح المسالك ٢ : ١٦٣ ، ومن وحي القرآن ، إبراهيم السامرائي : ١٣٤ ، وبناء الجملة العربية : ٢٦٧ – ٢٧٧ .
٦ - الكشاف ٤:٧٧١ ، وينظر : الجملة العربية ، تأليفها وأقسامها : ٩٨ .
٧ - جامع البيان ٣٠ : ١٤٧ .
٨ - ينظر : البحر المحيط ٨ : ٤٨٥ .
٩ - البرهان في علوم القرآن ٣ : ٧٠ ، وينظر : غرائب القرآن ، النيسابوري ٣ : ١٠٨ ، واللغة في الدرس البلاغي : ١٨٧ ، والبلاغة العربية مقدمات وتطبيقات : ١٢٣ ، وإعجاز القرآن ، الفواصل : ١٨ .

وأضاف الفخر الرازي فائدة أخرى زيادة على ذكر السببين السابقين ، وهي فائدة الإطلاق ، "أي أنّه ما قلاك ولا أحدا من أصحابك ولا أحدا ممن أحبّك إلى يوم القيامة" [١]، وبذلك فقد أفاد الحذف الإطلاق [٢].

أما الدكتورة عائشة عبد الرحمن فلها تعقيب على ما ذكره المفسرون ، فترى أنّ السياق لا يعطي التوسع في الخطاب على ما ذكره الرازي ، بل إنّ الخطاب كان خاصا للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) ، وترى أيضا أنّه من غير المقبول أن يكون تعليل الحذف برعاية الفاصلة ، أي على اعتبار لفظي ، وأنّه لمقتضى معنوي بلاغي يقويه الأداء اللفظي من دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل [٣] .

ولعلنا نقف على هذا الرأي بشيء من النظر ، ونرى أنّ الذي يقول في الحذف في هذا المقام برعاية الفاصلة لا يقف على الجانب الشكلي اللفظي فقط ، وإنما سياق الآية من بدئها حتى قريب نهايتها تراعى فيها الفاصلة ، ونرى أيضا أنّ انسياب السورة على هذا الجرس وهذا الإيقاع يمنحها جمالية أكثر مما لو حدث وقف عند ذكر ضمير المخاطب ، ومن ثَمَّ فإنّ الحذف للاختصار أو لرعاية الفاصلة أو لغيرها ، كلها ملاحظ بيانية تدعم قوة المعنى وبيانه .

فضلا عن ذلك فإنّ في الحذف جانبا معنويا مرهفا ، فيه من الرقّة والملاطفة والاستعطاف والترحّم ومحادثة القلوب والإيناس والتقريب للعباد ، وإعلامهم بعظيم الرحمة والمغفرة ، أي إنّ الله سبحانه تحاشى في خطابه لحبيبه المصطفى ذكر الضمير (ما قلاك) لما في القلى من الطرد والإبعاد وشدة البغض ، أما التوديع (ما ودعك) فلعلّ الحس اللغوي فيه يؤذن بالفراق على كره مع رجاء العودة واللقاء [٤] .

وأيّد الباحثون هذا الرأي بكراهة أن يقع القلى والبغض صراحة على ضمير النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وذلك أنّ التوديع أمر معروف ، مشتهر بين الناس ، وبخاصة بين الأحبّة ، فليس بمستهجن أن يودع الحبيب حبيبه ، فلذلك كان ذكر المفعول مع الفعل (ودّع) وحذفه ومع الفعل (قلى) تعظيماً لشأن المفعول [٥] .

والذي يلحظ أنّ ذكر المفعول مع التوديع إكرام للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، وحذفه من القلى إكرام له أيضاً ، فهو إكرام في الذكر وإكرام في الحذف ، وهذا من ألطف مواطن الذكر والحذف [٦]. فضلا عن اختيار كلمة (الرب) وإضافتها إلى المخاطب أنسب شيء ههنا وأدلّ على الرعاية والعناية ، فإنّ الرب هو المربي والمرشد

١- مفاتيح الغيب ٨:٤٢٠ .
٢- ينظر : قضايا لغوية قرآنية : ٩٦ .
٣- ينظر : التفسير البياني للقرآن الكريم ١:٣٤ – ٣٥ ، وينظر : نظرات لغوية في القرآن الكريم : ٢٨٩ .
٤- ينظر : الطراز ١: ٦٤ ، والتصوير الفني في القرآن ، سيد قطب : ١٢٥ ، والتفسير البياني ١:٣٥ .
٥- ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها ١: ٢٩٥ ، وعلى طريق التفسير البياني ١: ١١٢ .
٦- ينظر : معاني النحو ٢ : ٨١ ، وعلى طريق التفسير البياني ١: ١١٢ .

والسيّد ، فكيف يودعك ويقليك ، وأنت عبده ورسوله ، وهو سيدك ومولاك أخرجك من الظلمة إلى نور الوحي والرسالة [1].

وبذلك فإنّنا إذا تأملنا جميع ما ورد من ألفاظ التنزيل والسنّة الشريفة وجدناها على نهاية من الكمال في مراعاة الألفاظ الرقيقة والخفيفة والمألوفة ، ومن خصائص ألفاظ القرآن أيضاً هو أننا نستشفّ منها الرقّة التي يراد بها ما كان مستعملا في الملاطفات واستجلاب المودّة والبشارة والوعد .

وجاء حذف المفعول لدلالة التعميم في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ الانشراح : ٧-٨ ، وذلك ليعمّ كل ما يرغبه النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وهل يرغب النبيّ إلاّ في الكمال النفساني وانتشار الدين ونصر المسلمين [2]، ويوحي انتهاء الآية بهذه اللفظة الخالية من المفعول إلى ذلك التعميم ، فكأنّ الرغبة مشاعة مفتوحة بكل ما يرغبه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلّم) وذلك تمام الودّ والمحبّة وكمال النعمة .

١- ينظر : على طريق التفسير البياني ١: ١١٣ ، و التعبير القرآني والدلالة النفسية : ٣٢٠ .
٢ - ينظر : التحرير والتنوير ٣٠: ٤١٨ .

الإطناب :

يمثل الإطناب ظاهرة أسلوبية تقوم على تفجير شحنات فكرية لدى المتلقي ، بهدف إحداث صدمة لغوية عند الطرف المستقبل وجعل ذهنه في حال استنفار دائم، وبذلك يُعدّ حدثاً غير عادي وانحرافاً عن المألوف اللغوي ، فهو حقل خصب له أسباب ودواعٍ لاستعماله ، شأنه شأن باقي أنواع البلاغة ، وأهم تلك الدواعي تثبيت المعنى المُراد ، والتوكيد ، ودفع الإيهام ، وإثارة الحميّة من أجل التعظيم ، أو التهويل ، أو غير ذلك[١] .

والإطناب من الأساليب البلاغية الضروريّة في بعض المواقف والمناسبات التي تقتضيها المقامات المختلفة للمخاطبين ، وقد وقف علماء البلاغة وقفة تأمل أمام نظم الكلام وأساليبه ، باحثين عن أسباب هذه الزيادة وعمّا تؤديه من أغراض بيانية ، فخلصوا إلى مجموعة من الأغراض التي يفيدها الإطناب [٢]، ومن تلك الأغراض التي وردت في سياق ألفاظ المحبّة والكراهة :

١- الاحتراس :

هو من مظاهر الإطناب ويسمى التكميل ، وهو في اصطلاح البلاغيين "المحافظة على المعنى من كل ما يفسده ويغيره ، أو هو أن يؤتى بكلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم"[٣] .

وجاء هذا الغرض في سياق ألفاظ المحبّة في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة : ٥٤ ، فجاء الاحتراس في الآية الكريمة في قوله تعالى (أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) ، لكي لا يُفهم أنّ الذلّة طبيعة فيهم ناشئة عن ضعف ، ويفهم من الاحتراس أيضا ، أنّهم ليسوا ضعفاء أذلاء ، والذلّ ليس الهوان ، إذ ليس المراد بكونهم أذلّة هو أنّهم مهانون ، بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب ، فإنّ من كان ذليلاً عند إنسان فإنّه لا يظهر شيئاً من التكبّر والترفّع ، بل لا يظهر إلا الرفق واللين ، وكذلك يريد أنّ جانبه ليّن للمؤمنين وخشن على الكافرين ، وهذا من فضل الله ، ولأنّ الله – يحبّهم ويحبّونه – ، وإنّ الذي يحبّه الله ويحبّ الله قويٌّ عزيزٌ ليس بضعيفٍ ذليلٍ ، وإنّ الله لا يحبّ العباد الأذلاء المستضعفين [٤].

والآية السابقة ترشد إلى أنّ الله سبحانه لا يحبّ إلاّ من كمُل إيمانه ، وهم الذين اجتمع لهم هذان الوصفان : الشدّة والعزّة على الكفار ، والذّلة والرحمة للمؤمنين ، فهما وصفان متلازمان ، لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ،

١- ينظر : الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية : ٢٦ ، وعلم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق : ١٥٥ .
٢- ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها ١: ٤٩٩ ، لمعرفة المزيد من الأغراض البلاغية التي يفيدها الإطناب .
٣- الإتقان في علوم القرآن ٣ : ٢٢١ ، وينظر : جواهر البلاغة : ٢٠١ .
٤- ينظر : معاني القرآن – النحاس ١: ٢٩٢، ومفاتيح الغيب١١: ٢٠، والبلاغة والتطبيق : ٢١٠، والبلاغة فنونها وأفنانها ١: ٥١٦.

وإنّ اجتماع هاتين الخصلتين المتضادّتين الشدّة والرحمة عند الإنسان المسلم هي إيماء إلى أصالة آرائه وحكمة عقله ، فهو يتصرّف في أخلاقه وأعماله تصرّف الحكمة والرشد (١) .

ومنه قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران:١٣٤، يُحبُّ الله تعالى من اجتمعت فيه الصفات التي وردت في الآية ، لأنّ بجماعها يجتمع كمال الإحسان ، ولذلك ذيّلت الآية بقوله (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ، لأنّه دالٌّ على تقدير أنّهم بهذه الصفات محسنون والله يُحبّهم ، والإحسان الإتقان والإجادة ، ولمّا كانت هذه الخصال إحساناً إلى غيره ، ذكر الله ثوابها بحبّه إليهم ، وإنّ محبّة الله تعالى العبد أعظم درجات الثواب .

وجاء الاحتراس في قوله (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) ، فبعد أن ذكر كظم الغيظ الذي هو إمساكه وإخفاؤه ، ذكر العفو عن الناس فيما أساءوا به إليهم ، وهي تكملة لصفة كظم الغيظ بمنزلة الاحتراس ، لأنّ كظم الغيظ قد تعرضه ندامة فيستعدي على من غاظه بالحقّ ، فلمّا وُصفوا بالعفو عمّن أساء دلّ ذلك على أنّ كظم الغيظ وصفٌ متأصّلٌ فيهم ، مستمرٌّ معهم ، وإذا اجتمعت هذه الصفات في نفسٍ سهُل ما دونها لديه (٢).

٢- التتميم :

وهو من مظاهر إطناب الجملة ، ويعني أن يؤتى بفضلة في كلام لا يوهم خلاف المقصود لنكتة بلاغية ، ومعنى هذا أنّ الكلام في غرض التتميم لا يوهم شيئاً آخر غير الذي يريده المتكلم ، وإنما يأتي لفائدة بيانية ، ويكون للمبالغة (٣)، وهذه الفضلة توجد في المعنى حُسناً بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلاً (٤) ، قال العلوي : " هو تقييد الكلام بفضلة "(٥)، وعرّفه الزركشي بأنّه " هو أن يتمّ الكلام فيلحق به ما يكمله ، إمّا مبالغة أو احترازاً أو احتياطاً "(٦).

ونلحظ ورود التتميم في قوله تعالى ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٧٧ ، ومجيء التتميم في قوله تعالى (عَلَى حُبِّهِ) ، وفي هذا القول معنيان ، الأول : أن يعود الضمير على الله تعالى ، أي على حبّ الله ، فهم يعطون المال من أجل الله

١- ينظر : التحرير والتنوير ٢: ٩١؟ ، والبلاغة فنونها وأفنانها ١: ٥١٦ .
٢- المصدر نفسه ، وينظر : روح المعاني ٤: ٤٥٠ .
٣- ينظر : الإتقان في علوم القرآن ٣ : ٢٢٢ .
٤- جواهر البلاغة : ٢٠٢ .
٥- الطراز ٣ : ١٠٤ .
٦- البرهان في علوم القرآن ٣ : ٧٠ .

وحده لا رياء ولا سمعة ، وعلى هذا المعنى لا يكون (عَلَى حُبِّهِ) من التتميم في شيء ؛ لأنّه تمام معنى الآية .

والثاني : أن يعود الضمير على المال ، أي يؤتون المال على حبّهم له ، والتتميم يتمّ على هذا التفسير ؛ لأنّ المعنى انتهى عند قوله تعالى (وَآتَى الْمَالَ) ، ثمّ قال (عَلَى حُبِّهِ) وهذه فضلة ؛ لأنّها ليست جملة مستقلّة وليست ركناً رئيساً في الجملة ، وإنّما جيء بها للمبالغة ، فهم يُعطون المال رغم حبّهم له[١] .

وهذا التتميم يُصوّر حال من يعطون المال على الرغم من حبّهم له لنيل البرّ ، " فهو قيد لازم حتّى يكون من يؤتي المال مرتقياً ببذله إلى مرتبة الأبرار إذا قدّم عملاً هو من أعمال البرّ ، فأعمال البرّ توسّعٌ في الخير زائدٌ على أعمال التقوى "[٢]، فإنفاق المال ليس بالعمل اليسير على الجميع ، وبخاصّة إذا بلغ الإنفاق درجة الإيثار ؛ لأنّ حبّ المال موجود بدرجات متفاوتة في كلّ القلوب ، والتتميم بقوله (عَلَى حُبِّهِ) إشارة إلى هذه الحقيقة ، فهؤلاء يندفعون للإنفاق رغم هذا الحبّ للمال من أجل رضا الله تعالى .

ونظير الآية السابقة قوله تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ الإنسان : ٨ ، التتميم جاء في قوله (عَلَى حُبِّهِ) ، فكان بالإمكان الاستغناء عنه ، ولكنّه ذكره ليصوّر شعور البرّ والعطف والخير فيهم ممثلاً في إطعام الطعام مع حبّه ، وذلك أبلغ في الكرم ، فلفظ (عَلَى حُبِّهِ) فضلة لزيادة التحسين في المعنى[٣]، فقد حصلت بهذا التتميم المبالغة في أنّهم حريصون جدّاً على إطعام الطعام على الرغم من حُبّهم له ، وتعلُّق شهوتهم به ، فالإطعام في هذه الحالة أبلغ في الدلالة على ابتغاء مرضاة الله تعالى ، وهو بسبب ذلك أعظم أجراً عند الله ، فعبارة (عَلَى حُبِّهِ) قيد لازم لإدخال المطعِم للطعام في مرتبة الأبرار ، وهي فوق مرتبة المتقين الذين يكفيهم أن يُطعموا الطعام الواجب عليهم أن يُطعِموه ، ولو كان هذا الطعام غير محبوب لهم[٤] .

فالمراد بحبّه توقان النفس إليه لشدّة الحاجة ، أي أنّهم كائنون على حبّ الطعام مع اشتهائه والحاجة إليه ، إذ لم يكن مجرد إطعام ، بل إطعام مقرون بالإيثار العظيم عند الحاجة الماسّة للغذاء ، ومن جهة أخرى فهو إطعام في دائرة واسعة ، شمل أصناف المحتاجين ، ولهذا كانت رحمتهم عامّة وخدمتهم واسعة وهذا دلالة على سعة كرمهم[٥] .

وقد خصّ الإطعام بالذكر لما في إطعام المحتاج من إيثاره على النفس كما أفاد قوله(عَلَى حُبِّهِ) ، والتصريح بلفظ الطعام مع أنّه معلوم من فعل (يُطْعِمُونَ) توطئةٌ ليبنى عليه حالهم في المحبّة ، فإنّه لو قيل : ويطعمون

١- ينظر : تلخيص المفتاح : ١٢٨ ، والبلاغة فنونها وأفنانها ١: ٥١٦ ــ ٥١٧ .
٢- البلاغة العربية ، أسسها وعلومها وفنونها ٢ : ٨٩ .
٣- ينظر : جواهر البلاغة : ٢٠٢ ، والبلاغة والتطبيق : ٢١٠ .
٤- البلاغة العربية ، أسسها وعلومها وفنونها ٢ : ٨٨ .
٥- ينظر : الأمثل ١٩ : ١٥٦ ، وروح المعاني ٢٨: ١٣٧ .

مسكيناً ويتيماً وأسيراً لفات ما في قوله (عَلَى حُبِّهِ) من معنى إيثار المحتاجين على النفس ، على أنّ ذكر الطعام بعد (يُطْعِمُونَ) يفيد تأكيداً مع استحضار هيئة الإطعام حتى كأنَّ السامع يشاهد الهيئة[١].

ونظير ذلك قوله تعالى ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ آل عمران : ٩٢ ، فقوله (مِمَّا تُحِبُّونَ) تتميم للمعنى قبله أو فضلة أفادت المبالغة في حُبّ المُنفَق .

٣- الاعتراض :

وهو من مظاهر الإطناب أيضاً ، يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين بشيء يتمّ الغرض الأصلي من دونه ، ولا يفوت بفواته ، فيكون فاصلاً بين الكلام أو الكلامين لنكتة ، وقيل هو إرادة وصف شيئين ، الأول منهما قصداً ، والثاني بطريق الانجرار ، وله تعليق بالأول بضرب من التأكيد [٢]، وقيل هي التي – أي الجملة الاعتراضيّة – تقع بين شيئين متلازمين متعلقة به تؤدي معنى مفيداً ، تأكيداً وتسديداً للكلام الذي اعترضت بين أجزائه ، ولا تكون معمولة لشيء من أجزاء الجملة المقصودة[٣]، وإنّ من سنن العرب وطريقتهم في كلامهم أن يعترض بين الكلام وتمامه كلامٌ لا يكون إلاّ مفيداً [٤] .

ولمّا كان للجملة الاعتراضية علاقة معنوية بالكلام الذي تعترض بين جزأيه ، فعليه لا ينبغي أن لا يتصوّر أحد بأنّ الجملة المعترضة هو أنّ مفادها أجنبي وغريب من الموضوع المعترض ، بل لابُدّ أنّ هناك ارتباطاً ما بينها وبين ما قبلها وبين ما بعدها ، وهي من ثمّ تنزل منزلة الصفة في الفائدة ، توضح عن الشيء وتؤكّده[٥]، وقد كَثُرَ هذا الضرب من التعبير وشاع استعماله وحَسُنَ ، فجاء في القرآن الكريم وفصيح الشعر ومنثور الكلام ، خلافاً لمن ادّعى قلّتهُ أو حاول حصره في دائرة الجمل الدعائية [٦].

وقد اهتمّ النحاة بالجملة الاعتراضية وأشاروا إليها في كتبهم ، غير أنّ ذلك الاهتمام لم يتجاوز حدود الإشارة إلى الجمل الاعتراضية بوصفها صيغة يجوز الفصل بها بين متلازمات الجملة ، فهي لا محل لها من الإعراب عند النحاة ، ولكنّ أرباب البلاغة والبيان يتناولون هذا الموضوع من زاوية الدلالات والأغراض التي تؤديها الجملة الاعتراضية في الكلام ، ويأتي الاعتراض لدواعٍ بلاغية كثيرة أوردتها كتب البلاغة منها : التنزيه والتعظيم ، والدعاء ، والتنبيه على أمر ، والتبرّك ، والتقرير ، والتصريح بالمقصود ، والاستعطاف ، والمبادرة لبيان أمر ذي أهميّة[٧] .

١- ينظر : التحرير والتنوير ٢٩: ٣٨٥ .
٢- ينظر : الصناعتين : ٣٩٤ ، والطراز : ٢٨٣ ، والبرهان في علوم القرآن ٣ : ٣٩ .
٣- ينظر : همع الهوامع ١ : ٢٤٧ .
٤- ينظر : الصاحبي في فقه اللغة : ١٠٩ .
٥- ينظر : الأصول في النحو ، ابن السرّاج ٢ : ٢٦١ .
٦- ينظر : الخصائص ١ : ٣٣١ ، وتجديد النحو ، شوقي ضيف : ٢٥٧ ، والأمثل ٥ : ٣٣ .
٧- ينظر : البلاغة العربية ، أسسها وعلومها وفنونها ٢ :٨٢ .

ويأتي الإطناب بالاعتراض لغرض التعظيم في قوله تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ، نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة : ٢٢٢ – ٢٢٣ ، فقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) جملتان اعتراضيتان بين كلامين متصلين في معناهما وهما قوله سبحانه (فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) وقوله سبحانه (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ) ، وهذا القول هو بيان للقول السابق [١]، وفائدة هذا الاعتراض هو "الترغيب فيما أمروا به والتنفير عمّا نهوا عنه"[٢] ، فالجملة (نساؤكم حرث لكم) هي تفسير لجملة (من حيث أمركم الله) ، فهي ذات صلة تركيبية بها ، والجملة الكبرى هي اعتراضية ، فائدتها ودلالتها هو الحثّ على الطاعة وهي الطهارة واجتناب المعصية والتوبة من إثم إتيانها الذي ربّما كان يفعله بعض الأزواج قبل البيان القرآني[٣].

ولعظمة الموضوع وأهميته الصحيّة والنفسية جاءت هذه الجملة معترضة وذكرت مسألة التوبة والطهارة ، إذ إنّ بعض الناس يصعب عليهم السيطرة على الغريزة الجنسية فيتلوثون بالذنب والإثم خلافاً لما أمر الله تعالى ، ثمّ يعتريهم الندم على عملهم ويتألمون من ذلك ، فالله سبحانه فتح لهم طريق التوبة كيلا يصيبهم اليأس من رحمة الله ، أمّا اقتران الطهارة بالتوبة فيُمكن أن يكون إشارة إلى أنّ الطهارة تتعلّق بالطهارة الظاهريّة ، والتوبة تتعلّق بالطهارة الباطنيّة ، والوحدة الجامعة بينهما هو أنّ التوبة طهور للمذنب ، فضلا عن ذلك فإنّ فيها دلالة المبالغة في التوبة والتطهّر وتكرير الحالين والبقاء عليهما [٤] .

ومن الأغراض التي يفيدها الاعتراض في الجملة القرآنية التهكّم والسخرية والتعجّب ، وهي كما جاءت في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ، وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ، وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ النساء : ٧١ – ٧٣ ، فقد اعترضت جملة (كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا) بين الفعل المؤكّد (ليقولنّ) الدال على ندامته وحسرته ، وبين جملة التمني (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا) ، أشار الزمخشري إلى أنّ الجملة المعترضة سيقت للتهكم لا لإظهار المودّة الحقيقية فقال : " والمعنى كأنْ لم تتقدّم له معكم موادّة ؛ لأنّ المنافقين كانوا يوادّون المؤمنين ويصادقوهم في الظاهر ، وإنْ كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن ، والظاهر أنّه تهكم؛ لأنّهم كانوا أعدى عدوّ للمؤمنين وأشدّهم حسداً ، فكيف يوصفون بالمودّة إلاّ على

١- ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها ١: ٥٢٣ .
٢- تلخيص المفتاح : ١٢٨ ، وينظر : الإتقان في علوم القرآن ٣ : ٢٢٣ .
٣- ينظر : البلاغة العربية ، أسسها وعلومها وفنونها ٢: ٨٢ ، والتحليل النحوي أصوله وأدلته : ١٧٦ .
٤- ينظر : الأمثل ٢ : ١٣٦ .

وجه العكس تهكماً بحالهم "[١]، فقد جيء بها على سبيل التهكم والسخرية والتعجّب من حال المنافقين ، لأنّ الذي يتحسّر على فوات شيء عادة هو من لا علم به أو بأسبابه ، أمّا المنافقون فبسبب مخالطتهم وصحبتهم للمؤمنين كانوا على علم بقتال المؤمنين لأعدائهم ، وكان في إمكانهم أن يخرجوا معهم ، وذُكر الفعل (ليقولنّ) مؤكداً تنبيهاً على فرط تحسّره [٢]، وعبارة التمني متصلة في المعنى بقوله السابق (قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدا) ، أي : "كأن لم يعاقدكم على الإسلام ويعاضدكم على قتال عدوّكم ، ولم يكن بينكم وبينه مودّة في الظاهر "[٣].

ويأتي الإطناب بالاعتراض ليفيد الحثّ والتحريض في قوله تعالى ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ آل عمران : ٩٢، فقد جاءت هذه الآية معترضة بين قوله تعالى ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)) آل عمران :٩١، وقوله تعالى ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ آل عمران : ٩٣، إذا كان السياق يتحدّث عن تقديم الصدقات لنيل أعلى مراتب البرّ ، ولا يُنالُ ذلك إلاّ بإنفاق ما تعلّق حبّه بقلب الإنسان وإن كان قليلاً بدليل قوله (مِنْ شَيْءٍ) ، ولعلّ المُراد من هذا الاعتراض هو التحريض على الإنفاق الخالص لله ممّا تعلّق القلب به ، والتنويه على أنّ الإنفاق خصلة من خصال البرّ [٤].

٤- التذييل :

وهو في اصطلاح البلاغيين أن "يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول ، تحقيقاً لدلالة منطوق الأول أو مفهومه ليكون معه كالدليل ، ليظهر المعنى عند من لا يفهمه ويعمل عند من فهمه"[٥]، وعرّفه القزويني بأنّه " تعقيب جملة بجملة أخرى تشتمل على معناها للتأكيد " [٦]، وكان تعريفه دقيقاً لأنّه ذكر جملة بجملة ، والتذييل لا يكون إلاّ جملة ، وفائدته البلاغية التأكيد والمبالغة [٧].

وجاء الإطناب بالتذييل في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ النساء : ١٢٥ ، جاء التذييل في قوله (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)، فهذه جملة

١- الكشّاف ١: ٥٦٤ .
٢- ينظر : البحر المحيط ٣: ٧٠٤ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢: ٨٣ ، وروح المعاني ٦: ١٣٨ .
٣ - الوجيز : ١٦٥ .
٤- ينظر : التحرير والتنوير ١٥ : ١٠٥ .
٥- البرهان في علوم القرآن ٣: ٦٨ .
٦- تلخيص المفتاح : ١١٤
٧- ينظر : علم المعاني ، بسيوني عبد الفتاح فيود ١ : ٢٠٨ .

مستأنفة جيء بها للترغيب في إتباع ملّة إبراهيم ، وللتنويه بشأنه (عليه السلام) وبشأن من اتبع طريقته ، والإيذان بأنّه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر[1].

وذكر الزمخشري أنّ جملة (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) اعتراضية لا محل لها من الإعراب جاءت بين قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ النساء : ١٢٥، وقوله ((وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴾ النساء :١٢٦، أمّا فائدتها فهي لتأكيد وجوب إتباع ملّته ، "لأنّ من بلغ الزلفى عند الله أن اتخذه خليلاً ، كان جديراً بأن تُتّبع ملّته وطريقته"[2]، ويؤكّد ذلك أبو السعود بقوله " وفائدة الاعتراض هنا جمّة من جملتها الترغيب في إتباع ملته (عليه السلام)، فإنّ من بلغ من الزلفى عند الله تعالى مبلغاً مصحّحاً لتسميته خليلاً حقيقٌ بأن يكون إتباع طريقته أهمّ ما يمتد إليه أعناق الهمم وأشرف ما يرمق نحوه أحداق الأمم "[3] .

وبهذا فقد دلّت الآية على أنّ إبراهيم (عليه السلام) إنّما كان خليلا لله تعالى بسبب أنّه كان عاملاً بشرائع الله تعالى ، وكان هذا تنبيهاً على أنّ من عمل بهذا الشرع لابدّ من أنْ يفوز بأعظم المناصب في الدين وذلك يفيد الترغيب العظيم في هذا الدين ، وإنّ الجملة اعتراضية من شأنها تأكيد ذلك الكلام [4].

٥- التعليل :

وهو زيادةٌ في الكلام عن أصل المعنى الذي يُقصدُ التعبير عنه لبيان علّته ، أو سببه ، أو الدليل على صحّته أو نفعه وفائدته . وفائدة الإطناب بالتعليل تكون في زيادة تقرير مضمون الكلام بذكر علّته ، لأنّ النفوس أكثر استعداداً لتقبّل الأخبار أو التكاليف المُعلّلة المقرونة ببيان أسبابها وأدلّتها ، فيكون تطويل الكلام بالتعليل وبيان الدليل إطناباً حسناً مفيداً ، ذا أثر في نفوس المتلقين له ، وأكثر ما جاء في القرآن من تعليل هو بمثابة جواب سؤال مقدّر ذهناً غير مذكور في اللفظ [5].

وجاء هذا الغرض في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ المائدة : ٩٠-٩١، ففي هذا النص اقترن النهي عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ببيان العلّة أو السبب أو الحكمة ، لتوليد الدافع الذاتي لاجتنابها ، فقد علل بالآية الثانية سبب

١- ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢ : ٩٩ .
٢- الكشّاف ١ : ٦٠٢ .
٣- إرشاد العقل السليم ٢: ٢٣٦ .
٤- ينظر : مفاتيح الغيب ١١: ٤٩ .
٥- ينظر : البلاغة العربية ، أسسها وعلومها وفنونها ٢ :٩٤ .

النهي عن الأشياء المذكورة ، وهو إيقاع الشيطان العداوة والبغضاء بين الناس في تعاطيهم الخمر وصدّهم عن ذكر الله تعالى ، فزيادة التعليل في هذا النص كان إطناباً نافعاً ، إذ كانت هذه الأسباب المعللة للنهي كافية بأن تجعل المتلقي يحقّق الاجتناب(١) .

وورد الإطناب بالتعليل أيضاً في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ الحج : ٣٨، إذ إنّ نفي المحبّة في (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) تعليل لوعده تعالى للمؤمنين بالدفاع عنهم ، وبجعل العاقبة لهم ، أي لتقييد الدفاع بكونه عن الذين آمنوا ، وأنّ الله لا يحبّ الكافرين الخائنين ، فلذلك يدفع عن المؤمنين لردّ أذى الكافرين(٢) .

٦ – التفسير :

وهو أن يُؤتى بكلام لاحق يُفَسَّرُ به كلامٌ سابق لإزالة ما فيه من لبس أو خفاء ، ولمّا كان غرض التفسير زيادة مفيدة كان إطناباً حسناً كلّما اقتضاه الحال(٣) .

جاء التفسير في عبارة (تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ...﴾ الممتحنة:١، لبيان نوع تلك الموالاة التي يتخذها بعض المؤمنين مع أعداء الله ، فإلقاء المودّة من التفسير الجزئي للموالاة ، فللموالاة موارد كثيرة . وهذا التفسير فيه دلالة النهي عن موالاتهم ومودّتهم وهذه حالهم وإن كان يجمعكم بهم صداقة أو قرابة أو نسب ، فضلا عن ذلك فإنّ إلقاء المودّة للمشركين تحمل دلالة التخبّط وعدم التدبّر في إيصال المحبّة(٤).

١- ينظر : البلاغة العربية ، أسسها وعلومها وفنونها ٢ : ٩٥ .
٢- ينظر : التحرير والتنوير ١٧: ٢٧٢ .
٣- ينظر : معترك الأقران ١ : ٢٧٣، والبلاغة العربية ، أسسها وعلومها وفنونها ٢ : ٩٦ .
٤- ينظر : الميزان ١٩: ٢٣٦ ، والتحرير والتنوير ٢٨: ١٣٨ .

الفصل الثاني

فنيّة التّعبير في ضوء بعض مباحث علمي البيان والبديع

الفصل الثاني

فنيّة التعبير في ضوء بعض مباحث علمي البيان والبديع

توطئة :

إنّ في القرآن الكريم صوراً بديعة ، وأمثلة رائعة على إعجازه ، ببيانه العربي الساحر الذي يأخذُ بالألباب ، في جميل تشبيهه وتمثيله ، وسلوكه أساليبَ العرب في تخاطبهم ومحادثاتهم ، واستعمالهم الاستعارة والكناية والتشبيه والمجاز ، وغير ذلك من الوجوه البيانية والبلاغية التي اختصّت بها اللغة العربية ، " فما حَلَت لغةُ العربِ ، ولا حَسُنَ رونقُها ، وما فاقت سائرَ اللغات ، إلاّ بما احتوت عليه من بديع الاستعارة ، ولطيف الكناية ، فمن أراد أن يُعرِّيَها عن أخصّ خصائصها ، ويسلبها أعزَّ مزاياها ، فقد سلك بها طريق الغَيِّ والجهالة ، ونزع عنها ثوب الإبداع والجمال"[1]، ولأنّ القرآن الكريم منزّل من الله تعالى فهو فريدٌ في نظمه بليغٌ في تعبيره دقيق في ألفاظه معجزٌ في دلالته ، أصواته أعذب الأصوات ، وألفاظه أفصح الألفاظ وُضعت كُلّ منها موضعاً دقيقاً يتناسب وقدرتها على تأدية خصوصيّة دلالية ، لا تستطيع تأديتها أيّ لفظة أُخرى ، وهذه الخصوصيّة أكسبت القرآن الكريم قدسيّته المعهودة وإعجازه الفائق ، ومن خلال ما تقدّم يمكننا أن نضع أيدينا على فنيّة التعبير وجمالية الأداء لبعض من ألفاظ المحبّة والكراهة في الاستعمال القرآني وبيان سمات أدائها التعبيري في الكثير من الفنون البلاغية .

في محيط التشبيه :

التشبيه : لغة التمثيل ، يقال : هذا شِبْه هذا ومثيلُهُ ، واصطلاحاً عقد مُماثلة بين أمرين ، أو أكثر ، قُصِد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة لغرض يقصده المتكلّم [2]، ويُعدّ التشبيه محاولة بلاغيّة جادّة تهدف إلى صقل الشكل وتطوير اللفظ من خلال تقريب المعنى إلى الذهن ، فنقل اللفظ من صورة إلى أخرى على النحو الذي يريده المُصوّر يُجسّد المعنى تجسيداً حيّاً ، فهو من أكثر أساليب البيان دلالة على سعة عقل المُنشئ ، وقدرته على الخلق والابتكار والإبداع وإنّه يدلُّ على خصب الخيال وسموّه وسعته وعمقه ، فيظهر مدى القدرة على تمثيل المعاني ، والتعبير عنها في صورة فنيّة رائعة[3]. وقد وضع الدارسون – قدامى ومحدثون – مفاهيم كثيرة للتشبيه لا مجال لحصرها هنا ويمكننا أن نكتفي بما ذكرناه خشية الإطالة [4].

وللتشبيه روعة وجمال وموقعٌ حسنٌ في البلاغة ، لإخراجه الخفيّ إلى الجليّ ، وأدائه البعيد من القريب ، يزيدُ المعاني رفعة ووضوحاً ، ويكسبها جمالا وفضلاً ، فهو فنٌّ واسع النطاق ، دقيق المجرى ، غزير الجدوى ، ومن أساليب البيان أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوف ، مع التوضيح ، أو وجه من المبالغة ، عمدت إلى شيء آخر ، تكون هذه الصفة واضحة فيه ، وعقدت بين الاثنين مماثلة ، تجعلها وسيلة لتوضح الصفة ، أو المبالغة في

١- ينظر : الإبداع البياني في القرآن العظيم : ٤٥٥ .

٢- ينظر : التلخيص في علوم البلاغة : ٢٣٩ ، وجواهر البلاغة : ٢١٤ ، والبلاغة الواضحة : ٢٠ ، وعلم البيان ، عبد العزيز عتيق : ٦٤ ، ودراسات بلاغية : ٨٩ .

٣- ينظر : علم البيان ، عبد العزيز عتيق : ١١٤ ، والصورة الفنيّة في المثل القرآني ، د. محمد حسين الصغير : ١٦٧ ، والبلاغة فنونها وأفنانها ٢ : ٢٢ .

٤- يمكن مراجعة ذلك في كتاب : فنون التصوير البياني ، للدكتور توفيق الفيل: ٧١ وما بعدها ، والمباحث البلاغية في المطبوع من تفسير مواهب الرحمن : ١٦٨ وما بعدها ، وعلم البيان ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود : ١٧ .

إثباتها ، لهذا كان الشبيه أوّل طريقة تدلّ عليه الطبيعة لبيان المعنى[1] ، وإذا ما تأمّلنا هذا الفنّ في سياقات المحبّة والكراهة القرآنيّة ، وجدناه واضح الصورة دقيق البيان واسع الخيال ينمُّ عن براعةٍ وتفنّنٍ إذ إنّ هدفه توضيح الدلالة وتعميقها عند المتلقين ، ويمكننا استجلاء بعض الصور التشبيهيّة من خلال الوقوف على بعض تلك الألفاظ لبيان براعة الاستعمال القرآني لها .

ونلحظ أنّ بعض الناس يجعلون حبّهم للأنداد كحبّهم الله تعالى وذلك في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ البقرة :١٦٥ ، ففي الآية تشبيهان واقعيان [2] ، وهذان التشبيهان يتحدثان عن العلاقة بين الله سبحانه وتعالى والعبد من جانب وبين الناس فيما بينهم أو بين الناس ومطلق المخلوقات من جانب آخر ، وذلك من خلال العلاقة القائمة على (الحبّ)، ولكل تشبيه جماليته ، وبخاصة عند وروده في النظم القرآني .

التشبيه الأول : قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾

التشبيه الثاني: قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾

وفحوى الأول أنّ بعض الناس قد اتخذوا لهم مخلوقات يحبونهم مثل الحب لله تعالى[3]، وفي قوله (كحب الله) أقوال أحدهما : كحبّكم الله ، والثاني : كحبّهم الله ، والثالث : كحبّ الله الواجب عليهم لا الواقع منهم ، وبتلك الأقوال تنفتح دلالة التشبيه ، فإذا قيل إنّ الكفّار يعرفون الله تعالى ويُنكرون الإيمان ، كان المعنى على القول الأوّل ، أي يُساوون بين حبّهم الأنداد وحُبّهم لله ، وإذا قيل إنّهم لا يعرفون الله تعالى كان المعنى على القولين الثاني والثالث ، أي يُحبون الأنداد كحبّ المؤمنين لله وعدّ المشابهة هنا في أصل الحبّ لا في وصفه ، أو كالحبّ الواجب عليهم[4] .

ويشير بعض المفسرين إلى أنّ الأنداد هم الأصنام ، وذكر الإمام الباقر (عليه السلام) بأنّ الأنداد هم أئمة الظلم وأشياعهم[5]، فضلا عن ذلك فإنّ السياق يبيّن أنّ الأنداد ليسوا بالأصنام ، لأنّ الكلام اللاحق يوضّح ذلك في قوله تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) ، فهذه الآية تشير إلى أنّ المؤمنين يحبون الله من دون سواه ، وسواه لا يمكن أن يكون صنما ، لأنّ المؤمنين لا يمكن أن يحبّوا الأصنام ، وبذلك فلا تصح المقارنة أو المقابلة بين حبّ الله سبحانه وحبّ الأصنام .

١- ينظر : جواهر البلاغة : ٢١٤ ، والبلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي : ٩٧ .
٢- المقصود بالتشبيه الواقعي هو ما يتحقق في عالم الواقع بالفعل ، وهناك التشبيه المجازي (التخيلي) الذي لا وجود له في عالم الواقع بقدر ما هو محاولة لإيجاد علاقة مصطنعة .
٣- ينظر : البرهان في علوم القرآن ٣ : ٢٦٥ .
٤- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٢ : ٦٣ ، وإرشاد العقل السليم ١: ١٨٥ .
٥- ينظر : مجمع البيان ١: ٤٩٧ .

ولو أننا وقفنا على معنى لفظ (الأنداد) لوجدنا فيه معنى (النظير أو الشبيه) ، وبهذا يكون المعنى أنّ درجة الحب لله سبحانه متساوية مع ذلك الندّ المتخذ ، وفيه أيضا معنى (الضد) ، فيكون حبهم لهذا الندّ حبّاً لما هو ضدٌّ لله تعالى ، وبذلك فقد أعطى هذا التشبيه دلالات متعددة من خلال مفهوم كلمة (الأنداد) ، وهذه سمة من سمات الإعجاز القرآني .

أما التشبيه الثاني فقد اكتفى بقوله (أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) ولم يقل : أشد حبّاً لله من الناس ، وذلك لجعل إمكانية التفسير والتأويل مفتوحة بحيث يكون المقصود أنّ المؤمن أشدّ حبّا لله تعالى من بعضه الآخر الذي يجعل لله نظيرا في الحبّ أو ضدّا له ، ووصف الحبّ بالأشدّيّة دلالة على الثبات والدوام ، فضلاً عن إخلاصهم العبادة والتعظيم له والثناء عليه مع يقينهم بأنّه المُنعم عليهم والقادر على تدبير أمورهم فتكون عبادتهم عبادة الشاكرين ، وفي المقابل فإنّ هذا الوصف هو تعريض بالمشركين لأنّ حبّهم سطحي لا بقاء له ولا استمرار [١].

والحقيقة أنّ هذين التشبيهين قد أحدثا دلالة المقابلة في مدح المؤمنين الذين يحبّون الله تعالى من دون سواه ، وذمّ المشركين الذين يحبون الأنداد كحبّهم لله ، وذلك من خلال اتساقهما في نسق قرآني مميّز ، والغاية هي إثراء الموعظة للناس ، وزيادة تشويق وثبات على أفضل المتقابلين ، وإن تقبيح أحد المتقابلين يبيّن حسن الآخر .

ويأتي حُبّ الله تعالى متعلقاً بالمقاتلين المشبهين بالبنيان المرصوص في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ الصف : ٤ ، فقد جاءت محبّة الله سبحانه للمقاتلين في سبيله على صيغة التشبيه ، ليكون المعنى أبلغ وأقوى ، فقد شبّه الله سبحانه المقاتلين في ثباتهم وصمودهم أمام الأعداء ، بالبناء المحكم الوثيق الذي صفّتْ حجاراته حتى صار متماسكاً كالسدّ المنيع ، وهو تشبيه فائق الروعة والإبداع [٢]، وإنّ في التشبيه دلالة الإيمان المتمكن في القلوب ، الراسخ في النفوس ، زيادة على معنى الثبات والصمود والشدّة والقوّة . فانظر إلى صفّ المقاتلين المشبّه بالبنيان الذي رصَّ بعضه فوق بعض فأحكمت لبناته ، كي لا تتخللها ثغرة تعيق حال المقاتلين [٣]. وجاء التشبيه القرآني لهؤلاء المقاتلين الصافّين في غاية الروعة والجمال ، والتعبير بأن يكون المؤمنون (كالبنيان المرصوص) أروع تعبير عن الثبات وعدم الانفلات في المعركة ، وقيل هو كناية عن استواء نياتهم واتحاد قلوبهم واجتماع كلمتهم في موالاة الله تعالى ومعاداة أعدائه [٤].

ومن بدائع هذا التشبيه أنّه يصوّر لنا العدوّ بأنّه سيل عارم ومدمّر لا يُسيطر عليه إلاّ من خلال سدٍّ حديدي منيع ومحكم ، فقد أبدع القرآن في تصوير هذا التشبيه فهو في غاية الدقّة والجمال ، فإذا كان الباري عزّ وجلّ يُعلن

١- ينظر : مجمع البيان ١ : ٤٩٨ ، والأمثل ١ : ٣٠٦ .
٢- ينظر الإبداع البياني في القرآن العظيم : ٣٤٨ .
٣- ينظر : الكشّاف ٤ : ٥٢٣ ، وعلى طريق التفسير البياني ١: ٢٠٩ ، والبلاغة فنونها وأفنانها ٢ : ١٠٥ ، والجمان في تشبيهات القرآن : ٣٧٧ .
٤- ينظر : نظم الدرر ٧: ٥٧٣ .

حبّه المجاهدين المتراصّين ، فإنّه سبحانه في الوقت نفسه يُعلن سخطه وغضبه على الجموع المسلمة إذا كانت متمزّقة ومشتّتة [١].

ولعلنا نقف على هذه الآية ونسأل أنفسنا لِمَ ورد هذا التشبيه بهذه الصورة ، ألا يمكن الاكتفاء بقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ ﴾ ، ألا نلاحظ أنّ المعنى قد تمّ وبان المراد من أنّ الله سبحانه يحبّ المقاتلين في سبيله ، ومحبة الله تكفي المقاتلين وغيرهم وتجعلهم مطمئنين لأمر الله تعالى ، ولكن البيان القرآني أروع وأسمى من أن يقدّم هذا الإخبار المجرد ، بل جاء التشبيه ليعزز ويقوي تلك المحبّة ، ويرغّب النفس في ذلك الأمر المقرر وهو القتال ، وهو أمر فيه كُرهٌ ومشقّة وشدّة ، وجاء في قوله تعالى ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم** ﴾ .

وجاء تشبيه العدوّ بالوليّ الحميم لتصوّر وتبيّن حالة دفع المؤمن السيئة بالحسنة في قوله تعالى ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ فصلت : ٣٤، فهذه الآية جاءت ليتحلّى المسلمون بآداب الإسلام ، فالحسنة هي المُداراة ، والسيئة هي الغلظة ، أي دارِ القوم بلين ورفق ولطف ، ولا تغلظ عليهم حتى كأنّ عدوّك الذي يُعاديك في الدين يكون بصورة وليّك الحميم ووديك المصافي من حسن معاشرتك ولطفك وبشرك له ، فجاء التشبيه معبّراً عن زوال العداوة ومخالطة شوائب المحبّة ، فوجه الشبه هو المصافاة والمقاربة ، وهو معنى متفاوت الأحوال ، على اختلاف تأثّر النفس بالإحسان وقوّة العداوة قبل الإحسان ، ولا يبلغ مبلغ المشبّه به إذ من النادر أن يصير العدوّ وليّاً حميماً ، فإنّ صاره فهو لعوارض غير داخلة تحت معنى الإسراع الذي آذنت به (إذا) الفجائية ، والعداوة التي بين المشركين وبين النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) عداوة الدين[٢]، وقال ابن عطيّة : " إنّه أدخل كاف التشبيه لأنّ الذي عنده عداوة لا يعود وليّاً حميماً ، وإنّما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الوليّ الحميم ، أي إذا فعلت ما أُمرتَ به صار عدوّك المُشاق مثل الوليّ الشفيق "[٣]، وللمفسّر الرازي رأي مخالف لهذا القول إذ يرى أنّك " إذا قابلت إساءتهم بالإحسان ، وأفعالهم القبيحة بالأفعال الحسنة تركوا أفعالهم وانقلبوا من العداوة إلى المحبّة ومن البغضة إلى المودّة "[٤]، ويؤيد ذلك ما ذكره البقاعي من أنّ العداوة العظيمة التي ملأت جوفه تتحول إلى قرب في غايته ، إذ لا يدع مهمّاً إلاّ قضاه وسهّله ويسّره[٥]، ويقول الآلوسي : " ولعلّ ذلك من باب الاكتفاء بأقلّ اللازم وهذا بالنظر إلى الغالب ، وإلاّ فقد تزول العداوة بالكليّة "[٦] .

١- ينظر : الأمثل ١٨ : ١٨٢ .
٢- التحرير والتنوير ٢٤: ٢٩٣ .
٣- ينظر : المحرر والوجيز ٥: ١٦ .
٤- مفاتيح الغيب ٢٧: ١١٦ .
٥- ينظر : نظم الدرر ٦ : ٥٧٣.
٦- روح المعاني ٢٤ : ١٨٩ .

وفائدة التشبيه هو بيان للآثار الجميلة التي تترتّب على الدفع ونتيجتها ، إذ أنّك إن دفعت بالتي هي أحسن فاجأكَ أنّ عدوّك صار كأنّه وليٌّ حميمٌ ، كما أنّ التعبير بقوله (الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ) أبلغ من (عدّوك) مع اختصاره ، فآثر الأوّل لشدّة العداوة وقوّتها وتمكّنها في قلبه ، فكانت نتيجة دفع السيئة بالحسنة زوال الأحقاد والعداوات من الداخل ويحلُّ محلّها المحبّة والمودّة والمصافاة .

ويأتي تشبيه حال المنافقين بحال المؤمنين في قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ النساء : ٧٣ ، الخطاب هنا لعسكر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلّم) ولاسيّما المبطئون منهم المنافقون ، وذَكَرَ المودّة هنا لأنّ المنافقين كانوا يبالغون في إظهار الودّ والشفقة والنصيحة للمؤمنين ، فشبّه حالهم في حين هذا القول بحال من لم تسبق بينه وبين المخاطبين مودّة حقيقية أو صوريّة ، فاقتضى التشبيه أنّه كان بينه وبينهم مودّة من قبل هذا القول ، ووجه هذا التشبيه أنّه لمّا تمنى أن لو كان معهم وتحسّر على فوات فوزه لو حضر معهم ، كان حاله في تفريطه رفقتهم يشبه حال من لم يكن له اتصال بهم إذ لا يشهد ما أزمعوا عليه من الخروج للجهاد ، فهذا التشبيه مسوق في زيادة ندمه وحسرته والتنبيه على ضعف عقيدته ، أي أنّه الذي أضاع على نفسه الانتفاع بما حصل لرفقته من الخير ، وأنّه قد كان له من الخلطة مع الغانمين ما شأنه أن يكون سبباً في خروجه معهم وانتفاعه بثواب النصر وفخره ، ولأسعدَ مثل ما سُعدوا به من نعمة الغنيمة [1].

والجملة التشبيهيّة حال من ضمير (ليقولنّ) أي ليقولنّ مُشبَّهاً بمن لا مودّة بينكم وبينه ، وقيل هي كلام المُبطئ يقول لمن يثبطه من المنافقين وضَعَفة المؤمنين كأن لم تكن بينكم وبين محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) مودّة إذ لم يستصحبكم معه في الغزو حتى تفوزوا بما فاز به ، وسيق هذا التشبيه وغرضه إلقاء العداوة بينهم[2] .

وفي موضع آخر يرد التشبيه ليصور حال المرتدّ كالمتحيّر في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام : ٧١ ، جاء التشبيه في قوله (كالذي استهوته الشياطين) ليبين به حال الإنسان المتحيّر الذي لم يؤتَ بصيرة في أمره وعزيمة راسخة على سعادته فترك أحسن طريق وأقومه إلى مقصده ، وقد ركبه قبله أصحاب له مهتدون به وبقي متحيراً بين شياطين يدعونه إلى الردى والهلاك ، وأصحاب مهتدون قد نزلوا في منازلهم أو أشرفوا على الوصول إلى الهدى أن ائتنا فلا

١- ينظر : الكشّاف ١: ٥٦٥، والتحرير والتنوير ٥:١٢٠ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢: ٨٣ ، والميزان ٤: ٤٣٠ .
٢- ينظر : إرشاد العقل السليم ٢: ٢٠٠ ، وروح المعاني ٦: ١٨٣ - ١٨٤ .

يدري مـا يفعل وهو بين مهبط ومستوى [١]، إذ إنّ لفظ (الاستهواء) لفظ مصور بذاته لمدلوله ، فيا ليت المرتدّ يتبع هذا الاستهواء في اتجاهه ، فيكون له اتجاه صاحب القصد الموحد ولو في طريق الضلال ، ولكن هناك من الجانب الآخر أصحاب له مهتدون يدعونه إلى الهدى ، وهو بين هذا الاستهواء وهذا الدعاء حيران لا يدري أين يتّجه ، وبذلك يتبين العذاب النفسي الذي يرتسم ويتحرك على محياه ، حتى يكاد يُحسّ ويُلمس من خلال التعبير ، فهو مشهد شاخص متحرك للضلالة والحيرة التي تنتاب من يُشرك بعد التوحيد [٢] .

وهذا التشبيه التمثيلي في غاية الحسن والروعة إذا كان يحمل معنى النزول من الموضع العالي إلى الوهدة العميقة ، وذلك أنّ الذي يهوي من المكان العالي إلى الوهدة العميقة يهوي إليها مع الاستدارة على نفسه ، لأنّ الحَجَر كان حال نزوله من الأعلى إلى الأسفل ينزل على الاستدارة ، وذلك يوجب كمال التردد والتحيّر ، فعند نزوله من الأعلى إلى الأسفل لا يعرف أنه يسقط على موضع يزداد فيه بلاؤه بسبب السقوط أو يقل ، ولا تجد للحائر الخائف أكمل ولا أحسن من هذا المثل[٣] .

ويأتي تشبيه حال كراهة بعض المؤمنين توزيع الأنفال بحال كراهتم القتال في قوله تعالى ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾ الأنفال : ٥، تضمنت الآية تشبيه حال حاضرة بحال ماضية ، والكاف هنا شبّهت هذه القصّة التي هي إخراجه من بيته بالقصّة المتقدّمة التي هي سؤالهم عن الأنفال ، كأنّهم سألوا عن النفل وتشاجروا فأخرج الله ذلك عنهم ، فكانت فيه الخيرة كما كرهوا في هذه القصّة انبعاث النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) فأخرجه من بيته فكانت في ذلك الخيرة ، "فتشاجرهم في النفل بمثابة كراهيتهم هاهنا الخروج ، وحكم الله في النفل بأنّه لله والرسول من دونهم هو بمثابة إخراجه نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلّم) من بيته ، ثمّ كانت الخيرة في القصتين فيما صنع الله تعالى"[٤] .

والكاف كما ذكرنا للتشبيه وهي خبر لمبتدأ محذوف هو المشبّه ، وما بعدها هو المشبّه به والتقدير : هذا الحال كحال إخراجك ، ووجه الشبه مطلق الكراهة ، أي إنّ حال بعض المسلمين في بدر في كراهة قسمة الغنيمة بالسويّة بينهم ، مثل حال فريق منهم في كراهة الخروج للقتال ، وما ترتّب على ذلك من خير للمؤمنين[٥]، وكانت الغاية من ذكر هذا التشبيه هو تقريب الصورة للمخاطب بأنّ أمر الله تعالى هو النافذ ولا شكّ أنّ فيه خيراً للمسلمين ، زيادة على ذلك فإنّ في التشبيه إشارة إلى تقوية الإيمان بالله .

١- ينظر : الميزان ٧: ١٤٩ .
٢- ينظر : في ظلال القرآن ٢ : ١١٣١ .
٣- ينظر : البحر المحيط : ٥ : ١٧٨ ، مفاتيح الغيب ١٣: ٢٦ .
٤- المحرر والوجيز ٢: ٥٠٢ .
٥- ينظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ١ : ٤٦ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣ : ٥٠ .

في محيط الاســـتعارة :

الاستعارة هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه ، والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي ، فالاستعارة ليست إلاّ تشبيهاً مختصراً ، ولكنها أبلغ منه ، فأصل الاستعارة تشبيه حُذف أحد طرفيه ، ووجه الشبه ، وأداته ، ولكنها أبلغ منه ، لأن التشبيه مهما تناهى في المبالغة ، فلا بدّ فيه من ذكر المشبّه والمشبه به ، وأن العلاقة ليست إلاّ التشابه والتداني ، فلا تصل إلى حدّ الاتحاد ، بخلاف الاستعارة ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج ، وأنّ المشبّه والمشبّه بـه صار معنى واحداً ، يصدق

عليها لفظ واحد، فالاستعارة (مجاز لغوي) لا عقلي ، علاقته المشابهة [١]، ومن أهم خصائص الاستعارة تجسيد المعنويات وتشخيص المجردات ، وخلع الحياة على ما لا حياة فيه ، فتصبح المعنويات والأمور المجردّة شاخصة أمام الأعين ، ويصير فاقد الحياة بالاستعارة حيّاً متحركاً ، وإنّها تبرز المعاني في صور مستجدّة ، وتحول بذلك بينها وبين التكرار الممقوت ، فهي نوع من الإيجاز تعطي الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، وإنّها تُخرج الأشياء في صور غير صورها وتمنحها من الصفات ما ليس لها فقد ترى من خلالها المعاني المخبوءة في العقل ماثلة أمامك [٢].

فقد وردت الاستعارة في القرآن الكريم وكانت عنصراً من عناصر الكمال والجمال فيه ، وهي وسيلة من الوسائل المهمّة في أداء المعاني والأغراض الدينيّة والتربوية المختلفة ، فهي من أجمل أساليب البيان تصويراً للوقائع والأحوال ، وأكملها تأدية للمعنى ، وأكثرها تأثيراً في المتلقي ، وأدقّها تعبيراً ، وقد ذكر أحد الدارسين[٣] خصائصها في الاستعمال القرآني فهي ليست مقصودة لذاتها ، بل جاءت لتؤدّي أغراضاً معنويّة وفكريّة كثيرة ، وقد تميزت بحسن التصوير وبراعة الأداء . وكان لألفاظ المحبّة والكراهة نصيب في التعبير الاستعاري فجاءت هذه الألفاظ في سياقات ذلك التعبير لتصوّر حالة المحبّة وعمقها أو حالة الكراهة وشدّتها ، ولنا أن نستجلي بعض تلك الاستعارات .

وردت استعارة إلقاء المحبّة للعناية والرعاية الإلهية الشديدة في قوله تعالى ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ طه:٣٩ ، ففي الآية استعارة بديعة ، مثّل لشدّة الرعاية ، وفَرْطِ الحفظ والعناية ، بمن يصنع شيئاً بمرأى من المحبوب الناظر له ، وكأنه يرعاه بعينه ، ويرقبُه بنظره ، لأنّ الحافظ للشيء يديم النظر إليه ، فمثَّلَ له بصورة من يُصنع على عين الآخر ، والمعنى زرعتُ محبّتك في القلوب ، بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ، حتى أحبّك فرعون ولتكون في حفظي وكلأي ورعايتي [٤].

فهي استعارة تخييليّة كما يراها بعض الدارسين ، ومعنى إلقاء المحبّة منه عليه أنّه يُحبّه كلّ من يراه ، فكأنّ المحبّة الإلهيّة استقرّت عليه ، فلا يقع عليه نظر ناظر إلاّ تعلّقت المحبّة بقلبه وجذبته إلى موسى وفي وصف

١- ينظر : تلخيص المفتاح للقزويني : ١٥١ ، وعلم البيان ، عبد العزيز عتيق : ١٦٧ ، والبلاغة العربية – مقدمة وتطبيقات - : ٢٥٤ ، وجواهر البلاغة : ٢٦٤ ، ودراسات بلاغية : ١١٠ .
٢- ينظر : علم البيان ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود : ١٨٨ ، وفنون التصوير البياني : ١٩٧ .
٣- ينظر : والبلاغة العربية – مقدمة وتطبيقات - : ٢٥٤ .
٤- ينظر : الإبداع البياني في القرآن العظيم : ١٩٨-١٩٩ .

المحبّة بأنّها من الله للدلالة على أنها محبّة خارقة للعادة لعدم ابتداء أسباب المحبّة العرفيّة من الإلف والانتفاع، وفي تنكير لفظ المحبّة إشارة إلى فخامتها وغرابة أمره[١] .

ووردت الاستعارة في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ الأنفال :٧ ، لقد ارتبطت الاستعارة (ذات الشوكة) التي أعيرت عن (الحرب أو القتال) بلفظة (الود) المعبرة عن المحبّة العظيمة للشيء ، ولذلك كان من الأبين أن نقف عليها لنستشف منها ما الشيء الذي عبّر عنه القرآن بالود دون الحبّ ، فإذا كان الودّ هو البيان الفعلي للحبّ ، فهو أعمق من الحب ، وينطوي على حالة نفسية عميقة ، فكان ذلك التعبير أدقّ في سياق الآية التي تعبّر عن حالة بعض المؤمنين الذين ودّوا حالة دون أخرى .

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن الأنفال ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ... ﴾ الأنفال:١ ، وهذا السؤال جاء من خلال معركة بدر وغنائمها التي اختلفوا فيها بعد أن كان فريق منهم قد كره الخروج للقتال لقلّتهم وعدم استعدادهم للحرب ، وشاع عند العرب استعارة الشوكة للبأس ، وقد أعيرت هذه اللفظة لتعبر عن القتال وحالته ، فالشوكة هي نبتة ذات أطراف حادة تنغرز في القدم أو الساق وتسبب الأذى أو الجرح ، ولفظة (ذات الشوكة) تصرّف قرآني دقيق للتعبير عن شدة القتال والأذى المتحصل منه ، وبذا فقد خلع صفة شيء مادي على صفة معنوية وهي شدة الحرب ، وعلى صفة جسمية وهي الأذى أو الجرح أو الموت المواكب للقتال [٢]، وهذا التعبير يحملُ في نفسه معنى لطيفاً ؛ لأنّ الشوكة ترمز إلى القدرة وتعني الشدّة ، وأصلها مأخوذ من الشوك ، ثمّ استُعملت في نصول الرماح ، ثمّ أطلق هذا الاستعمال توسعاً على كل نوع من الاستعمال ، ولمّا كان السلاح يمثّل القوّة والقدرة والشدّة فقد عُبّرَ عنه بالشوكة والشوك والشكّة[٣]، وجاء في الكشاف "أنّ الشوكة هي الحدّة مستعار من واحد الشوك" [٤].

وبهذا فإن تمني الحالة الأسهل التي تبعث على الارتياح وهي الحصول على الغنيمة من دون عناء كان هو حال بعض المسلمين آنذاك ، وقد عبّر القرآن عن حالهم بتمني الحالة الأسهل دون الأصعب وهو القتال بلفظ (ذات الشوكة) التي لها انعكاسات نفسية على الإنسان فيما إذا أراد الحصول على مبتغاه بعناء ومشقّة ، فذاك يكون أثبت من حصوله عليه بسهولة ويسر ، وبهذا كانت لفظة (ذات الشوكة) رمزا يعبّر عن شدائد الأشياء ، والصورة التي يرسمها القرآن هنا جديرة بأن تجعل المسلم يتواضع أمام اعتقاده في مواجهة الواقع .

١- ينظر : الميزان ١٤ : ١٤٩ ــ ١٥٠ ، والتحرير والتنوير ١٦: ٢١٧ .
٢- ينظر : الصناعتين : ٢٤٥ ، وينظر : الإبداع البياني في القرآن العظيم : ١٠٧ ، البلاغة فنونها وأفنانها ٢: ٢٥٧ .
٣- ينظر : معاني القرآن للزجاج ٢ : ٤٤٤ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٤٧٠ .
٤- الكشاف ٢ : ١٨٩ ، وينظر : التحرير والتنوير ٩: ٢٧٠ .

ونلمس الاستعارة أيضاً في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة : ٩٣ ، فقد شبّه حبَّ العجل بشراب لذيذ سائغ الطعم ، دخل قلوبهم ، ونفذ فيها نفوذ الماء ، فتمكّن فيها ، ومازجها ممازجة المشروب اللذيذ ، وطوى ذكر المشبّه به على طريقة الاستعارة المكنية[١]، ولو كان التعبير القرآني غير هذا التعبير ، كأن يقول : أحبوا عبادة العجل وفضلوه عن عبادة الله سبحانه ، أو اشتدّت محبتهم للعجل وغلبت على قلوبهم ، لما تبيّن مزيَّة تمكّن حبّ العجل ومعناه لدى هؤلاء وتركهم عبادة الله [٢].

الإشراب هو جعل الشيء شارباً ، واستعير لجعل الشيء متصلاً بشيء وداخلاً فيه ، واستعمل على وجه التجوز في خلط لون بأخر كأن أحد اللونين سقى الآخر ، يقال : فلان أشرب قلبه حبّ كذا بمعنى خالط حبه قلبه، ووجه الشبه هو شدة الاتصال والسريان ، لأنّ الماء أسرى الأجسام في غيره ، فلذلك استعاروا الإشراب لشدة التداخل ، وقد اشتهر المعنى المجازي في ذلك فهجر استعمال الإشراب بمعنى السقي ، وإنّ ذكر القلوب قرينة على أنّ إشراب العجل على تقدير مضاف من شأن القلب ، مثل عبادة العجل أو تأليهه ، وإنّما جعل حبّهم العجل إشراباً لهم للإشارة إلى أنّه بلغ حبّهم العجل مبلغ الأمر الذي لا اختيار لهم فيه كأنّ غيرهم أشربهم إيّاه ، كقولهم أُولِع بكذا وشُغِف به[٣].

وفي هذه الاستعارة وجهان ، الأول : معناه تَدَاخَلهم حبّه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب ، وقوله (فِي قُلُوبِهِمُ) بيان لمكان الإشراب ،والثاني : كما أنّ الشرب مادة لحياة ما تخرجه الأرض ، فكذا تلك المحبة كانت مادة لجميع ما صدر عنهم من الأفعال بدليل قوله (بِكُفْرِهِمْ) فهذا يدلّ أن محبّتهم للعجل ناشئة عن كفر سابق ، وجحود متأصل فكفرهم الذي ترتب على عبادتهم للعجل ، قد سبقه كفر آخر ، فهو كفر على كفر[٤].

ومن حُسن الاستعارة ما ورد من استعارة الإهواء للإسراع في المحبّة في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ إبراهيم:٣٧ ، أي تُحبّهم وتُحبّ الموضع الذي هم ساكنون فيه ، وقيل : الهويّ في اللغة : النزول من علوٍّ إلى انخفاض[٥]، كما نقول : هوى النجم ، فانظر كيف يكون النزول وبأيّة سرعة ، وقد استعير لفظ (تهوي) للإسراع بالمجيء ، وقد جعل الإسراع كناية عن المحبّة والشوق إلى زيارتهم ، أي تسرع إليهم شوقاً ، وتطير لهم

١- ينظر : الإبداع البياني في القرآن العظيم : ٣٢
٢- ينظر : دلائل الإعجاز : ٤٢٧ ، ٥٢١ ، والإبداع البياني في القرآن العظيم : ٣٢ .
٣- ينظر : التحرير والتنوير ١: ٦١١ .
٤- ينظر : مفاتيح الغيب ٣: ١٠٣ .
٥- ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٨٤٩ .

حبّاً ، ولـو قيل- مثـلا – في غير القرآن (تحنّ إليهم) لما كان هذا التصوير الرائع ، لأنّ الحنين قد يكون في المقيم بالمكان ، ثمّ قـال (من الناس) ولم يقل : أفئدة الناس ، لأنّ (من) للتبعيض ، أي قلوب بعض الناس ، ولو قال (أفئدة الناس) لازدحمت عليه جميع الخلق ، ولم يكن هذا هو المراد ، وإنما الخلّص من العباد [١]. وفي هذا التعبير رقّة ورفرفة ، تُصوّر القلوب رفرافة مجنّحة وهي تهوي إلى ذلك البيت وأهله في ذلك الوادي الجديب ، إنّه تعبير نديّ يندِّي الجدب برقّة القلوب ، وكانت محبّة الناس إيّاهم يحصل معها محبّة البلد وتكرير زيارته ، وذلك سبب لاستئناسهم به ورغبتهم في إقامة شعائره[٢] .

في محيط التشخيص :

يُعرّف التشخيص بأنّه "خلع الحياة على الجمادات والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية وجعلها تتصف بالصفات الإنسانية ، وهو طريقة من طرائق التصوير ، ترد الصورة حيّة ، وتمنح الجوامد والخواطر شخصية آدمية أوقع في الحسّ وأجمل في النفس" [٣]،وهو لون من ألوان التخييل الذي هو " القدرة على تكوين صور ذهنية لأشياء

١- ينظر : الكشّاف ٢: ٥٢٤ ، والإبداع البياني في القرآن العظيم : ١٦٢ – ١٦٣ .
٢- ينظر : في ظلال القرآن ٤: ٢١١٠ ، والتحرير والتنوير ٣ : ٢٤١ .
٣- التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب :٧٨ ، وينظر : مشاهد القيامة : ١١٢ .

غابت من عالم الحسّ ، فتُعيد تشكيل المدركات ، وتبني منها عالماً متميزاً في جدّته وتركيبه ، وتجمع بين الأشياء المتنافرة والعناصر المتباعدة في علاقات فريدة ، تُذيب التنافر والتباعد وتخلق الانسجام والوحدة " [١].

وكان حظّ هذا الفنّ البلاغي في سياقات ألفاظ المحبّة والكراهة حظاً يسيراً ، منها قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فصلت : ١١ ، وهاتان هما الأرض والسماء عاقلتين ، يوجه إليهما الخطاب فتسرعان الجواب ، والخيال شاخص إليهما تدعيان وتجيبان الدعاء [٢]، إذ إنّ في التعبير المعجز تصويرا يقوم على تشبيه الأرض والسماء بالإنسان العاقل المأمور المطيع الذي لا يتأتى منه العصيان لكمال هيبته من الأمر ،وإنّ هذا التشبيه تصوير لاقتداره سبحانه وأنّ هذه الأجرام العظيمة من السماوات والأرض تابعة لإرادته تعالى إيجادا وعدما ولمشيئته فيها تغييرا وتبديلا وإنّ الخطاب الموجه للأرض والسماء يبرزهما عقلاء مميزين قد عرفوا الله جلّ شأنه حق معرفته وأحاطوا علما بوجوب الانقياد لأمره والإذعان لحكمه[٣] .

وورد أيضاً لإضفاء حالة الشهيق وحالة الغضب الممزوج بالحقد والكره على النار في قوله تعالى ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ الملك ٧ – ٨ ، التميّز هو التقطّع والتفرّق ، والغيظ هو شدّة الغضب ، ومعنى الآية أنّه إذا طُرح الكفّار في جهنّم سمعوا لها شهيقاً ، أي تجذبهم إلى داخلها كما يجذب الهواء الشهيق إلى داخل الصدر ، وهي تغلي بهم فترفعهم وتخفضهم تكاد تتلاشى من شدّة الغضب[٤]فهذا هو وصفها وشدّة هيجانها واضطرابها وانزعاجها والتهامها لهم ، إنّها نار ذات حرارة عالية جدّاً ، حارقة محتدمة مزدجرة ، يذوب ويتلاشى ما يقع فيها ، هكذا هو حال جهنّم مركز الغضب الإلهي ، وإنّ الغيظ والزفير والشهيق من صفات الإنسان ، إذ الغيظ أشد الغضب ، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه ، ويكون هذا الغيظ مصحوبا بصوت الزفير والشهيق ، وقد أثبت لجهنم الغيظ المصحوب بالشهيق ، فهي تكاد أن تتقطع من شدّة الغيظ ، وقد ثبت لها ذلك عندما ألقوا فيها ، وكأن الشهيق الذي هو ردّ النفس وابتلاعه أشبه بحال إلقائهم في جوفها وابتلاعها إياهم[٥]، فحال جهنّم كحال المغتاظ تتفرّق وتتقطّع من شدّتها ، وسمّى شدّتها والتهابها غيظاً لأنّ المغتاظ هو المتقطّع بما يجد من الألم على الإيقاع لغيره ، وبهذا فقد شُبّهت جهنّم من جانب شدّة بُغضها وحقدها وكراهتها للمعذبين فيها ، وهي تغلي بهم بالإنسان المغتاظ اغتياظاً شديداً ممزوجاً بالحقد والانتقام ، وهذا التشخيص قد منح مشهد كراهية جهنّم وبغضها حياة وحركة ، فقد مُنِحت جهنّم شخصيّة آدميّة لها انفعالات وجدانيّة وخلجات عاطفيّة ، فهي تشهق شهيق الباكين ، وتغضب غضب الثائرين ،

١- الصورة الفنيّة ، جابر عصفور : ١٧ .
٢- ينظر : التصوير الفني في القرآن ، د. جبير صالح حمادي : ١٢١ .
٣- ينظر : أسلوب النداء في القرآن الكريم : ٧٧ .
٤- ينظر : الميزان ١٩: ٣٦٨ .
٥- ينظر : من بلاغة النظم القرآني : ٢٨٢ .

وتمتلك نَفَساً حادّ الشعور[١] ، وهذا التصوير القرآني يقرر حقيقة أنّ جهنّم هي خليقة من خلائق الله تعالى تعرف ربّها ، وتُسبّح بحمده ، وتدهش حين ترى الإنسان يكفر بخالقه ، وتتغيّظ لهذا الجمود الفكري الذي تتكره فطرتها ، وتنفر منه روحها [٢]. وشبيه بهذا الوصف قوله تعالى﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ الفرقان: ١٢ .

الحقيقة أنّ هناك أبعاداً نفسية ينطوي عليها هذا التعبير ، فإنّ القرآن الكريم يخاطب الغرائز الإنسانية ، فالغيظ والغضب حين أضافها التعبير إلى النار استثار في النفوس تلك المعاني النفسية المترتبة عليها ، سواء أكان ذلك ممّا له علاقة بالحقد ، أم التهيؤ للانتقام ، فيكفل هذا التعبير بتشخيص الصورة [٣].

في محيط الكناية :

الكناية هي لفظ أُريد به غير معناه الذي وضع له ، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته [٤]، وعرّفها الجرجاني بأنّها " أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ، ويجعله دليلا عليه "[٥]، وترجع بلاغة

١- ينظر : التبيان في تفسير القرآن ١٠: ٦٣ ، وأساليب البيان في القرآن : ٦٦٥ ، وألفاظ العذاب في القرآن الكريم : ١٠٧ .
٢- ينظر : في ظلال القرآن ٦ : ٣٦٣٥ .
٣- ينظر : التعبير القرآني والدلالة النفسية : ٣٩٢ .
٤- الإيضاح في علوم البلاغة ٢ : ٣١٨ ، وينظر :علم البيان ، د.عبد العزيز عتيق : ٢٠٣ ، وجواهر البلاغة : ٢٩٥ .
٥- دلائل الإعجاز : ١٠٥ .

الكناية إلى أنّ المعنى بها يجيء مصحوباً بدليله فيكون أقوى تأثيراً وأشدّ إقناعاً ، ولذا قالوا : الكناية أبلغ من التصريح ، أي أنّك تزيد في إثبات المعنى فتجعله أبلغ وآكد وأشدّ وأقوى وأبين[١].

والحقيقة أنّ الكناية من التعبيرات البيانيّة الغنيّة بالاعتبارات والمزايا والمقاصد فهي تضفي على المعنى جمالاً ورونقاً وتزيده قوّة وتأكيداً ، ومن تلك المزايا والمقاصد إفادة المبالغة في المعنى عن طريق إبراز اللوازم والتوابع المُعبَّر بها عن المُكنّى عنه ، فهي بمثابة الأدلّة والبراهين على تحقيق المعنى وإثباته ، وإنّها تُجسّد المعاني وتبرزها في صور محسوسة تزخر بالحياة والحركة فيكون ذلك أدعى لتأكيدها ورسوخها في النفس ، ويُستطاع بها أيضاً التعبير عن المعاني غير المستحسنة بألفاظ لا يرفضها الذوق العام ، ويُستطاع بها التعمية والتغطية وإخفاء ما يودّ المتكلّم إخفاءه حرصاً على المُكنّى عنه ، وتُساعد في تفخيم المعنى في نفوس السامعين[٢]. ومن خلال هذا البيان لمفهوم وبلاغة الكناية يمكننا استجلاء بعض تلك الكنايات المتعلقّة بألفاظ المحبّة والكراهة .

لقد كثُرت الكنايات في النظم القرآني فجاءت على صور عدّة ، ومن أمثلة الإبداع الفني في تناول الكنايات المتعلّقة بسياق ألفاظ المحبّة والكراهة ما ورد في قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ الحجرات : ١٢، إنّ هذا الصورة تُبيّن قبح الاغتياب وإثمه العظيم ، وجاء النهي عنه في تعبير عجيب أبدعه القرآن إبداعاً ، فعرض هذا المشهد الذي تتأذّى منه أشدّ النفوس كثافة وأقلّ الأرواح حساسيّة ، ولتقبيح أمر الغيبة فقد جسّدها القرآن على شكل صورة كنائيّة بليغة ، فهذه كرامة الأخ المسلم وسمعته كلحم جسده ، وابتذال ماء وجهه بسبب اغتيابه وإفشاء أسراره الخفيّة كمثل أكل لحمه ، وهي تمثيل وتصوير لما يناله المُغتاب من عرض المغتاب على أفضع وجه وأفحشه[٣] ، فقد مثّل للغيبة بصورة فضيعة شنيعة ، صورة إنسان نبش قبر ميت ، وجلس يأكل لحمه ، واللحم نَيْءٌ ، إنّه لحم إنسان وليس لحم شاة أو بقر ، وهو لحم أخيه المسلم ، وليس لحم عدوّ كافر ، فانظر كيف ترى هذا التمثيل ، إنّه تمثيل قبيح فضيع ، يقطع أعناق المغتابين ، جاء على شكل مبالغات عدّة عظيمة وشنيعة ينفر منها الطبع السليم [٤].

وهذا التصوير إشارة إلى أنّ عِرض الإنسان كَدَمِهِ ولَحْمِهِ ، لأنّ الإنسان يتألّم قلبه من قرض العرض كما يتألّم جسمه من قطع اللحم ، ولأنّ عرض الإنسان أشرف من لحمه ودمه فلمّا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض أعراضهم ، ويدلّ أيضاً على أنّ الاغتياب مثل الجَرَب الذي يأكل اللحم ، فإنّه يُذهب بالإيمان

١- ينظر : دلائل الإعجاز : ١٠٩ ، ومن بلاغة النظم القرآني : ٣٠٣ .
٢- ينظر : علم البيان ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود : ٢١٧ – ٢٢١ .
٣- ينظر : الكشاف ٤: ٣٧٦ ، وتصحيح الفصيح : ١٤٧ ، وفي ظلال القرآن ٦: ٣٣٤٧ .
٤- ينظر : الأمالي النحوية ١ : ٩٢ ، والإبداع البياني في القرآن العظيم : ٣١٤ ، والتصوير الفني في القرآن : ٦٩ ، والتفسير البياني للقرآن الكريم لمحمود البستاني ٤ : ٣٣١ ، والتقديم والتأخير في القرآن الكريم بلاغة وإبلاغ : ٩٣ .

بسرعة ، وإنّه إشارة والتفات إلى تضمينه البواعث والدوافع التي تؤدّي إليه مثل الحسد البخل والأنانية والتكبّر وغيرها من الصفات الذميمة والقبيحة ، لذلك كان ذكره بهذه الصورة إشارة وتنبيهاً للكفّ عن بواعثه ودوافعه ابتداءً .

وإسناد الفعل إلى (أحدكم) فيه إشعار بأنّ أحداً لا يحبّ ذلك ، ولم يقتصر على تمثيل الاعتبار بأكل لحم الإنسان حتى جعله (أخاً) ، ولم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله (ميتاً) ، وهذه مبالغات عظيمة ، ومنها أنّ المغتاب غائب ، وهو لا يقدر على الدفع لما قيل فيه ، فهو كالميت (١).

والذي يلحظ أنّ هذه الصورة التمثيلية ابتدأت بصيغة الاستفهام الإنكاري لمحبة الشيء ، فإنّ الإنسان في طبعه السقيم يرى أنّ إظهار عيوب الآخرين واغتيابهم ، هو من الأشياء المحبوبة لديه لإبراز الجانب السلبي لديهم والعكس مشعرٌ ببيان الجانب الإيجابي عنده ، والإنكار يدلّ على كراهية الطبع السليم لذلك ، زيادة على تصريح القرآن الكريم بكراهية مثل هذه الحالة ، وقيل هو استفهام تقريري ، أي إنّه من الأمور المُسّلمة أنّ كلّ إنسان يكره أكل لحم أخيه حيّاً فضلاً عن أكله ميتاً (٢) .

يذكر العلوي (ت ٧٤٩ هـ) إنّ هذه الآية قد اشتملت على نكت بلاغية متعددة ، كلها دالة على حسن المطابقة لمقصد الكناية التي وقعت من أجله ، ولعلّنا نقف على تلك النكت لبيان حقيقة الكناية ومتلازماتها ، أما الكناية فتمثلت بتصوير حالة المغتاب وهو يأكل لحم أخيه الميت ، فيا لها من صورة مقززة للطبع السليم ، ومروعة للنفس القويمة ، وكان هذا المبتغى من الآية من أن تصور الحالة بهذا الشكل كي تنفر منها النفوس ، وتشمئزُّ منها القلوب ، أمّا النكت التي بينها العلوي (٣) فابتدأت بذكر المحبّة للشيء فقال تعالى (أيحبّ أحدكم) ، إنّما جعله محبوباً لما جبلت عليه النفوس ومالت إليه الأهواء ، من الإسراع إلى الغيبة والإصغاء إلى من يتحدّث بها ، مع ما فيها من الحظر ووعيد الشرع ، فلهذا صدّرها بالمحبة ، وإنّه قد أتى بها بلفظ المحبة ، ولم يجيء بلفظ الإرادة ، دالاً بذلك على موقعها في النفوس وتطلّع الخواطر إليها ، ولفظ الإرادة يعطي هذا المعنى ، ولا يتمكّن في الأفئدة تمكن المحبة فلهذا آثره (٤) .

أما النكتة الثانية فقد بيّنت أنّ الغيبة بمثابة أكل لحم الأخ ، فقال تعالى (أن يأكل لحم أخيه) ،فجعل الغيبة بمنزلة أكل الإنسان لحم غيره ، لما في ذلك من شدّة الملائمة للمعنى ، وذلك أن الغيبة إنّما تكون بذكر معايب الناس وبيان مثالبهم وتمزيق أعراضهم ، ولا شكّ في أنّ تمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه ، لأنّ أكل اللحم تقطيع له وتمزيق لأوصاله ، فلذلك كانت المقاربة بين الشوق للغيبة كما هو الشوق والولع لأكل اللحم .

١- ينظر : البرهان في علوم القرآن ٢: ٥٥ .
٢- ينظر : إرشاد العقل السليم ٨: ١٢٢ .
٣- ينظر : الطراز ١: ٢٠٢ – ٢٠٤، وينظر : روح المعاني ٢٥: ٣٨٣ .
٤- ينظر : التصوير الفني في القرآن الكريم – دراسة تحليلية : ٢٠٤ ، وجواهر البلاغة : ٢٩٦ ، وخواطر من تأمّل لغة القرآن الكريم :٦٤ ، ٨٦ .

أما النكتة الثالثة فتمثلت بإضافة اللحم إلى الأخ فقال تعالى (لحم أخيه) ، وبهذا فقد انطوت الإضافة على أن التحريم إنما وقع في غيبة المسلمين وأهل الديانة دون غيرهم ، فلا حرمة لكافر أو فاسق ، زيادة على أنّ أكل لحم الأجنبي مستكره خبيث ، فلا شكّ في أنّ أكل لحم الأخ أوقع في التحريم من غيره ، والغيبة فيه أعظم ، فلذلك أورد اللفظ على جهة المبالغة في المعنى .

أمّا الرابعة فتمثلت بقوله تعالى (ميتاً) ، وينطوي هذا اللفظ على دلالتين ، كون المغتاب غائباً فهو بمنزلة الميت ، فلا يشعر بما وقع فيه من النقص ، ولا يستطيع الدفع لعدم شعوره ، أو أنّ أكل اللحم يكون مستكرها إذا كان هزيلاً ، فكيف به إذا كان ميتة ، فيكون أدخل في التقذير وأعظم في الاستخباث .

أمّا الخامسة فقد اختتمت الآية بقوله تعالى (فكرهتموه) وهذا إخبار لما سبق ، فهو مكروه لا محالة بل في غاية الكراهة ، وهي نتيجة حتمية لمن يتسم عقله بالرجحان وطبعه بالسلامة [١].

ويلحظ أيضاً في هذه الآية أنّه تعالى ابتدأها بلفظ المحبة واختتمها بلفظ الكراهة ، وإن كان لفظ المحبة مصدّر باستفهام يُفهم الإنكارُ منه للحالة اللاحقة ، إلاّ إنّ النفوس والخواطر تميل إلى فعل الغيبة وترى فيه أمراً محبوباً ، ولكنّه تعالى أكّد رفض الحالة بلفظ (فكرهتموه) ونبّه عليها ، فكأنّ هذه اللفظة أشبه بصدمة كهربائية تعيد حالة الاستقرار الصحيّ والنفسيّ . فالقرآن الكريم يرشدنا إلى أنّنا ينبغي أن ننفر من الغيبة كما ننفر من هذه الصورة ، صورة أكل لحم الأخ الميت ، تلك صورة محسوسة لشيء معنوي ، عبّر عنها بهذه الكناية الموحية الهادفة ، وهذه الكنايات مع إيجازها وإيحائها نستشفّ منها المعنى كاملا غير منقوص ، نجدها ذات أدب رفيع ، فهي تعلّم وتهذّب [٢]، إذ إنّ القرآن الكريم عندما يريد تهذيب النفس والارتفاع بمستواها إلى درجة المسؤولية فإنّه يمنع عليها الاغتياب بتكثيف ظلّه بأنْ يعمد إلى صيغة الكناية للتعبير عن هذا الهدف الكبير ، فيصوره تصويراً يدعو إلى اشمئزاز النفوس منه [٣].

ونلحظ أنّه كنّى بالكراهة عن مقاومة الإرادة في قوله تعالى ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ الأنفال : ٨ ، جاءت الكراهة هنا كناية عن لوازمها وهي الاستعداد لمقاومة المُراد من تلك الإرادة ، فإنّ المشركين بكثرة عَددهم وعُدّتهم يريدون إحقاق الباطل ، وإرادة الله تنفذ على الرغم من كراهة المجرمين ، وأمّا مجرد الكراهة فليس صالحاً أن يكون غاية للمبالغة في أحوال نفوذ مراد الله تعالى إحقاق الحقّ ؛ لأنّه إحساس قاصر عن صاحبه ، ولكنّه إذا بعثه على مدافعة الأمر المكروه كانت أسباب المدافعة هي الغاية لنفوذ الأمر المكروه على الكاره [٤].

١- ينظر : الطراز ١: ٢٠٢ – ٢٠٤
٢- ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها ٢ : ٣٠٣ – ٣٠٤ .
٣- ينظر : أصول البيان العربي ، رؤية بلاغية معاصرة : ١١٥ .
٤- ينظر : التحرير والتنوير ٩: ٢٧٣ .

وإنّه كنّى الغيظ بعضّ الأنامل في قوله تعالى ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ آل عمران : ١١٩، لقد تقابلت في هذه الآية صورتان ، صورة الحب وعدمه ، تمثلت الصورة الأولى ببعض المؤمنين الذين يكنون مشاعر الحب تجاه الآخرين الذين تربطهم بهم علاقات صداقة أو جوار أو قرابة ،وهؤلاء يبدون حسن النية دائما ، أمّا الصورة الثانية فتمثلت بصورة المنافقين الذين يبدون أمرا ويخفون آخر ، وكانت هذه الصورة موضحة عدمية الحبّ ممزوجة بالغيظ والحقد والكره ، وهذا حال المنافقين كونهم يظهرون حالة نفسية معينة ويبطنون حالة أخرى ، أي يعيشون حالة ازدواجية مشوبة بالقلق وعدم الاستقرار .

والصورة الكنائية التي نحن بصددها قوله تعالى (عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ) ، فعضّ الأنامل كناية عن شدّة الغيظ والتحسّر، وتعبير عن حالة اللاحبّ النفسيّة الممزوجة بالحقد والكره والغضب والحنق إذ عجز المنافقون عن الانتقام من المسلمين والعرب تصفُ المغتاظ والنادم بعضّ الأنامل والبنان والإبهام ، فقد عبّر القرآن الكريم بمظهر حسيّ حركيّ لعملية داخلية نفسية ، وهذه هي الكناية تعبير محدود عن أشياء غير محدودة أو هي إحداث علاقة بين شيئين لا علاقة بينهما في دنيا الواقع [١].

والحالة أنّ القرآن الكريم قد أوجد علاقة بين الحقد وهو حالة نفسية وعضّ الأنامل وهو حالة جسمية ، إذ إنّ الحقد حالة داخلية تمظهرت بشكل خارجي ، وعضّ الأنامل حالة شكلية محدودة ولكنها عبّرت عن دلالات متعددة ، وذلك بما يصاحب الحاقد من حالات التوتر والصراع والقلق وعدم الاستقرار وغيرها .

وهذا الوضع يعبّر عن الحالة العدائية التي يمتاز بها المنافق تجاه المؤمنين الذين يتمتعون بالطمأنينة والاستقرار ، وبذلك فقد جسّدت هذه الصورة شخصية المنافقين الذين يكنون الحقد على المؤمنين ، فضلا عن حالة اللوم والحسرة والندم التي تعايش المنافق ، ومن هنا فإننا نجد النص القرآني يحذر المؤمنين من الانخداع بهم ، مطالباً إيّاهم بعدم إقامة علاقات ودية معهم ، مشيرا في آية لاحقة إلى مشاعرهم حيال المؤمنين في قوله تعالى ﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ... ﴾ **آل عمران : ١٢٠ .**

١- ينظر : التحرير والتنوير ٤ : ٦٧ ، و دراسات فنية في صور القرآن الكريم ، محمود البستاني : ٨٤ .

في محيط المقـابلة :

من المعلوم أنّ الطباق والمقابلة تلوينان بلاغيان ينضويان من ضمن مبحث علم البديع والمعاني ، وقد جمعهما بعض الدارسين في مبحث واحد[١]، وهما يقومان على التوالي بإيراد اللفظ المفرد ونقيضه في المقام الواحد ، أو بإيراد ما يخالفهما على التوالي ، لأغراض تحسينية وبيانية ، فالطباق ويقال له المطابقة والتطبيق والتضاد ، ومعناه في اللغة : الموافقة والتطابق الاتفاق ، يقال : طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد [٢]، وفي اصطلاح البلاغيين هو الجمع بين الشيء وضدّه في الكلام [٣]، وممّا سبق يلحظ أنّه لا توجد مناسبة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي ، ذلك أنّ الأول مبني على الموافقة ، والثاني مبني على الجمع بين المتضادين ، والحقيقة " أنّ مغزى الجمع بين الأمور المتضادّة يكسو الكلام جمالا ويزيده بهاءً ورونقاً ، فالضدّ يظهر حسنه

١ - ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها ٢ : ٣٢٥ .

٢- لسان العرب ١٠ : ٢٠٩ ، وينظر : القاموس المحيط : ١١٦٦ .

٣- ينظر : مفتاح العلوم : ١٧٩ ، وأسرار البلاغة : ٢٥ ، والإيضاح في علوم البلاغة : ١٩٠ ، وعلم البديع ، عبد العزيز عتيق : ٥٩ ــ ٦٦ .

بالضدّ ، زيادة على هذه الزينة الشكليّة فإنّه يعمل على إظهار المعاني الدقيقة ببيان القيم الدلاليّة للألفاظ في سياقاتها المختلفة " [١].

فالمقابلة هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضدّيهما ، أو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثمّ يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب ، والحقيقة أنّ كثيراً من الألفاظ والمعاني تُعرف بذكر ما يقابلها ، إذ إنّها تتميّز تميزاً كبيراً إذا ما قورنت بضدّها أو قوبلت به ، ولأنّ ذلك يظهر أهميتها ويعمّق المعرفة بها [٢]، وذلك شأن من شؤون الكون والوجود وسمة من سمات الفكر فلا يمكن حصرها في الشأن اللغوي فقط كما يذكر أستاذنا الدكتور فاخر الياسري[٣] .

وإنّ من أبرز سمات الإعجاز التقابل في القرآن ، وإنّه من طرائق البيان التي تجد فيها المعاني معرضاً للوضوح والجمال ، والتي تجد فيها النفوس لذة وسروراً ، فلم يعد أسلوب التقابل مجرد أسلوب لغوي بلاغي يتصف بجماليات مثيرة وإنما غدا أداة كشف الجمال والحقائق معاً .

ولم تعد اللغة في مفهوم النسق التقابلي ، أو التضاد التقابلي أو غيرها مجرد كلمات قادرة على إبراز قيمتها التمثيلية للأشكال الجمالية ووظائفها ، وإنّما هي عناصر جمالية فنية تجتمع في نظام دائم التحفيز للعقل والعواطف ، لإدراك أشكال التوافق والاختلاف ، وكلما ازداد التوازن والازدواج ازداد التوهج الجمالي ، فقابلية الرؤية تنمو وتتطور وتزداد كثافة وهي تتجه إلى عمق الوظائف والأهداف في النص القرآني المبني على أسلوب التضاد التقابلي بما يحمله من أسرار كثيرة بصفته رمزاً ومجازاً للحقائق الثابتة سواء وردت في المحكم أم المتشابه أو الباطن والجلي[٤].

وقد تشكّل موضوع بحثنا ليحمل هذه السمة في بنائه ، إذ ورد التقابل بين ألفاظ المحبّة والكراهة في مواضع عدّة لتكون هذه المواضع وسيلة من وسائل التميّز والبيان لإظهار قيمتها الدلالية التي تؤديها داخل السياق ، وقد جمعنا بين فنين من فنون البلاغة لأنّهما يحملان في مضمونهما فنيّة التقابل بين الألفاظ ، ولعلّنا نقف على بعض تلك المقابلات لبيان قيمها الفنيّة والدلالية .

وقد وردت المقابلة بين فعلي (الحبّ والكره) للدلالة على التكثير في الشيء والمبالغة فيه في قوله تعالى ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ الحجرات : ٧ ، تشير الآية إلى صفة مهمّة في المجتمع

١- علم البديع ، د. بسيوني عبد الفتاح : ١١٢- ١١٣ .
٢- ينظر : الإيضاح ٢ : ٣٤٢ ، وتلخيص المفتاح : ١٧٧ ، والنكت في إعجاز القرآن : ٨٩ ، وأساليب البيان في القرآن : ٥٦٧ ، والبلاغة العربية – مقدمات وتطبيقات - :٣٤٤ ، والمباحث البلاغية في مواهب الرحمن : ٢١٨- ٢١٩ .
٣ - ينظر : خطرات في اللغة القرآنية : ١٥٣ .
٤ - ينظر : التقابل الجمالي في القرآن : ١٥ .

الراشد ، وهي الانسجام النفسي والفكري والسلوكي مع المبادئ والقوانين الشرعية ، وقد عبّر عن ذلك بلفظين متقابلين يحمل الأوّل معنى الانجذاب النفسي والانشداد الروحي ، ويحمل الثاني معنى النفرة والردع الذاتي عن المخالفة والانحراف ، وممّا لاشكّ فيه أنّ علم الله تعالى بحاجة العباد وحكمته في مجال التكامل وتربية المخلوقات توجبان أن يتفضّل بهذه النعم المعنويّة الكبرى على عباده ، فالمُراد بتحبيب الإيمان إليهم جعله محبوباً عندهم ، وبتزيينه في قلوبهم تحليته بجمال يجذب قلوبهم إلى نفسه فيتعلقون به ويعرضون عما يُلهيهم عنه ، والمُراد بتكريه الكفر وما يتبعه إليهم جعلها مكروهة عندهم تنفر عنها نفوسهم [١]، إذ إنّ المعنى في (حبّب) أي قربه وأدخله في قلوبكم وزينه فيها بحيث لا تفارقه ولا يخرج من قلوبكم [٢]، وقيل : دعاكم إلى حبّه والرضا به فامتثلتم ، أمّا المعنى في (كرّه) فهو الرغبة في النفور والابتعاد ، ومرادها في الآية أنّه لا ترغبوا في حصول ما ترغبونه إذا كان الدين يصدّ عنه ، ومعنى الآية : أنّ الإيمان ملك قلوبهم فلم يبق مكان لدخول الكفر والعصيان بل جعله مكروها ومطرودا من قلوبهم[٣] .

وجاءت المقابلة بالفعلين بصيغة الماضي الدالة على حصول الشيء وتحقيقه وتأكيده ، أي تحقيق دخول الإيمان قلوبهم وتحبيبهم له ، وكذلك حصول الكره وتحقيقه ، أمّا التضعيف في الفعل فللتعبير على الشدة والرغبة العميقة في تطبيق فعل الحبّ أو الكره ، زيادة على التكثير والمبالغة [٤]، وقد عدّي الفعلان بـ (إلى) لتضمنها معنى(بلغ) ، أي : بلغ إليكم حبّ الإيمان وكره الكفر، للتدليل على وصول هذا التحبّب والكراهة إلى الغاية والمنتهى[٥]، وجاءت التعدية مطلقة في الفعل (زينه) للإيماء إلى أنّه لمّا رغّبهم في الإيمان ، وكرّههم الكفر امتثلوا فأحبّوا الإيمان وزان في قلوبهم [٦]، وجاء أنّ (إلى) بمعنى (في) للدلالة على تمكّن الحبّ والكره وتعمّقها فيهم للأمور التي ذُكرت بعد الفعلين ، وقيل إنّ معناها على الأصل وهو انتهاء الغاية ، لأنّ الفعلين يعدّيان بها ، ويكون المعنى عندها الوصول إلى نهاية الغاية في الحبّ والكره لهذه الأمور[٧] .

والذي نلحظه من هذه المقابلة أنّها جاءت لتحريك الهمم وتنشيطها وترغيب النفس لمراعاة محبة الإيمان وكراهة الكفر، وفي ذلك بيان لمظاهر فضله تعالى عليهم ورحمته وهو فضل ما بعده فضل فهو من كمال الدين وتمام النعمة ، فضلا عن ذلك فإنّها إشارة إلى أنّ الاندفاع إلى تحصيل المرغوب من الهوى دون تمييز بين ما يرضي الله

١- الميزان ١٨ : ٣١٧ ، وينظر : البلاغة القرآنية في آيات صفات المؤمنين ١ : ٣٩٩ وما بعدها .
٢- ينظر : جامع البيان ١١ : ٣٨٢ .
٣- ينظر : التحرير والتنوير ٢٦ : ٢٣١ .
٤- ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١:ق٢:٢٥٥ ، وصيغة فعّل في القرآن الكريم :٤٧٦– ٤٧٧ .
٥- ينظر : إرشاد العقل السليم ٨ : ١٩٩ ، وبحوث ودراسات في التراث اللغوي والنحوي : ١٧٢ .
٦- ينظر : التحرير والتنوير ٢٦: ٢٣٧ ، وأثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور : ٤٧٠ .
٧- ينظر : شرح الرضي ٢: ٣٥٩ ، والنحو الوافي ٢ : ٤٦٣ ، ومعاني النحو ٣ : ١٥ .

تعالى وما لا يرضيه أثر من آثار عدم الإيمان ، إذ لا يمكن تحقق الإيمان وحبّه في القلب حتى يخلو من الكفر وشوائبه .

ويأتي لفظا (الطوع والكره) متقابلين في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فصلت : ١١، استعمل القرآن الكريم في هذه المقابلة ثنائية الطوع والكره ، والكره هنا فعل الأشياء من دون رغبة بها ، أي كارهين أو مكرهين ، أمّا الطوع فهو من الطاعة ، ولعلّه ثمرة من ثمار المحبّة ،وجاءت هذه الثنائية لتصوير إظهار كمال قدرته وتأثيرها ووجوب وقوع مراده لا إثبات الطوع والكره لهما ، ولبيان أنّ امتناعهما عن قدرته مُحال ، فهي بمثابة قولك لمن تحت يدك : لتفعلنّ هذا شئتَ أم أبيتَ ، أي أعطيا الطاعة في السير المقدّر لكما اختياراً أو إجباراً ، فكانت إجابتهما بالطوع امتثالهما التام لأمر الله[١]، فهاهما الأرض والسماء عاقلتان ، يوجه إليهما الخطاب فتسرعان الجواب ، والخيال شاخص إليهما تدعيان وتجيبان الدعاء[٢]، والملاحظ أنّ ثمة حواراً بين الخالق سبحانه والمخلوق (غير العاقل) ، إلا أن الله سبحانه ينطق الأشياء حين يشاء ، ولعلّ هذا الحوار يبعث فينا رؤية وتأملا كان من الأجدر الوقوف عليها ليرى الإنسان حجمه أمام المخلوقات الأخرى في حال استنطاقها ، ثم تكون الإجابة بالطوع من دون الكره إشارة إلى أنّ هناك من المخلوقات لا تأتي طوعاً بل كراهية ، لأنّها تعصي أمر الله فيأتي بها الله سبحانه كرها ، ونلمح أيضا من خلال هذه الثنائيّة في سياق الآية بيان لقدرة الله سبحانه وتحديه للبشر ، فهي رسالة إليهم ، أي أنّ من يأتي طائعا فهو منساق لأمر الله سبحانه ، أمّا الآخر فعاجلا أم آجلاً فسيأتي به الله مكرها ، فإرادة الله ماضية في كل الأحوال ، وهو وارد إلى الله لا محالة ، فكان أصل في الخطاب على التثنية ، فذهب إلى الجمع السالم ؛ لأنّه أراد : ائتيا بمن فيكما من الخلائق ، فخرجت الحال إلى لفظ الجمع ، وغلب من يعقل من الذكور (طائعين) للدلالة على هذا المعنى ، وهو إتيان الأرض والسماء بمن فيهما [٣]، ولعلّ بيان القدرة – قدرة الله سبحانه وقدرة المخلوقات – كان من أهم بواعث مجيء تلك الألفاظ على شكل المقابلة في الآية الكريمة ، وفي ذلك رمز أو إيحاء ، إذن فالإبداع والجمالية الفنية كان ظاهرا في هذا الاستخدام [٤].

ووردت هذه الثنائية أيضاً في قوله تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ آل عمران: ٨٣، لتبيّن أنّ كلّ من في الكون خاضع ومستسلم لأمر الله وشرائعه ، وقد جُمعت بصورتها الكاملة الشاملة في دين نبيّ الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، وهذا الاستسلام والخضوع يكون طوعاً أو اختياراً أحياناً إزاء القوانين التشريعيّة ، ويكون كرهاً أو إجبارياً أحياناً أخرى إزاء القوانين التكوينيّة ،

١- ينظر : مفاتيح الغيب ٢٧: ٩٩ ، وروح المعاني ٢٤: ١٤٤ .
٢- ينظر : التصوير الفني في القرآن ، د. جبير صالح حمادي : ١٢١ .
٣- من بلاغة النظم القرآني : ١٤٢ ، وينظر : النكت في القرآن الكريم : ٤٣٤ .
٤- ينظر : الكشّاف ٣ : ٣٨٥ ، ومن جماليات التصوير في القرآن الكريم : ١٠١ .

إذن فجميع الخلق خاضعون لأمر الله ، وذهب فريق من المفسرين إلى أنّ الطوع مختصٌّ بالمسلمين والملائكة، والكره مختصٌّ بالكافرين وغير العقلاء ، وقيل إنّ من العقلاء من أسلم اختياراً لظهور الحقّ له ، ومنهم من أسلم بالجبلّة والفطرة كالملائكة ، أو الإسلام كرهاً ، أي أكرهته الأدلّة والآيات ، أو هو إسلام الكافرين عند الموت ورؤية سوء العاقبة(١) . ومن هنا يمكن القول إنّ هذه الثنائيّة وهذا التقابل جاء لبيان أنّ دين الله الإسلام هو الغالب ، وأنّ قدرة الله ماضية في المخلوقات ، فقد صوّر هذا التقابل انقياد المخلوقات للخالق فهم واقعون تحت سلطانه العظيم وقدرته النافذة .

وفي آية أخرى يأتي هذا التقابل ليثبت انقياد الخلق لله سبحانه في صورة السجود في قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ الرعد : ١٥، تُعدُّ هذه الآية اعترافا فعلياً بالعبودية لله تعالى وهي موضع سجدة من سجود القرآن ، ومن حكمة السجود عند قراءتها أن يضع المسلم نفسه في عداد ما يسجد لله طوعا بإيقاعه السجود الذي هو أقصى رمز للعبودية (٢)، فقد عطفت الآية على سابقتها ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾الرعد : ١٤، بالواو الذي يفيد مطلق العطف ، والتقدير الناتج عن عطف الآيتين (له دعوة الحق وله يسجد من في السموات والأرض) وهذا شعار الألوهية . وإنّ اللام في قوله (ولله) تومئ إلى صفة الخالق الجلالية، والأصل فيها التذلل لله وعبادته وهو عام في الإنسان والحيوان والجماد وهذا المعنى يتألف مع دلالة السجود الذي هو أدق رمز للعبودية لله جل وعلا ، والسجود "ضربان سجود باختيار وليس ذلك إلا للإنسان وبه يستحق الثواب ، وسجود تسخير وهو للإنسان والحيوان والنبات"(٣) ولعلّ السجود الثاني هو المقصود في الآية المباركة .

وتأتي الثنائيات المتضادة لتؤدي دورها في العبودية لله تعالى وإنّ مجيئها بالصيغة الاسمية، يشير إلى ثبوت حقيقة سجودها وهو الإيمان بالله تعالى أولى الحقائق التي اتجه القرآن الكريم إلى تأكيدها والغاية من ذلك إخراج الناس من ظلمات الضلال إلى نور الهداية.

إنّ سجود من في السموات والأرض يعني ضمنا سجود الكون كله لله تعالى وفي قوله (طوعا وكرها) يأتي المتضادان لتأكيد حقيقة جوهرية تكمن في أنّ العبادة لله والتذلل والخضوع له سبحانه يكون في الاضطرار المتمثل بقوله (كرها) وفي الاختيار أي عدم الاضطرار المتمثل بقوله (طوعا) ولذلك فإنّ هذا التقابل كان جامعا لأحوال الساجدين وهذا هو المستفاد من تفسير اللفظتين المتضادتين "المراد بالطوع الانقياد والانسياق عن النفس تقربا وزلفىً لمحض التعظيم ومحبة الله"(٤) أمّا المراد من الكره الاضطرار عند الشدة والحاجة(٥) وليس المراد من الكره الضغط

١- ينظر : التحرير والتنوير ٣: ٣٠١ ، والأمثل ٢ : ٣٢١ .
٢- التحرير والتنوير ١٣:١١٢.
٣- معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٢٢٩.
٤- مفاتيح الغيب ١٩:٣٠
٥- ينظر : محاسن التأويل : القاسمي : ٩:٣٦٦٤.

والإلجاء كما يشير ابن عاشور[١]، وهذا مختصّ بالمسلمين كما أشرنا ، أمّا الكافرون فينقادون لأمر الله بالضغط والإلجاء .

وتأتي المقابلة بين لفظي (المقت والحبّ) في السياق القرآني في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ الصف : ٢ – ٤ ، المقت البغض الشديد وهو ضدّ الحبّ ، وآية المقت في مقام التعليل لمضمون سابقتها ، فهو تعالى يبغض من الإنسان أن يقول ما لا يفعله لأنّه من النفاق ، وقيل الخطاب لبعض المسلمين الذين يدّعون الإيمان لذا خاطبهم بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فقد كانوا يقولون إذا لقينا العدوّ لن نفر ولن نرجع عنهم ، ثمّ لم يفوا بما قالوا ؛ لذلك جاءت الآية الثانية لتؤكّد على القتال ومحبّة الله تعالى المقاتلين الأشدّاء وقيل الخطاب للمؤمنين ينهاهم الله عن القول من دون الفعل[٢]، وفي هذا السياق التقابلي جعل الله تعالى المقت للفعل والحبّ للفاعل ، والسبب في ذلك أنّه خاطب أصحاب الوصف الممقوت بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ، فلو جاء المقت للفاعل ، لأفضى ذلك إلى مقت الذين آمنوا الذين خوطبوا بذلك والله لا يمقت الذين آمنوا بل يحبّهم ، ولكنه يمقت هذا الوصف فنزّههم عن أن يمقتهم ربّهم بذلك إكراماً للمؤمن ، في حين جعل الحبّ للفاعلين بسبب فعلهم ، فأحبّ الفعل والفاعلين ، فأيّ كرامة للمؤمن دلّت عليها الآيتان في المقت والحبّ [٣].

والذي يُلحظ أنّ المقت سُبق بلفظ (كَبُرَ) التي تفيد التعجّب ، ومعنى التعجّب هنا هو تعظيم الأمر في قلوب السامعين ، لأنّ التعجّب لا يكون إلاّ من شيء خارج عن نظائره وأشكاله ، وانتصب (مقت) على التمييز للدلالة على أنّ قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكّن المقت منه ، وزاد في تبشيعه في التنفير منه بقوله (عِنْدَ اللَّهِ) أي الملك الأعظم الذي يحقر عنده كل متعاظم [٤] ، فبعد أنّ تميّز أمر المقت بهذه الطريقة البديعة كان لابُدّ من تمييز أمر الحبّ بطريقة أكثر إبداعاً ، لذلك أسنُد الحبّ مباشرة لله تعالى ومحبّة الله تعالى هي إكرامه ورضاه ، ثُمّ صُورَ هذا المقابل على ما هو عليه من التشبيه الذي أبدعه إبداعاً كما مرّ ذكره .

وفي السياق نفسه قال تعالى (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) ولم يقل بمقابل ذلك (إنّ الله يحبّ الذين يفعلون ما يقولون) ، فلِمَ ذلك ؟ ، ولعلّ الجواب يعود إلى أنّ الله تعالى يُحبّ الأفعال التي أرادها وارتضاها لنا ، ولا يُحبّ كلّ فعلٍ أيّاً كان ذلك الفعل ، فإنّه ليس الأمر على إطلاقه ، فإنّه لا يحبّ الذي يقول إنّه سيفعل

١- التحرير والتنوير ١١١:١٣.
٢- ينظر : مجمع البيان ٩: ٥١٧ ، والميزان ١٩: ٢٥٩ .
٣- على طريق التفسير البياني ١: ٢٠٨ .
٤- ينظر : البحر المحيط ١٠: ١٦٣ ، ونظم الدرر ٧: ٥٧٢ - ٥٧٣ .

سوءاً ثمّ يفعله بل عليه أن ينتهي عنه حتى لو أقسم على فعله ، فالذي يقول أنه سيقطع رحمه أو يفعل منكراً عليه ألاّ يفعل ذاك بل يفعل نقيضه من فعل المعروف ، ولذا لا يصح هذا القول على إطلاقه [1].

وفي موضع آخر تأتي المقابلة بين فعلي (المحبّة والكراهة) أيضاً في قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : ٢١٦، تتحدث الآية عن فريضة الجهاد وفرضها على المخاطبين ، وقد كُرِه القتال في نفوسهم، فهم يكرهونه كراهية طباع لما فيه من مشقّة وبذل النفس والمال ، وإنّ المقابلة التي نلحظها في الآية بين لفظي الكراهة والمحبّة جاءت لتحدث هزّة في نفوس المخاطبين في بيان حقيقة كرههم وحقيقة محبّتهم ، فأرشدهم الأسلوب القرآني بهذا التقابل إلى خطئهم في الأمرين ، فلا يعني أنّ حبّهم وكرههم للأشياء فيه صالحهم وصالح الإسلام ، فالله تعالى يعلمُ ما فيه صالح الإسلام والمسلمين ، وهذه المقابلة إشارة إلى أنّ القتال من الضرورات التي لا يحبّها الناس إلاّ أنّ تركها يفضي إلى ضرر عظيم ، وإنّها إشارة إلى تلقي الشرائع معللة ، وإنّ حكمة التكليف تعتمد المصالح ودرء المفاسد ولا تعتمد ملاءمة الطبع ومنافرته ، إذ يكره الطبع شيئاً وفيه نفعه وقد يحبّ شيئاً وفيه هلاكه[2].

وتكشف لنا هذه المقابلة جانباً من تربية القرآن الكريم للفطرة الإنسانيّة ، فهكذا يواجه الإسلام الفطرة الإنسانيّة ، لا منكراً عليها مشاعرها الطبيعيّة ، ولا مُريداً لها الأمر الصعب بمجرّد التكليف ، ولكن مربّياً لها على الطاعة ، لتبذل الذي هو أدنى في سبيل الذي هو خير بطوعٍ لا بقسرٍ وإجبار ، وهكذا تُربّى الفطرة في الإسلام ، فلا تملّ التكليف ، ولا تجزع عند الصدمة الأولى ، ولا تخجل وتتهاوى عند انكماش ضعفها أمام الشدّة ، ولكنّها تثبت وهي تعلم أنّ الله تعالى يعذرها ويمدّها بعونه ويقويها ، إنّه منهج في التربية عجيب ، يعرف طريقه إلى مسارب النفس الإنسانيّة وحناياها وخفاياها الكثيرة ، فهذه اللمسة الربانيّة للقلب البشري لتفتح أمامه عالماً آخر غير العالم المحدود الذي تبصره عيناه[3] .

وتأتي المقابلة بين الفعل (فرح) التي هي من دواعي المحبّة وبين الفعل(كره) ، وذلك قوله تعالى ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ التوبة : ٨١ ، فقد قابل بين الفرح الذي هو من ثمرات المحبّة و الكراهة مقابلة معنويّة[4]، والفرح حالة نفسية وجدانية يشعر معها الإنسان بلذّة ونشوة وانتعاش وهي خلاف الغمّ ، وهذا كان

١- على طريق التفسير البياني ١: ٢٠٨ .
٢- ينظر : التحرير والتنوير ٢: ٣١٩ - ٣٢١ .
٣- في ظلال القرآن ١: ٢٢٣ .
٤- ينظر : البحر المحيط ٥: ٤٧٣ -٤٧٤ ، وروح المعاني ١٠: ٤٤٨ .

شعور المنافقين بعدم خروجهم مع الرسول للقتال ، وهذه المقابلة بين الفرح والقعود بالكراهية والجهاد تنمُّ عن عداوة المنافقين وشدّة حقدهم ، فسرورهم كامن في القعود والتخلّف ، وحزنهم وكراهيتهم في الجهاد لإعلاء كلمة الحقّ[١] .

وجاءت هذه المقابلة لتظهر غاية الإظهار خصلة ذميمة أخرى من خصال أهل النفاق وهي كراهيتهم للجهاد ، ولكونها خصلة أخرى جُعلت جملتها معطوفة ، ولم تُجعل مقترنة بلام التعليل مع أنّ فرحهم بالقعود سببه هو الكراهية للجهاد[٢] ، فضلا عن ذلك إنّها جاءت لتُبيّن أنّ كراهة المنافقين للجهاد كانت تأكيداً لفرحهم بالقعود ، لأنّ الفرح بالقعود ربّما لا يصل إلى مرتبة الكراهة وإن كان يتضمنها فجاءت لتؤكّد ذلك ، فقد يُسرُّ الإنسان بالمعصية ولا يكره أن يكون بدلها أو معها طاعة ، وهؤلاء ضموا إلى سرورهم بها كراهيتهم الطاعة ، إذ لم يكتفوا بفرحهم بالتخلّف وتركهم الواجب ، بل كرهوا ذلك كراهة راكزة في طبعهم ، وسعوا بكراهتهم إلى دفع المسلمين عن الجهاد بوساوسهم الشيطانيّة ومحاولة إخماد جذوة الحماسة الملتهبة في صدور المسلمين ، وكراهيتهم الجهاد هي علامة كفرهم وثمرة نفاقهم . وأشار الرازي إلى هذا الأمر إذ قال " اعلم أنّ الفرح بالإقامة يدلّ على كراهة الجهاد إلاّ أنّه تعالى أعاده للتأكيد " [٣]، ويقول أيضاً " ولعلّ المُراد أنّه مال طبعه إلى الإقامة لأجل إلفه تلك البلدة واستئناسه بأهله وولده ، وكره الخروج إلى الغزو لما فيه من تعريض لهدر المال وقتل النفس " [٤].

فضلا عن ذلك أنّهم بكراهيتهم سعوا إلى تثبيط عزيمة المسلمين للجهاد بقولهم (لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ) إذ إنّ كراهة الإنسان للأشياء لا تعني نهيه غيره عنها ، ولكنّ هؤلاء جمعوا إلى سرورهم بالقعود وكراهيتهم الجهاد نهيهم غيرهم على ذلك الفعل[٥] .

ويأتي (الاتباع) في مقابل (الكراهة) في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ، فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ محمد:٢٥ – ٢٨، الحديث في الآية عن المنافقين المرتدين على أدبارهم صوّرهم القرآن الكريم بأقبح صورة وأشنع هافي مشهد مفزع مهين ، وهم يحتضرون لا حول لهم ولا قوة ، وهم في نهاية حياتهم على هذه الأرض ، وفي مستهل حياتهم الأخرى ، هذه الحياة التي تفتتح بضرب الوجوه والأدبار ، في لحظة الوفاة ، لحظة الضيق والكرب والمخافة ، والأدبار التي ارتدوا عليها من بعدما تبين لهم الهدى ، فيالها من مأساة! ، فهم الذين أرادوا لأنفسهم هذا المصير واختاروه ، هم الذين عمدوا إلى ما أسخط الله من نفاق ومعصية وتآمر مع أعداء الله

١- علم البديع ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود : ١٢٦ .
٢- التحرير والتنوير ١٠: ٢٨٠ .
٣- مفاتيح الغيب ١٦: ١٢٧ .
٤- المصدر نفسه .
٥- ينظر : نظم الدرر ٣: ٣٦٨ .

وأعداء دينه ورسوله فاتبعوه ، وهم الذين كرهوا رضوان الله فلم يعملوا له ، بل عملوا ما يسخط الله ويغضبه ، فأحبط أعمالهم[١].

وقد جاء تداعي المعاني بتسلسل منطقي وتناسق عجيب في تأدية المعنى، فاتباعهم لما أسخط الله والذي يمثله لفظان (أسخط) و (كرهوا) يناسبه حبط في الأعمال ، ففي ذكر اتباع مَا أسخط الله وكراهة رضوانه ثنائيتان للمضادة بين السخط والرضوان ، والاتباع والكراهية ، والجمع بين الإخبار عنهم باتباعهم ما أسخط الله وكراهتهم رضوانه مع إمكان الاجتزاء بأحدهما عن الآخر للإيماء إلى أنّ ضرب الملائكة وجوه هؤلاء مناسب لإقبالهم على ما أسخط الله ، وإنّ ضربهم أدبارهم مناسب لكراهتهم رضوانه لأنّ الكراهة تستلزم الإعراض والإدبار[٢].

ومن لطائف هذا التقابل هو أنّ الله تعالى ذكر أمرين : ضرب الوجه ، وضرب الأدبار ، وذكر بعدهما أمرين آخرين : اتباع ما أسخط الله وكراهة رضوانه ، فكأنّه تعالى قابل الأمرين وصوّر حالهم وقت وفاتهم فقال : يضربون وجوههم التي هي أشرف جوارحهم التي جبنوا عن الحرب صيانة لها عن ضرب الكفار إذ أقبلوا على سخط الله ، ويضربون أدبارهم التي ضربها أدلّ ما يكون على هوان المضروب وسفالته ثم تتصل بعد ذلك آلامهم وعذابه وهوانهم إلى ما لا آخر ، لأنّهم تولّوا عما فيه رضا الله ، فإنّ الكاره للشيء يتولى عنه[٣] .

ويأتي (الودّ) ليقابل (البغضاء) ليصوّر حال الكفّار في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ آل عمران : ١١٨، صوّر هذا الثنائي ظواهر الكفّار وبواطنهم فأظهر الله تعالى به حقيقتهم ، ما يبدونه وما يخفونه، فقد نهى الله تعالى عن موالاة الكفّار ومخالطتهم خوف الفتنة منهم ، فهم يحبّون في ضمائرهم ودخائل نفوسهم إدخال المشقّة عليكم ويتمنون إضلالكم عن دينكم ، وقد ظهرت لكم أمارات العداوة والبغض والتكذيب صراحة في حديثهم وفي فحوى كلامهم وفي فلتات ألسنتهم عندما تقفز منهم كلمة أو أُخرى تكشف عن الحقد الدفين ، وما تُخفي صدورهم من البغض للمسلمين وللإسلام أكثر ممّا يبدونه ، لأنّ ذاك في علم الله فهو مطّلع على خفاياهم ، وقد أظهر الله تعالى لكم من الدلالات الواضحات التي تميّز الوليّ من العدو[٤]، وجاء هذا التمييز في الآية التالية بثنائيّة الحبّ وعدمه في قوله تعالى ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ آل عمران : ١١٩، فقد تقابلت صور حبّ المؤمنين أصحاب الفطرة السليمة مع صورة بغض الكافرين والمنافقين أصحاب الفطرة السقيمة ، ليكون ذلك من أدلّ الدلائل على نهي موالاتهم .

١- ينظر : في ظلال القرآن ٦: ٣٢٩٧ .
٢- التحرير والتنوير ٢٦: ١١٩ .
٣- ينظر : مفاتيح الغيب ٢٨: ٦٤ ، ونظم الدرر ٧: ١٧٣ .
٤- ينظر : مجمع البيان ٢: ٤٥٠ .

لقد رسم القرآن الكريم بهذه الثنائيات المتقابلة صورة واقعيّة وحقيقية للكافرين ، إنّها صورة ناطقة بدخائل النفوس ، وشواهد الملامح ، تسجّل المشاعر الباطنة ، والانفعالات الظاهرة ، وممّا لاشكّ فيه أنّ هذه الصورة التي رسمها القرآن هذا الرسم العجيب والدقيق كانت تنطبق تماماً على حالهم ، وتظهر قوّة كظمهم غيظهم الدفين الذي كانوا يضمرونه للمسلمين ، كما تُظهر الشرّ المبيّت والنوايا السيئة التي كانت تجيش في صدورهم ، وأنّ هذه الحقيقة لا تغسل أحقادها مودّة وصحبّة من المسلمين ، وقد حذّرت هذه الثنائيات جماعة المسلمين وبصّرتهم بحقيقة الأمر .

وجاء التقابل بين (التوديع والقلى) في قوله تعالى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ الضحى :٣ ، بين لفظين مترادفين في المعنى على الهجر والترك ، هما (ودّع وقلى) ، فإنّ دلالة هذه المقابلة هي مخاطبة الجوهر الروحي والنفسي للإنسان الذي يزيح عن نفسه هاجس القلق والاضطراب الذي ينتابه ، وهي الحالة التي كان عليها المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، ثمّ إنّ استعمال حرف النسق (الواو) مع (ما) يجسّد صورة الترتيب المعجز في الدلالة لئلا ينحرف السامع إلى معنى (ودّعك) الدالّ على (الموادعة والمسالمة والعهد والعطاء والهدنة)(١) ، فقابله بـ (قلى) ليثبّت للفظ (ودّع) معنى الهجر أو الترك ، لذلك كان هذا التقابل مقصوداً لإزالة حالة الإيهام في الدلالة عند السامع(٢) .

١- ينظر : لسان العرب ١٥: ٢٥٠ (ودع) .
٢- ينظر : التقابل الجمالي في النص القرآني : ٢٦٣ ، والتفسير البياني للقرآن الكريم لمحمود البستاني ٥ : ٣٦٠ .

الخاتمة

الخاتمة

الخاتمة بأهم النتائج

القرآن الكريم منزّل من الله تعالى فهو فريدٌ في نظمه بليغٌ في تعبيره دقيق في ألفاظه معجزٌ في دلالته ، أصواته أعذب الأصوات ، وألفاظه أفصح الألفاظ وُضعت كُلّ منها موضعاً دقيقاً يتناسب وقدرتها على تأدية خصوصيّة دلالية ، لا تستطيع تأديتها أيّة لفظة أُخرى ، وهذه الخصوصيّة أكسبت القرآن الكريم قدسيّته المعهودة وإعجازه الفائق ، وكان لألفاظ المحبّة والكراهة خصوصيّة دلالية ميّزتها عن باقي الألفاظ في أدائها اللفظي وتنوعها الدلالي وانعكاسها الوجداني والنفسي ، وممّا لا شكّ فيه أنّ لكلّ غرسٍ نتاجاً ، ونتاج غرسنا نتائج البحث ، فبعد وصول البحث إلى الغاية التي نرتجيها يمكن أن نضع بين يدي القارئ جملة من النتائج ، استقاها الباحث من طول استقراء ألفاظ المحبّة والكراهة في القرآن الكريم ودراستها ، ويمكن أن نجمل ذلك بالآتي :-

– الحبّ الذي اعتاده الناس عبارة عن عاطفة مؤلمة ومشحونة بالحنين واللوعة ، وكان هذا مبعثه الجمالي عند الشعراء والأدباء ، أمّا في القرآن الكريم فقد اتّخذ منحىً آخر وسلك مسالك أرحب وجماليات أكثر ، فأضحى شعوراً هادئاً وعميقاً يظهر مكامن العواطف الأخويّة ، وترابط المؤمن بربّه ، والأمر اللافت للنظر أنّ لفظة (المحبّة) لم ترد وصفاً للعلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة ، بل لمجرد الميل والتعلّق ، فهي في قصّة نبيّ الله يوسف (عليه السلام) لم ترد تعبيراً عن علاقة متبادلة بين الرجل بالمرأة ، بل هي ميل قلبي من طرف دون الآخر ، فالحبّ سمة من سمات الحياة الروحيّة في عقيدة المؤمن ، وعاطفة لها وزنها في الجوّ الإسلامي ، والمحيط الديني والعقديّ ، وهي شرط في استكمال الإيمان وتمامه ، فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) أنّه قال " من أوثق عُرى الإيمان أن تُحبّ في الله وتُبغض في الله " .

– شكلت لفظة (حبّ) ومشتقاتها حيزاً واسعاً في الاستعمال القرآني بوصفها اللفظة المعبرة عن هذا الشعور ، فظلّت أكثر الألفاظ دوارناً فيه من أي كلمة تُعبّر عن معناها أو جانب من هذا المعنى ، وقد جاءت بدلالات عديدة زيادة على معنى اللفظة الأصل الدال على التعلّق القلبي ، أو تقرّب المحِبّ النفسي والوجداني من المُحَبّ ، وهذا الأمر متعلق بالإنسان ، أمّا الحبّ عند الله فليس في ذلك ميل أو تقرّب قلبي ، وإنّما يعني الإكرام والإنعام والتشريف ، ومن المعلوم أنّ الله تعالى مُنزّه من الحبِّ والبُغض على حدّ ما يوجد فينا معشر الإنسان ، إلاّ إنّه لمّا كان الأمر والنهي عندنا بحسب الطبع صادرين عن حبّ وبُغض كُنّي بهما عن الإرادة والكراهة .

– وردت لفظة (حبّ) المصدريّة في القرآن الكريم تسع مرات ولفظة (المحبّة) مرة واحدة ، وهذه المرات التسع التي ورد فيها جاء سلوكاً من البشر تجاه الله تعالى ، أو تجاه موضوعات في الحياة ، ولهذا عندما أراد الله تعالى أن يضيف لذاته العلّية اسمًا من هذه المادّة جعله كلمة (محبّة) ، وليس كلمة (حبّ) المستعملة مع البشر ، ولذلك نجد في الكتاب العزيز أنّه إذا كان الحبّ حاصلاً من البشر جاء بكلمة (حبّ) ، وإذا كان مـن الله تعالـى كـان بكلمة (محبّة)، وهذا تخصيص لمعنى الكلمة أفرده القرآن الكريم .

– الودّ : محبة الشيء وتمني كونه ، ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أنّ التمني يتضمن معنى الودّ ، لأنّ التمني تشهي حصول ما تودّه ، وتأتي المودة على عدّة معانٍ منها الألفة والتمني والمحبة والموالاة والرضا ، وقد جُمع في تعريف المودّة بين المحبّة والتمني ، لما في التمني من شدّة الاشتياق لحصول الشيء المطلوب ، ويُستدلّ ممّا سبق أنّ الودّ والمودّة انفعال نفسي مليء بمشاعر الحبّ يُعبّر فيه الإنسان عن صفو المحبّة وخالصها ، وهي بذلك أشدّ من الحبّ ، وألصق في النفس ، وزيادة على ذلك فأنّ في المودّة جانباً تواصلياً عملياً أكثر ممّا هو شعور نفسي وجداني كما هو الحبّ .

- اتسع القرآن الكريم بعاطفة الحبّ بألفاظ دلّت عليه صراحة ، وقد عدّت كتب اللغة هذه الألفاظ من مرادفات أو أشباه لفظة (حبّ) ، وكان معناها على الحبّ ظاهراً في الاستعمال القرآني زيادة على دلالاتها الأخرى ، وعليه فقد شغلت هذه الفلسفة حيّزاً أرحب ، وهذه الرحابة تعززت بألفاظ كثيرة لم تدلّ صراحة على الحبّ وإنّما دلّت عليه من وضعها في السياق ، فكان السياق معيناً لنا في بيان تلك الدلالة ، ولذا مثّلت هذه الألفاظ خصيصة تعبيرية من خصائص القرآن الكريم ، وشكّلت حقلاً دلالياً قرآنياً للحبّ ، ومن هنا يمكننا القول إنّ امتلاء القرآن الكريم بالألفاظ الدالة على المحبّة - الصريحة وغير الصريحة - دليل على إرادة إلهيه غايتها توطيد هذه الفلسفة في نفوس المسلمين .

- ارتبطت لفظة (حبّ) ومشتقاتها في القرآن الكريم بألفاظ هي في واقعها اللغوي التركيبي من متعلقاتها ، وقد بيّنت هذه المتعلقات توجيه تلك الفلسفة للذوات والأشياء والصفات ، فللإنسان عموماً محبوبات وللمؤمن محبوبات بوصفه إنساناً مؤمناً ، ولله تعالى محبوبات ، إذن فالحبّ صفة مشتركة بين المخلوق والخالق ، وقد أسهمت هذه المتعلقات بشكل كبير في تهذيب النفس من خلال بيان الرغبة والرهبة .

- من خصوصيات التعبير القرآني أنّه لم ترد فيه لفظة (العشق) التي تعبّر عن السرف في الحبّ ، والمبالغة في الميل ، وتمكّن الحبّ من صاحبه بذهاب عقله ، وقد وُصِفَ بأنّه تعبير عن الاشتهاء ، على حين أنّ الحبّ ميلٌ قلبيّ ليس الاشتهاء دافعه أو غايته .

- جاءت لفظة (يحبّ) مسندة إلى الذات الإلهية في سياق النفي ، وهي تنفي حبّ الله تعالى لبعض الألفاظ الدالة على صفات المكروهين ، وقد تعددت هذه الصفات في القرآن الكريم بشكل كبير من شأنه تهذيب المجتمع الإسلامي وكان التعبير القرآني يميل إلى ذكر لفظة (لا يحبّ) بدلاً عن (يكره)، أي أنّه تعالى لا ينسب لنفسه الكراهة - حاشا لله - وهو الرؤوف الرحيم بعباده ، ولأنّ استعمال نفي المحبة في التعبير القرآني أبلغ من اللفظة المقابلة ؛ لأنّها تنفي جميع الصفات التي يتصف بها هذا المنفي ، في حين تدلّ لفظة (يكره) على أن الصفة المحددة هي المكروهة فقط ، وربما هناك صفات أخرى غير مكروهة ، وإنّ نفي محبّة الله تعالى نفي رضاه وتقريبه عمّن هذا وصفه ، وهو تعريض بأخلاق أهل الشرك ، لما عرفوا به من الغلظة والجفاء ، فهو في معنى التحذير من بَقايا الأخلاق التي كانوا عليها .

- عبّر القرآن الكريم عن الحبّ والمحبّة بنفي لفظ من ألفاظ الكراهة ليكون ذلك مناسباً لسياق الحال والسياق اللغوي ، وليكون أكثر تأكيداً وأثبت في النفس ، زيادة على إبراز القيمة الإيقاعية ، كما في قوله تعالى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ الضحى : ٣ .

– لم يرد فعل الحبّ من الله تعالى في القرآن الكريم نفياً أو إثباتاً مسنداً إلى ضمير المتكلّم ، أي أنّ الله تعالى لم يقل في جميع القرآن مُخبراً عن نفسه بالضمير (أنا) ، كأن يقول (أنا أحبّ الصابرين أو المتقين أو غيرها من ألفاظ المحبوبين) أو يقول (أنا لا أحبّ الكافرين أو المسرفين أو غيرها من ألفاظ غير المحبوبين)، بل يسند ذلك إلى لفظ الجلالة في الأغلب أو إلى ضميره .

– لم تشغل ألفاظ الكراهة الصريحة وغير الصريحة في القرآن الكريم ذلك الحيز الكبير الذي شغلته ألفاظ المحبّة ، وذلك واضح من خلال عدد ألفاظ المحبّة الصريحة وغير الصريحة وكثرتها بتصرّفاتها العديدة قياساً بألفاظ الكراهة ، وهذا دليل واضح على أنّ القرآن كتاب محبّة ووئام ، وإنّ الإسـلام دين مـودّة وسلام .

– إنّ القرآن الكريم بيّن بإيجازه وبلاغته العمق النفسي لدلالة الكراهية ، وأنّ الكره والكراهية انفعال متأصّل في النفس الإنسانية ، وغالباً ما يكون سلبياً ، وقد يكون إيجابياً وهو من الله تعالى كما في قوله تعالى ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** ﴾ **الحجرات** : ٧ ، وقد عبّرت لفظة (الكره) عن معنى الإجبار والقسر في أغلب مواضعها في الاستعمال القرآني زيادة على المعاني الأخرى الني ذكرناها في البحث . في حين عبّرت الألفاظ الأخرى الصريحة التي عدّها اللغويون من مرادفاتها عن معنى الكراهة .

– من الحقائق التي توصّل إليها الباحث أنّ محبّة الله تعالى لعباده هي إنعامه عليهم وتكريمه لهم ، ورضاه عنهم ، ويتبعه إحسانه إليهم ومثوبتهم ، والمغفرة والرحمة والثناء عليهم ، وعلى هذا فإنّ كراهة الله للعباد التي هي بالضدّ من ذلك لم ترد صراحة في القرآن ، وإنّما وردت هذه الكراهة لأفعالهم بصيغة الفعل الماضي المسند إلى الله تعالى ، كما في قوله تعالى ﴿ **وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوامَعَ الْقَاعِدِينَ** ﴾ التوبة : ٤٦ . ووردت بصيغة الفعل الماضي المضعّف (كرّه) في قوله تعالى ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** ﴾ **الحجرات** : ٧ .

– اهتمّ كثير من الدارسين بترتيب ألفاظ المحبّة والكراهة دلالياً وذكروا ترتيبها في كتبهم ، والحقيقة أنّ مراتب الحبّ التي ذكرها الدارسون لم تكن ذات ترتيب واحد ، وإنّ بعضهم زاد على صاحبه مرتبة أو أكثر ، وبعضهم ذكر أسماء فيها معنى الوصف لحالة أو درجة من درجات الحبّ ، وهذا يدلّ على اضطراب في الترتيب ، ولعلّه يعود إلى أنّ بعضهم راح يعتمد في ترتيبه على تفسير الأصل اللغوي ، وبعضهم الآخر راح يتابع تجارب الآخرين ويراقبها وما يمرون به من شعور نفسي ، والأغلب كان يعتمد على استحضار حالة المتصوفّة وما يمرون به من ذوبان في ذات الله ، ويبدو أنّ هذا التداخل والاضطراب في الترتيب طبيعيّ ، لأنّ ترتيب مثل هذه الألفاظ في سلّم تصاعدي أمر

لا يمكن تصوره على شكل من الأشكال بسبب تداخل الدلالات ، وغياب تاريخ ولادة الكلمة ، زيادة على ذاتية الشعور والإحساس بالمعاناة . ولكن يمكننا أن نبيّن ترتيباً ما اعتماداً على حالة الانفعال التي يبرزها السياق ، فالكره والكراهية هي انفعال نفسي يحدث لدوافع داخلية أو خارجية ، والبغض هو انفعال نفسي يحدث بدافع الكراهية الشديدة ويزداد في النفس بقوة الدافع الداخلي ، والشنآن هو انفعال نفسي سلبي ، ويعني شدّة البغض ، والمقت كذلك .

– قمتُ بتتبّع مرادفات أو مقاربات لفظة (حبّ) ولفظة (كره) وبيان مدى مقاربتها لمعنى الحبّ أو الكره ، ونعني بالترادف التقارب الدلالي من دون التطابق التامّ في المعنى ، وهذا الرأي يترك فسحة للباحث اللغوي لبيان المعاني الدقيقة بين الألفاظ المتقاربة .

– إنّ الألفاظ الدالة على أصناف الكراهة غير قليلة في القرآن الكريم وقد بيّنت تجاه تلك الكراهة ومداها ، منها ما تعلّق بكراهة الله تعالى للأشياء أو الأفعال التي تصدر عن العباد ، وأغلبها تعلّقت بكراهة الكافرين أو المنافقين لهذه الأشياء أو الأفعال ، وبعض ذلك تعلّق بإكراه الناس لبعض الأعمال كإكراه النساء على البغاء مثلا ، وفي ذلك بيان القيم التعبيرية والإبلاغية التي تبرزها حالة الكراهة .

– كان السياق خير معينٍ لنا في تفقّد دلالة الألفاظ ، فحرص الباحث على ضمِّ كلِّ لفظة إلى سياقها لاستجلاء دلالاتها ؛ لأنّ المعنيين بدراسة ألفاظ اللغة العربية عموماً وألفاظ القرآن الكريم بشكل خاص يدركون تماماً أنّ كلَّ لفظة في سياق ما مقصودة لسمةٍ تعبيرية أو معنى محدود .

– تستمد صورة المحبّة والكراهة في القرآن الكريم قيمها الفنيّة والبلاغية من طبيعة هاتين العاطفتين التي تبرزها سياقات المحبّة والكراهة القرآنيّة ، فقد وجدناها واضحة الصورة ، دقيقة البيان ، واسعة الخيال ، تنمُّ عن براعةٍ وتفنّنٍ إذ إنّ هدفها توضيح الدلالة وتعميقها عند المتلقين .

– عند النظر في ألفاظ المحبوبين وألفاظ غير المحبوبين يُلحظ أنّ هناك تناسباً عددياً بين الصنفين ، إذ إنّ عدد الأصناف الذين يحبّهم الله تعالى ستة عشر صنفاً ، وكذلك كان عدد الأصناف الذين لا يُحبّهم ، وهذا التوازن الدقيق والعجيب يشهد على أنّ الله تعالى لا يظلم الناس شيئا .

– إنّ من أبرز سمات الإعجاز التقابل في القرآن ، وإنّه من طرائق البيان التي تجد فيها المعاني معرضاً للوضوح والجمال ، والتي تجد فيها النفوس لذة وسروراً ، فلم يعد أسلوب التقابل مجرد أسلوب لغوي بلاغي يتصف بجماليات مثيرة وإنما غدا أداة لكشف الجمال والحقائق معاً ، وقد وظّف القرآن الكريم صورة التقابل بين ألفاظ المحبّة والكراهة لإبراز القيم التعبيرية العميقة لهاتين العاطفتين المتعلقتين بالنفس والوجدان من خلال إسهام كلّ منهما في تقوية

دلالة الآخر وإظهاره بشكل دقيق وعميق .

هذا جانب مما قدَّمه الباحث في بحثه ، اللهم فإن أصاب فهو بفضل جودك ، وإن أخطأ فالرجاء عفوك ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الغُرِّ الميامين.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

(حرف الألف)

– آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، تأليف : محمد جواد البلاغي النجفي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) .

– الإبداع البياني في القرآن العظيم ، تأليف : الشيخ محمد علي الصابوني ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٧ م .

– إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، تأليف : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغنيّ الدمياطي الشهير بالبنّاء (ت١١١٧هـ) ، وضع حواشيه : الشيخ أنس مهرة ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ٢٠٠٦م .

– الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٨م .

– أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور ، تأليف : د. مشرف بن أحمد الزهراني ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

– إحياء علوم الدين ، تصنيف : أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

– الأخلاق في القرآن ، تأليف : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، مطبعة سليمانزاده ، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قم ، إيران ، ط٣ ، ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦م.

– ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تأليف : أبن حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق : د. رجب عثمان عمر ، مراجعة : د. رمضان عبد التوّاب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٨هت – ١٩٩٨م .

– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمّى(تفسير أبي السعود) ، تأليف : أبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) ، تحقيق : منشورات دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
– أسئلة وأجوبة قرآنية – تفسير وتوضيح– تأليف : السيد مرتضى الحسيني الميلاني ، مؤسسة الإرشاد والتوجيه الديني ، النجف الأشرف ، ط١ ، ٢٠١٠م .
– أساس البلاغة ، تأليف : الإمام جار الله أبي القاسم محموج بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
– أساليب البيان في القرآن ، تأليف : سيد جعفر الحسينيّ ، مؤسسة الطباعة والنشر ، طهران ، إيران ، ط١ ، ١٤١٣هـ .
– أسرار البلاغة ، تأليف : الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ، تحقيق : هـ . ريتر ، دار الكتاب للتراث العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
– أسرار العربية ، تأليف : أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (٥١٣–٥٧٧هـ) ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
– أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم – دراسة نحوية ، تأليف : يونس عبد مرزوك الجنابي ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
– أسلوب النداء في القرآن الكريم خصائصه وأسراره البلاغية، تأليف : أحمد فريد إبراهيم أبو سالم ، http:::faculty.ksu.edu.sa:71938:DocL...%85%D8%AF2.doc
– الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، تأليف : فتح الله أحمد سليمان ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .
– الأشباه والنظائر في النحو ، تأليف : السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٩م .

- الاشتقاق ، تأليف : ابن دريد (ت٣٢١هـ)، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩١م .
- اشتقاق أسماء الله ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي (ت ٣٤٠هـ) ، تحقيق : د. عبد الحسين المبارك ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، العراق ، ط١ ، ٢٠٠٩م .
- إصلاح المنطق ، ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ، شرح وتحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر ، ط٤ ، ١٩٨٧م .
- أصول البيان العربي- رؤية بلاغية معاصرة ، تأليف : الدكتور محمد حسين علي الصغير ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م .
- الأصول في النحو ، تأليف : أبي بكر محمد بن سهر السرّاج النحويّ البغداديّ (ت ٣١٦هـ)، تحقيق : عبد الحسين الفتليّ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- أصول الكافي ، لمحمد بن يعقوب الكلينيّ (ت ٣٢٩هـ) ، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
- أضواء على القيمة اللغوية والدلالية للأحرف التي قيل بزيادتها في القرآن الكريم ، تصنيف : د. إبراهيم الخولي ، ود. أحمد عبد التوّاب الفيومي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق - دراسة قرآنية لغوية بيانية ، تأليف : د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٤م .
- إعجاز القرآن - الفواصل - تأليف : د. حسين نصّار ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٩م .
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن ، تأليف : أبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت٣٧٠هـ)، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م .
- إعراب القرآن ، تأليف : أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل القُرشيّ الأصبهانيّ(ت٥٣٥هـ) ، قدّمت له ووثّقت نصوصه ووضعت فهارسه : د. فائزة بنت عمر المؤيّد ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، السعودية ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، تحقيق ودراسة : إبراهيم الإبياري ، الناشرون : دار الكتاب المصري - القاهرة ، ودار الكتاب اللبناني - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ : ١٩٨٢م .
- إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن النحاس (ت ٣٣٨هـ) ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م .
- ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم ، تأليف : د. خولة عبيد خلف الدليمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- الأمالي ، تأليف : أبي جعفر محمد بن علي الحسين بن موسى بن بابويه القميّ (ت٣٨١هـ)، قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، قم المقدسة ، ط١ ، ١٤١١هـ .
- أمالي ابن الشجري ، تأليف : هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسنيّ العلويّ (ت٥٤٢هـ) ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ط١ ،٢٠٠٩م .

– أمالي المرتضى(غرر الفوائد ودرر القلائد)، تأليف : الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسويّ (ت٤٣٦هـ)، تحقيق : د. محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م .
– الأمالي النحوية ، ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) ، تحقيق : هادي حسن حمودي ، عالم الكتب – مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٥م .
– أمثل البيان لمعارف القرآن ، تأليبف : الشيخ علي الإبراهيمي ، دار المحجّة البيضاء ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .
– الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل ، تأليف : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، مطبعة الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٩م .
– الإمعان في ألفاظ القرآن الكريم ، تأليف : السيد يوسف السيد مهدي الموسوي ، مطبعة ثامن الحجج (عليه السلام)، كربلاء المقدسة ، ط١ ، ١٤٢٩هـ .
– الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء ، تأليف : محمد جعفر الشيخ إبراهيم الكرباسيّ ، مطبعة الآداب ، النجف ، ١٩٨٧م .
– أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تأليف : ناصر الدين أبي الخير عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ، إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، (د . ت) .
– أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٨م .
– الإيضاح في علوم البلاغة ، تأليف : الخطيب القزويني (٦٦٦ – ٧٣٩هـ)،شرح وتعليق وتحقيق : د. محمد السعدي فرهود ، ود. محمد عبد المنعم خفاجي ، ود. عبد العزيز شرف ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

(حرف الباء)

– بحار الأنوار ، للشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، لبنان ، ط٣ ،١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
– البحر المحيط في التفسير ، تأليف : أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الأندلسيّ الغرناطي (٦٥٤ – ٧٤٥هـ)، طبعة جديدة بعناية الشيخ زهير جعيد ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢م .
– بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي ، تأليف : الدكتور : فاخر هاشم الياسري ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٠ .
– بدائع الفوائد ، لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، تحقيق : د. محمد الاسكندراني وعدنان درويش ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٦م .

– البرهان في تفسير القرآن ، تأليف : العلاّمة السيد هاشم البحراني ، حققه وعلّق عليه : لجنة من العلماء المحققين الأخصائيين ، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
– البرهان في علوم القرآن ، للزركشي (ت٧٩٤هـ) ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٦م .
– بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تأليف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت ٨١٧هـ) ، تحقيق : الاستاذ عبد العليم الطحاوي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .
– بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، تأليف : د. علي أبي القاسم عون ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
– البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي ، تأليف : د. محمود البستاني ، دار الفقه للطباعة والنشر ، إيران ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .
– البلاغة العربية ، أسسها وعلومها وفنونها ، تأليف : عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .
– البلاغة العربية – مقدمات وتطبيقات – تأليف : د. بن عيسى باطاهر ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
– البلاغة فنونها وأفنانها – علم البديع والبيان – تأليف : الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط١٢ ، ٢٠٠٩م .
– البلاغة القرآنية في آيات صفات المؤمنين ، تأليف : د. هند بنت جميل بن صالح نايتة ، دار كنوز اشبيليا ، للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .
– بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز – إعراباً وتفسيراً بإيجاز ، إعداد : بهجت عبد الواحد الشيخلي ، مكتبة دنديس، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠١م .
– بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، تأليف : د. فاضل السامرائي ، دار عمّار للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمّان ، ط٥ ، ٢٠٠٨م .
– البلاغة والأسلوبية ، تأليف : د. محمد عبد المطلب ، الهيئة المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٤م .
– البلاغة والتطبيق ، تأليف : د. أحمد مطلوب ود. كامل حسن البصير ، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، العراق ، بغداد ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
– البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع)، تأليف : علي الجارم ومصطفى أمين ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ، طهران ، ط١ ، ١٤٢٦هـ .
– بناء الجملة العربية ، تأليف : د. محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
– البيان في روائع القرآن ، تأليف : د. تمام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .
– بيان النظم في القرآن الكريم ، تأليف : محمد فاروق الزين ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٤م

– البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٨٥م .

(حرف التاء)

– تاج العروس ، تأليف : محمد مرتضى الزبيديّ (ت ١٢٠٥هـ)، المطبعة الخيريّة ، مصر ، ١٣٠٦هـ .

– تأويل القرآن – النظرية والمعطيات – تأليف : السيد كمال الحيدري ، دار فرقد للطباعة والنشر والتوزيع ، إيران ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

– تأويل مشكل القرآن ، تأليف : أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تعليق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

– التبيان في إعراب القرآن ، للعكبري (٥٢٨ – ٦١٦هـ)، تحقيق : أحمد السيد سيد أحمد علي ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، (د . ت) .

– التبيان في تفسير غريب القرآن ، تصنيف : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عباد المعروف بابن الهائم (ت ٨١٥هـ) ، تحقيق : د. ضاحي عبد الباقي محمد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م .

– التبيان في تفسير القرآن ، تأليف : أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ – ٤٦٠هـ) ، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٣٠٩هـ .

– تجديد النحو ، تأليف : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٥ ، ٢٠٠٣م

– التحرير والتنوير ، تأليف : سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧م .

– تحصيل نظائر القرآن ، تأليف : الترمذي (ت٢٧٩هـ)، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.

– التحفة القُليبية في حلّ الحمولية في غريب القرآن ، تأليف : شيخ الإسلام موسى بن محمد بن موسى بن يوسف القُليبيّ العمري المالكي (ت ١٣٣٢هـ) ، تحقيق : الشيخ كامل محمد محمد عويضة ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .

– التحليل النحوي – أصوله وأدلّته ، تأليف : د. فخر الدين قباوة ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

– التسهيل لعلوم التنزيل ، تأليف : أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي الكلبيّ الغرناطيّ (ت ٧٤١هـ)، تحقيق : د. عبد الله الخالديّ ، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٦هـ .

– تصحيح الفصيح وشرحه ، لابن درستويه ، تحقيق : د. رمضان عبد التوّاب ، ود. محمد بدوي المختون ، وزارة الأوقاف المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .

– التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ،(د.ت)

– التصوير الفني في القرآن الكريم – دراسة تحليلية ، تأليف : د. جبير صالح حمادي ، إشراف : د. محمد عبد الحميد أحمد ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

- التطور الدلالي – الإشكال والأشكال والأمثال ، تأليف : د. مهدي أسعد عرار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م .
- التعبير القرآني ، تأليف : د. فاضل السامرائي ، شركة العاتك لصناعة الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٩م
- التعبير القرآني والدلالة النفسيّة ، تأليف : د. عبد الله محمد الجيوسي ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، سوريا ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م .
- التعريفات ، تأليف : أبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق : إبراهيم الأبياريّ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٥م .
- تفسير أبي القاسم الكعبيّ البلخيّ ، تأليف : أبي القاسم الكعبيّ البلخيّ (ت٣١٩هـ) ، دراسة وتحقيق : د. خضر محمد نبها ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ٢٠٠٧م .
- التفسير الأصفى ، تأليف : المولى محمد محسن الفيض الكاشاني(١٠٠٧ – ١٠٩١ هـ) تحقيق : مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، المحققان : محمد حسين درايتى ومحمد رضا نعمتي ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، قم المقدّسة ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
- التفسير البياني للقرآن الكريم ، تأليف : د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٨ ، ٢٠٠٥م .
- التفسير البياني للقرآن الكريم ، تأليف : د. محمود البستاني ، مؤسسة الطبع التابعة للإستانة الرضوية المقدّسة ، إيران ، ط١ ، ١٤٢٢هـ .
- تفسير الجلالين للقرآن الكريم ، تأليف : جلال الدين محمد بن أحمد المحليّ (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، حققه وقدّمه وراجعه : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التأريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
- التفسير الصافي ، تأليف : المولى محمد محسن الفيض الكاشاني(١٠٠٧ – ١٠٩١ هـ)، منشورات مكتبة الصدر ، إيران ، طهران ، ط٣ ، ١٣٧٩ .
- تفسير غريب القرآن ، تأليف : أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ – ٢٧٦هـ)، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .
- تفسير غريب القرآن ، للصاغاني (ت ٦٥٠هـ) ، تحقيق : محمد صبحي بن حسن حلاّف ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
- تفسير القرآن بالقرآن – دراسة دلالية ، تأليف : د. أحمد رسن ، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ، لندن ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- تفسير القرآن الجليل ، المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) ، تأليف : علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، وبهامشه تفسير ابن عربي ، طبعه حسن حلمي الكتبي ومحمد حسن جمالي الحلبي ، مصر ، ١٣١٧هـ .
- تفسير القرآن الحكيم الشهير بـ(تفسير المنار) ، تأليف : السيد محمد رشيد رضا ، دار المنار ، مصر ، ط٣ ، ١٣٦٧هـ .

– تفسير القرآن العظيم ، تأليف : أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ –٧٧٤ هـ) ، تحقيق : أبو عبد الله عبد الحليم بن محمود ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٠م .
– تفسير القرآن الكريم ، تأليف : السيد عبد الله شبّر (ت ١٢٤٢هـ)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .
– تفسير القرآن الكريم المسمّى (بحر العلوم) ، تأليف : أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) ، دراسة وتحقيق : د. عبد الرحيم أحمد الزقة ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ط١ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
– التفسير القيّم ، تأليف : ابن القيّم ، مراجعة وتقديم : مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية ، إشراف : الشيخ إبراهيم الرمضان ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .
– تفسير الكاشف ، تأليف : محمد جواد مغنية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م .
– تفسير المُراغيّ ، تأليف : أحمد مصطفى المُراغيّ ، دار الفكر ، مصر ، (د.ت) .
– تفسير النهر الماد ، تأليف : أبي حيّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ) ، حاشية تفسير البحر المحيط ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٨م .
– التفسير الهادي للقرآن الكريم ، إعداد : الشيخ خليل رزق ، دار الهادي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
– التفسير والمفسرون ، تأليف : د. محمد حسين الذهبيّ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .
– التفسير الوسيط ، تأليف : الدكتور محمد سيّد طنطاوي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
– التقابل الجمالي في النص القرآني – دراسة جمالية فكرية أسلوبية ، تأليف : د. حسين جمعة ، دار المنير للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
– التقديم والتأخير في القرآن الكريم – بلاغة وإبلاغ –، تأليف : د. خلدون سعيد صبح ، دار الينابيع ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
– تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع ، تأليف : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) ، قرأه وكتب حواشيه وقدّم له : د. ياسين الأيوبيّ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٨م .
– تهذيب اللغة ، تأليف : أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون وآخرين ، مراجعة : محمد علي النجار ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر – مصر ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م .
– التوقيف على مهمات التعاريف ، تأليف : محمد عبد الرؤوف المناويّ ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٢م .
– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تأليف : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي(١٣٠٧ – ١٣٧٦هـ) قدّم له : الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل والشيخ محمد الصالح العثيمين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م .

(حرف الثاء)

– ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني(ت٣٨٤هـ) والخطّابي(ت٣٨٨هـ) وعبد القاهر الجرجانيّ(ت٤٧١هـ) في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد ، ود. محمد زغلول سلاّم ، دار المعارف القاهرة ، ط٥ ، ٢٠٠٨م .

(حرف الجيم)

– جامع البيان في تأويل القرآن ، تأليف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .

– الجامع لأحكام القرآن ، تأليف : أبي عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، تحقيق : سالم مصطفى البدري ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

– جماليات اللغة العربية ، تأليف : الدكتور محمد التونجي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧م.

– جمالية المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير ، تأليف : أحمد ياسوف ، إشراف وتقديم : الدكتور نور الدين عنتر ، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ، سورية ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٤م .

– الجمان في تشبيهات القرآن ، لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا البغدادي ، تحقيق :الدكتور محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

– الجملة العربية – تأليفها وأقسامها ، تأليف : د. فاضل السامرائي ، دار الفكر ، عمان ، الأردن ، ط٢ ، ٢٠٠٩م.

– الجملة العربية والمعنى ، تأليف : د. فاضل السامرائي ، دار الفكر ، عمان ، الأردن ، ط٢ ، ٢٠٠٩م .

– الجمل في النحو ، المنسوب خطأً إلى : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٠هـ .

– جمهرة اللغة ، تأليف : ابن دريد أبي بكر بن الحسين الأزديّ البصريّ (ت ٣٢١هـ)، تحقيق : د. رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٧م .

– جواهر الألفاظ ، تأليف : أبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت٣٣٧هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١١م .

– جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، تأليف : السيد أحمد الهاشمي ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ، طهران ، ط٢ ، ١٣٨٢ .

– الجواهر الحسان في تفسير القرآن المسمّى (تفسير الثعالبي) ، تأليف : الإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (٧٨٦ – ٨٧٥هـ) ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوّض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود والدكتور عبد الفتاح أبو سنّة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م .

(حرف الحاء)

– الحبّ في التراث العربي ، تأليف : د. محمد حسن عبد الله ، عالم المعرفة ، اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٨٠٩م .

– الحبّ في التصوّف الإسلامي ، تأليف : يحيى الراضي ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

– الحُبّ في القرآن ، تأليف : د . محمود بن الشريف ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٣م .

– حجة القراءات ، تأليف : أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت ق٤هـ) ، تحقيق : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٥ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

– الحجة في القراءات السبع ، تأليف : ابن خالويه (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق : د. عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

– حروف الجر في العربية بين المصطلح والوظيفة ، تأليف : د. نور الهدى لوش ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٩٥م .

– الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية ، تأليف : عالم سبيطي النيلي ، دار المحجّة البيضاء ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

(حرف الخاء)

– الخصائص ، تأليف : أبي الفتح عثمان ابن جنّي (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق : د . محمد علي النجار ، قدم هذه الطبعة : د، عبد الحكيم راضي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٥ ، ٢٠١٠م .

– خصائص التركيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، تأليف : د. محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

– خصائص النظم القرآني في قصّة إبراهيم (عليه السلام)، تأليف : د. الشحات محمد أبو شيت ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ط١ ، ١٩٩١م .

– خطرات في اللغة القرآنية ، تأليف : د. فاخر هاشم الياسري ، دار الشؤون الثقافية ، العراق ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

– خواطر من تأمّل لغة القرآن الكريم ، تأليف : د. تمّام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

(حرف الدال)

– دراسات بلاغية ، تأليف : الأستاذ الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٦م .

– دراسات جديدة في إعجاز القرآن ، تأليف : عبد العظيم إبراهيم المطمعي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦م .
– دراسات قرآنية في جزء عمّ ، تأليف : د. محمود أحمد نحلة ، دار العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٩م .
– دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، تأليف : محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .
– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، تأليف : أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي(ت ٧٥٦هـ) ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق .
– الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تأليف : الإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، صححها وخرّج أحاديثها : الشيخ نجدت نجيب ، تقديم : عبد الرزاق مهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م .
– دقائق التصريف ، تأليف : القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب(ت بعد ٣٣٨هـ) ، تحقيق : أحمد ناجي القيسي ، حاتم صالح الضامن ، ود. حسين تورال ، مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
– دلائل الإعجاز ، تأليف : عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، السعودية ، جدّة ، ط٣ ، ١٩٩٢م .
– دلالة الألفاظ ، تأليف : الدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصريّة ، ط٣ ، ١٩٦٣م .
– الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ، تأليف : د. حامد كاظم عبّاس ، دار الشؤون الثقافية العامّة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
– ديوان زهير بن أبي سُلمى ، تحقيق : علي حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

(حرف الراء)

– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تأليف : شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي (١٢١٧ – ١٢٧٠هـ)، تحقيق : ماهر حبوش وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م .

(حرف الزاي)

– زاد المسير في علم التفسير ، تأليف : أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ) ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .
– الزاهر في معاني كلمات الناس ، تأليف : أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٨٧م .

(حرف الشين)

– شرح ابن عقيل عل ألفيّة ابن مالك ، تأليف : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العُقيليّ الهمذانيّ المصريّ (ت ٧٦٩هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط١٤ ، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .

– شرح الأشمونيّ علي ألفية ابن مالك (ت٩٢٩هـ) ، تأليف : علي بن محمد الأشمونيّ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة البابي الحلبيّ وأولاده ، مصر ، ط٢ ، ١٩٣٩م .

– شرح الرضي على الكافية ، للرضي الاستراباذي (ت٦٨٨هـ)، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قار يونس ، ليبيا ، بنغازي ، ط٢ ، ١٩٩٦م .

– شرح شذور الذهب ، لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، د. بركات يوسف هبود ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

– شرح قطر الندى وبلّ الصدى ، لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق : محمد جعفر الشيخ أحمد الكرباسي ، دار الاعتصام ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

– شرح المفصل ، تأليف : موفّق الدين بن يعيش النحويّ (ت ٦٤٣هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .

(حرف الصاد)

– الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تأليف : أبي الحسن أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : أحمد صقر ، مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العلمية ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

– الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٩٩٠م .

– صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، طبع بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨١م .

– صحيح مسلم بشرح النوريّ ، للإمام مُحيّ الدين أبي زكريا يحيى بن شريف النوري (٦٣١ – ٦٧٦ هـ) ضبطه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه : محمد محمد تامر ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

– صفوة التفاسير ، تأليف : محمد علي الصابوني ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

– صيغة فعّل في القرآن الكريم – دراسة صرفية دلالية ، تأليف : د. أحلام ماهر حميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

(حرف الطاء)

– الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، تأليف : يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت ٧٤٩ هـ)، تحقيق : د.عبد الحميد الهنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ٢٠٠٨م .

– الطريف في علم التصريف ، دراسة صرفية تطبيقية ، تأليف : عبد الله محمد الأسطي ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٩٢م .

(حرف الظاء)

– ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم ، تأليف : د. طالب محمد الزوبعي ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٩٥م .

– الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ، تأليف : نذير حمدان ، دار المنارة ، جدّة – السعودية ، ط١ ، ١٩٩١م .

– الظواهر النحوية والصرفية في شعر المتنبيّ ، تأليف : عبد الجليل يوسف بدا ، المكتبة العصريّة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

(حرف العين)

– العباب الزاخر واللباب الفاخر ، تأليف : الحسن بن علي الصغانيّ (٥٧٧ – ٦٥٠هـ)، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٤٠٠هـ – ١٩٧٩م .

– العقل البشري في تفسير القرآن ، تأليف آية الله العظمى الشيخ محمد طاهر آل شبّر الخاقاني ، مطبعة مهر ، قم المقدسة ، ١٣٠٣هـ .

– على طريق التفسير البياني ، د. فاضل السامرائي ، جامعة الشارقة ، ٢٠٠٢م .

– علم البديع ، تأليف : د. عبد العزيز عتيق ، دار الآفاق العربية ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

– علم البديع – دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ، تأليف : الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيّود ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٨م .

– علم البيان ، تأليف : د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان .

– علم البيان – دراسة تحليلية لمسائل البيان ، تأليف : الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيّود ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٨م .

– علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، تأليف : د. صبحي إبراهيم الفقيّ ، دار قِباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٣١هـ – ٢٠٠٠م .

– علم المعاني ، تأليف : د. عبد العزيز عتيق ، دار الآفاق العربية ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

– علم النحو العربي رؤية جديدة وعرض نقدي مفاهيم ومصطلحات ، تأليف : د. صبري المتولي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠١م .

– علوم القرآن ، تأليف : آية الله السيد محمد باقر الحكيم ، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت ، إيران ، ط٤ ، ١٤٢٥هـ .

– العمدة في محان الشعر وآدابه ونقده ، تأليف : أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) ، صنّفه وعلّق عليه وصنع فهارسه : د. النبوي عبد الواحد شعلان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

– العين ، تأليف : أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ – ١٧٥هـ) تحقيق : د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد – بغداد ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

(حرف الغين)

– غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، تأليف : نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القميّ النيسابوريّ ، تحقيق : الشيخ زكريا عميران ، دار الكتب العلمية ، بيروت : لبنان ، ط١ ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

(حرف الفاء)

– فتح البيان في مقاصد القرآن ، تأليف : صديق حسن خان القنوجي (١٢٤٨ – ١٣٠٧هـ) ، تحقيق : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، نشر المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

– فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية في علم التفسير ، تأليف : الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١١٧٣ – ١٢٥٠هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٦هظت – ٢٠٠٥م .

– الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة المُسمّى (حاشية الجمل على تفسير الجلالين) ، تأليف : سليمان بن عمر العجيليّ الشافعيّ الشهير بالجمل (ت ١٢٠٤هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبيّ وشركاه ، مصر (د . ت) .

– فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات ، تأليف : نور الدين نعمة الله الحسيني الموسوي الجزائري ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، مكتبة الرشيد ، ط١ ، ٢٠٠٣م .

– الفروق اللغوية ، تأليف : أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ)، تعليق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٦م .

– الفعل في القرآن الكريم ، تعديته ولزومه ، تأليف : أبي أوس إبراهيم الشمسانيّ ، طبع جامعة الكويت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

– فقه اللغة العربية ، تأليف : د. كاصد ياسر الزيديّ ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

– فقه اللغة وسر العربية ، لأبي منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، القاهرة ، (د.ت).

– فنون التصوير البياني ، تأليف : د. توفيق الفيل ، منشورات دار السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٧م .

– في ظلال القرآن ، تأليف : سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ٣٤ ، ٢٠٠٤م .

(حرف القاف)

– القاموس المحيط ، تأليف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الجيل ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

– القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم ، تأليف : د. خالد إسماعيل علي ، دار المتّقين للثقافة والعلوم للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

– القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف ، تأليف : آية الله جعفر السبحاني : مؤسسة الإمام الصادق(عليه السلام)، إيران ، قم المقدسة ، ط١ ، ١٤٢٧هـ .

– قصص القرآن الكريم – دلالياً وجمالياً ، تأليف د. محمود البستاني ، مؤسسة السبطين العالمية ، إيران ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ .

– قضايا لغويّة قرآنية – دراسات نظرية وتطبيقية في المنهج الأصولي لتحليل النص القرآني ، تأليف : د. عبد الأمير كاظم زاهد ، مطبعة أنوار دجلة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٣م .

(حرف الكاف)

– الكتاب ، تأليف : أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقّب سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٥ ، ٢٠٠٩م .

– كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تأليف : أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

– الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٤٦٧ – ٥٣٨هـ)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

– الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها ، تأليف : أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسيّ (٣٥٥ – ٤٣٧هـ)، تحقيق : محييّ الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

– الكشف والبيان المعروف بـ(تفسير الثعلبيّ) تأليف : أحمد أبي إسحاق الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) ، تحقيق : ابن عاشور أبي محمد ونظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .

– الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف : أبي البقاء أيوب بن موسى الحسينيّ الكفويّ (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق : د. عدنان درويش ومحمد المصريّ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

(حرف اللام)

– لسان العرب ، تأليف : ابن منظور الأنصاري (٦٣٠ – ٧١١هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي : اعتنى بتصحيحه : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، ط٣ ، ١٣٠٠هـ .

– اللغة العربية معناها ومبناها ، تأليف : د. تمام حسان ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٤م .

– اللغة في الدرس البلاغي ، تأليف : د. عدنان عبد الكريم جمعة ، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ، لندن ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

– لمسات بيانية في نصوص التنزيل ، تأليف : د. فاضل السامرائي ، شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ٢٠٠٦م .

(حرف الميم)

– المباحث البلاغية في المطبوع من تفسير مواهب الرحمن لسماحة آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري ، تأليف : أحمد جاسم آل مسلم الخيال ، دار الضياء للطباعة والتصميم ، النجف الأشرف ، ط١ ، ٢٠١١م .

– مباحث في علم الصرف ، تأليف : د. محمود شكيب الضاري، الأهواز ، ١٣٧٥هـ .

– متشابه القرآن ، تأليف : القاضي عبد الجبار أحمد الهمذاني (ت٤١٥هـ)، مكتبة دار التراث ، القاهرة .

– المتشابه اللفظي في القرآن الكريم – دراسة في العدول البياني ، تأليف : د. محمد ماجد العطائي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٠م .
– المثلَّث ، تأليف : أبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (٤٤٤ – ٥٢١هـ)، تحقيق : صلاح مهدي الفرطوسي ، نشر وزارة الثقافة والإعلام العراقية - دار الرشيد ، بغداد ، 1401 هـ : ١٩٨١م .
– مجاز القرآن ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيميّ (ت ٢١٠هـ) ، تحقيق : د. محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٠م .
– مجاز القرآن – خصائصه الفنيّة وبلاغته العربية ، تأليف : د. محمد حسين علي الصغير ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٤م .
– مجمع البحرين ، تأليف : الشيخ فخر الدين الطريحيّ (ت ١٠٨٥هـ) تحقيق : السيد أحمد الحسينيّ ، دار الكتب العلمية ، مكتبة الورّاق ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، العراق ، ط١ ، ١٣٨٦هـ .
– مجمع البيان لعلوم القرآن ، تأليف : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت ٥٤٨هـ)، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية ، طهران ، ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .
– مجمل اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، راجعه ودقق أصوله : محمد طعمة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
– محاسن التأويل : تأليف : محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ ١٩١٤م) ، ضبطه وصححه وخرّج آياته وأحاديثه : محمد باسل عيون السود ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
– المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تأليف : أبي الفتح عثمان بن جنّي (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق : علي النجدي ناصف و عبد الحليم النجّار وعبد الفتّاح إسماعيل شلبي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة ، القاهرة ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .
– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تأليف : القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية المحاربيّ الأندلسيّ (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .
– المحكم والمحيط الأعظم ، تأليف : ابن سيدة (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق : محمد علي النجار معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
– المحيط في اللغة ، تأليف : الصاحب بن إسماعيل بن عبّاد (٣٢٦ – ٣٨٥هـ)، تحقيق : الشيخ محمد حسين آل ياسين ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط١ ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .
– مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، تأيف : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان الهمذاني ابن خالويه(٢٨٥هـ – ٣٧٠هـ) ، تحقيق : آرثر جفري ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د. ت .
– المخصص ، تأليف : أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة (ت ٤٥٨هـ)، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

– المدرسة القرآنية ، تأليف : سماحة آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر ، دار الصدر ، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر ، طهران ، ط٤ ، ١٤٢٨هـ .
– مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تأليف : عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي (ت ٧١٠هـ) ، ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه : الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .
– مراجعات قرآنية ، أسئلة ، شبهات وردود ، تأليف : السيد رياض الحكيم ، دار الهلال ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م .
– مسائل الرازي وأجوبتها ، تأليف : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٨١هـ – ١٩٦١م .
– مشاهد القيامة في القرآن ، تأليف : سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١٤ ، ١٤٢٣٤هـ – ٢٠٠٢م.
– المصباح المنير ، تأليف : أحمد بن محمد الفيوميّ (٧٧٠هـ)، ، تحقيق : مصطفى السقّا ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، (د. ت) .
– المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، تأليف : د. جواد علي ، طبع جامعة بغداد ، ط٢ ، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .
– المفصّل في صنعة الإعراب ، تأليف : أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (٤٦٧ – ٥٣٨هـ)، تحقيق : د. أميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م.
– معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، تأليف : أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنات ، ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م .
– معاني الحروف ، تأليف : علي بن عيسى الرمانيّ (ت٣٨٤هـ). ، تحقيق : د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، مطبعة دار العالم العربي – القاهرة ، (د . ت) .
– المعاني في ضوء أساليب القرآن ، تأليف : د. عبد الفتاح لاشين ، طبعة دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٧٨م
– معاني القرآن ، تأليف : أبي الحسن الأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ)تحقيق : د. هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٠م .
– معاني القرآن ، تأليف : أبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧هـ)، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣م .
– معاني القرآن ، تأليف : عليّ بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ)، أعاد بناءه وقدّم له : د. عيسى شحاتة عيسى ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٨م .
– معاني القرآن ، تأليف : أبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق : د. يحيى مراد ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .
– معاني القرآن وإعرابه ، تأليف : أبي القاسم إبراهيم بن السّريّ الزجاج (ت ٣١١هـ)، شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبدة شلبيّ ، خرّج أحاديثه : الأستاذ علي جمال الدين محمد ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٤م .
– معاني النحو ، تأليف : د. فاضل السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط٢ ، ٢٠٠٣م .

– معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تأليف : أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، ضبطه وصححه وكتب فهارسه : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

– معجم الأدوات النحوية – دراسة أسلوبية ، إعداد : سمير بسيوني ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٣م .

– معجم الأضداد والمترادفات ، إعداد : د. مهدي الضناوي والأستاذ جوزيف مالك ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

– معجم الأفعال المتعدية بحرف ، تأليف : موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٧٩م .

– معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ، تأليف : سميح عاطف الزين ، منشورات الدار الأفريقية العربية ، لبنان ، ط٤ ، ٢٠٠٢م .

– المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ)، تحقيق وتخريج : حمدي بن عبد الحميد السلفي ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، (د . ت) .

– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه : محمد فؤاد هبد الباقي ، مطبعة نويد إسلام ، إيران ، قم المقدسة ، ط٧ ، ١٣٣٨هـ .

– معجم مقاييس اللغة ، تأليف : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط : عبد السلام محمّد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط٢ ، ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩م .

– المعجم الموضوعي لتصنيف القرآن الكريم المسمّى (فتح الرحمن لطالب مواضيع القرآن)، تصنيف : الشيخ محمد باقر المجلسيّ (ت١١١١هـ) ، جمع وفهرسة : محسن عقيل ، دار المحجّة البيضاء ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م .

– معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن ، تأليف : د. حسن عزّ الدين الجمل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

– المعجم الوسيط ، قام بإخراج الجزء الأول : إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار ، وقام بإخراج الجزء الثاني : د. إبرهيم أنيس ود. عبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد ، دار الدعوة ، استانبول ، تركيا ، ط٢ ، ١٩٧٢م .

– المُغرب في ترتيب المعرب ، تأليف : الإمام اللغوي أبي الفتح ناصر الدين المطرزي (٥٣٨ – ٦١٠هـ)، تحقيق : محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد ، حلب ، سوريا ، ط١ ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تأليف : أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٧م .

– مفاتيح الغيب المعروف بـ(تفسير الفخر الرازي أو التفسير الكبير) ، تأليف : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (٥٤٤ – ٦٠٦ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

– مفتاح العلوم ، تأليف : أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق : د. اكرم عثمان يوسف ، منشورات جامعة بغداد ، مطبعة دار الرسالة ، ط١ ، بغداد ، ١٤٠٢ هـ : ١٩٨٢ م.

– مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، منشورات ذوي القربى ، قم ، ط٦ ، ١٤٣١هـ .

– المقتضب ، تأليف : أبي العبّاس محمد بن يزيد المُبرّد (٢١٠ – ٢٨٥ هـ .)، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة ، القاهرة ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .

– ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، تأليف : الإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصي الغرناطي ، تحقيق : سعيد الفلاّح ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

– من أسرار البيان العربي ، تأليف : د. فاضل السامرائي ، دار الفكر ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

– من أسرار اللغة ، تأليف : د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٧١م .

– من بلاغة القرآن ، تأليف : د. أحمد أحمد بدوي ، مكتبة نهضة مصر ، الفجالة ، ط٣ ، ١٩٥٠م .

– من بلاغة النظم القرآني – دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم ، تأليف : د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٠م .

– من جماليات التصوير في القرآن الكريم ، تأليف : محمد قطب عبد العال ، مطابع الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٦ .

– من الدراسات اللغوية القرآنية ، تأليف : د. فاخر هاشم الياسري ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمّان ، ط١ ، ٢٠١١م .

– من وحي القرآن ، تأليف : د. إبراهيم السامرائي ، منشورات اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، بغداد ، العراق ، ط١ ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

– من وحي القرآن ، تأليف : السيد محمد حسين فضل الله ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

– مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، تأليف : آية الله العظمى السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري ، نشر دار التفسير ، مطبعة شريعت ، إيران ، ط٢ ، ١٤٢٨ – ٢٠٠٧م .

– الميزان في تفسير القرآن ، تأليف : العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) ، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧م .

(حرف النون)

– نتائج الفكر في النحو ، تأليف : أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيليّ(ت ٥٨١هـ) ، تحقيق : د. محمد إبراهيم البنّا ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ليبيا ، ١٩٧٨م .

– النحو الكوفي مباحث في معاني القرآن للفرّاء ، تأليف : د . كاظم إبراهيم كاظم ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م .

– النحو الوافي ، تأليف : عباس حسن ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٧٥م .

– النداء في القرآن الكريم ، تأليف : د. معن توفيق دحام الحيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
– النشر في القراءات العشر ، تأليف : الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقيّ الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، شرح ومراجعة : علي محمد الضبّاغ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،(د. ت)
– نظرات لغوية في القرآن الكريم ، تأليف : د. صالح بن حسين العايد ، دار إشبيليا للنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ط٢ ، ٢٠٠٢م .
– نظرية النحو القرآني ، نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية ، تأليف : د. أحمد مكي الأنصاري ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .
– نظرية النظام اللغوي للقرآن الكريم ، تأليف : د. حسن منديل العكيلي ، ديوان الوقف الشيعي ، مطبعة النماء ، بغداد ، ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠١١م .
– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تأليف : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
– النعت في التركيب القرآني ، تأليف : د. فاخر هاشم الياسري ، دار الشؤون الثقافية ، العراق ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٩م .
– نفحات قرآنية ، تأليف : علي محمد علي دخيل ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .
– النكت في إعجاز القرآن ، تأليف : أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرمانيّ والخطابيّ وعبد القاهر الجرجانيّ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد وزغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ط١ ، ١٩٨٦م .
– النكت في القرآن الكريم – في معاني القرآن وإعرابه – تأليف : أبي الحسن علي بن فضّال المجاشعيّ (ت٤٧٩هـ)، دراسة وتحقيق : د. عبد الله عبد القادر الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
– النكت والعيون ، تأليف : أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، راجعه وعلّق عليه : السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٧م .
– النهاية في غريب الحديث والأثر ، تأليف : مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (٥٤٤ – ٦٠٦ هـ) ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناجي ، المكتبة العلمية ، بيوت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .
– نهج البيان عن كشف معاني القرآن ، تأليف : محمد بن الحسن الشيباني ، تحقيق : حسن الدركاهي ، مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية ، طهران ، ط١ ، ١٩٩٤م .

(حرف الهاء)

- همع الهوامع وشرح جمع الجوامع في علم العربية ، تأليف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) عُني بتصحيحه : السيد محمد بدر الدين النعساني ، دار المعرفة – بيروت، د.ت .

(حرف الواو)

- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، تأليف : العلاّمة مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ) تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٨م .
- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ، تأليف : أبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت ٤٧٨هـ – ١٠٨٥م)، تحقيق : محمد حسين أبو العزم الزفيتي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة ، القاهرة ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تأليف : علي بن أحمد أبي الحسن الواحديّ ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٥هـ .

الأطاريح والرسائل الجامعية

– اسم التفضيل في القرآن الكريم – دراسة دلالية ، رياض يونس خلف ، ماجستير ، جامعة الموصل : كلية التربية ، إشراف أ.م. د. هاني صبري علي آل يونس ، ٢٠٠٥م .

– اسم التفضيل في القرآن الكريم – دراسة نحوية دلالية ، أحمد محمد نعمان عبد الحميد ، ماجستير ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، إشراف أ. د. فاخر هاشم الياسري ، ٢٠٠٣م .

– أفعال التبليغ في القرآن الكريم من الله تعالى إلى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) – دراسة دلالية ، رياض علي حسن ، ماجستير ، الجامعة المستنصريّة : كلية التربية ، ٢٠٠٥م .

– ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم ، زين حسين أحمد ياسين ، ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية : كلية الدراسات العليا – فلسطين ، إشراف أ.د. يحيى عبد الرؤوف جبر وأ.د. محمد جواد النوري ، ٢٠٠٩م .
http:::scholar.najah.edu:sites:default:files:all-hesis:self_expression.pdf

– ألفاظ التسامح في الخطاب القرآني ، ناطق نجم عبد الله ، ماجستير ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، إشراف أ. د. فاخر هاشم الياسري ، ٢٠٠٩م .

– ألفاظ العذاب في القرآن الكريم – دراسة دلالية ، ميثاق حسن عبد الواحد الصالحي ، ماجستير ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، إشراف أ. د. فاخر هاشم الياسري ، ٢٠٠٩م .

– سورة الكهف – دراسة نحوية صرفية ، معمر منير مسيهر العاني ، ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية التربية : ابن رشد ، إشراف أ.د. محمد صالح التكريتي ، ٢٠٠٤م .

– صيغة فعيل في القرآن الكريم – دراسة صرفية دلالية ، محمد علوان لطيف الجبوري ، ماجستير ، جامعة تكريت : كلية الآداب ، بإشراف أ.م.د. شهاب أحمد إبراهيم ، ٢٠٠٣م .

– الفروق الدلالية في الأسلوب القرآني ، حسين عودة هاشم ، دكتوراه ، جامعة البصرة : كلية التربية ، إشراف أ. د. فاخر هاشم الياسري ، ٢٠٠٧م .

– مستويات تفسير النص القرآني في التراث الأدبي العربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، بشير سعيد سهر محمد المنصوري ، دكتوراه ، جامعة البصرة : كلية التربية ، إشراف أ. د. سامي علي جبار ، ٢٠١٠م .

البحوث

– أسلوب التفضيل في القرآن الكريم : أحمد عبد الستار الجواري (بحث) ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، المجلد (٣٨) ، الجزء (١) ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

– الوصف بالمصدر للدكتور أحمد عبد الستار الجواري (بحث)، مجلة المجمع العراقي لسنة ١٩٧٤، مجلد(٣٥)

Abstract

Recently as well as tradibarally al quoranic uocabwlary has received a special inlerest al tappssear ossool al phekhh and lingwishcs yet on special suience has been established concerning it : (al- wojohh-wal-nazaar). Hay quoran is a mircele in almost everything : ist pronunsiahim imeaning and style . the specified yes ay al-qmoranic vocabulary is camsidered to be a slulistic phenomenon that attracts the attenlian to the quoranic-marvel greatness.

As mentained above ,holy quoran is a miracle in its pronunciation ,its meanings and its style. So , al- quottabi (T388H) in his (bayian iejaz al-quoran) has shpulated."notice that holy quoran is considered to be a miracle;for,it give us the most rheton,c words arranged in their most beawlidwl systemic composition in duding their meanings. And this is very obvious even with the use aj a sirgle letter which has its own miracle position that on other letter can replace it; to show the coherence of its wards , so does the single ward with ils own stalement as well as its shatememt with its own verse, soon.

Holy quoran is a miracle, for, it is considered to be alive picture to like iuniverse, and humanity. And it is a miracle in its meaning to show the humanic truth and its enistence missisn. A miracle in its sciences and kmowledjes that have been scientifically proved recently. It is a miracle with its lagiclation to cesnre human rights to astablich an idle society for both man and unirerce. For all these reagams holy qmaran is always attacked as being a magical book , for, it has the ability to make him audience (listeners: readers) unconsciously obeyed and this is by itself a deliberated confession concerned the quoranic attraction and this is be comes as the tact they, the taste and sense as the attracted ward putting it in its beautiful expensive manner is an innate capacity within each human being .

if we considered holy Quran very carefully , we can tined its carefulness in choosing every single word ,and them has its own quoranic

context bearing with it the most marred expressive signs along the whole language systems (phonology ,syntax ,and lexicon).so , holy Quran is an immortal marvel verse that still and will exist throughout the passage as time . this is the reason for the following question " why I choose such a subject matter as being the contents and title as my dissertation : " love and hate expressions in Al Quran Declaration " .

Declaration here means: exploring : exploring and chouing . that is to say that shoring Al Quran lexis and their valuable signs as well as their artificial meanings . this does not mean that the researchers job is to show the use as simile and metaphor in holy Quran , on the contrary , his job aims at exploring the way putting and composing these lexis in a way to reveal the exact intended meanings of the speaker's ideas , so as , to be received in the right way by the hearer .

Since , it is a wide subject matter to deal with , this dissertation falls into three main chunks. The first two chunks are divided into three chapters . whereas , the third chunks is divided into two chapters .

As far as the first chunk is concerned it contains all " love expressions " whether explicitly revealed . the first chapter includes all explicit love expressions : their associate's their synonymous ate . chapter two deals with the emplicit ones. Thence chapter three reveals all" love" expression as collected together whether , explicit , implicit ; nearby ; synonymous , soon .

With the second chunk , all " hate " expressions – explicit or implicit – are maintained . this is because of the fact that " hate " lexis are just the opposite of " love " lexis for this reason chunk two is divided in the same way as chunk one does .

The last chunk " third one " collects both " love and hate " expression to explore , explain and show the valuable artificial meanings of both " love and hate " expression of the Quoranic use of vocabulary . this cannot be explored or explained clearly , so, this chunk is divided into chapters. The first shows the artificial expressive meaning of such lexis. . whereas , the second shows the artificial valuable declaration of such lexis

The dissertation ends with a conduction shows the results that the research arrives of explaining their values. Needless to say that, it is a challenge to deal with such a subject matter because of its sensitive factor. To deal with such a sensitive factor mean to face a hard work and time because of the sacred nature of holy Quran.